٢٧٩ ورقه مجسطر ٢٥ —

المجلد الرابع من بحر العلوم
للشيخ الشريف من نسل النبي عليه السلام
علي السمرقندي رحمه الله تعالى

## سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان كان اسما للسورة او القرآن فمبتداء خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل
بمعنى المنزل وان كان تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب خبر مبتداء محذوف
او هو مبتداء خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان
المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر او خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض
لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي كونه
منزلا من رب العالمين ويشهد لذلك قوله ام يقولون افتراه لانه انكار لكونه من رب
العالمين وقوله بل هو الحق من ربك لانه تقرير لكونه منه وهذا اسلوب صحيح محكم
اثبت اولا اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين ثم قرر ذلك بنفي الريب
عنه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام منقطعة بمعنى بل والهمزة
انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث آيات
منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق المنزل من الله ومعنى قوله لا ريب
فيه ان هذا الكتاب ليس بمظنة للريب ولا ينبغي ان يرتاب فيه لانه كلام معجز
للبشر عن معارضته والاتيان بمثله فهو ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه
فقول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقول قبل التامل
والنظر لانه سمع المنكرين المعاندين يقولونه ثم بين الغرض او المقصود من تنزيله بقوله
لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اي لتحذر عاقبة الكفر والمعاصي ومن الاولى
مزيدة لتاكيد النفي والثانية بيانية اي لم يأتهم نذير ممن قبلك لان قريشا لم
يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلعم كقوله ما انذر اباؤهم وقال ابن عباس
وذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام واذا لم يأتهم نذير
لم يقم عليهم حجة بالشرايع التي لا يدرك علمها الا بالرسل واما تقوم بمعرفة الله وتوحيده
وحكمته لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون متعلق
بقوله لتنذر على الترجي من رسول الله صلعم اي لتنذر انذار من يرجو ويطمع في
تهديهم ولا يخيب سعيه ووجه اخر وهو ان لعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها

ومعنى الترجي كانه قيل لتنذرهم ارادة ان يهتدوا او يعملوا عمل المهتدين
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اولها يوم السبت واخرها
يوم الجمعة قال ابو هريرة قال رسول الله صلعم خلق الله التربة يوم السبت وخلق
فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثاء وخلق
النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من
يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل اخرجه مسلم
وقال مجاهد اولها يوم الاحد واخرها الجمعة وقيل خلق الارض في يوم
الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات
وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق
فيها آدم وهي الساعة التي يقوم فيها القيامة وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله
الله عيدا للمسلمين وفي ذلك تعليم لخلقه التثبت والرفق والتاني في الامور فانه تعالى
قادر على ان يخلقها في لمحة بصر واقل منها ولكنه خلقها على تؤدة وتدريج لذلك الذي ذكرنا
ثم استوى على العرش استوى امره او استولى او ملكه او قصد العرش واجرى منه
الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير على حسب ما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيته وهو من المتشابهات الموكول الى الله تعالى علمها عند كثير من
العلماء ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه احد ينصركم
ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي يتولى اموركم ولا شفيع لكم وينصركم في مواطن نصركم
على ان الشفيع مجاز يراد به الناصر لان الشفيع ينصر المشفوع له وهو كقوله وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون
افلا تتعظون بمواعظ الله فتحذروا عاقبة الكفر والمعاصي وتعلموا ان من قدر
على اختراع السموات والارض وما بينهما كان قادرا على خلق الناس وبعثهم و
الانتقام منهم وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية من ملك وانسان
فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع يدبر الامر من السماء الى الارض اي يقضي ويقدر
امر الخلق كله او يجري امر الكائنات من الاحكام والتقادير والاسباب وينزلها
من السماء الى الارض على حسب مقتضى حكمته ومشيته فيفعل ما يفعل المتوخي للصواب

عن ابن عباس ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خلق
السموات والارض فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين
وخلق الجبال والشجر في يومين وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة
النجوم والشمس والقمر والملائكة ثم خلق آدم عليه السلام واسكنه الجنة
ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا ثم
استراح فغضب عليه السلام فنزل قوله وما مسنا من لغوب
واعلم انه تعالى لما ذكر هذه التفاصيل قال ذلك تقدير العزيز العليم
والعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم
وما افيد بهذه الخاتمة ان تلك الاعمال لا تكون الا بقدرة كاملة وعلم محيط
تفسير كبير

من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه
ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه
الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص
من عباده وقلة الاعمال الصالحة كشاف

الناظر في ادبار الامور وعواقبها والتدبير ان ينظر الناظر من السماء في ادبار الامور و
عواقبها ليكون محمودا ولا يلقاه مكروه ولما دل بالجملة السابقة على عظمة شانه وملكه
وكبرياء سلطانه قفاها هذه الجملة واتبعها اياها لزيادة الدلالة على العظمة والكبرياء وانه
لا يخرج من قضائه وتقديره امر من امور الكائنات كلها وان الكل تحت يديه وفي تصرفه
وقيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج
اليه يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة
من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر المامور به
من الطاعات والاعمال الصالحة منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه ذكر المامور
خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله تعالى والمخلصين والاعمال الصالحة
الصاعدة اذ لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله تعالى ثم قليلا ما تشكرون
وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح المحفوظ فينزل به جبرئيل من السماء الى الارض ثم يعرج
اليه في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان مسافة هبوطه وصعوده مسيرة الف سنة لان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وهو يوم من ايامكم لسرعة جبرئيل لانه يقطع مسيرة
الف سنة في يوم واحد وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف
لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى قيام الساعة ثم يعرج اليه
ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي
عبلة يعرج مبنيا للمفعول وقرئ يعدون بياء الغيبة ذلك اي ذلك المعلوم المتصف بتلك الاوصاف
الذي لا يشارك فيها احدا او ذلك العظيم الموصوف بتلك الصفات العظيمة التي تدل على عظمته و
كبرياء شانه وسلطانه وكمال قدرته وتدبيره عالم الغيب كل ما غاب عن العباد وخفي
عليهم ولم يطلع عليه احد منهم موجودا كان او معدوما والشهادة وكل ما حضر مما يشهد
على وحدانية الله وقيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهد
وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق
العلم القديم به فاذا كان عالم الغيب والشهادة لم يكن مدبرا لامر الخلق كله وامر ملكوت
السموات والارض والعرش الاعلى وفق الحكمة البالغة العزيز الغالب على امره الرحيم
على خلقه في تدبيره او الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم عليهم حين امهلهم و[illegible]

بالانتقام والعقوبة او العزيز في انتقامه من اعدائه الرحيم باوليائه وقيل فيه ايماء بانه
مراعي المصالح تفضلا واحسانا وقرا زيد بن علي عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم
بالجر الذي احسن كل شيء خلقه قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقال قتادة حسنه اذ ما
من مخلوق الا هو مرتب على مقتضى الحكمة والمصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت
الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم قال مقاتل علم كيف يخلق
كل شيء من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق
والتقارب وخلقه في هذا الوجه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام صفة
لكل او شيء اي كل شيء خلقه فقد احسنه والباقون بسكونها على انه بدل من كل بدل الاشتمال
اي الذي احسن خلق كل شيء وبدا خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله من
سلالة ثم خلق ذريته من نطفة وسميت نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل وتخرج من
صلبه ونحو قولهم للولد سليل ونجل وسميت النطفة سلالة لانها تسل من الانسان كما يسل
السيف من الغمد من ماء مهين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية كانه
قيل من سلالة كائنة او حاصلة من ماء مهين اي من ماء قذر ذليل وهو النطفة او جهة
سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى ويجوز ان يراد بالانسان
الجنس وبالطين آدم لانه خلق منه وهذا الوجه هو الموافق لقوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين اي من طين آدم ثم قليلا قليلا ثم سواه قومه بان عدل شكله وصورته
وكل عضو من اعضائه وصنع اي جعل له الخلقة السوية القوية الحسنة ونفخ فيه من روحه
اضاف الروح الى ذاته تعظيما له لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه وقصدا
الى ابهام امره وانه خلق لا يعلم حقيقته الا الله فاذا لم يعلموا حقيقة مخلوق مع كل واحد
منهم اجدر بان لا يعلموا حقيقة خالقه وقيل تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب
وان له شانا مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف
ربه وفيه نظر يظهر بالتامل فيما ذكرنا من مختار المحققين وايضا المعنى ونفخ فيه من
الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لتسمعوا
كل مسموع وتبصروا كل مبصر وتعقلوا كل معقول فتحسوا ما نصب من الآيات
وتنظروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع قليلا ما تشكرون قليلا نصب على

انه صفة مصدر محذوف تقديره تشكرون شكرا قليلا او على الظرفية قليلا من
الاحيان تشكرون رب هذه النعم وما في الوجهين من بلاغ لتاكيد معنى القلة والعامل
ما يليه من الفعل وقيل القلة في معنى العدم اي لا تشكرون البتة والمعنى ما اكفركم بهذه
النعم او بربها لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمعطيها
من غير اشراك به احدا من خلقه وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب
الارض لا يتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله واب
مضلوه وقرأ علي وابن عباس رض ضللنا بكسر اللام من ضل يضل وقرأ ابو حيوة وابن ابي
ضللنا بتشديد اللام مجهولا اي غيبنا وقرأ الحسن صللنا بالصاد من صل اللحم واصل
اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد
وهو نبعث او نجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل
من انكر البعث وقيل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند الى جميعهم بل هم بلقاء ربهم
بالبعث او بالوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما بعده فلما ذكر كفرهم بالانشاء
اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء
وحده قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم وارواحكم بان يقبضها كلها لا يترك منها شيئا حتى
لا يبقى احد منهم من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيت اذا اخذته وافيا كاملا من غير
نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا مثل تعجلته واستعجلته وتقصيته واستقصيته
ملك الموت الذي وكل بكم اي جعل وكيلا بكم اي قائما بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم
ومنه الوكيل وهو القائم بما فوض اليه وقد روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة
اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة وهو يقبض ارواح الخلق من مشارق
الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وعن ابن عباس
ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض
وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح
فتجيبه ثم يامر باعوانه بقبضها وفي بعض الاخبار ان ملك الموت على معراج بين السماء
والارض فتنزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت
وعن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه



الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا
قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال الان يزار بك عسكر الاموات وعن رسول الله
صلعم انه قال ملك الموت ليتطلع في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة فاذا ضحك العبد الذي
بعث اليه يا عجباه وبعثت اليه لاقبض روحه وهو يضحك ثم الى ربكم ترجعون اي ثم لا ترجعون
في العاقبة الا الى ربكم الذي انشاكم واخرجكم من العدم الى الوجود فاستعدوا للقائه وصابه
وقرأ الخليل ترجعون بفتح التاء ولو ترى اذ المجرمون الكاملون في الاجرام المتمادون في
الاثام وهم الكفار ناكسوا رؤسهم مطاطئوها عند ربهم من الحياء والخزي والغم يقولون
ربنا ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما
فابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون متقنون العلم بما وعدتنا الان
زال عنه الشك والشبهة عنا اذ لم يبق لهم شك بما شاهدوه وعاينوه وجواب لو محذوف
اي لو رايت امرا فظيعا ودخولها على المضارع ولم يقل ولو رايت لتنزيله منزلة الماضي فانه
كلام من لا خلاف في اخباره والمستقبل عنده كالماضي في تحقق الوقوع فهذا الامر مستقبل
في التحقيق ماض بحسب التاويل كانه قيل قد انقضى هذا الامر ومضى لكنك ما رايته و
لو رايت امرا فضيعا او سوء حال ترى كقوله عم للمغيرة لو نظرت اليها او للاستحضار
صورة رؤية المجرمين ناكسي رؤسهم طالبين الرجعة الى الدنيا لان المضارع مما
يدل على الحال الحاضر الذي من شانه ان يشاهد كانه يستحضر بلفظ المضارع تلك
الصورة ليشاهدها السامعون ولا يجتر على اجترا هؤلاء المجرمون ويجوز ان يكون
لتمني رسول الله عم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص
ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الكيفية المخصوصة القبيحة و
الصورة الفظيعة ليشمت بهم ويقر بذلك عينه والخطاب لرسول الله عم او لكل من
يتاتى منه الرؤية ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى ولو يكون منك رؤية في هذا الوقت
او يقدر ما يدل عليه صلة اذ وقرأ عبيد بن عمير نكسوا رؤسهم ولو شئنا لاتينا كل نفس
هديها ما تصير به مهتديا وما يهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق لها وقيل
هديها رشدها وتوفيقها للايمان ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي
وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين من حزب ابليس الذين اتبعوه في الكفر

والمعاصي كما قال له املان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين اعلم ان الله تعالى يملا جهنم من
الاقوياء كما يملا الجنة من الضعفاء بدليل قول النبي عم اذا ملئت جهنم تقول الجنة ملئت
جهنم من الجبابرة والملوك والفراعنة ولم تملاني من ضعفاء خلقك فينشي الله خلقا عند ذلك
فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من خلق لم يذوقوا موتا ولم يروا سوءا باعينهم رواه انس رض
وقوله عم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة
لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم فقال الله تعالى للنار انت عذابي اعذب بك
من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها رواه ابو هريرة رض قوله او ترحمني
فضلتني وقوله سقطهم اي رديهم فان سقط كل شيء رديه وقيل وذلك تصريح بعدم
ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفع جعل ذوق العذاب
مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا
فان هي الروابط والاسباب المقتضية له وما مصدرية اي بنسيانكم او موصولة حذف العائد
اليها او موصوفة كانه قيل بلذات وشهوات نسيتم بسببها لقاء يومكم واضافة
اللقاء الى اليوم كاضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي لقاء الله في يومكم هذا افادة
ان التوغل في اللذات والشهوات يذهل الجن والانس عن تذكر الاخرة وما فيها من
لقاء الله ولقاء جزائه ويسلط عليهم نسيانها ثم قال مقابلة انا نسيناكم اي جازيناكم
جزاء نسيانكم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الايمان والاعمال الصالحة
او جعلناكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كالشيء
يطرح نسيا منسيا وقيل اي تركتم الفكر والعاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا
نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي
ما انتم عليه من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا عذاب
الخلد اي العذاب المخلد في جهنم بما كنتم تعملون اي بالذي كنتم تعملونه من الكفر والمعاصي
او بعملكم المجازي بعذاب الخلد في الزمان الماضي المتطاول او بسبب عملتموها في
الدنيا مصرين عليها على ان ما موصولة او مصدرية او موصوفة وتكرير الامر للتاكيد
واظهار الغضب عليهم ولما نيط به من التصريح بمفعوله وقيل تعليل بافعالهم السيئة
من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبير امرهم لعاقبة والتفكر فيها دلالة على



ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا
اي سجدوا لله شكرا على الايمان وتواضعا وخوفا من عذابه وحقيقته سقطوا على
وجوههم ساجدين وسبحوا ونزهوا عن كل ما لا يليق به من الشركة والشبه والعجز
وغير ذلك بحمد ربهم في موضع الحال اي حامدين له وملتبسين بحمده على ما رزقهم من
الاسلام ووفقهم له وللعبادة اذ لولا انعامه عليهم بالتوفيق لم يتمكنوا من الايمان
باياته ومن عبادته التي من جملتها السجود وهم لا يستكبرون عن الايمان والعبادة
كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثاله الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم
الاية تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم جمع مضجع
وهو الموضع الذي يضطجع عليه من ضجع الرجل اذا وضع جنبه بالارض واضطجع
مثله يدعون ربهم داعين اياه عابدين له خوفا لاجل خوفهم من سخطه وطمعا
ولاجل طمعهم في رحمته ويجوز ان يكون انتصابهما على الحال اي ذوي خوف ودعاء وطمع
وهم المتهجدون برواية معاذ بن جبل عن النبي عم وعن بلال قال عم عليكم بقيام الليل
فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيئات
ومطردة للداء عن الجسد وعنه عم من قام قبيل الصبح يورث ثلثا صحة في البدن
وسعة في الرزق ومحبته في قلوب العباد وقال لا يزال جبرئيل يوصيني بقيام الليل حتى
ظننت ان خيار امتي لا ينامون بالليل وعن ام مبشر قال النبي عم تتجافى جنوبهم
عن المضاجع هو بين العشاء والمغرب وعنه عم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عم
اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق
كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون
الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب
ساير الناس وعن انس بن مالك رض نزلت فينا معشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع
الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي عم وعنه ايضا نزلت في اناس من اصحاب النبي عم
كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء ويعضده ما روي انه عم سئل عن
قوله تتجافى جنوبهم فقال هي الصلوة بين العشائين انها تذهب بملاغي النهار وقال عطاهم

الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وعن ابي الدرداء وابي ذر وعبادة بن الصامت
هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان
كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وعن الحسن ومجاهد ومالك وجماعة
ان المراد منه صلوة الليل قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ الا ادلك
على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ غضب الخطيئة وصلوة الرجل في جوف
الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم الى قوله يعملون وقال صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب اربع ركعات
غفر الله له ذنوب عشرين او اربعين سنة شك الراوي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات بعد
المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن ثوبان عنه صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه
ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قراءة كان حقا على الله ان يبني له
قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل
الدنيا لوسعهم وثمار فما هم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم قرأ حمزة
ويعقوب اخفي بسكون الياء على انه مضارع اخفيت والباقون بفتحها على انه ماض مبني
للمفعول مسند الى ضمير ما وحذف الفاعل للعلم به وان هذا الفعل لا يصلح الا لله وقرئ
ما اخفى بلفظ الماضي المبني للفاعل وهو الله تعالى وقرأ ابن مسعود وابن جبير ما نخفي
بالنون وقرأ ما اخفيت وما في القرائتين موصولة بمعنى الذي او استفهامية بمعنى
اي علق عنها الفعل كقولك علمت ايهما عمرو والمعنى فلا تعلم النفوس كلهن ولا نفس
واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع من الثواب اخفاه الله وادخره لهم
من قرة اعين حال على الوجهين من ضمير اخفي اي كائنا مما تقر به عيونهم وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعتهم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين الآية وقيل اخفوا اعمالهم في الدنيا فاخفى الله لهم ثوابهم الذي لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقرأ من قرات اعين لاختلاف
انواعها جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء لان اخفاءه لعلو شأنه
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة

تاكيد

تاكيد وتقرير وجمع هذا الضمير وتوحيد ما في كان للحمل على اللفظ مرة وعلى
معناه اخرى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى لانها ماواهم الحقيقي والدنيا مجاز اليها وطريق
لها يجوزونها ويبعدون منها اليها ولذلك سميت قنطرة وقيل جنات المأوى
سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال يأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن
يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد وعن ابن عباس جنة المأوى كلها من الذهب
الاحمر وهي احدى الجنات الثمانية التي هي دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة
عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة نعيم نزلا حال من جنات
والعامل الظرف او مصدر مؤكد لمضمون جملة لهم جنات المأوى كانه قيل رزقا
او عطاء والعامل محذوف اي رزقوا رزقا او اعطوا عطاء وهو في الاصل اسم لما يعد
ويهيأ للنازل من طعام وشراب وصلة وهكذا اذا جعل حالا من الضمير في الظرف
الواقع خبرا عن جنات المأوى وقرأ ابن ابي عبلة وابو حيوة نزلا باسكان الزاء
بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الحسنة من الايمان والطاعات وترك المنكرات والثبات
عليها واما الذين فسقوا خرجوا عن الايمان والطاعة بايثار الكفر والمعصية عليهما فمأواهم
النار فملجأهم ومنزلهم النار وقيل الجنة مأواهم والنار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها لان
الاعادة انما يكون بعد الخروج وقيل ان جهنم تغشاهم وتضربهم بلهب نارها
فيلتقيهم الى اعلاها فيريدون الخروج منها فيضربون بمقامع الحديد فيهوون فيها
سبعين خريفا وفيه اشعار بخلودهم فيها وعن ابي البرهسم انه قرأ ردوا فيها لعله رآه
في بعض المصاحف وقيل لهم على التعنيف وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
اهانة لهم وزيادة في هوانهم وغيظهم وتألمهم والظاهر ان الموصول في موضع النصب
على انه صفة العذاب ويجوز ان يكون صفة للنار على معنى الجحيم او الحريق ولنذيقنهم من
العذاب الادنى اي عذاب الدنيا من القتل والاسر والقحط سبع سنين حتى اكلوا
الجيف والكلاب والعظام المحرقة والفقر والاولاد وساير مصائب الدنيا
والسقام مما فيه تعذيبهم دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة اي نذيقهم
عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون يتوبون من الكفر والمعاصي

ان لهم جنات المأوى ... [illegible]

ويريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت اذاقة الرجوع
رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة
من قرا يرجعون بالبناء للمفعول ويجوز ان يكون المراد نذيقهم العذاب مقدرين
رجاءهم الرجوع عن الكفر على ان التقدير من الله حال الاذاقة والرجاء منهم
ولو بعد حين كقوله وبشرناه باسحق نبيا اى مقدرا نبوته والظاهر على ما نقل عن
سيبويه ان لعل في مثله بمعنى كي وروي ان عليا والوليد بن عقبة تنازعا
يوم بدر فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد جلدا واذرب
لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له
علي اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمسلمين والفاسقين فتتناولهما وكل من
في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رض انه قال كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا
في عشر ايات وسماك فاسقا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ومن ثم
ظلما ممن وعظ بايات ربه فلم يتامل فيها ولم يلتفت اليها وثم لاستبعاد الاعراض عنها
مع وضوحها وانارتها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كقولك
لصاحبك خلف المسجد ثم لم يصل فيه استبعادا لتركه الصلوة فيه بعد ان خلا
ومنه قوله لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها لاستبعاد الزيارة للغمرات
بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان
اظلم من كل ظالم وقيل انما قال انا منه منتقمون لانه لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين
عامة بالانتقام منهم دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير
لم يفد هذه الفائدة ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في مرية من لقائه
ربه يعني اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا
تكن في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره او من لقاء موسى الكتاب اي من
تلقيه له بالرضاء والقبول او من لقائك موسى ليلة الاسراء عن ابن عباس قال النبي صلعم
رايت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة الحديث
وعن انس قال رسول الله صلعم لما اسري بي الى السماء رايت موسى يصلي في قبره وروي
في حديث المعراج انه رآه في السماء السادسة ومراجعته في امر الصلوة وقرأ ابو عبد الرحمن

السلمي

السلمي والحسن وقتادة مرية بضم الميم حيث وقع وجعلناه اي المنزل على موسى هدى
لبني اسرائيل هداية او هاديا لهم الى الحق والى طريق مستقيم وقيل انما جعل
الله التورية هدى خاصة لبني اسرائيل ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل ع وقال قتادة
وجعلناه موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون يدعون الناس
الى ما فيها من الحكم والاحكام بامرنا اياهم وتيسيرنا وتوفيقنا لهم لما صبروا وقرأ
حمزة والكسائي ورويس لما صبروا بكسر اللام اي لصبرهم عن الدنيا او على الطاعة
والدين والبلاء من عدوهم بمصر والباقون بفتحها اي حين صبروا وقرئ بما صبروا
بالباء وهو في حرف ابن مسعود رض وكانوا باياتنا يوقنون يعني يوقنون علما ويقينا
ومذعنون لها لا يعتريهم مرية وشبهة ولا عناد لاطلاعهم على حقايقها وامعانهم
النظر فيها وقدم الصلة لمراعاة الفواصل ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي
ويحكم بينهم فيميز المحق واهله من المبطل واهله وهو التخصيص والتاكيد وان ذلك الفصل
يوم القيمة ليس الا اليه وحده لا يقدر عليه احد سواه ولا يفوض الى من عداه فيما كانوا
فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف
والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون لان كم لا يقع فاعلا فلا يقال جاءني كم رجل كانه
قيل اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون من عاد وثمود وقوم لوط او ضمير الله بدليل
القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون
بالتشديد ان في ذلك لايات في اهلاك القرون المتقدمة عليهم لحججا ومواعظ لكل مستبصر
ومعتبر افلا يسمعون ايات الله ومواعظه فيتعظوا بها فينتهوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب
اولم يروا قد علموا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي الارض التي جرز نباتها اي قطع لعدم
الماء او لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز لقوله فنخرج به زرعا و
قيل عن ابن عباس هي ارض اليمن وقال مجاهد ابين وقرأ ابن جبير فنخرج به زرعا تأكل منه
اي من الزرع انعامهم كالتبن والعشب وانفسهم كالحبة والثمرات افلا يبصرون
فيستدلون به على وحدته وكمال قدرته وفضله وانه الحقيق بالعبادة وان لا يشرك به بعض
خلقه من ملك وانسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع وقرأ الخليل الجرز بسكون الراء والجرز
بفتح الجيم والراء وقرأ ابن عباس يأكل بالياء وفي حرف ابن مسعود يأكلونه انعامهم و

ويقولون متى هذا الفتح النصر والفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون

ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي

في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم

قيل يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقال

السدي يوم بدر وقال مجاهد والحسن والكلبي يوم فتح مكة وعلى القولين الاخيرين يكون المراد بالذين

كفروا المقتولين منهم اذ لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه حال ادراكه

الغرق وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى على حسب ما عرف من غرضهم فيه فان غرضهم

في السؤال عن وقت الفتح استعجال منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا بما ينفع الاستعجال

وان قيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم

ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا ولا هم ينظرون يمهلون وقوله الجليل

قل يوم الفتح بالرفع فاعرض عنهم فلا تلتفت الى استعجالهم واستهزائهم وتكذيبهم وقال

ابن عباس رض هو منسوخ باية السيف وانتظر بهم الدوائر او موعدي لك بالنصر عليهم وان

ينزل بهم نحو ما قصصنا من النقم النازلة باشباههم انهم منتظرون الغلبة عليكم

والدوائر وقراءة ابن السميفع بفتح الظاء بمعنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة

ينتظرونه عن المسيب بن رافع قال النبي عم تجيء الم تنزيل السجدة يوم القيمة لها جناحان

تظاير صاحبها تقول لا سبيل عليك وعن جابر كان النبي عم لا ينام حتى يقرأ تبارك والم تنزيل

وعنه عم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه

من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية ثلث وسبعون

اية بسم الله الرحمن الرحيم عن ابي الزر قال قال ابي بن كعب كم تعدون سورة

الاحزاب قلت ثلثا وسبعين اية قال فوالذي يحلف ابي بن كعب ان كانت لتعدل

سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة

نكالا من الله والله عزيز حكيم يعني ان ذلك من جملة ما نسخ من القران ومن الكلام ان تلك

الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رض فاكلتها الداجن يا ايها النبي اتق الله ناداه

بالنبي عم لا باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا زكريا يا يحيى تعظيما له وتنويها بفضله واما قوله

محمد رسول الله وما محمد الا رسول فذكر لتعليم الناس انه رسول الله عم وليعتقدوه ذلك سواء

ويجعلون

---

ويجعلون من عقايدهم الحقة وامر بالتقوى تفخيما لشان التقوى واظهارا لفضلها و

تنبيها له عليها كانه اثبت على التقوى ودم عليها وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب

امته ولا تطع الكافرين والمنافقين اي واثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء الطاعة

لهم فذلك ان رسول الله عم لم يكن مطيعا لهم حتى ينهى عن اطاعتهم لكنه اكد عليه ما كان

عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من الممترين ولا

تجعلن مع الله الها اخر الى غير ذلك وقيل لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة

وجانبهم واحترس منهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة

روي ان رسول الله عم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير

وقينقاع وقد بايعه قوم منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم

واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنهم وكان يسمع منهم فنزلت روي ان ابا سفيان وعكرمة بن

ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد

الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للرسول الله عم ارفض ذكر الهتنا وقل

انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله عم وعلى المؤمنين فقال عمر يا رسول

الله ائذن لي في قتلهم قال اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجهم من المدينة قال عم

اخرجوا في لعنة الله تعالى وغضبه فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة

ولا تطع الكافرين من اهل مكة من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة

دعوا رسول الله عم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة

بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله

كان عليما بالمصالح والمفاسد وبخلقه قبل ان يخلقه حكيما باهر الحكمة في كل شيء فلا يفعل

شيئا الا على موجب الحكمة والصواب واتبع ما يوحى اليك من ربك في ترك الطاعة الكافرين

والمنافقين وغير ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة

بكم الى الاستماع من الكفرة وقرأ ابو عمرو يعملون بالغيبة والباقون بالخطاب وهو اتم تها

وتوكل على الله واسند امورك كلها اليه وكلها الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا

اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع الله قلبين في جوف لان

القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوي وذلك يمنع

التعدد وقيل والمعنى ان الله تعالى لم يرد في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو
اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها
واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً عالماً
موقناً شاكاً في حالة واحدة وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل
ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمعنى
في الكل نفي في كل منهما لان الام مخدومة لا تتصرف فيها والزوجة خادمة يتصرف فيها والدعوة
عرض والبنوة اصل في النسب ولا يجتمعان في الشيء الواحد والمراد بذكر نفي ما زعمت العرب ان
للبيب قلبين والمظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه او نفي الامومة عن المظاهر عنها والبنوة عن
المتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل قلبين في جوف لم يجعل الزوجة
والدعي اماً وابناً لاحد وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله تعالى للمتظاهر من امراته
وللمتبني ولد غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة الكلبي سُبي صغيراً وكانت
العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضي
فلما تزوجها رسول الله صلعم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فاختير فاختار رسول الله صلعم
فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد صلعم فانزل الله هذه الآية وقوله ما كان محمد ابا
احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلاً من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين
وقيل هو جميل بن اسد وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فلما هزم
الله المشركين يوم بدر انهزم فيهم فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى
في رجله فقال له ما حال الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في يدك
والاخرى في رجلك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وجعلهم مثلاً في الظهار
والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سها في الصلاة
فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول
نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من
المعنى اي ما جعل الله لامة الرجل لا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه والنكتة في ذكر الجوف التاكيد
التي في قوله في الصدور وذكر ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه
لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرأ ابو عمرو والبزي

اللاي بياء ساكنة وحدها على ان اصله اللائي فحذفت الهمزة قبل الياء تخفيفاً وقيل
حذفت الياء بعد الهمزة ثم ابدلت الهمزة ياء ثم اسكنت لاستثقال الحركة عليها وجاز التقاء
الساكنين للمد وهو بدل على غير قياس وقال الشيخ ابو علي الفارسي لا يقدم على مثل هذا البدل
الا ان يسمع وابو عمرو وهي لغة قريش ونقل قبل ان القراء عبروا من التليين لهولاء بالاسكان
قالوا واظهار ابي عمرو اللاي يئسن مما يدل على انه تليين وليس باسكان وقرأ ورش
بحذف الياء وتسهيل الهمزة بين بين والكوفيون وابن عامر بهمزة مكسورة ليس بعدها
ياء ووجهه انه حذف الياء تخفيفاً واكتفاء بالكسرة في الدلالة عليها كما يقال القاضي والداع
وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي وخلف تظاهرون بالتخفيف مع
فتح التاء وعاصم تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء والباقون بفتح التاء وتشديد الظاء
والهاء على ان اصله تتظاهرون فادغمت التاء في الظاء تخفيفاً وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى
ظاهر وتظهرون من الظهور ومعنى ظاهر من امراته ان قال لها انت علي كظهر امي
ما صيغ من الظهر بحسب اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان
طلاقاً في الجاهلية وكانوا يجتنبون المطلقة وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة
الى اداء الكفارة وتعدية الحس امراته لما تضمن معنى التباعد منها عدي بمن وهو
بمعنى حلف واقسم ومعنى قولهم انت علي كظهر امي اي انت علي حرام كبطن امي
فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما
جعلوا الكناية بالظهر عن البطن لانه عمود البطن ويجوز ان يكون ذكر الظهر للتغليظ
في تحريم امراته عليه فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع
دعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يُدعى ولدا فقياسه ان يجمع على فعلى كجرحى وقتلى و
اسرى لكن شذ عن القياس نحو قتلاء واسراء والوصف في مثل حكم النسب اللفظي
وهو ان شبه فعيل بمعنى مفعول بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى
الاخير اي ذكم النسب قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يكون له حقيقة في الاعيان كقول
الهاذي والله يقول الحق والله لا يقول الا ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو ما هو حق
ظاهر وباطنه وهو يهدي السبيل وهو لا يهدي الا السبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى
هو سبيل الحق وقوله ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله اي دعاؤكم اقسط على الفر

للمصدر الدال عليه الفعل كقوله اعدلوا هو اقرب للتقوى يعني انسبوهم الى ابائهم الذين ولدوهم فان نسبتهم اليهم اعدل في الامرين في القسط والعدل وهو البالغ في الصدق المطابق للواقع وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان كما قال ابن عمر رضه ان زيد بن حارثة مولى رسول الله ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله وروى سعيد بن جبير عن قتادة انه قرأ يهدي السبيل فان لم تعلموا اباءهم تنسبونهم اليهم فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي وهذا مولاي بمعنى الاخوة والولاية في الدين وقيل اخوانكم ومواليكم ان كانوا محررين وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به اي لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني مخطئين قبل النهي او بعده على سبق اللسان او النسيان وقال قتادة لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه لم يكن عليك باس ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح على ان ما في محل الجر عطفا على ما اخطأتم او الرفع على الابتداء محذوف الخبر وعن النبي عم من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد على وجه العموم كقوله عم ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم التعمد وقوله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعموم خطأ التبني وعمده لم المتبنى اذا كان مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة خلافا لصاحبيه فانه لا يعتق عندهما واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا له عتق وكان الله غفورا رحيما بليغ المغفرة والرحمة يغفر للمؤمنين خطاياهم ويرحم بهم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في كل شيء من امور الدينية والدنياوية فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم واتم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداه في الخطوب

والحروب ويتبعوه في كل ما دعاهم اليه او هو اولى بهم على معنى انه اراف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن ابي هريرة قال النبي عم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فليأتني وانا مولاه وقرأ ابن زيد النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فيما قضى فيهم كما انت اولى بعبدك فيما قضيت عليه وقيل هو اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي عم يخرج الى الجهاد فامر الناس بالخروج فقال قوم نستأذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرأ ابن مسعود وهو اب لهم اي في الدين لان كل نبي اب لامته واصل فيما جاء به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم في وجوب التعظيم والاحترام وتحريم النكاح وفيما سوى ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضه لسنا امهات النساء وروى عن الشعبي عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا امه فقال لست لك بام انما انا ام رجالكم فظهر بهذا انهن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم ولذلك لم يتعد هذا التحريم الى بناتهن ولم يثبت لهن ساير احكام الامهات وضعف ما قال بعض المفسرين انهن امهات المؤمنين والمؤمنات جميعا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض بدل او مبتدا اي وذو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث او في ميراث بعض من ان يرثوا بالايمان والهجرة والمواخاة كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تؤلف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما جاء الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بالقرابة في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في القرآن المنزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم وهو متعلق باولى وافعل يعمل في الجار والمجرور او حال والعامل فيه معنا اولى ولبس حالا من اولوا الارحام للفصل بينهما بالخبر من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب اوصلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع كقولك القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لوارث وقيل المنفعة

اي من المؤمنين

يريد بالاحسان في الحياة والوصية عند الموت اي فان ذلك جائز قاله قتادة وغيره

عن صدقهم بصدقهم وما اجابوا به رسلهم ويوم يجمع الله الرسل
ماذا اجبتم المرسلين وقال لنسئلن الذين ارسل اليهم

وحفظ الحرمة او منقطع بمعنى لكن وعدي تفعلوا بالي لانه في معنى تسدوا وتزلوا
المراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرين للولاية كان ذلك في الكتاب مسطورا اي
كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران وقال القرظي في التورية والجملة مستانفة
كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذكر وقت اخذنا
من الانبياء جميعا ميثاقهم اي عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم اي و
اذكر لقومك او لكن ذكر الوقت على ذكر منك بعض لا تتنبه وقال الزجاج اخذ
الميثاق حيث اخرجوا من صلب آدم كالذر وقال قتادة اخذ الميثاق منهم خصوصا
ان يصدق بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته
ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا لقومهم وقال بعضهم وان يبشر بعضهم ببعض ومنك خصوصا
ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم لم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع
وقدم نبينا تعظيما واشعارا بانه افضلهم قال صلعم انا اشرف الناس ولا فخر واكرم
الناس قدرا ولا فخر الحديث وقال صلعم انا سيد الناس يوم القيمة الحديث وعن انس
قال صلعم في هذه الآية كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث واخذنا منهم ميثاقا غليظا
عظيم الشان في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا ليسال
الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك او اخذنا ميثاقهم ليسال الله يوم القيمة المؤمنين
الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم او الانبياء عما اجابتهم به اممهم كما في
يوم القيمة يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وقال ولنسئلن المرسلين وانما سالهم مع انهم علم
صادقين تبكيتا لمن ارسلوا واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا لان المعنى
ان الله اخذ الميثاق من النبيين لان اثاب المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على
ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين وقيل ليسال الصادقين
من علمهم لله تعالى وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم في قلوبهم وعن الفضيل
ان الله يسال الصادقين عن صدقهم منهم عيسى بن مريم فكيف بالمساكين الكذابين
المرائين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب
وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود هم الاحزاب من قريش وغطفان ويهود وقريظة والنضير
وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا وهي ريح الصبا قال ابن عباس قال صلعم نصرت

بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا روي ان النبي صلعم
لما سمع بهم ضرب الخندق على المدينة واشار بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين
فضرب معسكره والخندق بينه وبينهم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد
الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان
محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر ان نذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي اصل بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو
فاذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله واقام المشركون
قريبا من شهر لا قتال بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة
شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم واكفات قدورهم وقلعت
خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكثرت تكبير الملائكة في جوانب
عسكرهم حتى قال سيد كل حي يا بني فلان هلموا الي والنجاء النجاء وقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وقرأ ابو عمرو برواية حليم بن نصر
لم يروها بالياء وكان الله بما تعملون من حفر الخندق ونحوه وقرأ ابو عمرو بالياء اي بما يعمل المشركون
من التحزب والمحاربة وساير اعمالهم والباقون بتاء الخطاب بصيرا رائيا بما تعملون ويعلمون
فهو ناصركم عليهم وعاصمكم من شرهم اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش وقالوا
سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها
حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم يلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت
القلوب الحناجر رعبا وغضبا وغما لان الرية تنتفخ من شدة الفزع والغضب او الغم الشديد
فترتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة التي هي منتهى الحلقوم وهو مدخل الطعام والشراب
ولذلك قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها و
ان لم تبلغ الحناجر حقيقة وعن ابي سعيد قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله
فقد بلغت القلوب الحناجر قال قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فقلنا فضرب
وجوه اعداء الله بالريح فهزموا وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المؤمنون
الثبت القلوب والا قدام ان الله ينجز وعده في نصرهم واعلاء كلمته ودينه او يبليهم ويمتحنهم

تخافوا الذلل وضعف القتال والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون حكيه
عنهم ولكن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون
انهم يبتلون وقرا ابن كثير والكسائي وحفص وخلف الظنونا بالالف في الوقف خاصة وحذفوها
في الوصل واثبتها في الحالين نافع وابن عامر وابو بكر وابو جعفر وحذفها في الحالين ابو عمرو
حمزة ويعقوب والالف مزيدة في امثاله لرعاية الفاصلة كما زادها البلغاء في القافية قال بعضهم
اقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي ان اصبت لقد اصابا وقد كنت قدما هويت السمانا واثباتها موافق الامام و
حذفها هو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اي عند ذلك او في تلك الحال او في ذلك المكان اختبروا
وامتحنوا بالحصر والقتال فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا لا
شديدا من الدهشة وقرا الجحدري زلزالا بفتح الزاي اي ازعجوا شديدا لا ازعاج من شدة الفزع والخوف واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض وشك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء
الدين الا غرورا قولا باطلا قائله معتب بن قشير حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح
فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب هو اسم المدينة ولم ينصرف للتعريف ووزن الفعل وقيل
التانيث وقال ابو عبيدة يثرب اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها وفي بعض الاخبار
ان النبي صلعم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره هذه اللفظة لان يثرب تفعيل
من التثريب وهو اللوم الذي لا يستعمل الا فيما يكره غالبا ولذلك قال يوسف الصديق
لا تثريب عليكم لا مقام لكم قرا حفص بضم الميم الاولى والباقون بفتحها اي لا قرار لكم هاهنا ولا مكان تقومون
فيه او تقيمون والمقام مكان او مصدر من اقام ومن فتحه اراد به المكان من قام وان اريد
المصدر على هذا فارجعوا الى المدينة ومنازلكم امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلعم
وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد صلعم فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم
بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع وهم بنو
حارثة وبنو سلمة يقولون حال او تعليل ليستاذن ان بيوتنا عورة غير حصينة واصله الخلل
والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق
ويجوز ان تكون العورة تخفيف العورة بكسر الواو وقد قراء بها جماعة من القراء اعتذروا
ان بيوتهم معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها

ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بقوله وما هي بعورة بل هي حصينة محرزة ان يريدون الا فرارا
ما يريدون بذكر الاعتذار الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم اي دخلت المدينة
او بيوتهم من فوقكم دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل وهو
العساكر المتحزبة للعلم به بذكره سابقا وقيل للايجاز بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم
ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحالة المرتب عليه والمعنى ولو دخلت هذه
العساكر المتحزبة التي يفرون منها خوفا مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت
على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع والرجف الفتنة اي الردة
ومقاتلة المسلمين لاتوها قرا نافع وابن كثير وابو جعفر لاتوها بالقصر اي لجاؤها
وفعلوها والباقون لاتوها بالمد اي لاعطوها ومنحوا انفسهم عليها وقرا
الحسن سيلوا الفتنة بكسر السين وترك الهمزة وقرا الخليل سالوا بغير همزة وما
تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما للسؤال والجواب او وما لبثوا
بالمدينة بعد ارتدادهم واعطائهم الكفر الا قليلا لان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون
باعوار بيوتهم ليفروا من رسول الله والمؤمنين ونصرتهم ومصافة الاحزاب الذين
ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم ثم عرضوا
عليهم الكفر وان يكونوا حربا للمسلمين لسارعوا اليه ولم يتعللوا بشيء وما ذلك الا لمقتهم
الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار عاهدوه من قبل غزوة الخندق لا يفرون من قتال
اعداء الله ولا ينهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة عاهدوا رسول الله
يوم احد حين فشلوا مع بني سلمة ثم تابوا لما نزل فيهم ما نزل ان لا يعودوا لمثله
قال قتادة هم قوم غابوا عن بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة
فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك وحكى ابن جبلي ومقاتل والكلبي هم
سبعون رجلا عاهدوا رسول الله صلعم وبايعوه ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون
منه انفسهم وضعف هذا القول بان هؤلاء السبعين الذين بايعوا ليلة العقبة لم
يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وكان عهد الله مسئولا مطلوبا حتى يوفى به
على قدر لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل اذ لا بد لكل شخص من الفناء والهلاك

سواء كان بحتف انف او قتل واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان ينفعكم الفرار فمتعتم بالتأخير
لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا قليلا وفي بعض الروايات انه مر بحايط مايل فاسرع
فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم
سوءا او اراد بكم رحمة انما جعل الرحمة قرينة السوء في العصمة لا عصمة الا منه لان معناه
او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على
الاول لما في العصمة من معنى المنع وقيل السوء الهزيمة والرحمة النصر ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ينفعهم ويتولى امورهم ويجريها على حسب ما يصلحهم ولا نصيرا يدفع الضرر عنهم قد
يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله وهم المنافقون وادخل قد ليؤكد
علمه بما هم عليه من التعويق ولحالهم من الدين ومرجع العلم الى توكيد الوعيد والقائلين
لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله ص هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقيل
ارجعوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك وقال قتادة هؤلاء ناس
من المنافقين كانوا يثبطون انصار النبي ص ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة راس
ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل نزلت في
المنافقين وذكر ان اليهود ارسلت اليهم وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان
ومن معهم فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم انتم
اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم
بابي سفيان واصحابه وقالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده
خير ما هو الا ان يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنون اليهود فلم يزدد المؤمنون الا ايمانا
واحتسابا ولا يأتون البأس الحرب الا قليلا الا اتيانا قليلا او زمانا او بأسا قليلا
فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا
يقاتلون الا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو
وقيل الا قليلا
كان ذلك القليل لله لكان كثيرا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب
ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالنصرة والنفقة في سبيل الله والغنيمة جمع شحيح
ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه من الموت كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت

حذرا وخوفا ولواذا بك او كدوران عين المغشي عليه من الموت او مشبهين به او
مشبهة بعينه ولكليله يغشى بفتح الياء فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم وآذوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق بسط اليد باللسان [?]
وقال ابن عباس عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا السنتهم
فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فانا قد شهدنا معكم
القتال فلستم احق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند البأس اجبن قوم
وقال ابو عبيدة بالغوا فيكم بالكلام والسالق والسلاق الخطيب البليغ الذرب
اللسان وقرئ صلقوكم بالصاد وهو لغة اشحة على الخير عند الغنيمة يشاحون المؤمنين
وانتصابهم على الحال او الذم ويعضد قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من
وجه وقال الشيخ الامام النيسابوري رحمه ابن ابي عبلة واليماني اشحة بالرفع وعن
الخليل اشحة بالجر اولئك لم يؤمنوا اخلاصا حيث ابطنوا خلاف ما اظهروا واضمروا [?]
اخبث الكفر وابغضه الى الله تعالى واقبحه عنده فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها
اذ لم يثبت لهم اعمال حتى يرد عليها الاحباط والابطال او ابطل تصنعهم ونفاقهم و
من ثم قال ابطل الله جهادهم وفي هذا التوبيخ دلالة على ان الاعمال والاقرار باللسان من
غير تصديق القلب لا اعتداد بهما عند الله ويجعلها هباء منثورا وكان ذلك الاحباط
على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
اي هؤلاء المنافقين يظنون ان قريشا وغطفان واليهود لم ينهزموا وقد انهزموا
فتفرقوا وانصرفوا عن الخندق الى داخل المدينة لجبنهم المفرط وخوفهم الشديد و
ان يأت الاحزاب كرة ثانية وقرئ وان يأت بالتاء يودوا لو انهم بادون في
الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقيل يتمنون
انهم كانوا في بادية مع الاعراب من الخوف والجبن يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى
البادية وقرأ ابن عباس لو انهم بدى بتشديد الدال وضم همزة بعد الالف و
طلحة بدى جمع باد مثل غزى جمع غاز وقرأ ابن ابي عبلة يودوا انهم [?]
يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عن اخباركم وعما جرى عليكم وقرأ
يعقوب يسالون بتشديد السين اي يتساءلون وقرأ الحسن وعاصم والاعمش

بما زعم ابو حاتم يسلون تخفيفا غير مهموز ولو كانوا فيكم هذه الكرة لم يرجعوا الى المدينة
وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة وصوفا من التعيير وقال الكلبي رميا بالحجارة
وقيل تعذيرا اي ليقيموا به عذرهم فيقولون قد قاتلنا لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة اي خصلة حسنة من حقها ان تواسوا بها وتتبع كالثبات لدين الله والثبات
مع الحرب ومقاسات الشدايد او هو في نفسه اسوة حسنة ان تقتدوا به التاسي به كقولك
في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم اسوة
بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي يامل ثواب الله او لقائه و
نعيم الآخرة او يخاف الله او ايامه واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك رجوت زيدا
وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها او بدل من لكم بتكرير الجار
كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم والجمهور على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله
كثيرا في السراء والضراء وقرن بالرجاء كثرة الذكر المشعرة بملازمة الطاعات الكثيرة و
التوفر على الاعمال الصالحة فان المؤتسي برسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه
في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا او رعبوا الرعب
الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن النبي عم انه
قال لاصحابه سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وعن ابن عباس قال
عم لاصحابه ان الاحزاب سايرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما راوهم
قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر وورش وابن ذكوان وخلف راى بامالة الراء والهمزة حيث وقع وافقهم ابو
عمرو في امالة الهمزة وعن السوسي خلاف في امالة الراء وصدق الله ورسوله وظهر
صدق وعد الله ورسوله او صدقا في اجتماع الاحزاب ومسيرهم الينا او في النصرة و
الثواب كما صدق في البلايا واظهار الاسم لزيادة التمكين وقيل للتعظيم وما زادهم
الضمير المستتر عايد الى ما اشير اليه بهذا من الخطب او البلاء وقرأ ابن ابي عبلة وما زادوهم
بالواو الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره وقضاياه واقداره روي ان انس بن النضر عم
انس بن مالك غاب عن بدر فشهد احد فلما نادى ابليس قتل محمد صم مر بعمر ومعه رهط

فقال ما يقعدكم قالوا قتل رسول الله قال فما تصنعون بالحيوة بعده قوموا فموتوا على
ما مات عليه ثم جالد بسيفه فوجد قتيلا وبه بضع وثمانون جراحة فكانوا يقولون فيه
وفي اصحابه نزل قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نذر بعض الصحابة
كعثمان وطلحة وحمزة ومصعب وغيرهم انهم اذا لقوا حربا ثبتوا مع رسول الله وقاتلوا
حتى يستشهدوا فقد قاموا بنذرهم ووفوا به من صدقني فلان اذا قال لي الصدق فان
المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه او جعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا
له سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوا فمنهم من قضى نحبه فرغ من نذره بان قاتل حتى
استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر
لازم في عنق كل حيوان وقال مقاتل نحبه اجله وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفاء
بالعهد وقيل كتمه موته شهيدا او كمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صم قال
محمد بن اسحق من قضى نحبه من استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان
وطلحة ثبت طلحة مع النبي عم يوم احد مجروحا اربعا وعشرين جراحة وسماه النبي صم يومئذ طلحة
الخير ويوم حنين طلحة الجود ويوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض وقتل يوم الجمل
وعن جابر نظر النبي عم الى طلحة بن عبيد الله فقال من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه
الارض وقد قضى فلينظر الى هذا وعن قيس رايت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صم يوم احد
وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل ولقد ثبت طلحة ومصعب مع رسول
الله عم يوم احد حتى اصيبت يده فقتل فقال صم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اوجب الجنة
اهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقرأ ابن عباس ومنهم من ينتظر ومنهم من
بدل تبديلا وروي عنه عمرو بن دينار واخرون بدلوا تبديلا وقوله ليجزي الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق
والمعرض به كان المنافقين قصدوا عاقبة السوء بتبديلهم العهد لما قصد الصادقون
عاقبة الصدق والحسنى بثباتهم ووفائهم بالعهد لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبة
من الثواب والعقاب فكانهما استويا في قصدها وارادتها والسعي لتحصيلها والتوبة
عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا ستورا على من تاب
رحيما لمن تعرض لرحمته رحيما منعما عليه بالجنة والثواب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب

بغيظهم متغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما ايضا حالان متداخلان او متعاقبان ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث كل ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب على رسول الله والمسلمين من اهل الكتاب من بني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرأ ابن عامر والكسائي وابو جعفر ويعقوب بضم العين والباقون بسكونها وهما لغتان فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ تأسرون بضم السين روي ان جبريل عم اتى رسول الله صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه جبريل والفرس والسرج فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجهه وعن وجه الفرس والسرج وكان عم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه وقد غسلت شقه فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم ثم قال ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة واني عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا في العشاء الآخرة لقول رسول الله فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال رسول الله لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي عم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل او اكثروا اسر منهم سبعمائة وكان ذلك في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة واورثكم ارضهم مزارعهم وبساتينهم وديارهم وحصونهم وبيوتهم واموالهم ونقودهم ومواشيهم واثاثهم شبهت في بقائها على المسلمين بالميراث الباقي على الوارثين اذ ليسوا في شيء منهم من قرابة ولا دين ولا ولاء فاهلكهم الله على ايديهم

وجعل املاكهم واموالهم غنائم لهم باقية عليهم كالمال الباقي على الوارث روي ان رسول الله عم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فتكلم في ذلك الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت لي هذه طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها وارضا لم تطؤها وسائر ارض الكفرة من العرب والعجم وعن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل وابن زيد خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير اراد نساءهم وقرأ زيد بن علي لم تطوها بسكون الواو وترك الهمزة وكان الله على كل شيء قديرا فهو يقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها ما كان النبي عم لمعاداياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بمتنعمين وزينتها وزخارفها او اراد بها الاموال والبنين كما صرح به في قوله المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والقرآن يفسر بعضه بعضا فتعالين اي فاقبلن بارادتكن واختياركن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني واصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة امتعكن اعطكن متعة الطلاق واسرحكن سراحا جميلا واطلقكن طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه شيئا من الدنيا من ثياب الزينة وزيادة النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن شهرا فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله ثم اختار جميعهن اختيارها فشكر لهن الله تعالى ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد الآية وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا احب ان لا تعجلي حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت افي هذا استأمر ابوي وفي رواية افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة واسألك ان لا تخبر امرأة من نسائك باني اخترتك او بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا وعن الزهري اقسم النبي عم ان لا يدخل عليهن شهرا وروي انهن لما سألنه واذينه هجرهن وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شأنه وطلق رسول الله نساءه وقال عمر لاعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله فقلت يا رسول الله

اطلقتهن قال لا قلت اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله نساءه
افانزل واخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد فناديت
باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلعم نساءه ونزلت هذه الآية واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر قالوا وانزل الله آية التخيير وكانت تحت رسول الله
يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت
ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع من غير قريش زينب بنت جحش
الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت
الحارث المصطلقية وقد وجدت في بعض كتب السير في ذكر ازواج النبي عم تزوج فاطمة
بنت الضحاك وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها وكانت بعد ذلك
تلتقط البعر وتقول انا الشقية اخترت الدنيا وعن جابر دخل ابو بكر يستاذن على رسول
الله عم فوجد الناس جلوسا ببابه لم ياذن لاحد منهم فاذن له فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن
فاذن فوجد النبي عم جالسا حوله نساؤه فضحك رسول الله عم وقال هن حولي كما ترى يسالنني
النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجاء عنقها وقام عمر الى حفصة يجاء عنقها كلا يقول لا تسالن
رسول الله شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين ليلة ثم نزلت
الآية الى قوله اجرا عظيما وعن عائشة لما مضت تسع وعشرون اعدهن دخل على رسول
الله فبدا بي فقلت يا رسول الله عم انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت عن تسع
وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون واختلفوا في حكم التخيير فعند ابي حنيفة واصحابه
اذا قال اختاري اختاري نفسك فقالت اخترت نفسي او اخترت لا بد من ذكر النفس في قول
احدهما وقعت طلقة باينة واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل
على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن
مسعود وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان وعن الحسن وقتادة والزهري
امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واما اذا اختارت زوجها فلم يقع شيء باجماع الفقهاء
وبعضده قول عائشة خيرنا رسول الله عم فاخترناه فلم يعد طلاقا وروى افكان طلاقا قال علي
ان تعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة



وروي انها لما نزلت بدا رسول الله بعائشة رضي الله عنها وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلعم ثم اختار جميعهن اختيارها فلما اخترن الله ورسوله انزل الله تعالى لا يحل لك النساء من بعد

اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك فان عندهم اذا اختارت
زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وعن علي رض اذا اختارت زوجها
فواحدة رجعية واذا اختارت نفسها فواحدة باينة وروى عنه ايضا انها اذا اختارت
زوجها فليس بشيء كما اجمع الفقهاء وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق
ومتعة المطلقة التي لم تدخل بها ولم يفرض لها في النفقة واجبة عندنا ومتعة ساير المطلقات مستحبة
وعن الزهري متعتان احديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية
حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها
ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة
متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون
نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منها ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة
فلا ينقص من نصفها وقرى امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وقراءة زيد بن علي والخليل
امتعكن بالتخفيف والجزم وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد
للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونها الدنيا وزينتها او اجرا عظيما في الدنيا بوجود النبي صلعم
وصحبته وعدم تسريحه وفي الآخرة بالثواب والنجاة ومن للبيان لكونهن كلهن محسنات صلحاء
نساء العالمين يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة بليغة في القبح وهو الكبيرة وقرى
من تات بالتاء مبينة ظاهرة قبحها والمراد كل ما اقترفن من الكباير وقيل هو عصيانهن رسول
الله عم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا
والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وقراءة ابن كثير وابو بكر مبينة بفتح الباء مفتوحة
فتحها والباقون بكسرها وقد تقدم تفسيرها يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب
غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه يتبع زيادة فضل المذنب ومرتبة
والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب غيرهم وقرا
نافع والكوفيون يضاعف مبنيا للفعول وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفعل ونصب
العذاب والباقون يضعف بالياء وبناء المفعول وتشديد العين وقراءة ابو البرهسم يضعف
بالياء معلوما مشددا وقراءة الزهري يضاعف بلا الف والرفع على هو يضاعف وقيل
اي سيضاعف والتضعيف والمضاعفة بمعنى وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه من المضاعفة كونهن

نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمنعه عن التضعيف وكونه يعرف عنه وهو سببه ومن يقنت منكن ومن
يدم على الطاعة والقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله والنزول على هواه
ورضاه لله ورسوله ولعل ذكر الله للتأكيد او التعظيم وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة
على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن الخلق وطيب المعاشرة وقرأ
يعقوب ومن تقنت بالتاء فيهما ميلا الى جانب المعنى وقرأ حمزة والكسائي ويعمل و
يؤتها بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان الضمير المستتر عائد الى الله والباقون تعمل بالتاء حملا على
معنى من وهو بعضهن وقرأ يعقوب ونؤتها بالنون وقرأ ابو حيوة والخليل تقنت واعتدنا
لها رزقا كريما حسنا مرضيا في الجنة وهو التأكيد لزيادة اجرها وبيان الثواب العظيم اعتدنا
لها والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء
يا نساء النبي لستن كاحد من النساء احد اصله وحد بمعنى واحد ثم وضع في النفي العام مستويا
فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير ومعنى لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة
من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن
في الفضل والسابقة ومنه قوله ولم يفرقوا بين احد منهم بمعنى بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم
في انهم على الحق وقال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات
انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ان اتقيتن الله في المحافظة على حدوده وما امركن به
ونهاكن في طاعة الله ورسوله او مخالفة حكم الله ورضاء رسوله او ان اردتن التقوى
وان كنتن متقيات وقيل ان اتقيتن الله فاطعنه فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن
خاضعا لينا مثل قول المريبات والمومسات وقيل فلا تلن بالقول للرجال ولا ترققن قولا
يجد منافق او فاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظ في المقالة اذا خاطبت الاجانب
لقطع الاطماع فيطمع الذي في قلبه مرض نفاق وريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي
على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول كأنه قيل فلا تخضعن فلا يطمع
وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها وسبيل الياء مع كسرها واسناد الفعل
الى ضمير القول اي فيطمع المريب وقلن قولا معروفا حسنا حسنا او بعيدا من طمع المريب بجد
وخشونة من غير تخنث وقرن في بيوتكن قرأ نافع وعاصم وابو جعفر بفتح القاف على انه امر من
قر يقر بفتح القاف في المضاعف واصله اقررن فنقلت حركة الراء الى القاف وحذفت لالتقاء

الساكنين

الساكنين ثم حذفت همزة الوصل استغناء عنها فصار قرن مثل ظلن ووزنه فلن والاصل
افعلن او من قار يقار اي اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ونظيره حفن من حاف اي اجتمعن في
بيوتكن والباقون بكسرها على انه امر من وقر يقر وقارا اذا ثبت وسكن واصله اوقرن
فحذفت الواو تخفيفا ثم الهمزة استغناء عنها فصار قرن مثل عدن ووزنه الحالي علن
او من قر يقر بكسر القاف في المضاعف فاصله اقررن فنقلت كسرة الراء الى القاف ثم حذفت
استغناء عن همزة الوصل فصار قرن مثل ظلن ووزنه الحالي فلن والاصل افعلن اي الزمن
بيوتكن وبالاصل قرأ ابن ابي عبلة ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن وبه قال ابن جريج وغيره
وقال مجاهد وقتادة التبرج التكسر والتغنج وقيل اظهار الزينة والمحاسن للرجال تبرج الجاهلية
الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وقال
قتادة هي ما قبل الاسلام وقال الكلبي كان زمن نمرود كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ
فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابو العالية
زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى
خلفها فيه وقال الشعبي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ما بين ادم ونوح وقال عكرمة عن ابن
عباس بين ادريس ونوح عليهم السلام وكان الف سنة وان بطنين من ولد ادم سكن احدهما
السهل والاخر الجبل وكان رجال الجبال صباحا وفي النساء دمامة والسهل بالعكس فجاء
ابليس واجر نفسه من رجل سهلي وكان يخدمه فاتخذ شيئا مثل ما يزمر الرعاة فجاء
بصوت لم يسمع الناس بمثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا
يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال ويتزينون لهن فهجم رجل من اهل
الجبل عليهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فاخبر اصحابه فتحولوا اليهم فنزلوا معهم
وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ثم ما ذكر والجاهلية
الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في اخر الزمان وقيل الجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق
والفجور في الاسلام ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال كفر او اسلام جاهلية
كفر فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر
وقيل تذكير الاولى وان لم يكن لها اخرى كقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ولم يكن
لها اخرى وفيه نظر لان عادا الاولى قوم هود وعادا الاخرى ارم او قيل الاولى من

وقيل الجاهلية الاولى

من اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد الاولى وليس بعدهم عاد الاخرى
واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله في ساير ما امركن ونهى كن عنه فامرهن
بالخاص والعام من العبادات والطاعات تكميلاً لهن وتطهيراً كما قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس لانه تعليل لامرهن ونهيهن ووعظهن على الاستيناف والمراد بالرجس الذنوب
والمعاصي وقال ابن عباس الشك هو الشرك وقال مقاتل الاثم الذي نهى الله النساء عنه اهل
البيت نصب على النداء او المدح لان اهل البيت مدح لهم اذا المراد اهل بيت رسول الله و
جيبه وعن سعد بن جبير قال ابن عباس اراد باهل البيت نساء النبي عم لانهن في بيته ويدل
عليه السباق والسياق وعليه عكرمة وذهب ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وكثير من
العلماء الى ان المراد علي وفاطمة والحسن والحسين عن عايشة ان النبي عم خرج ذات غداة و
عليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيراً وعن عطا بن يسار ان ام سلمة قالت في بيتي انزلت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت فارسل رسول الله عم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء
اهل بيتي قالت فقلت يا رسول الله اما انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله والظاهر
ان الاستدلال بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية
وما بعدها ولا يوافق قوله عم بلى ان شاء الله وكل من الحديثين يقتضي انهم اهل البيت
لا انه ليس غيرهم قال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل
وآل جعفر وآل عباس ويطهركم تطهيراً عن الارجاس والمعاصي وفي استعارة الرجس للمعصية
والترشيح بالتطهير تنفير للمؤمنين عنها وترغيب لهم فيما رضيه لهم وامرهم به من الطاعات
والعبادات واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين
هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجز وهو حكمة وعلوم وشرايع وهو تذكير
بما انعم عليهن من كونهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي فقد نوه بقدرهن اذ كلهن مخبراً ايلغ الله
بالاشياء كلها فيعلم فيدبر ما يصلح في الدين وما يصلح للنبوة وان يكون بينه ذكر خبير كن ووعظكن
ان المسلمين والمسلمات الثابتين على الاسلام او الخاضعين المنقادين لالوهيته و
فيد الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين لجميع ما جاء به

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم او الثابتين على التصديق به ومراد اصحابنا باتحاد الايمان والاسلام
ان الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول ما جاء به من عند الله والاذعان له وذلك حقيقة
التصديق ولذلك لم يصح في الشرع ان يحكم على احد بانه مسلم وليس بمؤمن او مؤمن و
ليس بمسلم فلا نعني اتحادهما من الآخر ولم يريدوا الاتحاد بحسب المفهوم لان الايمان هو
تصديق الله فيما اخبر من اوامره ونواهيه ومواعيده والاسلام هو الخضوع والانقياد
لالوهيته وهذا لا يحصل الا بقبول الامر والنهي والوعد والوعيد والاذعان لذلك
فمن لم يقبل شيئاً من هذه الاربعة فقد كفر وليس بمسلم والقانتين والقانتات القايمين
بطاعة الله والصادقين والصادقات في القول والعمل سراً وجهراً والصابرين مطيعين
والصابرات على تجرع الغصص واحتمال البلاء والمحن في طاعة وازدياد الخير وعن
المعاصي والذنوب والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم و
المتصدقين والمتصدقات المعطين للصدقات تطلق تصدق على التفرد اذا
اعطى الصدقة وهي العطية التي بها يبتغي المثوبة من الله تعالى وقد يجيء التصدق
بمعنى التفضل مجازاً وهو المراد في قوله عم ان الله تعالى تصدق عليكم الحديث والصايمين
والصايمات المراد الصوم المفروض او مطلق الصوم كما في اضرابه والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيراً والذاكرات بقلوبهم والسنتهم وقراءة القرآن
والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله عم من استيقظ من منامه وايقظ امرأته
فصليا جميعاً ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات والمعنى والحافظاتها
والذاكراته فحذف لدلالة المذكور عليه وعن مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين
الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً وعن عطا بن ابي رباح من فوض امره
الى الله فهو قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمد عم رسوله
ولم يخالف قلبه لسانه دخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات واطاع الله في الفرايض
والرسول في السنة دخل في والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب
دخل في والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية
دخل في والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله دخل
في والخاشعين والخاشعات فبني الامر في هذا على الاشد وليس هذا بمرضي عنه ومن

تصدق في كل اسبوع بدرهم دخل في والمتصدقين والمتصدقات ومن صام من كل شهر
ايام البيض دخل في والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل دخل في والحافظين
والحافظات ومن صلى صلوات الخمس بحقوقها دخل في والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
وعن ابي هريرة كان رسول الله صلعم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا
هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون كثيرا
والذاكرات وعن ابي سعيد الخدري سئل رسول الله صلعم اي العبادة افضل درجة
عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قالوا يا رسول الله ومن الغازي
في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى تنكسر ويختضب دما لكان ذاكر الله
كثيرا افضل منه درجة اعد الله لهم مغفرة ستراً ومحواً لما صدر منهم من الكبائر التي تابوا عنها
والصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما ثوابا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره على
طاعتهم الحسنة وعدلهن ولغيرهن على الاسلام والايمان والاعمال الصالحة المذكورة
روي ان ازواج النبي عم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف
ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وعن مقاتل قالت ام سلمة بنت ابي امية للنبي صلعم ما بال
ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت
وروي ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء
النبي عم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فاتت النبي صلعم فقالت يا رسول الله
ان النساء لفي خيبة وخسارة قال ومم ذاك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما يذكر الرجال
فنزلت وعيد لما نزل في نساء النبي عم ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت
وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على
الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات و
فائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات كانه قيل ان الجامعين لهذه
الطاعات اعد الله لهم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وقالت
انا بنت عمك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره
اخوها ذلك فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق اليها مهرها ستين درهما

وخمار وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام
كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء ووهبت نفسها للنبي صلعم فقال
قد قبلت فزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده
والمعنى وما يصح لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول
الله وذكر الله لتعظيم امره وتحقيق ان قضاءه قضاء الله كما ان طاعته طاعة الله وهو
نكاح زيد لزينب او ام كلثوم او الانكاح او التزويج ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان
يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختياره ورايهم تلوا لرايه
وكان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شانه كذا لكنه
جمع لعموم مؤمن ومؤمنة بوقوعهما في سياق النفي فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقراءة الكوفيين
وهشام يكون بالياء لان الخيرة بمعنى ما يتخير ولوجود الفصل والباقون بالتاء وحملا على
الظاهر وقال ابو معاذ قرا بعضهم الخيرة بسكون الياء ومن يعص الله ورسوله فقد
ضل ضلالا مبينا فقد اخطا وجه المقصد خطأ لا يكاد يخفى على كل احد فان عصيانهما بين
انواع الضلالة واعظمها وابعدها عن الصواب والاستقامة واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام
الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب
في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة كان رسول الله قد اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ
فاعتقه وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب وفيه رواية اخرى ذكرت
قبل هذا وقال الزهري زيدا اول من اسلم وقال غيره اسلم بعد علي كرم الله وجهه وقيل
اول من اسلم من الموالي هو وشهد بدرا واحدا والخندق والحديبية وخيبر واستخلفه النبي عم
على المدينة حين خرج الى المريسيع وخرج اميرا في سبع سرايا ولم يذكر في القرآن العظيم صحابي
باسمه غيره وقتل يوم مؤتة وهو مما انعم الله عليه وتفضل امسك عليك زوجك زينب وذلك
انه صلعم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك انه
كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها
لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلعم فقال لرسول الله
اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها
تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا

او تعلقا بتزوجها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو تعلق قلبك بها او نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها او علمه بان زيدا سيطلقها وستنكحها لان الله تعالى قد اعلمه بذلك وقال
ابن عباس حبها وهو الاولى وعن عمر وعائشة وابن مسعود ما نزل على رسول الله
صلعم اشد عليه من هذه الاية وعن مسروق قالت عائشة رض لو كتم النبي صلعم شيئا مما اوحي
اليه لكتم هذه الاية والابتداء بالاظهار عن ابن ابي عبلة ما الله مظهره ولا شك انه قال
على التغاير او وجب في معنى هذه عبارة وتخشى الناس تستحييهم او تخاف لومهم وتعييرهم
اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخاف والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء بمخافة
قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض
الامر الى ربه حتى لا يخالف السر العلانية فلما قضى زيد منها وطرا اذا بلغ البالغ حاجته من
اخفاء شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها
همته وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها روي انها لما اعتدت قال رسول الله لزيد
ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها
عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلعم ذكرها فوليتها
ظهري وقلت يا زينب ابشري فان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة
شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران زوجناكها فتزوجها رسول الله
ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم
حتى امتد النهار وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرا اهل البيت
زوجتكها وقيل لجعفر الصادق الست تقرا على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو
ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسين على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي
طالب على النبي صلعم الا كذلك والمعنى انه امر بتزويجها اياه او جعلها زوجته بلا واسطة
عقد ويعضده ما روى انس انها كانت تفخر على ازواج النبي صلعم تقول زوجكن
اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وعن الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلعم
اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد وانكحنيك
الله تعالى في السماء وان السفير جبرئيل عم وفي جعل زيد سفيرا في خطبتها ابتلاء له عظيم و
شاهد بين على قوة ايمانه ورسوخه فيه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج

اد

ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا تعليل للتزويج وفيه دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد
الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما
كان تزويج زينب او كان قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يطلقها
زيد امراته ويتزوجها رسول الله صلعم ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
اوجب وقسم وقدر له من قولهم فرض لفلان في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم
سنة الله اسم وضع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد كقوله ما كان على النبي صلعم كانه
سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو انه لا حرج عليهم في الاقدام على ما احل لهم و
اباح ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري فكانت
لداود مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية في الذين
خلوا من قبل من الانبياء والرسل الذين مضوا قبل محمد صلعم وقال الكلبي ومقاتل اراد داود
حين جمع بينه وبين المراة التي هويها فكذلك جمع بين محمد صلعم وزينب وقيل اشار بالسنة
الى النكاح فانه سنن الانبياء صلعم قال النبي صلعم اربع من سنن المرسلين الحناء والتعطر
والنكاح والسواك وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين
يبلغون رسالات الله مجرور على انه صفة للذين خلوا او مرفوع او منصوب على المدح
وقرا الخليل يبلغون من الابلاغ وقرا ابي رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف
او محاسبا على كل شيء فينبغي ان لا يخشى الا منه لما تزوج زينب قال بعض الناس ان محمدا
تزوج امراة ابنه فانزل الله قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم لم يكن اب رجل منكم
على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الاب والابن من حرمة المصاهرة والنكاح ولا ينتقض
عمومه بكونه ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا
كانوا رجاله لا رجالهم وكذلك الحسن والحسين على انهما لم يكونا رجلين حينئذ والمقصود
ولده خاصة لا ولد ولده ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث
الدين والشفقة والنصح لهم ووجوب التوقير والطاعة عليهم وكون ازواجه محرمة عليهم
تحريم امهاتهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتموه لم يعش له ولد ذكر وخاتم

وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به قال عم فضلت على الأنبياء بست أعطيت
جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل
من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وبعثت إلى الناس
كافة وختم بي النبوة على قراءة عاصم بفتح التاء بمعنى الطابع وهو ما يطبع به وبالختم والمكسور
بمعناه وبمعنى فاعل الختم ويقوي الوجه الأخير قراءة عبد الله ولكن نبيا ختم النبيين فلو كان
له ابن بالغ لكان أن يكون نبيا كما قال عم في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا
يقدح فيه نزول عيسى لأن معنى كونه آخر الأنبياء أنه آخر من نبئ ولا ينبأ واحد بعده
مع أنه إذا نزل كان على دينه عاملا بشريعته مصليا إلى قبلته متبعا إلى كتابه وسنته وعن ابن
عباس يريد لولا أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه أن الله لما حكم أن لا نبي
بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وقرأ الأعمش ولكن كان رسول الله وخاتم الأنبياء و
زيد بن علي وابن عبلة واليماني والخليل ولكن رسول الله وخاتم برفعهما وكان الله بكل
شيء عليما بليغ العلم فيعلم من يستحق أن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه ولا يعلم أحد سواه
ذكر عن أبي هريرة قال رسول الله صلعم مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع
لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت
أنا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وعنه عم أنا قائد المرسلين أحمد وأحمد ومحمد
رواه ابن عباس يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الأوقات ويعم أنواع
الثناء وما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وغير ذكر وعن ابن عباس
لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير
الذكر فإنه لم يجعل له حدا معلوما ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم
به في الأحوال كلها فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا
بالليل والنهار في البر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير
أن لا ينساه أبدا قلت بل المراد والله أعلم بالذكر الكثير أن يذكره على كل حال فإن به النجاة
من كل عقوبة وعذاب كما قال النبي عم أيها الناس اذكروا الله على كل حال فإنه ما من
عمل أحب إلى الله وأنجى من كل سيئة في الدنيا والآخرة من ذكر الله عز وجل وقال عم ما عمل آدمي
عملا أنجى له من عذاب من ذكر الله وسبحوه بكرة وأصيلا وقوله سبحان الله أول النهار

وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين
كإفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها ويجوز أن يكون التسبيح محمولا على الصلاة
وقيل بكرة صلاة الفجر وأصيلا يعني صلاة الظهر وصلاة العصر وقال الكلبي وأصيلا
يعني صلاة الظهر والعصر والعشائين وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته وعن أبي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لا يمسك عنهن جنب ولا حائض سبحان الله ولا إله
إلا الله والله أكبر وقيل الفعلان اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم و
صل يوم الجمعة والمعنى المختار المرضي عندنا دوموا على ذكر الله وتسبيحه واستغرقوا
بهما ساعات ليلكم ونهاركم واحرصوا على ذلك وذكر الله يشمل كل ذكر طيب حسن مما
ذكرناه ومن التوحيد والصلاة والقرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله والصحابة
يستغرقون به ساعات ليلهم ونهارهم هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار
لكم والاهتمام بما يصلحكم فقولنا الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار مشعر بأن معنى الصلاة
في نفسه واحد يختلف باختلاف المسند إليه ولا يدل على أنها موضوعة لمعان مختلفة بأوضاع
متعددة ليلزم الاشتراك فلا يكون لفظ الصلاة مشتركا بين المعاني المتعددة كما زعم
من الناس وقيل المراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار
من الصلاة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذة من الصلاة المشتملة على الانعطاف
الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحما
عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث أنهم مجابو الدعوة والمعنى هو الذي يترحم عليكم و
يتراءف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة وقيل
من الله على العبد إشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثناء عليه وعن السدي قالت
بنو إسرائيل لموسى أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام عليه فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي و
أن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء ليخرجكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر
والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة وفي الطيبي من الظلمة بالتوحيد وكان بالمؤمنين رحيما
حيث أنعم عليهم بنعمة الإيمان والنجاة من الكفر والعصيان وقيل اعتناء بصلاح أمرهم وإنافة
قدرهم واستعمل في ذكر ملائكته المقربين وهو دليل على أن المراد بالصلاة من الله الرحمة

وبعضده ماروى عن انس انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر يا رسول
الله ما خصك الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله هذه الآية تحيتهم يوم يلقونه التحية دعاء
بالتعمير واضافتها الى الضمير من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون يوم لقائه عند الموت
او الخروج من القبر او دخول الجنة وعن انس عن النبي عم اذا جاء ملك الموت الى ولي الله فيسلم
عليه وسلامه عليه ان يقول السلام عليك يا ولي الله قم فاخرج من دارك التي خربتها الى دارك
التي عمرتها واذا لم يكن وليا لله قال له قم فاخرج من دارك التي عمرتها الى دارك التي خربتها
سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وشدة واعد لهم اجرا عظيما ثوابا حسنا
دائما على سبيل التعظيم وهي الجنة ولعل اختلاف التعظيم لرعاية الفواصل والمبالغة فيما
هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا تشهد على امتك بتصديقهم وتكذيبهم مقبولا قولك عند الله
لهم وعليهم قبول قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة نحو مررت برجل معه
صقر صائدا به غدا اى مقدرا به الصيد غدا ومبشرا لاهل الايمان والطاعة بالجنة ونذيرا
ومنذرا لاهل الكفر والعصيان بالعذاب في النيران وداعيا الى الله الى صراط الله كقوله وانك
لتهدي الى صراط المستقيم صراط الله او الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من
صفاته وافعاله ورسله واليوم الآخر وجيز ذكره باذنه بامره وتيسير اطلق له من حيث انه من اسبابه
وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره وسراجا
منيرا مستضاءا به عن ظلمات الجهالة وتقتبس من نور نبوته انوار البصائر ويمد به كما
يمد بنور السراج نور الابصار وعنه عم انزلت علي آية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا قال شاهدا على امتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان
لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا بالقرآن ووصفه بالانارة وهي الاضاءة لزيادة نوره
وكماله فيه وفي الاخبار ان نور الانبياء كان من نور محمد عم وقال بعض الائمة ان الله تعالى اكرم رسوله
بنور ظاهر وهو القرآن وورث هذا النور علماء امته حتى استناروا بنوره من بعده
الى يوم القيمة كما استنار بنوره الباطن من كان قبله من الانبياء مؤمنين بل كان به
من قبل آدم نور السموات والارضين فما بنور السماء يكون اللقاء وانما هو مخصوص بهذا
الضياء وهو المطلوب من كل الانبياء لا اطفاءت عنا نيران الهوى هذا النور ولا بعثنا
الا وهو محيط بنا يوم النشور والحمد لله على ما شرح به من الصدر والصلوة على محمد صاحب

النور

النور وفي الحديث ان المؤمن خلقهم الله من نوره وذكر فيما روي ابن عباس ان النبي عم
قال ان الله تعالى خلقني من نوره وخلق ابا بكر من نوري وخلق عمر بن الخطاب من نور ابي
بكر وخلق المؤمنين كلهم من نور عمر غير النبيين والمرسلين وبشر المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما
ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل
وان يريد لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذكر الفضل من جهة الله وانه اتاهم ما فضلهم
به وهو معطوف على مقدر يشعر واحد الناس الى الله وانذرهم وانما قدر ولم يذكر ظاهرا اكتفاء
وبدلالة عليه بما تقدم وقيل وتعلق معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع
الخليل فخصلك كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين معناه الدوام اى دم واثبت على ما انت عليه
من مخالفتهم وترك اطاعتهم واتباعهم او التهييج له عليه ودع اذاهم قال ابن عباس
واصبر على اذاهم وقال الزجاج ولا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال ويحتمل اضافته
الى الفاعل والمفعول بمعنى دع ايذاءك اياهم بمجازاة ومواخذة على كفرهم وايذائهم اياك
او دع ما يؤذونك به والمعنى اعرض عنهم غير ملتفت الى كفرهم ونفاقهم ولا مبال بايذائهم
او الى ايذائهم وتوكل على الله وفوض امورك كلها الى الله واسندها اليه او دم واثبت على
التوكل عليه فان العاقبة لك وما سبق به وعده من نصرتك عليهم وعصمتك من شرهم
واعدائك كلهم حتى فهو حسبك وكافيك وكفى بالله حسيبا حافظا موكولا اليه الامر بالكلية
في الاحوال من آخرها يعني ان نصرتك وحفظك مما في ضمان الله وضمان الله لا يخلف وما وصف
الله تعالى نبيه بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب يناسبه قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين
انه يكون شاهدا على امته وهم شهداء على الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن
الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو
مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لابد
من عقاب عاجلا او آجلا كان منذرا بهم في المستقبل وقيل حذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة
لان ما بعده كالتفصيل وقيل المبشر بالامر بشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة
الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير
بالاكتفاء به وكيلا لان من انارة برهانه على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفي به عن الجميع

خلته يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي وخلف تماسوهن بضم التاء وبالالف بعد الميم و
اصل النكاح الوطء منه قول الاعشى ومنكوحة غير ممهورة واخرى يقال لها ادها يعني المسبية
الموطوءة ثم قيل للعقد نكاح مجازا تسمية للسبب باسم المسبب فان العقد مسبب للوطء المباح
وعليه قوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات اي اذا تزوجتم المؤمنات وقوله الزاني لا ينكح
الا زانية اي لا تتزوج والعقد والتزوج بمعنى واحد ولا يعرف شيء من ذكر النكاح
في كتاب الله الا على معنى العقد ونظيره تسمية النبات غيثا في قولهم رعينا الغيث لانه
سبب النبات والخمر اثما لانها سبب لاكتساب الاثم وخص المؤمنات مع ان هذا الحكم الذي
في الاية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات تنبيها على ان من شأن المؤمن ان لا ينكح الا
مؤمنة تخيرا للنطفة ويجتنب عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر فالتي في سورة المائدة
تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم
ما هو اولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات وفائدة ثم نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت
الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى
بها المدة في حالة التزوج ثم يطلقها وحكم الخلوة التي يمكن معها المساس عند ابي حنيفة واصحابه
فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها اي تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزن فلا عدة على
غير المدخول بها كما لا استبراء من امة لم يقربها مالكها او تعتدونها وتحصونها بالاقراء والاشهر
وفي الاسناد الى الرجال دلالة على ان العدة حق الرجل كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها
مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها
كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا واو قراءة
الحسن من حيث تعتدونها قال ابو حاتم اظن انه اراد الادغام من تعتدونها فمتعوهن
فاعطوهن المتعة ان لم يكن مفروضا لها ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها
وان كانت مفروضا لها فالمتعة مندوبة ومستحبة عنده وقيل واجبة وقال ابن
عباس فان لم يسم لها صداقا فلها المتعة وان كانت مفروضا لها الصداق فلها نصف
الصداق المفروض ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فنصف



ما فرضتم وذهب بعضهم الى انها تستحق المتعة بكل حال وسرحوهن وخلوا سبيلهن
او اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع
حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بها
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر
على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا او فرضها وتسميتها في العقد وليس
تقييد الاحلال له باعطائها معجلة او فرضها وتسميتها في العقد لتوقف الحل عليه بل
لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها اي مما اعاده الله
عليك بمعنى صيره لك ورده عليك وتخفيفه جعله فيئا لك اي غنيمة وتلك مثل صفية وجويرية (وماريه)
وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك يعني
نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك
الى المدينة ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة وان من هاجر معه منهن يحل له نكاحها
ويدل عليه قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله حين فتح مكة فاعتذرت
اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وقيل
نسخ شرط الهجرة بالتحليل وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما
قبله او عطف على قوله ازواجك اي احللنا لك امرأة مؤمنة ولا يدفعه التقييد بان
التي للاستقبال لان المراد بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب
لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ولذا ذكر نكرها واختلفوا في اتفاق ذلك
فعن ابن عباس لم تكن عند رسول الله امرأة وهبت نفسها منه ولم تكن عنده امرأة
الا بعقد نكاح او ملك يمين وقال اخرون بل كانت عنده موهوبة نفسها واختلفوا فيها
فقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية يقال
لها ام المساكين وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد
فقيل انه لم يقبلها وقيل بل قبلها ثم طلقها قبل ان يدخل بها وقال عروة بن الزبير هي
خولة بنت حكيم من بني سليم فارجاها فتزوجها عثمان بن مظعون وقرأ زيد بن علي
وابو البرهسم وابو حيوة وامرأة مؤمنة بالرفع على الابتداء او على ونحل لك امرأة مؤمنة

وقرأ الحسن ان في التعليل بحذف اللام اى لان وهبت ويجوز ان يكون مصدرًا
وقع ظرفًا كقولك آتيك طلوع الشمس اى وقت طلوعها وقت هبتها نفسها وقراءة
ابن مسعود وهبت بغير ان ان اراد النبي ان يستنكحها هو شرط للشرط الاول
في استيجاب الحل ان وهبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها
فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررًا
ثم الرجوع الى الخطاب في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما
خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة لاجله او استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد
استشهد ابو حنيفة على جواز انعقاد النكاح بلفظ الهبة وذكر ان الهبة لفظ انعقد به
نكاح النبي عم فينعقد به نكاح الامة لانه اسوة وقدوة ولان الهبة عقد وضع
في الشرع لملك الرقبة والنكاح لملك المتعة وذلك سبب لهذا فاطلق السبب واريد
المسبب هكذا قالوا والحق ان انعقاد النكاح بلفظ الهبة ليس بطريق اطلاق
السبب على المسبب لان الهبة ليست سببا لملك المتعة الثابت بالنكاح لاختصاصه بنوع
ملك الطلاق والايلاء والظهار بل بطريق الاستعارة وهي اطلاق اسم احد المتباينين
على الآخر لاشتراكهما في لازم مشهور في معنى النكاح مما يوجد لمعنى الهبة لكنه [illegible] كان
في انتفاء الملك وعند الشافعي لا ينعقد الا بلفظ النكاح والتزويج لقوله تعالى خالصة
لك اجيب بان الخلوص ليس في اللفظ لان الجار لا يختص بحضرة الرسالة بل في الحكم وهو
عدم وجوب المهر اى صحة النكاح بلفظ الهبة مع عدم المهر مخصوصة بك اما في غير النبي
فالمهر واجب وايضا يجوز ان يكون المراد والله اعلم انا احللنا لك ازواجك حال كونها
خالصة لك اى لا تحل ازواجك لاحد غيرك كما قال وازواجه امهاتهم وهذا مبني على
ان خالصة حال ويجوز ان يكون مصدرًا مؤكدًا مثل وعد الله اى خلص احلالها او
احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصًا لك ونظائرها في المصدر به العافية والكاذبة
وان يكون صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة لك وقرئ خالصة بالرفع اى ذلك خلوص
لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة
خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط ووجوب القسم والمهر بالوطئ
حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من الاحكام في ملك اليمين او من توسيع الامر فيها لانه

كيف

كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه
وهو خالصة دلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في ذلك لا للتوسيع عليه بل لمعان تقتضي
التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى اى لئلا يكون عليك ضيق في دينك
حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وذكر في جارية الهبة وتسمية
المهر واعطائه عاجلا ونكاح المهاجرات في دنياك حيث احللنا لك اجناس الناس من
المنكوحة والمملوكة والموهوبة بلا مهر وكان الله غفورًا لما يعسر التحرز عنه او الواقع
في الحرج اذا تاب رحيمًا منعما على عباده بالتوسعة في مكان الحرج وغيره ترجي من تشاء
منهن تؤخرها وتترك مضاجعها وتؤوي اليك من تشاء وتضمها اليك وتضاجعها او تطلق
من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج
من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي عم اذا خطب امراة
لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض وهو اما ان يطلق واما
ان يمسك واذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي
المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها والجمهور على ان الآية نزلت في القسم بينهن فان التسوية
في القسم كان واجبا فلما نزلت سقط عنه وصار الاختيار اليه وقيل نزلت حين تغايرن
وابتغين زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فاشفقن وقلن يا نبي الله
افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ودعنا على حالنا فارجا بعضهن ام حبيبة و
ميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما شاء وآوى اليه بعضهن عائشة
وحفصة وزينب وام سلمة فكان يقسم بينهن سواء وقيل لم يخرج رسول الله احدا منهن
من القسم بل كان يسوي بينهن في القسم مع ما اطلق وخير فيه الا سودة فانها وهبت
ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص وابو جعفر ترجي بياء ساكنة والباقون ترجئ بهمزة مضمومة والمعنى واحد ومن
ابتغيت طلبت ممن عزلت تجنب القسمة وقيل طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء
من ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن
اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لاستواء حكم كلهن فيه
ثم ان سويت بينهن او رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله وبوحيه فتطمئن نفوسهن ويحصل

الرضى وقرة العيون ويذهب التنافس والتغاير وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن
وتقر بالبناء للمفعول وقوله كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين
بذلك واخترنه على هذا التخيير الذي خيره الله في صحبتهن ومن بعضهن اتيتهن على حكاية
النفس والله يعلم ما في قلوبكم اي يختص به علم جميع ما في قلوبكم فيما ملكك على حسبه فاسرعوا في
احسانه وقيل فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسول
الله وبعث على تواطئ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رسول الله وما فيه طيب
نفسه وقيل يعلم ما في قلوبكم من امر النساء والميل الى بعضهن وكان الله عليما بذات الصدور
حليما لا يعاجل بالمؤاخذة بما كسبت قلوبكم فهو حقيق بان يتقى ويحذر ولا يحل لك النساء اي
لا تحل واحدة من النساء لما تقرر ان حرف التعريف اذا دخل على الجمع يبطل الجمعية ويراد
بالجنس وهو كالنكرة يخص في الاثبات ويعم في النفي كما اذا حلف لا يتزوج النساء او لا يكلم
الناس او لا يشتري العبد فانه يحنث بالواحد لان اسم الجنس حقيقة فيه وقرأ ابو عمرو ويعقوب
بالياء لان تانيث الجمع حقيقي ولوجود الفاصل واذا جاز التذكير بغيره في قوله وقال نسوة
كان معه اجوز وقيل جاز تذكير المسند الى الجمع وتانيثه على تاويل الجمع والجماعة ولا يخفى عليك
ما فيه والباقون بالتاء من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله في الازواج كما ان الاربع نصاب
امته او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن بان تطلق واحدة وتنكح مكانها
اخرى وذكر انه عم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه
عن تطليقهن والاستبدال بهن قاله ابن عباس وقتادة ومن مزيدة لتاكيد النفي يفيد استغراق
جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة التي نص
على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات
ولا النصرانيات من بعد المسلمات ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى
يقول لا يكون ام المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك احل الله له ما ملكت يمينه
من الكتابيات ان يتسرى بهن وعن الضحاك معناه من التبدل بازواجه اللاتي في حبالته ازواجا
غيرهن فحرم عليه طلاقهن ولم يمنعه من نكاح غيرهن وعن ابي صالح امر ان لا يتزوج اعرابية
ولا عربية ولا يتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلثمائة وقيل

في

في تحريم التبدل هو من بدل الجاهلية كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم
يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته
لصاحبه فانزل الله ولا ان تبدل بهن من ازواج وعن ابي هريرة دخل عيينة بن حصن على
النبي عم وعنده عائشة من غير استيذان فقال رسول الله يا عيينة اين الاستيذان فقال يا رسول
الله ما استأذنت على رجل قط من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال
هذه عائشة ام المؤمنين افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال عم ان الله قد حرم
ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد
قومه وقرأ الحسن تبدل بالجزم على النهي ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المتبدلة
وهو في موضع الحال من فاعل تبدل من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره
مفروضا اعجابك بهن قال ابن عباس هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب
فلما استشهد اراد رسول الله عم ان يخطبها فنهي عن ذلك والمعنى انها ممن اعجبه حسنهن و
الجمهور على ان الاية محكمة وعن عائشة رض ما مات رسول الله عم حتى احل الله النساء
تريد ان الاية قد نسخت ونسخها اما بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك او بقوله
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني الذي ذكر في تفسيره فترتيب
النزول ليس على ترتيب المصحف الا ما ملكت يمينك قيل استثناء من النساء لانه يتناول
الازواج والاماء وقيل منقطع وعن ابن ملك بعد هؤلاء مارية القبطية وكان الله على
كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم وقيل هو تحذير من مجاوزة
الحد وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى
يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن به كما اشعر به غير
ناظرين اناه وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم فوقع الاستثناء
على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها
الا غير ناظرين وقرأ ابن ابي عبلة بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير
وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي وهشام وخلف اناه بالامالة لانه
مصدر اني الطعام اذا ادرك كقولك قلاه قلى كان قوم يتحينون طعام رسول الله عم

فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه اي لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان
يؤذن لكم الى طعام له اذ ناظرا وهو لا في الى طعام فحسب غير ناظرين اناه ولكن اذا
دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا بعد الطعام لمهم ولا مستانسين
لحديث ولا طالبين الانس لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالسمع له جر وعطفا
على ناظرين او منصوب بفعل مقدر اي ولا تدخلوها مستانسين او فلا تلبثوا مستانسين
روي ان رسول الله صلعم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا يدعو الناس فترادفوا
افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعو
فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون عند النبي صلعم فاطال المكث ليقوم
رسول الله صلعم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم يا اهل البيت فقالوا وعليكم
السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع
فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلعم شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا
خرجوا فرجع ونزلت الآية ناهية عن ذلك ان ذلكم اشارة الى الاستيناس الدال على اللبث وقيل
الى اللبث كان يؤذي النبي صلعم لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم
محمول على تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان
اخراجكم حق لا ينبغي ان يستحيي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال وقيل
لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمنع منه ولا يترك ترك الحيي منكم وهذا ادب الله به الثقلاء وعن
عائشة رض حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ
لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء فاذا سالتموهن الضمير لازواج النبي صلعم
المذكورين في الآية المتقدمة على هذه الآية متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن المتاع من وراء
حجاب ستر قيل ان عمر رض كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا
ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن
وهن مع النساء في المسجد فقال لو احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على
الرجال الفضل فقالت زينب انك يا ابن الخطاب لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم
يلبثوا يسيرا حتى نزلت وعن عائشة ان ازواجه صلعم كن يخرجن بالليل لحاجتهن وكان عمر يقول

للنبي صلعم احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي
عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل آية
الحجاب فانزل الله تعالى وقيل انه صلعم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم
يد عائشة رض فكره النبي صلعم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر النفسانية و
الخيالات الشيطانية وعن انس قال عمر وافقت ربي في ثلاثة اشياء قلت يا رسول الله لو اتخذت
من مقام ابرهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله انه
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله آية الحجاب وبلغني
بعض ما اذين به رسول الله فدخلت عليهن فجعلت استقريهن واحدة واحدة قلت والله
لتنتهين او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر اما كان في
رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت فخرجت فانزل الله عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن الآية وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وما صح لكم وما استقام
ايذاء رسول الله وان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من وفاته
وفراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام
عمر فهم برجمهما فاخبر بانه صلعم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير نزلت الآية في بعض
اصحابه قال لئن قبض رسول الله صلعم لانكحن عائشة فقال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن
عبد الله فاخبر الله تعالى ان ذلك محرم وعن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي
صلعم تزوجت رجلا وولدت وذلك كان قبل تحريم ازواج النبي صلعم على الناس ان ذلكم يعني
ايذاءه ونكاح نسائه بعده كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه مع ما فيه من التسلية
لرسول الله وتطييب نفسه ومسرة قلبه والتربية حسنة تعظيم من الله له وايجاب حرمته
حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او
تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما بليغ العلم بظاهر كل شيء وباطنه فيعلم
ذلك فيجازيكم به عقوبة وعمم ذلك ليدخل فيه نكاحهن وغيره ويفيدهم به مزيد تهويل
ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا
ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي الاثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء روي
انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا

يكلمهن من وراء حجاب فنزلت الآية ولم يذكر فيها الخال والعم لانهما بمنزلة الوالدين
ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب
عنهما مخافة ان يصفانهن لابنائهما وابناؤهما غير محارم ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات
حتى لا يجوز الكتابيات الدخول عليهن او مطلق النساء ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد
والاماء وقد مر في سورة النور ان عائشة اباحت النظر لعبدها وقالت كذلوان
انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وقيل من الاماء خاصة وهو اقرب الى التقوى
لان عبد المرأة كالاجنبي خصيا كان او فحلا وابن مثل عائشة في النساء وابن مثل عبيدها
في العبيد لا سيما في زماننا واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من
الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق
التقوى في حفظها وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل ستركن
على كشفكن ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه
ولا يتفاوت في علمه الاحوال والاماكن والاوقات ان الله وملائكته يصلون على
النبي قال ابن عباس ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وفي هذا اشعار بان معنى
الصلوة نوع واحد يختلف باختلاف الموصوف وقيل يصلون يعتنون باظهار شرفه وتعظيم
شانه وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء والجمهور
على ان الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء وقرا عبيد
بن عمير وملائكته بالرفع عطفا على انه مبتدأ خبره يصلون وحذف خبر ان بقرينة المذكور تقديره
ان الله يصلي ونظيره قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه ادعوا له اي قولوا صلى الله عليك فانكم اولى بذلك واحق وانتم
ايضا فقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره
ثم الصلوة على رسول الله واجبة وكذا التسليم نظرا الى صيغة الامر واختلفوا في حال وجوبها
فقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره وهو الاصح لقوله عم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل
يا رسول الله ارايت قول الله ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عم هذا من العلم
المكنون ولولا انكم سالتموني ما اخبرتكم ان الله تعالى وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم

فيصلي

فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقالت الملائكة لذينك الملكين آمين وقيل تجب
في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل
دعاء في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والاحوط
الصلوة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار ومنها قوله عم البخيل من ذكرت عنده فلم يصل
علي ومنها ما ذكر اولا ومنها قولهم من ذكرني فليصل علي ومنها الاحاديث الآتية فامعن
النظر فيها ولذلك قال الطحاوي الصلاة عند ذكر النبي عم تجب في كل مرة ولم يبال ابو حنيفة
واصحابه الصلوة عليه في الصلوة شرطا في جوازها وتجوز الصلوة على غيره تبعا كقولنا صلى
الله على النبي وعلى آله وسلم ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر رسول الله ولذلك
الى الاتهام بالرفض وقال عم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم وكذلك
ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا وعن ابي هريرة وعمار بن ياسر قال رسول
الله عم ان الله تعالى ملكا اعطاه سمع الخلائق وهو قائم على قبري اذا مت الى يوم القيامة فليس احد
من امتي يصلي علي صلاة الا سماه باسمه واسم ابيه قال يا محمد صلى عليك فلان كذا وكذا ويصلي
الرب على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وعن ابي طلحة جاء رسول الله عم ذات يوم
والبشر في وجهه فقال انه جاءني جبرائيل فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك ان لا يصلي
عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا
وفي مسند الامام احمد من صلى على النبي صلعم واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين
صلوة وفي الفردوس قال النبي عم اذا قال العبد اللهم صل على محمد خلق الله تعالى من ذلك الكلمة
ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في تخوم الارضين وراسه
تحت العرش فيقول صل على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه الى يوم القيمة وعن ابن مسعود
وابي هريرة ان لله ملائكة سياحين في الارض فضلا من اهل الكتب يبلغون عن امتي
السلام وعن علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة خلقوا من نور لا يهبطون
الا ليلة الجمعة ويوم الجمعة بايديهم اقلام من ذهب ودوي من فضة وقراطيس من نور
لا يكتبون الا الصلوة على النبي عم وعن ابي امامة عن النبي عم اكثروا من الصلوة علي في يوم الجمعة
فمن كان اكثرهم علي صلاة كان اقربهم مني منزلة وروي عن الحسن والكسائي فصلوا عليه
بزيادة الفاء ان الذين يؤذون الله ورسوله اي يرتكبون ما يكرهانه ولا يرضيانه من

من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بشج وجهه وكسر رباعيته وقولهم ساحر شاعر
مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين
باعتبار المعمولين وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين عزير
ابن الله ويد الله مغلولة وان الله فقير والمسيح ابن الله وثالث ثلثة والملائكة بنات
الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن النبي عم
يقول الله تعالى شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم
يكن لي كفوا احد وعنه عم انه قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي
الامر اقلب الليل والنهار وفي رواية شتمني ابن آدم ولم ينبغي له ان يشتمني واذاني ولم
ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله
لا يعيدني بعد ان بداني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير وعن ابي هريرة سمعت
رسول الله عم يقول قال الله تعالى ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة او شعيرة
وعنه عم اشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون وقيل يؤذون الله اي يؤذون
اولياءه كقوله واسأل القرية اي اهل القرية وقال النبي عم قال الله تعالى من عادى لي
وليا فقد آذنته بالحرب ومن اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة والولي اسم لمن آمن
بجميع ما جاء من عند الله وعمل الصالحات واجتنب السيئات ونقيضه العدو وهو الكافر
لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا في
من العذاب متفاقا اهانته فيذهب بعزهم وكبرهم والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقال مجاهد يقعون فيهم
ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا بهتانا افتراء وكذبا عليهم من بهته فلان بهتا وبهتانا
اذا قال عليه ما لم يفعله ومنه قول عبد الله سلام يا رسول الله ان اليهود قوم بهت
جمع بهوت مبالغة في باهت كهم فاعل من البهتان والاحتمال مثل الاكتساب بناء ومعنى
واثما مبينا ظاهرا لا شبهة فيه وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضه
ويسمعونه وقيل في الذين افكوا عايشة رضه وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة
مشوا في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوايجهن فيغمزون المرأة
فان سكتت اتبعوها وان زجرت انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكنهم

كانوا

كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع و
خمار فشكون ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله فنزلت ثم نهى الحراير
ان يتشبهن بالاماء فقال يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن يرخين ملاحفهن عليهن ويسترن بها وجوههن وابدانهن
ومن تبعيضية يحتمل وجهين ان يتجلببن ببعض جلابيبهن غير متبذلات في درع وخمار
كالاماء وان يرخين بعضها على وجوههن يتقنعن حتى يتميزن من الاماء وعن ابن
عباس وعبيدة امرهن ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة
ليعلم انهن حراير وعن الكسائي اي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام
معنى الارخاء ذلك ادنى ان يعرفن اولى واجدر بان يعرفن ويميزن من الاماء والقينات فلا
يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وقال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية
متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحراير القي القناع وكان الله غفورا لما
سلف من الفرطات والزلات والنكرات رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم الدينية
حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون ولم يرتدعوا ويمتنعوا عن نفاقهم وايذائهم والذين
في قلوبهم مرض فجور وضعف ايمان وقلة ثبات عليه عن فجورهم وتزلزلهم في الدين و
المرجفون في المدينة والذين يرجفون باخبار السوء من سرايا المسلمين فيقولون هزموا
وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت واتاكم العدو ونحوها فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين
ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي
الزلزلة اي لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون
عن اخبار السوء لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب
الجلاء عن المدينة ثم لا يجاورونك فيها لا يساكنونك في المدينة عطف على لنغرينك بدليل
صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولم يعطف بالفاء لانه ليس مسببا عن الاول و
قد جعل جوابا ثانيا للقسم عطف على الاول بثم دلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه الا قليلا جوارا
او زمانا قليلا ريثما يرتحلون بانفسهم وعيالهم ملعونين نصب على الشتم او على الحال
والاستثناء داخل على الظرف والحال معا كما في قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين

اناه اى لا يجاورونك الا ملعونين ولا يصح ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها اينما وجدوا وادركوا اخذوا
وقتلوا قليلا هو نصب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء وقراءة عيسى بن
عمر ملعونون على هم ملعونون سنة الله في الذين خلوا من قبل في موضع مصدر موكد
اى سن الله في الذين ينافقون الانبياء ويسعون في وهنهم بالارجاف ان يقتلوا
حيث ما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا ولن تجد لسنة الله تبديلا
اى لن يبدلها احد لان ذلك مفعول له لا محالة وفي وضع المظهر موضع المضمر تاكيدا آخر
يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها واللام في الناس للعهد اشارة الى المكذبين
واليهود لان الله عمى وقتها في التورية وغيرها او للجنس اشارة الى المسلمين و
الكافرين جميعا لانهم كانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعداد
واما الكافر فتسهزاء وانكارا وتعنتا فامر رسول الله صلعم ان يجيبهم بانه علم قد استأثر
به فقال قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انه قريبة
الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين فقال وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا او ذات قرب او في زمان قريب ويجوز ان يكون تذكير القريب بناء
على ان الساعة بمعنى البعث او اليوم ان الله لعن الكافرين طردهم من رحمته ولذلك
يستهزءون بالحق الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه والاهتمام بالاستعداد له واعد لهم
سعيرا نارا مسعورة شديدة الاتقاد خالدين فيها حال مقدرة اى مقدرين الخلود
فيها ابدا دائما واكد الخلود بالتابيد والدوام مبالغة في ذلك لا يجدون وليا
يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف وجوههم
فيها من جهة الى جهة كالبضعة التى تشوى بالنار او تدور في القدر اذا اغلت او تطرح
ابدانهم في النار مقلوبين منكوسين وخص الوجه بالذكر تعبيرا عن الكل وهي الجملة باشرف
اجزائه واكرمها وقرئ تقلب بمعنى تتقلب اى تتحول وتقلب اى السعير وقراءة
ابن ابى عبلة وقرئ وابو البرهسم تتقلب وجوههم ويوم منصوب بقول مضمر
مثل اذكر او بقوله يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وعلى
الاول يقولون حال وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم و



ورؤساءهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا للجمع انه جمع سادة
وهم جمع سيد دلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا فزينوه لنا يقال ضل السبيل واضله اياه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص والكسائى واطعنا الرسول فاضلونا السبيلا بغير الف في الوصل
وحمزة وابو عمرو ويعقوب في الوقف ايضا والباقون بالالف في الحالين تشبيها للفواصل
بالقوافي فان زيادة الالف لاطلاق الصوت وفايدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد
انقطع وان ما بعده مستانف واما حذفها فهو القياس ربنا آتهم ضعفين من العذاب
مثلي ما آتيتنا من العذاب لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم
بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه
الله مما قالوا فاظهر براءته من قولهم او مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب قيل
نزلت في زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى وذكر ان
قارون استاجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على راس الملاء فعصمه الله كما مر في سورة القصص
وقيل اتهام ناس اياه بقتل هرون حين خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به
عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل
قذفوه بعيب في جسده من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انهم كذبوا وانه
برى منه ويعضده قول نبينا صلعم ان موسى وكان اذا اغتسل اعتزل وحده فقالت بنو اسرائيل
ما يفعل ذلك الا انه آدر فبينا هو ذات يوم يغتسل وقد وضع ثيابه على حجر [illegible] الحجر
بثيابه فاتبعه موسى وهو يقول ثوبي يا حجر فضرب الحجر ست ضربات او سبع ضربات فانتهى
باديات في الحجر فلما نظرت بنو اسرائيل اليه متجردا علموا انه ليس كما قالوا فذلك قوله
فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها رواه ابو هريرة وانس وذكره احمد والبخاري
ومسلم والترمذي في كتبهم كذا في الفردوس الكبير وقرأ طلحة فبراه بغير همزة وكان عند الله
وجيها ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يدفع عنه التهم والاذى ليلا يلحقه وابو صف ذكر كما يفعل
الملك عن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود وابو حيوة والاعمش وكان عبد الله
وجيها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله وهذه ليست كذلك وقال
ابن عباس وجيها حظيا عند الله لا يسأل الله شيئا الا اعطاه وقال الحسن مستجاب الدعوة
وقيل محببا مقبولا وقرأ يمان وابو البرهسم وجيها بكسر الواو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في

في رعاية حقوقه وحقوق عباده او في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤذي رسوله
وقولوا قولاً سديداً قال ابن عباس صواباً وقال الحسن صدقاً وقال قتادة عدلاً
وقيل مستقيماً وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله وقيل قاصداً الى الحق والسداد
والقصد الى الحق والقول بالعدل من سد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن
سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير
قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان
وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم يصلح لكم
اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم
ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر
والنواهي فقد فاز فوزاً عظيماً يعيش في الدنيا حميداً وفي الآخرة سعيداً فيظفر
بالخير كله والجملة تأكيد لما تقدم مما نهى عنه او امر به وبعث على رعايته ومحافظته
ولما علق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال اراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة
الاداء فأبين ان يحملنها وأشفقن منها فأشفقن من حملها وخفن منها او فاقدين
الامانة كما تقدر وحملها الانسان يجوز ان يستعمل بترك الامانة والامتناع عن
ادائها من قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها بمعنى انه لا يؤديها الى صاحبها حتى
تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لجعل الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها كما
يقال ركبته الديون والمعنى انا عرضنا الطاعة على هذه الاجرام العظام فا
نقادت لامر الله انقياداً يصح من الجمادات واطاعت له طاعة يليق بها حيث
لم تمتنع عن مشيته وارادته ايجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة واشكال
متنوعة كما قال أتينا طائعين والانسان مع حيوته وكمال عقله وصلوحه للتكليف
لم يكن حاله فيما يصح منه ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه مثل حال تلك
الجمادات بل انه ان يكون محتملاً لتلك الامانة مؤدياً اياها ومن ثم وصفه بالظلم
لانه ترك اداء الامانة وبالجهل لاخطائه طريق سعادته وهو اداء الامانة وان
يثبت بتحمل التكليف من حملت الشيء على ظهري والمعنى ان ما كلفه الانسان من عظم

ونقل

ونقل محله بحيث لو عرض على هذه الاجرام التي هي من اعظم ما خلق الله تعالى واقواه واشده
تحملاً واستقلالاً لابين حمله والاستقلال به واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف
بنيته ورخاوة قوته ثم غدر بالحمل ولم يف بالامانة وتبعض الاقوال قول الحسن حيث
فسرها بالخيانة كما سيجيء فتأمل انه كان ظلوماً جهولاً حيث حمل الامانة ثم يغدر بها وضمنها ثم
خاس بضمانه فيها فليس في تفسير الاول حذف المعطوف مع حرف العطف اعني ثم
غدر بالحمل فلا اضمار فيه من هذا الوجه وان اشتمل الوجه على طي عرضناها على
الانسان واباً مكان والعرض والاباء والاشفاق تمثيل وتصوير وتخييل وقال كثير
من السلف لما خلق الله هذه الاجرام خلق فيها فهماً فقال لها اتحملين هذه الامانة
بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فقلن يا رب
نحن مسخرات لامرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً مخافة ان لا يقمن بها لا معصية ومخالفة
وكان العرض عليهن تخييراً لا الزاماً والام بين من حملها وقال ابن مسعود الامانة اداء
الصلوات الخمس وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء
الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذه الودايع وقال زيد بن
اسلم الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرايع وقال مجاهد الفرايض
وحدود الدين وقال الضحاك عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهود
والجمهور على ان العرض اعيان السموات والارض والجبال وقيل على اهلها كقوله
واسأل القرية ومن الكلام للحكماء ان المراد بالامانة العقل ومعرفة الاشياء كما هي
عليه والعمل بالامور على ما ينبغي وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعداد
هن وباباءهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد او الحصول بالفعل
للسماويات وعدم القابلية للجمادات وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها مع
عدم الحصول بالفعل وبكونه ظلوماً جهولاً غلبة القوة الغضبية والشهوية عليه ومعنى
التعليل بذكر انه محل العقل وقلبه ليكون منبهاً على القولين حافظاً لهما من التقوى والافراط
والمراد بالانسان الجنس بدليل التعليل الآتي وقيل آدم وعن مجاهد ما كان بين
ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وعن ابن مسعود مثلت
الامانة كصخرة ملقاة ودعيت السموات والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق

حملها وجاء آدم من غيران دعي وحرك الصخرة وقال لو امرت بحملها فقلن له احمل فحمل الى
ركبتيه ثم وضعها وقال لو اردت ان ازداد لزدت فقلن له احمل فحملها الى حقوه
ثم وضعها وقال والله لو اردت ان ازداد لزدت فقلن له احمل فحملها حتى وضعها
على عاتقه فاراد ان يضعها فقال الله تعالى مكانك فانها في عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيمة و
هو يعضد الوجه الاول وكذا قول الزجاج ان الله تعالى ايتمن آدم واولاده على شيء وايتمن
السموات والارض والجبال على شيء فالامانة في حق بني ما ذكرناه من الطاعة والقيام بالتزامه
والامانة في حق هذه الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن وقوله فابين ان يحملنها
اي اديت الامانة من قولك فلان لم يحمل الامانة اذا لم يخن فيها وعن الحسن وحملها
الانسان يعني وحملها الكافر والمنافق اي خاناها وقوله ظلوما جهولا قال ابن عباس
ظلوما لنفسه حين عصى ربه جهولا بامر الله وما احتمل من الامانات وقال الكلبي جهولا
لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقال مقاتل جهولا لعاقبة ما تحمل وعليك بتامل
قوي فيما ذكرناه من الوجوه في هذه الآية وترك الاستعجال فيه ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اللام
في ليعذب علة للحمل من حيث انه نتيجة كما ان التاديب علة للضرب في ضربته تاديبا له
ويجوز ان يكون علة لعرضنا اي عرضنا ليظهر نفاق المنافقين واشراك المشركين فيعذبهما
الله ويظهر ايمان المؤمنين فيتوب الله عليه اي يعود عليه بالمغفرة والرحمة ان صدر
منه تقصير في بعض الطاعات وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم
لا يخليهم من فرطات وقراءة الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ
ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها
لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر وقال مقاتل ليعذبهم بخيانة الامانة
ونقض الميثاق ويهدي المؤمنين والمؤمنات ويرحمهم باداء الامانة وكان الله غفورا
رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبأ
اربع وخمسون آية مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الآية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي لله الذي يختص به جميع ما في العالم خلقا ونعمة

فله

فله الحمد في الدنيا لكمال ذاته وانعامه بجميع النعم الدنيوية وله الحمد في الآخرة يختص به فالحمد
بالله حقيق في الدنيا والآخرة لا بغيره فان من اختص به خلق جميع النعم في الدارين والانعام
به لم يصح ولم يستقم ان يرجع الحمد الا اليه ولم يكن احد احق منه باختصاصه وقصر الثناء عليه
ذكر ان قوله الحمد لله وقوله له الحمد دلالة في كل منهما على اختصاص الحمد بالله اي قصره عليه
بدلالة لام الجنس عليه كما في قولهم التفويض الى الله والكرم في العرب سيما مع لام الاختصاص
وسيما مع تقديمها لان اصول النعم وفروعها منه واذا اختص جنس الحمد به كان كل حمد
راجعا اليه فالله هو المحمود على نعم الدنيا وهو المحمود على نعم الآخرة لانه هو المنعم فيهما بالنعم
كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق كما قال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
ولا يخفى ان نعم الدنيا المدلول عليها بقوله ما في السموات وما في الارض تشمل نعمة الوجود
ونعمة البقاء اولا ونعم الآخرة المشار اليها بقوله وله الحمد في الآخرة تشمل نعمتي الوجود
والبقاء ثانيا ففي هذه اشارة الى الايجاد والابقاء اولا والى الايجاد والابقاء ثانيا
لان الوجود والبقاء لا بد لهما من موجد ومبق وذكر هو الله وحده والايجاد والابقاء
صفتان من صفاته القديمة فقوله الحمد لله فيه فوايد منها ما ذكر ومنها تعليم للعباد كيف
يحمدونه ومنها تنبيه لهم على ان الله تعالى مستحق الحمد اولا لكمال ذاته وعظمة صفاته لان
الله اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال على وجه الكمال وثانيا لجليل نعمائه
وجزيل آلائه الواصلتان الى العباد لان ما يصل اليهم منها لا يعلم قدره الا الله وعظمته الا
الله وحده على ما ينبئ عنه سياق الآية ومنها الانباء عن كمال الجود والتفضل والاحسان
فان الوهبية هي التي تقتضي ذكره ومنها ان يستمر الحامد على حمد ذاته ويتوجه بشراشره في ثنائه
دايما الى جناب قدسه مشتغلا به متبرئا عن غيره وفي قوله الذي له ما في السموات وما
في الارض تنبيه من حيث المقابلة على ان من لا يتصف بهذه الصفة لا يستحق ان يحمد فضلا
ان يكون الها ويعبد وقوله وله الحمد في الآخرة اما معطوف على قوله الحمد لله على معنى
لا يستحق الحمد في الدنيا الا الله ولا مستحق للحمد في الآخرة الا الله واما معطوف على له ما
في السموات الابدي الى صحة قولك الحمد لله الذي له الحمد في الآخرة اي للذات الواجب
الوجود الجامع بصفات الكمال على وجه الكمال الذي يختص به الحمد في الآخرة ويقصر
عليه ولا يتجاوز الى غيره وهو على كلا التقديرين من عطف المقيد على المقيد اما الاول

فظاهر واما الاخرة فلان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية وهي تحصل بالعمل
وبغيره بخلاف النعم الاخروية فانها لا تحصل لاحد ولا يصل اليه الا بالعمل الصالح قال الله تعالى
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه وقال انما تجزون ما كنتم تعملون ثم الحمد
في الدنيا مما وجب على العباد واما في الاخرة فليس بواجب لسقوط التكليف به كما سقط
ساير التكاليف لا لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها كما زعم اهل الاعتزال لعدم وجوب
الشيء على الله بل انما يوصلها الى مستحقها بناء على وعده المحتوم فان خلف الوعد منه محال لكونه
نقصانا فان بالالوهية وكمال الغنى وهو الحكيم باهر حكمته في كل شيء او الذي احكم امور الدارين
ودبرها على مقتضى الحكمة والصواب الخبير البليغ الخبرة في فعله والعلم بكل ما كان وما يكون وقد احاط
هو الذي يعلم خوافي الامور وبواطنها خبير
بكل شيء علما يعلم ما يلج في الارض ما يدخل في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في
موضع اخر قال تعالى فسلكه ينابيع الارض وكالكنوز والدفاين والاموات وغير ذلك
مما هو له كفات وهذه الجملة تجوز ان يكون جملة برأسها لا محل لها وان يكون في محل الرفع على
انها خبر ثالث لهو او خبر مبتدا محذوف وهما ابلغ من الاول واحسن لافادتهما
الحفر ونه وفي محل النصب على الحال من الضمير في الحكيم وهي حال مؤكدة كقوله وهو
الحق مصدقا لان الحكيم لا يكون الا عالما وما يخرج منها من الحيوان والنبات والفلزات
وماء العيون وغيرها وما ينزل من السماء كالملايكة والكتب والمقادير والامطار
والثلوج والبرد والصواعق والارزاق كما قال في السماء رزقكم وما يعرج فيها من
الملايكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور البليغ الرحمة والمغفرة
للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الاخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفايتة للحصر
وقرىء على رض ننزل بالنون مشددة وهي قراءة حسنة بليغة لما فيه من الالتفات المبني
من التعظيم وقراءة الخليل وما يعرج وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة نفي للبعث
وانكار لمجيء الساعة واستبطاء لها على سبيل الهزؤ والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي
رد لكلامهم واثبات لما نفوه وانكروه وربي لتاتينكم عالم الغيب اعادة لايجابه مؤكدا
بالقسم الذي هو الغاية في التوكيد والتشديد مقرر الوصف المقسم به بصفاته تقرر امكانه
وتنفي استبعاده وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر عالم الغيب بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
او مبتدا خبره لا يعزب وحمزة والكسائي علام بصيغة المبالغة وبالجر صفة لربي او بدل لامنه

والباقون عالم بالجر وقراءة الثمانية والخليل ليأتينكم بالياء لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض لا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه مقدار نملة صغيرة او هباء وقراءة
الكسائي لا يعزب بكسر الزاء وكلاهما من العزوب وهو البعد ومنه الروض المعازب والعزيب
اي البعيد من الناس ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه منقطع عما
قبله مقرر له واجمع القراء على رفع اصغر في هذه السورة على انه مبتدا خبره في كتاب
وقرئ في الشاذ بالنصب على انه اسم لنفي الجنس وهو في هذه القراءة ايضا كلام مستقل بنفسه
ونظر لا اصول ولا قوة بالرفع والنصب ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال ذرة بانه
فتح في موضع الجر لامتناع الصرف بكونه صفة ووزن الفعل لان حرف الاستثناء يمنعه الا
اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل الغيب اسما للخفيات قبل ان يكتب في اللوح لظهوره
بعد على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزول عنه الا مسطورا
في اللوح هكذا قيل واعلم انه يجوز ذلك ايضا اذا جعل الضمير في عنه لله لانه قوله الا في كتاب استثناء
منقطع بعد تمام الكلام والتقدير لكن كل ذلك في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما تقتضي اتيانها وقرئ ليأتينكم بالياء على ان الساعة
اليوم والفعل المسند اليه عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملايكة او ياتي امر ربك اولئك لهم مغفرة سترة محو لما فرط منهم ورزق كريم حسن مرضي
اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده والذين سعوا في اياتنا بالرد والطعن
فيها معاجزين سابقين ظانين في زعمهم وتقديرهم انهم يفوتوننا وان كيدهم للاسلام يتم
لهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان بها من اراده وهو حال
مقدرة اولئك لهم عذاب من رجز من اشد العذاب اليم رفعه ابن كثير وحفص ويعقوب
صفة لعذاب وجره الباقون صفة لرجز وفيه مبالغة من وجوه ثلثة ويرى الذين
اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق هو فصل يفيدان ما بعده خبر لا صفة
والتوكيد والحاجة ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه ومن قرأ الحق بالرفع جعل هو ضميرا
مبتدا والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو في محل الرفع مستانف للاستشهاد باولي
العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل في محل النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم
اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموا الان برهانا والمراد بالذين اوتوا

اوتوا العلم الصحابة وسائر المؤمنين من هذه الامة او مسلموا علماء اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وكعب الاحبار او كفارهم اى وليعلم الذين لم يؤمنوا من الاحبار انه هو الحق
فيزدادوا حسرة وغما ويهدى الى صراط العزيز الحميد الى صراط الله الغالب على كل شيء
الحقيق بالحمد كله في الدارين وهو دين الاسلام الذى يتوصل به الى العزة وحسن الحال
في الدنيا والآخرة كما ان الكفر هو الوسيلة للذلة والمذمة وسوء الحال فيهما وقال الذين
كفروا هم قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا ام ينبئكم يحدثكم
بالاعجوبة من الاعاجيب وقرأ زيد بن على وينبيكم من الابناء اذا مزقتم كل ممزق
انكم لفي خلق جديد انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم
تمزيقا وتفرق تفريقا بحيث تصير ترابا وتمزق اجسادكم البلى كل ممزق اى يفرقكم ويبدد
اجزاءكم كل تبديد وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف
دل عليه ما بعده لان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينهما بان
وممزق مصدر كمبناه او مكان بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحة
كل مطرح وقيل وجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين من جد وبمعنى مفعول عند الكوفيين
من جد النساج الثوب اذا قطعه ومنه قولهم ملحفة جديد وعند البصريين هو فعيل
بمعنى فاعل شبه بفعيل بمعنى مفعول في استواء التذكير والتانيث في الوصف به كقوله
تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين افترى على الله كذبا ام به جنة اهو مفتر على الله كذبا
بما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه وحذفت همزة الوصل تخفيفا
مع عدم اللبس ولم تحذف في السحر لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر لفتحتهما فيه واستدل به الجاحظ
على ثبوت الواسطة بين الصدق والكذب فان قريشا حصروا اخبار النبي صلعم بالحشر
والنشر في الافتراء والاخبار حال الجنون غير الكذب لانه قسيمه اذ المعنى اكذب ام
اخبر حال الجنة وغير الصدق لانهم اعتقدوا عدم صدقه فثبت ان من الخبر ما ليس بصادق
ولا كاذب ورد هذا الاستدلال بان معنى اخبر به جنة ام لم يفتر فعبر عن عدم الافتراء
بالجنة لان المجنون لا افتراء له لانه الكذب عن عمد ولا عمد للمجنون فالاخبار حال الجنة قسيم
للافتراء لا الكذب فيكون هذا حصرا للخبر الكاذب بزعمهم في نوعيه وهما الكذب عن عمد
والكذب لا عن عمد ورد الله عليهم ترديدهم بقوله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب

والضلال البعيد اى ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء
القائلون الكافرون بالحشر والنشر واقعون في عذاب وفيما يؤديهم اليه من
الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشد اطباقا على عقولهم
وصف العذاب والضلال يحيطهم احاطة الظرف بالمظروف فان اسباب العذاب
معهم فكانهم في وسطه وقيل جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال
كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته
جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان ووصف الضلال بالبعد مجاز الا البعد في الحقيقة
صفة للضال لانه هو الذى يتباعد من منهاج المستقيم وكلما ازداد عنه بعدا كان اضل
ووصف به فعله كقولك جد جده ويجوز ان يريد في ضلال ذى بعد او فيه بعد فقد
يضل عن الطريق مكانا قريبا او بعيدا افلم ينظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه
ويشاهدونه ويقررونه حجة عليهم فانهم كفروا بالآخرة باصرارهم على انكار البعث
وهو اصل مجادلتهم ومرادها هجوا بما احاط بهم من السماء والارض لانهم كانوا
مقرين بان الله خالقهم وبانهما خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس
اليهما قليل فمن قدر على خلقهما مع عظم خلقهما كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهمزة
الاستفهام للانكار والفاء للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اعموا فلم ينظروا
الى ما احاط بامامهم وخلفهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اعظم واشد خلقا
ام هما ولم يخافوا ان يخسف الله بهم الارض او يسقط عليهم كسفا من السماء لتكذيبهم
الآيات وكفرهم بالرسل او بما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة وقرأ حمزة
والكسائى وخلف يشا يخسف يسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا والباقون بالنون
وحفص كسفا بفتح السين وهو كقطع لفظا ومعنى والباقون بسكونها على انه مخفف
من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن وقرأ الخليل بفتح الكاف
ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيما يدلان عليه من قدرة الله لآية لدلالة
واضحة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له فانه يكثر النظر والتفكر
في آياته واموره ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى الزبور الذى فضله الله به وجعله

وذلك قصدا الى تفخيمه وتعظيمه وانه فضل لا يوازيه فضل الفضلاء او على كثير من المؤمنين
كما قال وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقيل اي على ساير الانبياء وهو
ما ذكر بعد او على ساير الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن
يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح وذلك اما بخلق الله التسبيح فيها كما خلق الكلام في الشجرة
فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة له او بحملها اياه على التسبيح اذا تامل فيها او سيري معه حيث
سار وقال وهب نوحي معه وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت
تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ اوبي من الاوب وهو الرجوع اي ارجعي
معه في التسبيح كلما رجع فيه وقوله يا جبال بدل من فضلا او من آتيناه باضمار قولنا يا جبال
او قلنا يا جبال والطير عطف على محل الجبال وينصره القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة
البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير او مفعول معه
لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون اللفظ بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود
منا فضلا تاويب الجبال معه والطيور المنقادين لمشيته غير ممتنعين من امره لكنه عدل عنه الى ذكر
دلالة على عزة ربوبيته وكبرياء الهيته وسلطانه وانه ما من شيء من الجماد والحيوان الا و
تحت تصرفه لا تخرج عن امره وقضائه والنا له الحديد فجعلناه لينا كالطين والشمع يصرفه
كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة
ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ
صابغات بالصاد وهو اول من اتخذها وقيل كانت قبله صفايح وقيل كان يبيع
الدرع باربعة درهم وقيل كان يعمل كل يوم درعا يبيعه بستة الاف درهم فينفق منها
الفين على نفسه وعياله ويتصدق باربعة الاف على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك
بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون
عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فساله عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه
فريع داود فساله وقال ما هي يا عبد الله فقال انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال فسال
عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر في السرد
وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق و
لا غلاظا فتكسر الحلق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد والسرد

نسيج

نسج الدرع ويقال لصانعها السراد والزراد واعملوا صالحا الضمير لداود واهله
اني بما تعملون بصير لا اضيع عمل عامل منكم ومن غيركم ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان
الريح وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وهو قراءة ابي بكر وابو جعفر الرياح
بالجمع والنصب غدوها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر ورواحها شهر وجريها
بالعشي مسيرة شهر وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل
باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت ببابل وبينهما مسيرة شهر للراكب
المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند واسلنا له عين القطر النحاس
المذاب واراد بعين القطر معدن النحاس اسالها منه كما الان الحديد لابيه فنبع الماء من
الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في شهر ثلثة ايام ومن
الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة او جملة من مبتدا وخبرها
باذن ربه بامره قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم به
ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناهم به من طاعة سليمان وقرئ
يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد في الآخرة
او في الدنيا او فيهما جميعا وقرا يعمر نذيقه بالنون والرفع وعن ابن عباس والسدي
كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه ضربة من حيث لا يراه الجني وفي
رواية فمن زاغ منهم عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب
من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب
عليها وقيل هي المساجد والابنية المرتفعة ومنها بيت المقدس بناها باللآلي واليواقيت
وساير الجواهر الثمينة وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلعم لما فرغ سليمان
من بناء بيت المقدس سال ربه ثلثا فاعطاه اثنين وانا ارجو ان يكون اعطاه
الثالثة سال حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسال ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فا
عطاه اياه وساله ان لا ياتي هذا البيت احد يصلي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم
ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك ومنها الطفور بالمس من الصفر وتماثيل
وقيل هي صور الملائكة والانبياء والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس و
صفر ورخام وزجاج ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم ولعلها كانت مباحة في

أو تشريفهم كما أن عيسى عم يعمل صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله وقيل
كانوا يصورون السباع والطيور وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرماً
ويجوز أن يكون صوراً غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التماثيل كل ما صور على صورة
غيره من حيوان وصوراً محذوفة الرؤوس وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه
ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله
النسران بأجنحتهما وجفان وصحاف جمع جفنة كالجواب أي كالحياض الكبار التي تجبى فيها الماء أي
يجمع جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقيل يقعد على الجفنة الواحدة
ألف رجل يأكلون منها وقرأ أبو عمرو وورش كالجوابي بإثبات الياء وصلاً وابن كثير و
يعقوب وصلاً ووقفاً والباقون بحذف الياء اكتفاءً بالكسر كقوله يوم يدع الداع و
قدور راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكراً
حكاية لما قيل لهم وشكراً مفعول له أي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه
والآية أو حال أي شاكرين أو مصدر من غير لفظ فعله لأن العمل له شكر أو وصف له أو مفعول به
يعني أنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة وآل منصوب
بتقدير حرف النداء والمراد به سليمان لأن هذا الكلام قد ورد في خلال قصته وخطاب
الجمع للتعظيم أو أولاده أو كل من ينفق عليه أو كل من يتأتى منه الشكر من أمته وقليل من
عبادي الشكور أي البالغ في الشكر على النعماء والآلاء وقيل المتوفر على أداء الشكر
الباذل وسعه فيه بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً وكدحاً وأكثر أوقاته وعن
ابن عباس من يشكر على أحواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه
عن الشكر وعن جعفر بن سليمان سمعت ثابتاً يقول إن داود جزأ ساعات الليل والنهار
على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم
يصلي وعن النبي عم إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ الآن داود اشكر العابدين وأيوب
صابر الدنيا والآخرة وعنه عم أن في حكمة آل داود عبرة ينبغي للعاقل اللبيب أن لا
يشغل نفسه إلا أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه
وساعة يلقى فيها إخوانه الذين ينصحون في نفسه ويخبرونه بعيوبه وساعة
يخلو بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعة وإجمام

القلوب

القلوب بفضل بلغة وينبغي للعاقل اللبيب أن يكون مالكاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه
مستوحشاً من أوثق إخوانه فلما قضينا عليه الموت أي على سليمان وقرئ وقضي ما دلهم على
موته أي ما دل الجن وقيل آله إلا دابة الأرض أي الأرضة أضيف إلى فعلها وهو الأرض
من أرضت الخشبة أرضاً إذا أكلتها الأرضة وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها من
أرضت الخشبة أرضاً فأرضت نحو أكلت القوادح الأسنان أكلاً فأكلت فهو من باب فعلته
ففعل وقرأ يعقوب الحضرمي إلا دابة الأرضة تأكل منسأته أي عصاه من نسأت البعير إذا
طردته لأنها يطرد بها وقرأ الكوفيون وهشام ويعقوب منسأته بفتح الهمزة وابن ذكوان
منسأته بسكونها والباقون منساته بالألف وهو لغة أهل الحجاز والهمز تميمية وقرئ
منساته بفتح الميم ومنسته بحذف الألف تخفيفاً على غير قياس ومنساءته على مفعالة كما يقال
الميضاءة في الميضاة ومن سأته أي من طرف عصاه سميت بساءة القوس على الاستعارة
وفيها لغتان كقحة وقحة وقرئ أكلت منسأته فلما خر تبينت الجن علمت الجن علماً بيناً مكشوفاً
ينفي عنه الشكوك ويزاح الشبهات أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
أنهم لو كانوا يعلمون لعلموا موته حيث ما وقع فلم يلبثوا بعده حولاً في تسخيره إلى أن خر
أو ظهر الجن وأن مع صلتها بدل منه بدل الاشتمال نحو تبين زيد جهله أي ظهر أن الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وقرئ تبينت الجن مبنياً للمفعول على أن المتبين في المعنى
هو أن مع صلتها لأنه بدل وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس تبينت الإنس أن لو كان
الجن يعلمون الغيب وعن الضحاك تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت وبعضها
يتم الغرائب قول النبي عم إن نبي الله سليمان اللهم عمّ على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن
لا يعلمون الغيب فتوكأ عصاً فقام فتوكأ عليها فمات والجن لا يعلمون بموته حتى خر
فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين فحزروا
قدرها فإذا هي سنة فأكلتها الأرضة فشكرت الجن الأرضة فكانت يأتيها بالماء رواه ابن
عباس وذكر شكرت الطيارة في بعض وروي أنه كان من عادة سليمان أن يعتكف في
مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فلما دنى
أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا
حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال

ماكان الله ليخربه وانا حي ان تبدي على يديك هلاكه وخراب بيت المقدس فتفرغ منها

وعمرها في حايط له وقال اللهم عمِّ على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون

الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال قد امرت بك وقد بقي من عمرك ساعة

فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض

روحه وهو متكي عليها وكانت الشياطين يجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان

ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان

قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت

موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو

فوجدوا قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فعلم الناس

انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس

في موضع فسطاط موسى فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه

فلما بقي من عمره سنة سأل ان يعمي عليهم موته ليتموه ويفرغوا منه وليبطل دعوا

هم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنى ضرب الاسدان

ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه والجمهور على ان عمر سليمان كان ثلثا و

خمسين وملك وهو ابن ثلث عشر سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتداء

عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه واما قول من خالفهم فقد ذكرت في سورة

النمل لقد كان لسبإ لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرا ابو عمرو

والبزي لسبأ بفتح الهمزة من غير تنوين على انه غير منصرف للتعريف والتانيث لجعله

اسما للقبيلة او المدينة وقنبل لسبأ بسكون الهمزة بنية الوقف والباقون لسبإٍ

بالجر والتنوين على انه اسم للحي او الاب او موضع بتاويل اهل سبا او اولاد سبا و

عن فروة قال رجل يا رسول الله اخبرني عن سبا كان رجلا او امراة او ارضا قال هو

كان رجلا من العرب وولد له عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة

فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد والمذحج وانمار وحمير فقال رجل

ما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم

وغسان وسبا ابن يشجب الحرج في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها

مارب

مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرا الكسائي وخلف مسكنهم بالفتح وكسر الكاف

مثل مسجد ومطلع وحفص وحمزة مسكنهم بفتح الكاف والباقون مساكنهم بالجمع لما كان

كل واحد منهم مسكن اية عبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من

الكفر وغمط النعم او علامة دالة على الصانع المختار واحسانه ووجوب شكره وقدرته

على جزاء المحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان

بدل من اية او خبر مبتدا محذوف تقديره الاية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل

عليه قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح ومعنى كونهما اية ان جعل قصتهما وان

اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وابدلهما الخمط والاثل لان جعلهما

في انفسهما اية والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن

يمين بلدهم وجماعة اخرى عن شمال كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كانها

جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او بستانان لكل رجل منهم عن

يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم واشكروا

له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة على انهم كانوا احقاء بان يقال لهم

بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم

بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وعن ابن

عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها

وتسير بين تلك الشجر فيمتلي المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وقوله طيبة قيل ليست بسبخة

وقال ابن زيد لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية و

كان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كلها من طيب الهوا وقال الكلبي

وربكم ان شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب وقرئ بلدةً وربًّا بالنصب على المدح و

عن ثعلب معناه اسكنوا واعبدوا فاعرضوا عن شكر الله على تلك النعم وعن وهب بعث

الله عليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعم الله عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله

علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فذلك قوله فاعرضوا

فارسلنا عليهم سيل العرم الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا

شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس

سدا ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه نقبا على

على مقدار ما يحتاجون او المسناة التي عقدوها سكرا على انه جمع عرصة وهي الحجارة المركومة
ونيال ككريس من الطعام حرمة وقيل العرم اسم الوادي الذي جاء السيل من قبله وقيل
المطر الشديد وقيل ماء احمر ارسله الله عليهم من حيث شاء وقرئ العرم بسكون الراء وكان ذلك
في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط الاكل هو الثمر
والخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة اي ثمر مر بشيع وقيل وقيل شجر الاراك وعن عيسى كل
شجر ذي شوكة وقرأ نافع وابن كثير اكل بسكون الكاف منونا والكوفيون وابن عامر و
ابو جعفر اكل بضم الكاف منونا والباقون بالاضافة الى خمط ووجه من نون ولم يضف ان اصله
ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان او انه
وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشيع واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على
اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين و
تسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة او التهكم والسدر ورق النبق ووصف السدر بالقلة
لان ثمره وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وعن الحسن قلل السدر
لانه اكرم ما بدلوا وقيل ذكر السدر لم يكن مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح
ورقه لشيء ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الذي فعلنا بهم من ارسال السيل وتبديل
جنتيهم وجزيناهم بما يقتضيه بيني ذو كتاب والله اعلم وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام او
للتعظيم او للاهانة لانه عذاب ذهب به عزهم وكبرهم وهل نجازي الا الكفور قرأ حمزة
والكسائي وابو بكر وخلف ويعقوب نجازي بالنون والكفور بالنصب والباقون يجازى على
البناء للمفعول والكفور بالرفع اي ولا يجازى ذلك الجزاء المخصوص الا البليغ في الكفران والكفر
وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع
ما يعمله وقال مجاهد وهل يعاقب الا الكفور فعلى هذا يستقل بافادة المراد وعلى الاول
بل توقف على ما قبله فهو على الوجهين تذييل على ما قبله في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزى
وفيه نظر لقوله كذلك نجزي كل كفور بعد قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وقال بعضهم
وهل يكافأ بعمله السيئ الا الكفور لله في نعمه وقال الفراء المؤمن يجزى ولا يجازى اي يجزى
الثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته وقرأ ابن قطيب يجازى بالياء والبناء للفاعل والكفور
وابو حيوة يجزى الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بكثرة الماء والشجر و

جزيناهم بكفرانهم النعم وتكذيبهم بالانبياء وقد صدق الا... على بعض الانبياء من جملة ما عمل ... و

السعة

السعة في العيش للغني والفقير وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها من
بعض لتقاربها او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل فلم يبعد عن مسالكهم حتى
تخفى عليهم وقيل كانت قراهم اربعة آلاف قرية وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى
الشام قدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان
يبلغ الشام ولا يحتاج الى حمل زاد من سبا الى الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان
المقال او الحال فانهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكان لهم امروا بذلك
واذن لهم فيه ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت
ليالي او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا بطروا النعمة وسئموا من طيب العيش وملوا
العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن و
السلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا الله
ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجلهم
الله بتخريب القرى المتوسطة وعجل لهم في الاجابة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد
ويعقوب ربنا باعد بالرفع وربنا على الابتداء وخبره باعد وهو استبعاد مسايرهم على
قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه
ومثله من قرأ ربنا بعد ما بين اسفارنا او بوعد بين اسفارنا على النداء واسناد
الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرأ
الزهري بعد بين اسفارنا بضم النون وظلموا انفسهم ببطر النعمة والطغيان وعدم
الاعتداد بها فجعلناهم احاديث اخبارا يسمر الناس ويتحدثون بها تعجبا وضرب
مثل فيقولون تفرقوا ايادي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق
غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما
قصصنا عليك من قصصهم لآيات لعبرا وحججا واضحة قاطعة لكل صبار على البلايا و
المشاق او عن معاصي الله شكور لنعمائه والائه ولكل مؤمن كامل لان
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهو الذي يكل همه ويحبس نفسه على النظر

في اياتٍ ويتبعها بالتامل في نعمة المبثثة في الآفاق والانفس وقال مطرف هو المؤمن
اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرأ الكوفيون صدّق
بتشديد الدال يعني وجد ظنه صادقاً او حققه عليهم والباقون بتخفيفها اى صدق
في ظنه او صدق عليهم بظن ظنه نحو فعلته جهدك ويجوز ان يعدّى الفعل اليه بنفسه
كما في صدق وعده لانه نوع من القول وقرئ صدق بالتخفيف ونصب ابليس ورفع
الظن بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيل له اغواءهم يقول له صدقك ظنك وبالتشديد
مع نصبه ابليس ورفع الظن بمعنى وجد ظنه صادقاً وبالتخفيف مع رفعهما بمعنى
صدق عليهم ظن ابليس فيكون ظنه بدلاً من ابليس وقد ذكر اما ظنه باهل سبا حين
راى انهماكهم في الشهوات او بنى آدم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب
فيه من الشهوات والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقال لاضلنهم
ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين الا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه وقال ابن
عباس والسدي يعني المؤمنين كلهم لان المؤمنين لم يتبعوه في اصل الدين وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار وقال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين او الا
فريقاً من المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان
من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن
هو في شك العلم ههنا مجهول على حقيقته لتقدم علم الله وشموله واحاطته بكل شيء من الموجود
والمعدوم في الدنيا والآخرة بل هو مجاز عن التمييز اى ليتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها
او عن الجلاء والايضاح ليجلي المؤمن بالآخرة من الشاك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كما
انظر الى كفي هذه جليا جلاها الله لنبيه كما جلاها للنبيين قبله رواه ابن عمر رضه وعلل
التسلط بالعلم والمراد ما يلزمه وقيل ما يعلق به العلم مبالغة اى الا ليتعلق علمنا بذلك
تعلقاً يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك
من قدر ضلاله وفي نظم بالفعل المضارع وبالاسمية نكتة لا تخفى وقرأ الزهري الا ليعلم
بالياء للمفعول وربك على كل شيء حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل
لمشركي قومك ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول و

هو

هو الضمير الراجع الى الموصول لطول الموصول بصلته والثاني وهو آلهة لقيام صفته مقامه
ولا تصح ان يكون هو مفعوله الثاني لان قولكم هم من دون الله لا يلتئم كلاماً ولا لا
يملكون لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه
قالوا ما هو حق وتوحيد من دون الله والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله فيما
يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعاراً
بتعيين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او
نفع او ضر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم
بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة
للخير والنفع والشر والضر سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما
في هذين الجنسين من شرك من شركة في الخلق والملك ولا ملك وما له منهم من ظهير من
عون يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من كمال العجز والبعد من صفات
الآلهة واحوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ولا تنفع الشفاعة
عنده ولا تنفعهم شفاعة ايضاً كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له
ان يشفع او اذن ان يشفع له وفيه تكذيب كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله و
اللام على الاول كاللام في الكرم وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم وابن كثير وابو جعفر ويعقوب اذن مبنياً للفاعل والباقون اذن على بناء
المفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظاراً للاذن
وتوقفاً وتمهلاً وفزعاً من الشافعين والمشفوع لهم هل تؤذن لهم او لا وانه
لا يطلع الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص كما يدل عليه قوله
رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح
والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صواباً كانه قيل ينتظرون
ويتوقفون ملياً فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اى كشف الفزع
واخرج عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق
الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقيل الضمير في قلوبهم للملائكة وقد تقدم
ذكرهم ضمناً وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وهو الله تعالى وعن

والباقون فزع على البناء للمفعول وقرا الحسن فزع بالتخفيف بمعنى فزع بالتشديد
وقرئ فرّغ حتى قلوبهم اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه
شيء ثم ترك الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع
وقرئ افرنقع من قلوبهم اي انكشف عنها وعيسى ابن عمر النحوي انه سقط عن الحمار واجتمع
الناس عليه فقال ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني وكذا عن ابي علقمة حين
هاج به المراد واجتمع الناس عليه والكلمة مركبة من حروف الفارقة مع زيادة العين
وقرئ الحق بالرفع وقال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند
نزول الموت بهم اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق
فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير والعلو والكبرياء شانا وسلطانا ذاتا
وصفاتا قولا وفعلا فلا يتكلم احدا الا باذنه ويتيسر وعن مقاتل والكلبي والسدي كانت
الفترة بين عيسى ومحمد عم خمسمائة وخمسين سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله
محمدا صلعم كلم جبرئيل بالرسالة الى محمد عم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا
عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما
انحدر جبرئيل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقال النواس بن سمعان
قال رسول الله صلعم اذا اراد الله ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات
منه رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات
صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبرائيل فيكلمه الله من وحيه
بما اراد ثم يمر جبرائيل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول
قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل فينتهي جبرئيل بالوحي حيث امره الله و
عن ابي هريرة قال النبي عم اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم ماذا قال ربكم
قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير
قوله لا يملكون والرزق من السموات المطر ومن الارض النبات وهو كل ما ينبت
ويخرج من الارض قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم مقرون بقلوبهم وان



ان ابوا ان يتكلموا به او تلعثموا عنادا او حذرا من الزام الحجة وانا او اياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين والمشركين لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال وقيل اي احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة
الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد
الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال
على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف
المسكت للخصم المشاغب ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك
وان احدنا لكاذب وقيل انه على اللف وفيه نظر وههنا تجريد الابهام واظهار
نصفة لا للشك ولا للتشكيك الى خير محكم فانهم يذكر قوله وانا او اياكم في معرض التسوية
والتشكيك بل فيه اضمار اصل آخر وهو ان الساعي ضلال في قولنا الله يرزقكم من
في السموات والارض فانه الذي يرزق من السماء بانزال الماء ومن الارض باخراج
النبات فاذا انتم ضالون بانكار ذلك وتحقيق هذه الصورة انا واياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين وهذا اصل ومعلوم انا لسنا في ضلال وهو اصل آخر فيلزم من
جمعهما نتيجة ضرورية وهو انكم في ضلال مبين وذهب الظاهريون الى انها بمعنى الواو
واهل التحقيق لا يرضون به واختلاف حرفي الداخلين على الحق والضلال لان
الهادي الذي هو صاحب الحق كانه مستعل على مكان عال مرتفع ينظر الاشياء و
يتطلع عليها او على فرس جواد يركضه كيف يشاء والضلال كانه منغمس في ظلام مرتكب
لا يرى شيئا ولا يدري اين يتوجه او مشرف في بئر عميق او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتخلص
منها او في حرف الى وانا او اياكم اما على هذا او في ضلال مبين قل لا تسألون عما اجرمنا
ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند
الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين سواء اراد بالاجرام مطلق الذنوب على ما
تدل عليه كلمة ما او الصغاير التي لا يخلوا منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي
وما في الظرف مصدرية وان احتمل غيرها قل يجمع بيننا ربنا يوم الجمع كيوم
التغابن ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل منا المحق الجنة والمبطل النار وهو
الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا كلها العليم بما ينبغي ان يقضى به وبمن يقضى له وعليه لا تخفى

عليه شيء من ذلك كما لا يخفى عليه ما عداه ذلك قل أروني الذين ألحقتم به شركاء لأرى بأي
صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وهل يجمعون
بيننا وهو بيان لإحالة القياس إليه واستفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة
في تبكيتهم وقراءة إلحاق أروني بسكون الياء كلا ردع لهم عن مذهبهم من اعتقاد المناكرة
وإلحاق الشركاء بالله في التسمية واستحقاق العبادة بعد ما كسره بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم
أف لكم ولما تعبدون بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره
بقوله بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بكمال الغلبة والقدرة والحكمة وأين هؤلاء الملحقون
من هذه الصفات لاتسامها بسمات الذلة والنبو عن قبول العلم والقدرة بالكلية وهو
راجع إلى الله وحده أو ضمير الشأن مثل قل هو الله أحد وما أرسلناك إلا كافة للناس نصب
كافة على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إرسالة عامة للناس محيطة بهم من الكف لأنها
إذا عمتهم وشملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أو حال من الكاف أي أرسلناك جامعا
للناس في الإنذار والإبلاغ والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ولا يجوز أن يكون
حالا من الناس لامتناع تقدم حال المجرور عليه كما امتنع تقدم المجرور على الجار بشيرا ونذيرا
مبشرا للمؤمنين بأن لهم الجنات ومنذرا للكافرين بأن لهم عذابا مقيما ولكن أكثر
الناس لا يعلمون ذلك ولذلك خالفوك ولم يطيعوك وكرر ذكر الناس تخصيصا
للجهل بتحقق البشارة والنذارة وتعمة الرسالة بهم وأنهم هم الذين لا يعلمون
فضل الله بذلك عليهم ولا يشكرونه ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون
المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا إن كنتم صادقين الخطاب لرسول
الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم أو زمان وعد على أن الميعاد مصدر أو
اسم زمان وإضافته إلى اليوم للتبيين كقولك سحق ثوب والدليل على الأخير قراءة من
قرأ ميعاد يوم بإبدال اليوم منه وجوز أن يكون الرفع على التعظيم وقرئ يوما بالنصب
على المدح أي أعني يوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون عنه ولا
يتقدمون إذا فاجأكم وهذا الجواب ذكر إنكار وتعنتا فأجيبوا على طريق التهديد بجواب
مطابق لما قصدوه بسؤالهم من الإنكار والتعنت وأنهم متعينون ليوم يفاجئهم
لا يقدرون تأخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي

بين

بين يديه ولا بما نزل قبله من الكتب الدالة على صحة ما بشر به محمد والذي رعده من الجنة و
النار وقطع الحشر والنشر وصدقه وقيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول فأخبروا
هم أنهم يجدون صفته في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع كتب الله المتقدمة في الكفر
فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى جحدوا أن يكون القرآن من
عند الله وأن يكون لما نطق به من البعث للجزاء حقيقة ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم
في الآخرة مخاطبا للرسول أو لكل من يليق بذلك الخطاب بقوله ولو ترى إذ الظالمون
موقوفون عند ربهم في موضع المحاسبة أي محبوسون عنده على أطراف أناملهم للخطاب و
الجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا شنيعا وإنما حذف ليذهب نفس السامع
مذهب تمكن فلا يتصور مكروها إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه ولو عين شيء
اقتصر عليه وربما خف أمره عنده وإنما دخلت لو على المضارع لتنزيله منزلة الماضي لأن
المترقب في إخبار الله كالماضي المقطوع به في تحقيق وقوعه والاستحضار صورة رؤية
الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين تلك الصورة ليشاهدها المخاطب يرجع
بعضهم إلى بعض القول يتراجعون القول ويتجاذبون أطراف المحاربة والمجادلة
يقول الذين استضعفوا أي يقول الأتباع الذين عدوا ضعفاء للذين استكبروا أي للرؤساء
الذين بالغوا في التكبر والتعظم عن عبادة الله وقبول قوله المنزل على أنبيائه لولا
أنتم لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الهدى والإيمان لكنا مؤمنين مصدقين لما [illegible]
وقوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى إذ جاءكم
همزة الإنكار على الضمير ليفيد نفي الفعل عنهم وثبوته لغيرهم كقولك ما أنا قلت هذا تريد
لم أقله مع أنه مقول لغيري أي لم نصدكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين صددتم
أنفسكم عن الإيمان به حيث تبالغتم في الإجرام والآثام بإعراضكم عن الهدى وإيثاركم
التقليد عليه وفي هذا الإضراب دليل على أن الاستفهام المذكور بمعنى الإنكار المراد به
النفي وقيل بعد إذ صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم
حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين
كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق

الليلة اهل الدار او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين مجازا وقيل مكر الليل والنهار هو
اصول السلامة والامل فيهما وقرئ مكراً الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين ومكرّ
الليل بالنصب على المصدر اي تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائبا لا يفترون
عنه وقراءة سعيد بن جبير مكرّ الليل والنهار بفتح الكاف والتشديد للراء اي بل صدنا كرور
الليل والنهار اما الرفع كما في العامة فعلى الابتداء او الخبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او
سبب ذلكم مكركم اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا منصوب على الظرف او الحكاية
كقولك اهتنا اذ يجيء واكرمته اذ تحسن وانما قال قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
بغير عاطف لانه استئناف فكانه قيل فماذا قال فقال لهم كبراؤهم الذين هم قادتهم ورؤساهم
في الكفر واتخاذ الانداد فقيل قال الذين استكبروا وجاء بالعطف في كلام المستضعفين لعطفه
على كلامهم الاول واسروا الندامة لما رأوا العذاب اي واخفى المستكبرون الندامة
على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على اتباعهم وضلالهم من غيرهم مخافة واظهروا
فكانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وعن قتادة اسروا التعيير
الكلام بذلك بينهم وقيل بندمن على ذلكم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم موضع المظهر موضع المضمر تنويها بذمهم ودلالة على موجب اغلالهم هل
يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الجزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما
لتضمن معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اكابرها
ورؤساؤها واغنياؤها في هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه
من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بالدنيا وزينتها والمفاخرة والتكبر بذلك على
المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم
يرسل الى اهل قرية من نذير الا قالوا له ما قال لرسول الله اهل مكة وقيل تخصيص المتنعمين
بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك في الشهوات
والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم
به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا لو لم يرض الله بما نحن فيه
من الدين والعمل لم يخولنا ما خولنا فما نحن بمعذبين تدعون من تكاثر في الاموال والاولاد فنحن اولياء
ندعونه ان امكن تعاسوا امر الآخرة المرهونة المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا

بلغ

اعتقادا

اعتقادا جزما انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم
فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين لعدم تحقق العذاب رأسا على زعمهم الفاسد
واعتقادهم الباطل او لكونهم مكرمين بذلك فلا يهانوا بالعذاب قل ردا لحسبانهم
ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي ربي وحده يوسعه على من يشاء ويضيق على من يشاء
دون غيره فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما
وضيق عليهما فلا يدل البسط على رضاء الله واكرامه ولا التضييق على سخط واهانته
ولا يقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الايمان والعمل الصالح وقدر الرزق
بتضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ ويقدر مثقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحسبون على مقتضى جهلهم ان كثرة الاموال والاولاد للرضاء والشرف والكرامة وكثيرا
ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قال بالتي
اما لان المعنى وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم فان الجمع المكسر عقلائه وغير
عقلائه سواء في حكم التأنيث او لانها صفة محذوفة كالتقوى والخصلة وقرأ الحسن باللاتي لانها
جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة والقربى والقربة بمعنى
واحد ومنه ازلفه اي قربه وازدلف اليه اي اقترب وقال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال
بالتي تقربكم عندنا تقريبا الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول يقربكم اي الاموال و
الاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله ويعلم اولاده
الخير ويربيهم على الصلاح والطاعة او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف وقال ابن
عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني فاولئك لهم جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول
المعنى ان يجازيهم الله الضعف الى عشر فما فوقه وعن رويس عن يعقوب فرفع جزاء الضعف
بنصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم وبرفع الضعف على انه فاعل
الظرف او مبتدأ قدم عليه خبره والجملة خبر اولئك وقرئ جزاء الضعف مرفوعان على
ابدال الضعف من جزاء وقرأه الخليل الضعف بفتح الضاد بما عملوا وهم في الغرفات
آمنون من كل مكروه وقرئ في الغرفات بفتح الراء وسكونها وقرأه حمزة في الغرفة على
ارادة الجنس وروى الاعمش عن يحيى في الغرف بفتحتين والذين يسعون في آياتنا بالابطال
والطعن وتزهيد الخلق فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا

وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اى مثبطين عن الايمان بها ارادة وقرأ الحسن معجزين من الاعجاز او لبك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون منه قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له يوسعه عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين و ما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه يعوضه ويعطيه خلفه عاجلا او اجلا او فيهما جميعا ولما كان اقامة مصالح العباد من اجل الطاعات واشرف العبادات لانها من وظيفة الانبياء والصالحين دلهم الله تعالى في الاية على طرف منها حثا عليها كما قال النبي عم بعثنا لاقامة عليها حيث قال الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله وعن ابي هريرة قال النبي عم ان لله تعالى ملكا ينادي من ابواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازى غدا وملكا بباب آخر يقول اللهم اعط المنفق خلفا وعجل للممسك تلفا وعنه قال عم ما من يوم يصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول آخر اللهم اعط ممسكا تلفا وعن ابن عباس قال النبي عم ان لله املاكا خلقهم كيف يشاء وصورهم على ما يشاء تحت عرشه الهمهم ان ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في كل يوم مرتين الا من وسع على عياله وجيرانه وسع الله عليه في الدنيا والآخرة الا من ضيق ضيق الله عليه الا ان الله تعالى قد اعطاكم لنفقة درهم على عيالكم خيرا من سبعين قنطارا والقنطار كجبل احد وزنا انفقوا ولا تمنعوا ولا تضيقوا ولا تقتروا وليكن اكثر نفقتكم يوم الجمعة وقال عم انفق عليك رواه ابو هريرة وقال جابر قال الله صلعم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له بها صدقة قال عبد الحميد قلت لمحمد المنكدر ما يعني ما وقى به عرضه قال ما اعطى الشاعر وذو اللسان المتقى وما انفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا ما كان من نفقة في بنيان او في معصية الله تعالى وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد وما يتأول هذه الاية وما انفقتم من شيء فهو يخلفه هذا في الآخرة وان الرزق مقسوم ولعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يديه ثم يبقى طول عمره في فقر ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه وهذا القول مع ما فيه من التقييد المخالف للظاهر لانه يخالف بعض ما ذكرنا من الحديث و قوله عم ان لكل يوم نحسا فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة مع الخلف قال الله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فاذا انت لم تنفق كيف يخلف الله تعالى فالصواب ان تأويل هذا

في الدنيا والآخرة كما قال مجاهد وهو خير الرازقين لان غيره وسط في ايصال رزقه ولا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا هؤلاء الكفار من المستكبرين والمستضعفين ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتخجيلا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص ويعقوب يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما حملا على ما قبلها من الغيبة والباقون بالنون نقلا من الغيبة الى التكلم وهو ابلغ قالوا سبحانك تنزيها لك انت ولينا من دونهم الولي خلاف العدو اى انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون اى يعبدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوهم وقيل كانوا يدخلون في اجواف اصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها والضمير في اكثرهم للانس او المشركين وعلى هذا الاكثر بمعنى الكل والضمير في بهم للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا لان الامر يومئذ لله اذ الدار دار جزاء ولا يجازي الخلق احد غير الله ونقول للذين ظلموا انفسهم بالكفر والتكذيب و هو عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيد ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون تعرفون على التكذيب بها واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الاعجاز او حججا وبراهين تدل على صدق محمد عم وصحة رسالته وهي حال مؤكدة قالوا ما هذا يعنون محمدا عم الا رجل يريد ان يصدكم يمنعكم عما كان يعبد آباؤكم مما كانوا في الزمان الماضي المتطاول على عبادته مقرين عليها وانما قالوا رجل بالتنكير مع ان رسول الله صلعم كان علما مشهورا فيما بينهم ليقصدوا بتنكيره التهكم و التلهي متجاهلين به وبامره وليصفوا بما وصفوه من ارادة ما هو من اعجب العجاب عندهم من نفي الاشراك المستلزم لاثبات التوحيد كما قال تعالى حكاية عنهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقالوا ما هذا اشارة الى القول الا افك كذب لعدم مطابقة ما فيه من حكم ما هو الواقع الثابت

عندهم من الباطل الذي هو الكذب وقرئ الا افك مفتري يختلقه لم يفعل
قبل مثله ويفتري به على الله او موصوف بالافتراء وهو الكذب عن عمد وليس بمعجزة من
عند الله ولقد كذبوا وسجلوا على انفسهم بالافتراء والعناد والمكابرة لعلمهم
قطعا ويقينا بالقراة العظيم هو ام الايات واصلها واساسها واعظمها في باب الاعجاز
ولذلك قال كبيرهم عتبة بن ربيعة والله ما هو شعر ولا كهانة ولا سحر وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم اي وقال اولئك الكفرة المتوغلون في الكفر المتمردون بجراتهم
على الله وبمكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل العلم به ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته
لا شبهة فيه ومعنى التوقع في قوله لما جاءهم انهم بادهوه بالتكذيب والجحود اي
كذبوا به وجحدوه على البديهة ساعة اتاهم واول ما سمعوه قبل التدبر من غير اجالة
فكر ولا اعادة نظر تقليدا لابائهم الجهلة الضلال وكذبوه بعد التدبر تمردا
وعنادا ومكابرة ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا وجاءوا بكلمة ليشعر انهم
علموا بعد علو شانه واعجازه كما كرر عليهم التحدي واستيقنوا عجزهم عن اخرهم
فكذبوه وجحدوه بغيا وحسدا ووضع المظهر موضع المضمر اظهارا للغضب عليهم و
دلالة على ان هذا لا يجترئ عليه الا المتمادون في الكفر المنهمكون في الباطل والبغي
الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وقيل للحق لامر النبوة او الاسلام وفيه
نظر لانه عدول عن الظاهر ولذلك لم يقل به القدماء وايضا اللام للعهد اشارة
الى القراة السابق ذكره ولم يطابق ذكر قوله ان هذا الا سحر مبين بل يأباه ويمنعه كما
لا يخفى وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما في لما من المصادمة بالكفر والمبادهة الى البت تمهيد القول دليل على صدور
الكلام وانكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ وقرأ الخليل ساحر مبين
بالالف وما اتيناهم من كتب يدرسونها اي وما اتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على
صحة الاشراك فدخلت من الاستغراقية على المفعول تاكيدا للنفي والدرس قراة الكتاب
باعمال النظر فيه طلبا لدرك معناه وقرأ ابو البرهسم تدرسونها وقرأ ابو حيوة تدرسونها
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال
ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم اميون اهل جاهلية

لامة

لا ملة لهم ولم ينزل الله عليهم كتابا ولا بعث اليهم رسولا فليس لتكذيبهم وجحود
هم وجه متشبث ولا سبب تعلق كاهل الكتاب بكتاب من الله وتعلقوا بشريعة من شرايعه
وكتنوا الى رسول من رسله وان زاغوا فازاغ الله قلوبهم ثم توعدهم على تكذيبهم
وهددهم بقوله وكذب الذين من قبلهم وكذب الذين تقدموهم من القرون الخالية
والامم الماضية كما كذب قريش واهل مكة وما بلغوا معشار ما اتيناهم المعشار بمعنى
العشر كالمرباع بمعنى الربع اي وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من طول الاعمار وقوة
الاجسام وكثرة الاموال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا
رسلي فكيف كان نكير اي فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال فليحذر
هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب والاول مطلق
والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير
الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب وتدرسونها بتشديد الدال يفتعلون
من الدرس قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بواحدة بخصلة واحدة
وقد فسرها بقوله ان تقوموا لله لانه عطف بيان لها وهو القيام من مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجمعهم عنده او الانتصاب في الامر والنهوض فيه خالصا لله معرضا
عن كل كدر من المراء والتقليد والرياء مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا
واحدا لان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع الروية ويخلط القول
ويقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج العصبية ولا يسمع الا نصرة المذهب ثم
تتفكروا في امر محمد وما جاء به لتطلعوا على حقيقته فان الاثنين يتفكران ويعرض كل منهما
محصول فكره على الاخر وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى
ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه
وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه
وما استقر عنده من عادة العقلاء ومجاري احوالهم وقيل محله الجر على البدل او البيان
او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة تجوزون ان يكون المعنى ثم تتفكروا
فتعلموا ما بصاحبكم من جنون يحمله على ذلك وتجوزون ان يكون هذا كلاما مستانفا تنبيها
من الله على ان علمهم بانه ارجح قريش عقلا وانذرهم ظاهرا وباطنا وارزنهم قولا

واجمعهم فضلا لا يجد عليه ويدعي به كان في ترجيح صدقه فان ذكر لا يدعيه ان يتصدى لادعاء
امر خطير عظيم وخطب جليل من غير تحقيق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقي
نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية اي ثم تتفكروا اي شيء به من
اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل
ما سألتكم من اجر ما شرطية تقديره اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم جزاء الشرط
والمراد نفي سؤال الاجر راسا كانه نفى عنه التهمة بالكلية كانه جعل الشيء مستلزما لاحد الامرين
اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره واياما كان يلزم
احدهما ثم نفى كلا منهما على ابلغ وجه او موصولة اراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ
السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد اي ما ثوابي الا على الله
وهو على كل شيء حفيظ مهيمن يعلم صدقي وخلوص نيتي وانما لا اسأل الاجر على نصحكم ودعائكم
اليه لا امنه ولا اطمع منكم في شيء وابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب وخلف اجري
بسكون الياء على الاصل والباقون بفتحها وما للتحقيق والمعنى اجري مقصور على الانتفاع
بعلم الله لا يتجاوزه الى الانتفاع بعلمكم فهو من قصر الموصوف على الصفة دون العكس كما سبق
الى بعض الاوهام قل ان ربي يقذف بالحق القذف الرمي بدفع السهم ونحوه بدفع واعتماد و
يستعاران من حقيقتهما لمطلق الالقاء ومنه وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت
ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه او يرمي به
الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب خبر بعد خبر لان او
خبر مبتدا محذوف او بدل من المستكن في يقذف او صفة محمولة على محل ان واسمها وقرئ
بالنصب صفة لربي او على المدح وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بكسر الغين حيث وقع وبضمها و
بفتحها كالصبور على انه مبالغة غائب وقرأ الاخرون بالضم قل جاء الحق اراد بالقران او الاسلام
وقيل ارادهما جميعا وقيل السيف وما يبدئ الباطل وما يعيد يعني وهلك الباطل
كقوله جاء الحق وزهق الباطل ان الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي لانه
اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك قال
افقر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل الاصنام وعن ابن مسعود دخل

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود بيده ويقول جاء الحق و
زهق الاية قال قتادة والكلبي وهو ابليس والمعنى ما ينشئ خلقا ولا يعيده او لا ينشئ
والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا
والاخرة وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها والمعنى اي شيء ينشئ ابليس ويعيده
وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط
اذا هلك قل ان ضللت فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بـ
بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي
الي ربي لان الاهتداء بالله في كل ما ينفعها بهدايته وتوفيقه وهذا الحكم يعم كل مكلف وانما
امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد
طريقته كان غيره اولى به وقيل ان كفار مكة قالوا له انك ضللت حين تركت دين ابائك
فامره الله بان يقول هذا انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى
عليه شيء منهما وقرأ ابو حيوة ضللت بكسر اللام اضل بفتح الضاد وعن ابن وثاب اضل
بكسر الالف على لغة تميم ولو ترى اذ فزعوا الخطاب لرسول الله او لكل من يتاتى منه الرؤية
ودخول لو على المضارع لتنزيله منزلة الماضي لانه كلام من لا خلاف في اخباره والمستقبل
عنده بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا
وحالا هائلة ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة او وقت الموت او يوم
بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة
ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن
واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها
اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم وهو
عطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على فلا فوت بمعنى اذ فزعوا
فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محل لا فوت اي فلا فوت
هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به بمحمد وقد سبق ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة وذكر
حين عاينوا العذاب وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا
والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب وهذا تمثيل

لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم شبّه حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عن محلهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من علو تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وحفص وابو جعفر و يعقوب التناوش بالواو والباقون بهمزة الواو المضمومة كما همزت واو ادْوُر و وُقّتت وطوها وحق ابو عمرو بالهمزة التناول من بعد من قولهم ناشت اذا ابطأت وتاخرت وقيل اي كيف لهم تناول ما بعد وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوا وعن ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اي من الآخرة الى الدنيا وقيل فان تناول الايمان في حين التكليف وقد بعد عنهم وقد كفروا به بالقرآن او محمد او بالعذاب او بالبعث وقيام الساعة من قبل ان عاينوا العذاب واهوال القيمة في دار التكليف ويقذفون بالغيب عطف على كفروا به على حكاية الحال الماضية اي وكانوا يتكلمون بالغيب اي بما غاب علمه عنهم وهو قولهم في رسول الله شاعر ساحر كذاب وفي القرآن سحر وشعر وافك وفي الآخرة لا بعث ولا جنة ولا نار وهو تكلم بالامر الذي لم يظهر لهم بالمشاهدة ولا بالعقل ولا بالوحي بل الظن و التخمين وقد تكلموا بهذا الغيب من مكان بعيد من جهة بعيدة من علمه وقيل من جانب بعيد عن امره وهو الشبهة التي يحملوها في امر الرسول او حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويُقذفون مبنيا للمفعول على معنى ان شياطينهم يلقون اليهم ذلك وقيل ويقذفون عطف على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا وقيل من نعيم الدنيا وزهرتها وقرأ ابن عامر والكسائي ورويس باشمام القاف الضم كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم او من كان مذهبه مذهبهم انهم كانوا في شك مما وجب به الايمان والتيقن مريب موقع في الريبة والتهمة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك وصف به الشك كما تقول شعر شاعر للمبالغة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة

رفيقا

رفيقا و مصافحا **سورة الملائكة مكية خمس واربعون آية** بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اي كل المحامد مختصة بالله لا يتجاوز منه الى من سواه في الدنيا والآخرة و الارض والسموات اذ لا خالق لها ولا منعم بنعمة فيها سواه كما اشار اليه بقوله فاطر السموات والارض مبدعهما ومبتديهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة جاعل الملائكة اضافة محضة مثل فاطر او غير محضة على حكاية الحال رسلا مفعول ثان او حال مقدرة ان كان جاعل بمعنى خالق اي وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام و الرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون آثار صنعه وقرئ جاعل بالرفع على المدح رسْلا بسكون السين اولي اجنحة بدل من رسلا او نعت له اي اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في التمكنة المخاض والخلفة مثنى و ثلاث ورباع صفات لاجنحة ومنعت الصرف للعدل والصفة لانها معدولة لا تكون الا صفة او لتكرير العدل فيها فانها معدولة باعتبار صيغتها وتكريرها والاول مذهب جمهور النحاة والثاني ما ذهب اليه ابن السراج وقد تبعه الزمخشري حيث لم يعتبر حدّ ليس لفظيا الوصفية فيها لعدم اعتبارها في المعدول عنه بدليل انصراف مررت بنسوة اربع ورجال ثلثة وهو ما يؤول الى ما قال ابن السراج من ان فيها عدلين لفظيا ومعنويا لان مثنى معدول من لفظ اثنين ومن معناه و هو الاثنين مرة واحدة الى معنى اثنين اثنين والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم اربع اربع وكانه لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها ويؤيده الروايات الآتية في قوله يزيد في الخلق ما يشاء يجوز ان يكون مرفوعا على هو يزيد ومنصوبا حالا من المجرور في لله والجار عاملا فيها او ان يكون جملة برأسها لا محل لها كقوله الحمد لله ونظيره في احتمال هذه الوجوه كلها يحيي في قوله ملك السموات والارض يحيي ويميت والوجه الاول احسن لافادة الحصر والاختصاص وانه هو وحده يزيد خير ولا دلالة عليه في دونه

في الآخرين واللام في الخلق للجنس وهو بمعنى المخلوق والمعنى يزيد في الخلق كله بدنا او
جزءا منه كالراس والوجه والنعوت واللسان والجناح الى غير ذلك مما يقتضيه مشيئته وتوجبه
حكمته الربانية قال انس بن مالك قال رسول الله صلعم ان لله تعالى ملكا له الف راس في كل راس
الف وجه وفي كل وجه الف فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله بكل لسان الف لغة تعالى يا رب هل
خلقت خلقا هو اعبد مني قال نعم رجل من ابناء آدم قال يا رب فاذن لي ان ازوره
فاذن له فاتى رجلا يسقي حديقة فسلم عليه فقال يا عبد الله هل عندك مبيت
ليلة قال نعم وليالي فاتى منزله فاحضر الطعام فقال كل فقال والذي خلقك
بشر اما اشتهيه فاكله ثم وضع راسه فنام فبقي ثلثة ايام فلما مضى ثلثة ايام قال يا رجل
هل من عمل خير ما اري قال لا الا جلسة اجلسها قال فما تقول فيها قال اقول
الحمد لله اضعاف محامد خلقه وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلال ربنا وسبحان الله
اضعاف ما يسبح له المسبحون وكما ينبغي لكرم وجه ربنا والله اكبر مثلها فقال الملك في كل يوم
مالك في كل يوم عشر مرات قال الملك بها فضلت علي في ذلك كثيرا قال علي وابن عباس للروح
سبعين الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بجميعها وهو الذي قوبل
بالملائكة كلهم فقيل يوم يقوم الروح والملائكة صفا ونحن نقول ان الله تعالى صانع
العالم والعالم بما فيه من العجائب الغائبة للحصر صنع الله وتاليفه وابداعه والنفس جزء
من العالم وكل جزء من اجزاء العالم مملوء بالعجائب فيرى الباحث فيه عجائب صنعه
وبدايع خلقه فلا يزال مستفيدا بالبحث زيادة اعتقاد وتاكد ايمان فان العجب
عن صنع الله يزداد في قلب الباحث عظمة الله وجلاله ويزداد بسببه يقينه وايمانه
نفسه له تعظيما واجلالا وتوقيرا واعتقادا وكذلك حث الله تعالى على التفكر في الآفاق
والانفس وملكوت السموات والارض او للعهد اشارة الى الملائكة روي كان صنف
من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلتفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في امر
الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن ابن مسعود انه قال في تفسير
قوله تعالى لقد راى من آيات ربه الكبرى راى جبرئيل في صورته ليلة المعراج وله ستماية
جناح وروي انه سال جبرئيل ان يتراى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب
ان تفعل فخرج رسول الله في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل في صورته فغشي على رسول الله

خلقت

ثم

ثم افاق جبرئيل مسند واحدى يديه على صدره والاخرى بين يديه فقال سبحان
الله ما كنت ارى شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل فلو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا
جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل لعظمة
الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلعم يزيد في الخلق
ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط وقال قتادة الملاحة في
العينين وقيل العقل والتمييز وكل هذه الاقوال مندرج تحت الوجه الاول الذي ذكرته
اندراج الاخص تحت الاعم وقيل الجملة استيناف للدلالة على ان تفاوت الملائكة في
ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال
والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل
وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير بليغ القدرة على كل شيء ممكن وتفاوت
الخلق من الممكنات وتخصيص بعضها بالتخصيص دون بعض انما هو من جهة مشيئته وارادته
ما يفتح الله للناس ما شرطية في محل النصب بيفتح والفتح في الحقيقة الظفر بالشيء ومنه انا
فتحنا لك فتحا مبينا واستعير ههنا للاطلاق والارسال لانه مسبب عن الظفر كما ان
العرفات مسبب عن البلاد في قوله ونبلو اخباركم والدليل على هذا التجوز قوله فلا
مرسل له مكان فلا فاتح له والمعنى اي شيء يطلق الله لهم من رحمته من بيان لما اي من نعمة
وامن وصحة وعلم ونبوة وغير ذلك ونكرها للاشاعة والابهام اي من اي رحمة
كانت سماوية او ارضية فلا ممسك لها فلا احد يقدر على امساكها وحبسها لان
هذه الرحمة مبذولة عليهم بحكم الجواد والكرم الالهي غير مصنون بها على احد وكمن
لا يعرف حاقد ما انفتح على انبياء الله واوليائه من مزايا رحمته وبدائع لطفه وكرمه
اذ لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي كما لا يعرف الطفل حال المميز وما انفتح من العلوم
الفطرية ولا المميز حال العاقل وما انفتح له من العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر
واكثر الخلق اطفال وصبيان اذ كانوا ابناء السنين لانه من ههنا يتبين تفاوت الخلق
في الفضل والترقي ودرجات الترقي خارجة عن الانحصار لانها نهاية لعلومات الله التي هي
محل الرحمة وبها يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة

ومن رحمة الله ايضاً على الناس ان خلق الانسان بنفسه عالماً كبيراً في المعنى صغيراً في الجثة جمع في شخصه
مع صغر جثته عجايب توازي عجايب كل العالم حتى كانه نسخة مختصرة من هيئة العالم ليتوصل
بالتفكر فيها الى اشرف انواع العلم واجلها وهو العلم بالله وصفاته وافعاله اذ فيه كمال
الانسان وبه كمال سعادته وصلاحه وقربه من حضرة الكمال والجلال وهو المقصود من فطرتهم
اعني ان المقصود من فطرة الناس ادراكهم القرب من الحضرة الالهية وما يمسك واي
شيء يمسك ويحبسه فلا مرسل له فلا احد يقدر على ارساله واطلاقه واختلاف الضميرين
بالتانيث والتذكير مع رجوعهما في الحالين الى ما المتضمن معنى الشرط حملاً على المعنى في الاول
وعلى اللفظ في الثاني فانث على معنى الرحمة وذكر على لفظ ما ولا تانيث فيه ولان الاول
فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير ثم تغيير الثاني
اما مثل تغيير الاول فترك للدلالة المذكور عليه او مطلق في كل ما يمسك من رحمته و
غضبه وفي تفسير الاول وتقييده بالرحمة دون الثاني ايذان بان رحمته سبقت
غضبه ويجوز ان يكون ما موصولة فيهما والمعنى لا مانع لما يعطيه الله الناس ولا معطي
لما يمنعه عنهم وعن مغيرة بن شعبة كان النبي عم يقول في دبر الصلوة لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد في معنى الحظ والاقبال على الدنيا اي لا ينفع المحظوظ
حظه بدلك اي بدل طاعتك وقوى فلا مرسل له حملاً على الاول من بعده اي
من بعد امساكه ومنعه كقوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد هدايته على تقدير
المضاف وهو العزيز الغالب القادر على ما يشاء من الارسال والامساك وغيرهما فلا
احد ينازعه فيه الحكيم الباهر العلم الذي لا يفعل كل ما يفعل الا على مقتضى الحكمة والصواب
فلا يرسل ولا يمسك الا بمقتضى حكمته واتقان لما ذكر انه الصانع للعالم والمتصرف فيه على
الاطلاق والمنعم [بالنعم] كلها ارضية وسماوية جليلة ودقيقة امر الناس بشكرها فقال
يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم وهي النعمة التي ذكرها بقوله ما يفتح او نعمة التوحيد
والاسلام ونبوة محمد عم وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها ولا يقوم احد منهم
بحقها الا بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله وطاعة رسوله بترك مخالفته
فيما امر به ونهى عنه وهو ايضاً من اجل نعم الله واشرفها واللام في الناس للجنس اشارة

الى

الى جميع الناس لان جميعهم مغمورون في نعمة الله او للعهد اشارة الى اهل مكة اذكروا نعمة
الله عليكم حيث بعث اليكم محمداً رسولاً نبياً وانزل عليكم كتاباً عزيزاً لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه واسكنكم حرماً آمناً يجبى اليه ثمرات كل شيء ويتخطف الناس من
حولكم وعن ابن عباس في رواية نعمة الله العافية ثم انه نفى وانكر ان يكون لغيره في انعامه
عليهم بها مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
بالمطر والنبات وهل ههنا بسيطة فان المطلوب بها نفي وجود خالق غير الله
وانكاره وهل البسيطة هي التي يطلب بها وجود الشيء او لا وجوده والشق الاخير
هو المراد ههنا بدليل ما يقرره بعده من الكلمة الطيبة الدالة على نفي الوجود عن
الهة سوى الله والالهية والخالقية شيئان متلازمان لا ينفك احدهما من الاخر
وجوداً وعدماً وليست بمركبة كما سبق الى الوهم وذكر ان الها غير الله ليس
بموجود فاذا لم يوجد الخالق ان يطلب وجود الخالقية له او لا وجودها له اذ لا صفة
للمعدوم وقرا حمزة والكسائي وخلف وابو جعفر غير الله بالجر صفة لخالق على اللفظ
والباقون بالرفع صفة له على المحل لان محله الرفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره
لكم او للاشياء ومن زايدة لتاكيد النفي وعمومه او بدل لانه فان الاستفهام بمعنى
النفي او لانه فاعل خالق وقرئ بالنصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او
استيناف مفسر له او كلام مبتداء وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعاً
من اطلاقه على غير الله لا اله الا هو كلام مبتداء مثل يرزقكم في الوجه الاخير لكنه
مفصول اذ لو كان موصولاً لما هو لزم التناقض بالنفي بعد الاثبات تتمة الجملة السابقة
فليتامل فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ومن
عبادته الى عبادة الاوثان وان يكذبوك فلا تحزن واصبر وهو جزاء الشرط
واما قوله فقد كذبت رسل من قبلك فهو سبب لمضمون الجواب المحذوف اقيم
مقامه وليس بجزاء الشرط لتقدم تكذيب الرسل على تكذيبه وقد نعى على قريش
سوء تلقيهم لايات وتكذيبهم اياه بان له في الانبياء قبله اسوة وتنكير الرسل
للتكثير والتعظيم اي رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو ايات عظام واهل
اعمار طوال واصحاب صبر وعزم والى الله ترجع الامور فيجازي كل صابر وكل

اي عواقب الامور بالبعث والجزاء

مكذب على الصبر والتكذيب وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر ويعقوب ترجع الامور بفتح التاء اي تصير والباقون بضمها اي ترد وهو على الوجهين وعد ووعيد يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه لكونه نقصا منافيا للالوهية وكمال الغنى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فليذهلكم التمتع والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يخدعنكم بالله الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقيل ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور فعول صيغة مبالغة كالشكور والصبور وسمي به الشيطان لانه نهاية لغرور وخداعه قال النبي صلى الله عليه وسلم اربع لا تدرك غاياتهن الشيطان والنفس وخداع ابليس الحديث وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره كاللزوم او جمع غار كراقد ورقود وقاعد وقعود وبهذا ظهر خطاء ما قال شارح الكشاف قطب الدين في قوله تعالى وهم رقود من انه ليس بجمع راقد لان جمع فاعل على فعول لم يثبت ومنشأ هذا الخطاء الظاهر الغفلة او قلة التصفح لكتب ائمة العربية وحدائقهم الادبية وها هو جار الله العلامة في تفسيره كم يفيد هذا ويكرره ان الشيطان لكم عدو اي عداوة قديمة بينة اذ اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس التقوى فاتخذوه عدوا في عقايدكم وافعالكم وكونوا على مجاهدته ومناصبته في سركم وجهركم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع خطواته واماني الكاذبة ثم بين حال حزبه الذين يتولونه ويتبعونه وحال الذين يعادونه ويخالفونه فقال الذين كفروا بما اوجب الايمان به واصروا عليه وهو صفة لحزبه او بدل منه او صفة لاصحاب السعير او نصب على الذم اي اذم او اعني او مبتدأ خبره ما بعده لهم عذاب شديد نوع من العذاب متفاقم وارتفع عذاب بانه مبتدأ قدم عليه خبره او فاعل للظرف والجملة في محل الرفع على الخبرية والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة تجاوز لسيئاتهم ومحو لها واجر كبير وثواب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره فكسوتي الغطاء وقرن الحال بالوعيد والوعد وقطع الامانة الفارغة وبنى الامر كله على الايمان والعمل الصالح وتركهما وقوله افمن زين له سوء عمله

بان غلب ابتاع الهوى على عقله حتى سلب تمييزه فرآه اي القبيح حسنا والباطل حقا ثم زين له سوء عمله وقيل افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا من الفريقين الذين تقدم ذكرهما الذين كفروا والذين امنوا كمن لم يزين له سوء عمله ثم كان رسول الله لما قيل له ذلك قال لا فقيل ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله فرآه حسنا عطف على زين له وليس جزاء الشرط اما لفظا فلوجود الفاء في الماضي بدون قد واما معنى فلانه لا وجه في الاستفهام الانكاري لان رؤية سوء العمل حسنة على تقديرين محقق ثابت فوجب تقدير جزاء او خبر من شرطية او موصولة فيقدر ذهبت نفسك عليهم حسرة بقرينة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات او كمن هداه الله بقرينة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والمحذوف على هذا خبر وعلى الاول يحتمل الجزاء وقرأ طلحة امن زين له بغير الفاء وعبيد بن عمير افمن زين له سوء عمله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليهم متعلق بتذهب كقولك هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او بحسرات وجاز ذكره في الظرف وشبهه بدليل قوله تعالى لا تاخذكم بهما رافة وقوله فلما بلغ معه السعي او بيان للمتحسر عليه وحسرات مفعول له جمع ليضاعف اغتمامه على احوالهم وكثرة مساوي افعالهم اي فلا تهلك نفسك للحسرات على غيهم واصرارهم على الكفر والتكذيب او حال كان كلها صارت حسرات لفرط الحزن والتحسر والفاء للسببية فان ما سبق سبب للنهي عن التحسر وقيل جواب للشرط والمعنى زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات اي لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا وقرأ ابو جعفر فلا تذهب نفسك بضم التاء وكسر الهاء ونصب النفس ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقال ابن عباس نزلت الآية في ابي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير في اصحاب الاهواء والبدع وقال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم واما اهل الكبائر فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر والله الذي ارسل الرياح في اكثر القرآن ما اريد بها الجنوب والشمال والصبا فانها رياح الرحمة لا الدبور لكونه مقدما للعذاب وحمزة وابن كثير والكسائي الريح على ارادة الجنس فتثير سحابا

فتهيجه وتنشره بين السماء والارض فانه من بد ثار الغبار اذا هاج وانتشر وانما قال
فتثير بلفظ المضارع بعد قوله ارسل الرياح حكاية للحال التي يقع فيها اثارة الرياح
السحاب واستحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من اثار السحاب
مسخرا بين السماء والارض يبدو في الاول كانها قطع قطن مندوف ثم تتضام
متقلبة بين اطوار حتى يعدن ركاما وذكر لان المضارع مما يدل على الحال الحاضر
الذي من شانه ان يشاهد فكانه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة ليشاهدها
السامعون قالوا ولا يفعل ذلك الا في امر يهتم بمشاهدته لغرابة او فظاعة او
جسارة او مثل ذلك كقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون اذ قال فيكون دون فكان وقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من
السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق اذ قال فتخطفه وتهوى
ليصور للسامعين حال المشرك بصورة حال من اهلكته نفسه اهلاكا ليس بعده
فسقناه الى بلد ميت مقتضى الظاهر فساقه اي ساق الله ذكر السحاب واجراه
الى ارض يحتاج الى الماء وقال فسقناه الى بلد التفاتا من الغيبة الى التكلم دلالة على
زيادة الاختصاص وان الكل منه والوسايط اسباب وقال الى بلد ميت
بالتنكير قصدا به الى بعض البلاد الميتة وهي بلاد الذين يتبعدوا عن مظان
الماء فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب
فانه سبب السبب او الصاير مطرا بعد موتها بعد يبسها والفاءات الثلث للسببية
فان ما قبل كل واحدة منها سبب لمدخولها غير ان الاولى دخلت على السبب بخلاف
الاخريين فانهما دخلتا على المسبب كذلك النشور الكاف في محل الرفع اي مثل
احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية روي انه قيل لرسول الله
كيف يحيي الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد اهلك محلا ثم مررت
به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال كذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه وقيل
يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق
من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا لا يملك غيره شيئا منها اي
فليطلبها من عنده لان الشيء لا يطلب الا من عند صاحبه فقد اقيم الدليل مقام

المدلول

---

اليه مجازا عن قبوله اياها وقيل صعود الكتبة بصحيفتها
واختلف في الكلم فقيل جمع كلمة وبه قال المطرزي وكثير من النحاة

المدلول ومعناه ان عز الدنيا والاخرة كلها مختصة بالله مقصورة عليه لا يتجاوز
منه الى غيره فهو من قصر المسند اليه على المسند دون العكس ثم اضرب ان ما يطلب
العز هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
الصعود الحركة الى العالي مكانا وجهة واستعير هنا من توجهها الى الله العالي
قدرا ومرتبة وقال قتادة اي يقبل الله الكلم الطيب والعمل الصالح فجعل صعود
ها وهو غلط لا شبهة فيه لان فعل ليس من ابنية الجمع باجماع المحققين وقيل جمع
جنسي كتمر ونخل ونحوهما من الجنس الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ
مفرد وتسميته جمعا ليس الا باعتبار المعنى الجنسي ومن ثم يجوز في وصفه التذكير والتانيث
اعتبارا لجانبي اللفظ والمعنى نحو نخل خاوية ونخل منقعر ولغلبة الكلم على الكثير لا يستعمل
في الواحد البتة ووصفه بالطيب مذكرا يدل على انه ليس جمعا من حيث اللفظ
مثل رتب ونسب وغيرهما مما يدل على كونه جمعا بصيغته وعن ابن عباس الكلم الطيب
لا اله الا الله وعن النبي عم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم تكن عمل صالح
لم تقبل وقيل كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار و
غير ذلك وضمير اليه عايد الى الله وهو الظاهر وقيل الى السماء والى محل جار
الله حيث قال يعني ان هذه الكلمة لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث
تكتب الاعمال المقبولة كما قال ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل
الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقد صرح به ان الضمير المستتر في
يرفعه للعمل الصالح وقيل للكلم فيكون الرافع الكلم والمرفوع العمل الصالح فان العمل
لا يقبل الا من موحد وقيل لله اي يرفع الله العمل الصالح وتخصيص العمل بهذا الشرف
لما فيه من الكلفة وقرئ يُصعَد الكلم على البناء للمفعول ويُصعِد على البناء للفاعل
من اصعد والمصعِد هو الله او الملك او الرجل المتكلم به يصعد الى الله الكلم الطيب
والكلم الطيب وقراءة الخليل يصتعد ويصاعد وقرئ والعمل الصالح بنصب العمل
والرافع الكلم او الله او الملك او الرجل من قولك رفعت العقبة الى السلطان والذين
يمكرون السيئات اي يعملون السيئات قال الكلبي وقال مقاتل يراد بالسيئات الشرك

وقيل نصب السيئات على انها صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله
اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اضاف المكر الى السيئات وعني بهن مكرات
قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وراوا الراي في احدى ثلث مكرات يمكروا بها برسول
الله صلعم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
الآية وهو ما قاله ابو العالية وقال مجاهد وشهر بن حوشب هم اصحاب الرياء
لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه لما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور اي ومكر اولئك
الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يفسد ولا ينفذون مكر الله بهم حين اخرجهم
من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون
ويمكر الله ولا يحيق المكر السيء الا باهله على ان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه
بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه او من تراب يغيرون ويدفنون فيه
عن ابن عباس قال النبي عم ان الله جعل الارض ذلولا تمشون في مناكبها وخلق بني آدم
من التراب ليذلهم بذلك فابوا الا نخوة واستكبارا ولن يدخل الجنة في قلبه مثقال حبة
من خردل من كبر من نطفة بخلق ذريته منها والنطفة هي الماء الصافي الخارج بين الصلب
والترائب قل او كثر ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله تعالى او يزوجهم
ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
من مزيدة لاستغراق النفي وتاكيده وبعلمه في موضع الحال والمعنى ما يحدث شيء من
حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم مكان الحمل ووضعه وايامه وساعاته و
احواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة وغير ذلك وما يعمر من معمر وما يطول
عمر من هو صائر الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص
من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص من عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة
مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق وفيه تاويل آخر وهو ان الطول والقصر في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة
كتبت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج فلان فعمره ستون سنة والا فاربعون وان
تصدق او وصل الرحم فعمره ثمانون والا فخمسون ويؤيد هذا التاويل الاخبار
والآثار قال عليه السلام وابن عمر رفعه قال النبي عم المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره الا ثلثة ايام

فبينه



فبينه الله الى ثلثين سنة وانه ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلثون سنة فيصيره الله الى
ثلثة ايام وعن جابر قال رسول الله صلعم ان الله لا يزيد في عمر الرجل بالبر والدين
وعنه عم الصلة وحسن الجوار عمارة للديار وزيادة في الاعمار رواه ابو سعيد و
وعن ابن عباس قال النبي عم البر والصلة يطيلان الاعمار ويعمران الديار ويثريان الاموال
وان كان القوم فجارا وان البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيمة وعن كعب الاحبار
انه قال حين طعن عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل واما قبل
ذلك فيجوز ان يزاد وينقص وقرا هذه الآية ويعضده قول كعب قوله عم البر والدين
يزيد في العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء ولله تعالى في خلقه قضاءان قضاء
نافذ وقضاء محدث وللانبياء على العلماء درجتان وللعلماء على الشهداء فضل
درجة رواه ابو هريرة وعنه عم لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد العمر الا البر ذكره
الترمذي في سننه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة كذا سنة ثم يكتب في اسفل
ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلثة ايام حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من
بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ذلك وعن يعقوب ولا ينقص على
تسمية الفاعل وعن قتادة ولا ينقص بجهول لا شرذا او قرا ابن جبير من عمره بالهاء
الا في كتاب هو اللوح او علم الله او صحيفة الانسان ان ذلك اشارة الى الزيادة و
النقص على الله يسير لا يمنعهما مانع ولا يحتاج فيه الى احد وقيل ان كتابة الآجال
والاعمار على الله هين وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمنين والكافر ثم قال
في صفة الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه والفرات البليغ
العذوبة الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج
الشديد الملوحة الذي يحرق بملوحته وهو نقيض الفرات وضده كما ان الكافر
نقيض للمؤمن وضد له وقال الضحاك هو المر وقرئ سيغ بتشديد الياء بوزن
سيد وسيغ بتخفيفها على فيعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
استطراد في صفتهما او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان

فيما هو المقصود بالذات من الماء لمخالطة احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته
لا يساوي المؤمن الكافر وان اشتركا في كثير من الامور الذاتية والعرضية لبقيه وجلدها
عن فطرتها الاصلية وتفضيل البحر الاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع
التي هي السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من المنافع فهو في طريقة قوله
ثم قست قلوبكم الآية ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية والحلية هي اللؤلؤ
والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم وليس تزيينهن بها الا لاجلهم
فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك السفن فيه اي في كل مواخر اي جواري تشق
الماء بجريها جمع ماخرة من مخر السفينة مخرا ومخورا اذا جرت تشق الماء مع صوت
والخطاب في ترى لرسول الله او لكل من يتأتى منه رؤيتها وعليه يدل جمع الخطاب
في السياق لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة وابتغاء الفضل التجارة وهو اعظم
اسباب سعة الرزق وزيادته قال النبي عم تسعة اعشار رزق امتي في البيع والشرا
ذكره صاحب الفردوس الكبير في باب التاء واللام متعلق بمواخر او بما دل عليه الافعال
المذكورة ولعلكم تشكرون وكي تعرفوا نعم الله فتقوموا بحقها سيما اذا جعل الله ذلك
سببا لوجود المنافع وحصول المعايش وقيل حرف الرجاء مستعار بمعنى الارادة الا
يرى كيف سلك به مسلك لام التعليل كما انه قيل لتبتغوا ولتشكروا يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل يوجد كل واحد من الليل والنهار عقيب الآخر ويزيد
في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ولم يقل اولج ولكن على لفظ المضارع
ليدل على ان الايلاج احد اللونين في الآخر عادته وسخر الشمس والقمر اي دام
على تسخيرها واستمر عليه او دام تسخيرها واستمر منه ومعنى تسخير الشمس والقمر تصييرهما
نافعين للناس حيث يعلمون بسيرهما عدد السنين والحساب كل اي كل واحد من
الشمس والقمر يجري لاجل مسمى تجري في فلكه وينقطع بوقت معلوم جري الشمس مختص بآخر
السنة وجري القمر بآخر الشهر ويجوز ان يراد باجل مسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع جريهما
الا حينئذ والمعنى في التحقيق تجري لادراك اجل على ان الجري مختص بادراك اجل وقد
ذكر ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكهما على وتيرة
وعظيم قدرته وانعامه على خلقه وعباده ذلكم الله ربكم له الملك اشارة الى المعلوم المتفرد

سكك

بتلك الافعال الخاصة التي لا يشارك فيها احد وفي لفظ ذلكم وتعريف الطرفين ايذان
بالتعظيم والتخصيص اي ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به هو الله ربكم له الملك اخبار
مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية والمالكية والملكية ويجوز
ان يكون له الملك كلاما مبتدأ واقعا في قران قوله والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بتلك الاوصاف والقطمير لفافة النواة وهي
القشرة الرقيقة الملتفة عليها وقرا طلحة وابن وثاب يدعون بالياء واليماني بالياء
في جميع القرآن ان تدعوهم اي ان تدعوا الاصنام لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا
على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الاجابة احد منكم ما دامت الدنيا
او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم من الالهية ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي باشراككم لهم
يقرون ببطلانه او يجحدون بعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون وانما
قيل هم بضمير العقلاء لان عبدتهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ولانه اسند
اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والسمع ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله
من الجن والانس والاصنام فغلب غير الاصنام عليها ولا ينبئك مثل خبير اي ولا يخبرك
بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى لانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين به
والمعنى ان الذي اخبرتكم به من حال الاصنام ونفي ما تدعون لهم من الحق لاني خبير بما
اخبرت به وقراه الخليل ولا ينبئك من الانباء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في ذواتكم
وانفسكم ودنياكم ودينكم واخرتكم واللام في الفقراء مبالغة لكمالهم في الفقراء اي انتم
الكاملون في الفقر الى الله لكمال ضعفكم قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهو الذي
خلقكم من ضعف وجعل الناس هم الفقراء على الحقيقة حتى كان من عداهم من الخلايق
المفتقرين اليه لم يعتد بفقرهم والله هو الغني الحميد اي والذات الواجب الوجود
الذي يكون وجوده من ذاته ولا يفتقر الى شيء اصلا هو الغني عن العالمين كلهم
المنعم عليهم حتى استحق عليه الحمد كله المتحقق في الغناء كله ان يشاء يذهبكم يفنيكم ويعدمكم
كما قدر على ايجادكم وانشائكم ويأت بخلق جديد ويخلق مكانكم خلقا آخر من جنسكم او
من غير جنسكم اعلاما منه بكمال قدرته على اعدام الموجود وايجاد المعدوم او غضبا
عليهم وتخويفا لاجادهم له انداد او كونهم باياته ومعاصيهم وما ذلك على الله بعزيز

بمتعذر ومتعسر بل هو هين عليه يسير لشمول قدرته على كل مقدور ولذلك يقدر على الشيء وضده فاذا قال للشيء كن فكان من غير ريث ولا امتناع وهذه الآية بيان لانهماك كفار مكة في الغي وعظيم خطائهم في الاشراك بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ولا يجترء على شيء مما يخالف رضاه ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس المحذوفة وكذا اخرى والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اكتسبه لا توخذ نفس بذنب نفس اخرى كما ياخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من وزر غيرهم الا يرى كيف كذبهم في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين وانما لم يقل ولا تزر نفس وزر اخرى بدل وازرة لان المعنى ان النفوس الوازرة لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها وان تدع مثقلة اى ولو دعت نفس اثقلتها الاوزار غيرها الى حملها الى حمل ما عليها من الذنوب لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه فنفى بهذا ان يحمل عنها ذنبها كما نفى بما قبله ان يحمل عنها ذنب غيرها وقوله لا يحمل بنفي التاء وكسر الميم ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها من اب او ولد او اخ فاضمر المدعو المفهوم من قوله وان تدع وانما ترك ذكره ليشمل كل مدعو وهو من العموم الكائن على طريق البدل وجعل ان يكون حالا او كان تامة وقرى ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام ملائمة الناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتيامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اورده وقال ابن عباس يلقى الاب والام ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب الجار والمجرور في موقع الحال من الفاعل او المفعول اى يخشون ربهم غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه غائبا عنهم والانذار الابلاغ مع التخويف وقال الجوهري الانذار تخويف

مع دعوة والخشية الخوف كما قال يخافون ربهم يخافون عذابه وقوله انما تنذر الذين من قصر الصفة على الموصوف افرادا كانه رد على من اعتقد شركة غيره في الانذار فقيل له انما تنذر انت وحدك من غير اشتراك احد او قلبا وهو اذا اعتقد عدم الانذار للذين يخشون ربهم لا انذار غيرهم كما قالوا في انما يقوم زيد مثلا ان المخاطب من اعتقد ان القائم عمرو لا زيد لعلمه قطعا بانه ممن يتوهم الانذار وذكر عبد القاهر في دلائل الاعجاز ان انما ولا العاطفة انما يستعملان في الكلام المفيد لقصر القلب دون الافراد واقاموا الصلوة لجمع بين الصفتين الخشية من الله واقام الصلوة من صفة المؤمنين المخلصين وهم المنتفعون بالانذار لا غير يعني انما ينتفع انذارك هؤلاء الذين جمعوا بين هذين الوصفين اللذين هما اصلا الاعمال الحسنة الظاهرة والباطنة اما الصلوة فانها عماد الدين واما الخشية فان من خشي ربه دل على كل خير قال من لن يخشى ربه وقيل يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتخذيرهم من فوتك وعلى تحصيل معرفة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى تطهر بفعل الطاعات من دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه لان نفعه انما يعود اليها وقرى ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير اى لا يصيرون الا اليه فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وقيل وجه اتصال انما تنذر بما قبله انه لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهواله ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذكر فلم ينفع فنزل انما تنذر واخبره الله بعلمه فيهم وما يستوي الاعمى والبصير مثل للمؤمن والكافر كما ضرب البحرين مثلا لهما وقيل هما مثلان للصنم ولله تعالى ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور والجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور والسموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار فعول كالشكور والصبور من ابنية المبالغة مشتق من الحر ولا التاكيد نفي الاستواء وتكريرها لزيادة التاكيد وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل للعلماء والجهال ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته والاجابة لربه في دعواته

اى لا يسمعهم الا الله وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات
ومبالغة في اقناطه عنهم وقراءة الحسن والخليل بمسمع من بالاضافة ان انت الا نذير فما
عليك الا ان تبلغ وتنذر واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم
الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك الى الناس جميعا بالحق حال من المرسل بمعنى محقين
او محقا او صفة لمصدر محذوف اى ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لقوله بشيرا ونذيرا
بمعنى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة الا خلا فيها وما من اهل
عصر الا مضى فيهم نذير من نبي ينذر عنه والاكتفاء بذكر النذير عن البشير في اخر الاية
بعد ذكرهما للعلم بان النذارة قرينة البشارة فدل بذكرها على ذكرها سيما و
قد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة ولان ذكره هو الملايم
لقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم حال بتقدير قد جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على صحة رسالتهم وصدق نبوتهم ودعوتهم
وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون
الجمع ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها
في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعض وهي الزبر والكتاب ويجوز ان يراد بهما واحد
والعطف لتغاير الوصفين وفيه مسلاة لرسول الله صلعم ثم اخذت الذين كفروا وثبتوا
على الكفر بها وداموا عليها فكيف كان نكير انكاري بالعقوبة وتغييري يحذر كفار
هذه الامة عذاب الامم المكذبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها او هيأتها من
الصفرة والحمرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد جمع جدة كمدة ومدد اى ذو
جدد اى خطط وطرايق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة
الحمار للخط السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان
بين لوني ظهره وبطنه وقراءة الزهري جدد بالضم جمع جديد بمعنى الجدة يقال
جديدة وجدد وجدايد كسفينة وسفن وسفاين وبها فسر قول ابي ذويب
جون السراة له جدايد اربع وروي عنه جدد بفتح الجيم والدال وهو الطريق
الواضح النير وضعه موضع الطرايق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض

بيض

بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض
او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة
اللون وعن عكرمة هي الجبال السود الطوال والغربيب تاكيد للاسود يقال اسود
غربيب اى شديد السواد واذا قلت غرابيب سود تجعل السود بدلا من غرابيب
لان توكيد لا يتقدم او تضمر المؤكد قبله وتجعل الذى بعده تفسيرا له لان حق التاكيد
ان يتبع المؤكد نحو اصفر فاقع وابيض يقق مثلا ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن
العايذات الطير وفي مثله زيادة تاكيد لما فيه من التكرير من طرفي الاضمار والاظهار
جميعا وقيل اى طرايق سود وهذا بالنظر الى عطفه على بيض ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه كذلك اى كاختلاف الثمرات والجبال والكاف في موضع النصب
اى اختلافا مثل ذلك وقرئ والدواب مخففا فرارا عن التقاء الساكنين كما قرا [illegible]
عنه في قراءته ولا جان وان كان على حده وذكر الضمير لاجل من وقيل الضمير عايد
الى الموصول المضمر والمعنى ومن الناس والدواب والانعام ما هو مختلف الوانه
وقراءة زيد بن علي الوانها كالاول في تقديم الكلام في قوله كذلك ولذلك حسن الوقف عليه
ثم ابتداء فقال انما يخشى الله من عباده العلماء تقديم الخشية للاختصاص اى لا يخشى الله
الا العلماء دون غيرهم لانهم اعلم العباد به وبصفاته وافعاله ومن كان اعلم به كان اخشى
منه ومن ثمة قال صلعم انا اعلمكم بالله واشدكم خشية وعن مسروق كفى بخشية الله علما و
كفى بالاغترار به جهلا وعنه كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى به جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل
للشعبي افتني ايها العالم فقال انما العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق
وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه ولو اخر لانقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله
كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهو خلاف معنى الاول وقوله انما يخشى الله من قصر الصفة
على الموصوف افرادا فقلبا كقولك انما يعرف زيدا عمرو لمن اعتقد العارفين بزيد عمروا
او بكرا واعتقد العارف به بكرا لا عمرو فقطعت شركتهما في المعرفة التي اعتقدها المخاطب
في الاول وقلبت حكمه في الثاني وفي كون الاية من قبيل الثاني ضرب من الاشكال ولو قرر
وسلم لضعف مذهب جعل القادر فيما وقراءة عمر بن عبد العزيز برفع اسم الله و
نصب العلماء على ان الخشية استعارة للتعظيم اى انما يعظمهم الله كما يعظم المهيب المخشي

من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ويحكى هذه القراءة عن ابي حنيفة وروي عن
ابن الدينار المغربي انما اختار الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية
لدلالته على عقوبة المفرط طغيانه واثابة التايب عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه ان يخشى
ان الذين يتلون كتاب الله يداومون تلاوته وهم اية القران الذين شانهم وهجيراهم
التلاوة اناء الليل واطراف النهار وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه و
يعملون به وعن السدي هم الصحابة رضه وعن عطاء هم المؤمنون والمراد بكتاب الله القران
العظيم وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي في السر والعلانية او انفاق سر
وانفاق علانية او ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين وفيه اشارة للمنفق وبعث له
على ان يعم اوقاته واحواله بالصدقة في سبيل الله ويحرص على الانفاق مطلقا وقيل السر
في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة يأملون طلب ثواب وعد الله بالطاعة
وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم
علة لمدلول لن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور
اعمالهم او لمدلول ما عد من امثالهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة
والانفاق لله ليوفيهم اجورهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله من جوده و
تفضله اي ويزيدهم على اجورهم تفضلا ومثله معنى قوله للحسنى وزيادة عليها من التفضل
الذي لا يعلم عظمته الا الله عالم الغيب والشهادة وقال ابن عباس يعني سوى الثواب مما لم
ترعين ولم تسمع اذن انه غفور ستار لكل ما صدر عنهم مما من شانه ان يستر عاملوه من قبائحهم
وعن ديوان الحفظ شكور بليغ الاثابة لهم على طاعاتهم والجملة علة للموفية والزيادة او خبر
ان ويرجون حال من فاعل الانفاق بمعنى وانفقوا راجين ليوفيهم والذي اوحينا
اليك من الكتاب يعني القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق هو الثابت
الذي لا يسوغ انكار شيء منه بوجه من الوجوه من حق الامر اذا ثبت ووجب مصدقا
لما بين يديه لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء عليهم السلام لانه يشهد ان
لها بالصحة والثبات لافتقاره الى شهادتها على صحة ما فيها بل الحجة عليه الى شهادته و
ذكر لانه معجزة وتلك ليست بمعجزة وانتصب مصدقا على انه حال موكدة لان حقيقته

تستلزم موافقته اياه في العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير بليغ العلم بما يطلع
كل شيء وظاهره فلو علم فيك ما ينافي الرسالة والنبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على ساير الكتب وتقديم العلة لمراعاة حسن النظم البديع الذي هو على حرف الراء
وقيل تقديم الخبر للدلالة على ان العمدة في ذكر الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب
اي انا اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او ثم نورثه فعبر عنه
بالماضي لتحققه وقيل ثم ورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي
اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا هم علماء
امته من الصحابة ومن بعدهم الى يوم القيمة او الامة باسرهم لان الله اصطفاهم على ساير
الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى
افضل رسله وحمل الكتاب الذي هو افضل كتبه ثم قسمهم الى ثلثة اقسام فمنهم ظالم
لنفسه بالتقصير في ظاهره خير من باطنه والمقتصد من استوى ظاهره وباطنه و
السابق من باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم اصحاب الكباير والمقتصد اصحاب الصغاير
والسابق من لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة فهذا القائل انما حمل الامر على اشده وقيل
الظالم التالي للقران والمقتصد القاري له العامل به والسابق من قراه وعلمه و
عمل بما فيه وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم
والمقتصد من خلط الصالح بالسيء والسابق من ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته
مكفرة وقيل عقبة بن صهبان سالت عايشة رضها عن قوله ثم اورثنا الكتاب فقالت يا بني
كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله شهد له رسول الله بالجنة
واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها
معنا وتنصر قولها ما روى ابو الدرداء انه سمع رسول الله قرا هذه الاية فقال
اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب والمقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم
فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخله الجنة ثم قرا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الاية وما رواه عمر عن رسول الله صلعم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
وعن ابن عباس انه قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر
نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وعن

جمع الصادق بداء بالظالمين اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يونس في الاصطفاء
ثم ثنى بالمقتصدين بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكره وكلهم في الجنة
لما روى ابو سعيد ان النبي عم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقال ابو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب
على مقامات الناس لان احوال العبد ثلث معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى دخل
في حيز الظالمين واذا تاب دخل في جملة المقتصدين واذا صحت التوبة وكثرت العبادة
والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل الظالم المنافق وقال الكلبي هو الكافر على ان الضمير
للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة
والاقتصاد والسبق عارضان وقراء الحلبي وابو عمرو وسباق باذن الله بامره وارادته
ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق بالخيرات والاعمال
الصالحة جنات عدن يدخلونها مبتداء وخبر والجملة خبر مبتداء محذوف او خبر ثان
لذلك او مبتداء خبره يدخلونها او بدل من الفضل الكبير والضمير للثلثة او للذين
او للمقتصد والسابق اذ المراد بها الجنس وقرئ جنة عدن بالافراد قيل كانها جنة مختصة
بالسابقين وهو بعيد وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون
جنات عدن يدخلونها وقراء ابو عمرو يُدخلونها على البناء للمفعول يحلّون فيها خبر
ثان او حال مقدرة من حليت المراة اذا لبست الحلي وقراء ابن عباس يحلون من
حلى يحلي بالحنى من قولك احلى البس الحلى والعين واحد من اساور من ذهب
من الاولى المستورون بعيرهم ونكرها للتعظيم وابهام امرها في الحسن وهو جمع اسورة
واسوار في جمع سوار ولؤلؤ عطف على ذهب كانهم يستورون بالجنسين اساور
من ذهب ومن لؤلؤ ان ذلك على الله يسير وكم من امر من امور في الجنة يخالف امور
الدنيا وهذا منها وقيل اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء
اللؤلؤ وقراء نافع وعاصم وابو جعفر ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور او
اضمار الناصب نحو ويؤتون ولباسهم فيها حرير اورد بالاسمية لا بالفعلية كالمتقدم
عليه للدلالة على الاستمرار والثبوت او لمراعات الفاصلة وارتفع حرير على انه
فاعل الظرف او مبتداء قدم عليه خبره والجملة خبر لباسهم وقالوا الحمد لله الذي اذهب

عنا

عنا الحزن اي كل حزن من احزان الدين والدنيا قال رسول الله صلم ليس على اهل
لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا
الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن والحزن واحد كالبخل والبخل والدليل عليه قوله تعالى وحزنا في سورة
القصص وقال ابن عباس حزن النار وحزن الموت وحزن الاعراض والافات و
قال عكرمة حزن السيات ورد الطاعات قال الكلبي حزن امر يوم القيمة وعنه
حزن ابليس ووسوسته وقال مقاتل همّ انهم لا يدرون ما يفعل الله بهم وقيل هم
المعاش وقيل هم العاقبة وقيل هم زوال النعم وتقليب القلب وخوف العاقبة وقيل
حزن احوال القيمة وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمؤمنين فيبالغ في ستر ذنوبهم الغائبة
الحمد شكور لطاعات المطيعين ومقاما ومقامة وهو مفعول احلنا لا ظرف لانها محدودة
من فضله من تفضله وانعامه اذ لا واجب عليه شيء وبهذا يتبين ضعف ما قيل من ان
معنى من فضله من عطائه وافضاله من قولهم فلان فضول على قومه وفواضل وليس
من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع
لا يمسنا فيها نصب تعب ومشقة ولا يمسنا فيها لغوب كلال وفتور اذ لا تكليف فيها
ولا كد وانما اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه ويحدث منه مبالغة وقرئ لغوب بفتح اللام
وهو اسم ما يلغب به اي لا يتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة كانه
قيل لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة
القعر لان الكفر اكبر الكباير واقبحها فيجازون على حسب جناياتهم وبه ما نابسه او يحتمل
انهم يعذبون بنار جهنم دركاتها لان جهنم اسم لذات العذاب المعد لاهل الكفر
والجحود قال تع فاتقوا النار التي اعدت للكافرين لا يقضى عليهم اي لا يهلكون
فيستريحون كقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه اي فقتله او لا يحكم بموت ثان فيموتوا
فيستريحوا وهو جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا
له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولا يخفف عنهم من عذابها نايب مناب الفاعل ومن عذابها في موقع النصب او بالعكس
وان كانت زايدة يتعين له الرفع وقراء الخليل لا يقضي ولا يخفف معلومين كذلك مثل

كمثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو ويجزى على بناء المفعول و
اسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون من الصراخ وهو الصياح
بجهد ومشقة قال كرخة جبلة كاستعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا منها
ومن عذابها نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل هو حال بتقدير القول اي يقولون
ربنا اخرجنا نعمل صالحا وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من
غير العمل الصالح مع الاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه
العمل الصالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب على اضمار
القول اي فنقول لهم جوابا وتوبيخا لهم وتعنيفا به اولم نعمركم والواو ليست بواو عاطفة
بل واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام ظاهرا وعلى حرف النفي حقيقة معناه تقول
لهم قد عمرناكم ما يتذكر فيه وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من تذكر شانه
واصلاح حاله وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاولة اعظم فما موصوفة اي عمرا
يتذكر فيه تعمير او مصدر يراد به الزمان كقولك اتيتك غروب الشمس اي زمن
ما يتذكر وعن ابن عمر رض قال النبي عم ان الله عز وجل ملكا ينادي كل يوم وليلة
ابناء الاربعين زرع قد دنا حصاده يا ابناء الستين هلموا الى الحساب ما قدمتم
وما عملتم ابناء السبعين هلموا الخلايق ليت الخلايق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا
علموا لماذا خلقوا تجالسوا بينهم فتذاكروا الا اتتكم الساعة خذوا حذركم وعن
النبي عم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وبه قال علي وابن
عباس رض وعن مجاهد ثمانون سنة وقيل ما بين العشرين الى الستين وقال
الحسن اربعون سنة وقال قتادة وعطا والكلبي ثماني عشرة سنة وقيل سبع عشرة
وقيل البلوغ وقرئ يذكر فيه من اذكر بادغام التاء في الذال وجاءكم النذير
ادخلت همزة الانكار على حرف النفي في اولم نعمركم فافيد معنى اثبات التعمير وتقدير
عطف عليه قوله وجاءكم النذير اعتبارا للمعنى والنذير رسول الله عم وكتابه
الجمهور وقيل العقل وقال عكرمة وابن عيينة ووكيع هو الشيب وقيل الشيب نذير
الموت وما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت وقيل
العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا عذاب جهنم فما للظالمين في الكافرين

من نصير من احد يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى
بالله علم كل شيء غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه فكيف يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات
الصدور تعليل له فانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف
في الارض اي جعلكم خلفاء في الارض وملككم عليها واقدركم على التصرف فيها بايسر ونصبه وجعلكم
خلايف ممن كان قبلكم من القرون الناجية بسبب ايمانهم والمهلكة بسبب كفرهم جمع خليفة
والخلفاء جمع خليف كلاهما بمعنى المستخلف فمن كفر فعليه كفره فلا يرجع وبال كفره وجزاؤه
الا عليه وهو مقت الله وخسار الاخرة ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا
يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له بالكفره والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل
واحد من الامرين مستقل باقتضاء حكمه قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت
اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وبالخسار خسار
الاخرة كانه قيل فمن كفر ممن كان قبلكم او منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار
الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي جعلتموهم شركاءكم فيما
تملكونه او شركاء الله بزعمكم يعني الاصنام واضافهم اليهم على زعمهم وبيانه في قوله
اين شركاي الذين زعمتم وقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون اروني ماذا
خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل اشتمال لانه بمعنى ارايتم اخبروني كانه
قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء
من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة
في خلق السموات ام اتيناهم كتابا ينطق بان اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة
وبرهان من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية نافع وابن عامر والكسائي وابو
بكر ويعقوب على بينات بالجمع دلالة على ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد
الدلايل بل ان يعد الظالمون بعضهم هم الرؤساء او الاسلاف بعضا من الاتباع
او الاخلاف الا غرورا هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يشفعون بالتقرب
اليهم وعن مقاتل ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الالهة لهم في الاخرة الا
غرورا باطلا لا اصل له ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
اي كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا

كذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ الكفر أو الكفران وقرأ أبو عمرو ويجزى على بناء المفعول و
إسناده إلى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون من الصراخ وهو الصياح
بجهد وشدة قال كم خرخ جبلة استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا أخرجنا منها
ومن عذابها نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل هو حال بتقدير القول أي يقولون
ربنا أخرجنا نعمل صالحا وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من
غير العمل الصالح مع الاعتراف به والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبونه
العمل الصالح والآن تحقق لهم خلافه أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر محمول على إضمار
القول أي نقول لهم جوابا وتوبيخا لهم وتعنيفا به أولم نعمركم والواو ليست بواو عاطفة
بل واو حال دخلت عليها همزة الاستفهام ظاهرا وعلى حرف النفي حقيقة معناه نقول
لهم قد عمرناكم ما يتذكر فيه وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من تذكر شأنه
وإصلاح حاله وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاولة أعظم فما موصوفة أي عمرا
يتذكر فيه تعميرا أو مصدر يراد به الزمان كقولك آتيك غروب الشمس أي زمن
ما يتذكر وعن ابن عمر رضه قال النبي عم إن الله عز وجل ملكا ينادي كل يوم وليلة
أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده وأبناء الستين هلموا إلى الحساب ما قدمتم
وما عملتم أبناء السبعين هلموا إلى الخلائق ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم إذا خلقوا
علموا لماذا خلقوا فجالسوا بينهم فتذكروا ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم وعن
النبي عم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وبه قال علي وابن
عباس رض وعن مجاهد ثمانون سنة وقيل ما بين العشرين إلى الستين وقال
الحسن أربعون سنة وقال قتادة وعطا والكلبي ثماني عشرة سنة وقيل سبع عشرة
وقيل البلوغ وقرئ يذكر فيه من اذكر بإدغام التاء في الذال وجاءكم النذير
أدخلت همزة الإنكار على حرف النفي في أولم نعمركم فأفاد معنى إثبات التعمير وتقرير
عطف عليه قوله وجاءكم النذير اعتبارا للمعنى والنذير رسول الله عم وعليه
الجمهور وقيل القرآن وقال عكرمة وابن عيينة ووكيع هو الشيب ويقال الشيب نذير
الموت وما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها استعدي فقد قرب الموت وقيل
العقل أو الشيب أو موت الأقارب فذوقوا عذاب جهنم فالظالمين في الكافرين
من

من نصير من أحد ينصرهم بدفع العذاب عنهم إن الله عالم غيب السموات والأرض لا يخفى
بالله علم كل شيء غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه فكيف يخفى عليه أحوالهم إنه عليم بذات
الصدور علة له فإنه إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيره هو الذي جعلكم خلائف
في الأرض أي جعلكم خلفاء في الأرض وملككم عليها وأقدركم على التصرف فيها بأمره ونهيه وجعلكم
خلائف من كان قبلكم من القرون الناجية بسبب إيمانهم والهالكة بسبب كفرهم جمع خليفة
والخلفاء جمع خليف كلاهما بمعنى المستخلف فمن كفر فعليه كفره فلا يرجع وبال كفره وجزاؤه
إلا عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا
يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا بيان لوبال كفره والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل
واحد من الأمرين مستقل باقتضائه حكمه وقبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت
أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وبالخسار خسار
الآخرة كأنه قيل فمن كفر ممن كان قبلكم أو منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار
الآخرة قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أي جعلتموهم شركاءكم فيما
تملكونه أو شركاء بزعمكم يعني الأصنام وأضافهم إليهم على زعمهم وبيانه في قوله
أين شركاي الذين زعمتم وقوله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أروني ماذا
خلقوا من الأرض بدل من أرأيتم بدل اشتمال لأن معنى أرأيتم أخبروني كأنه
قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء
من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم شرك في السموات أم لهم شركة
في خلق السموات أم آتيناهم كتابا ينطق بأنا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة
وبرهان من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية نافع وابن عامر والكسائي وأبو
بكر ويعقوب على بينات بالجمع دلالة على أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد
الدلائل بل إن يعد الظالمون بعضهم هم الرؤساء أو الأسلاف بعضا من الأتباع
أو الأخلاف إلا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يشفعون بالتقرب
إليهم وعن مقاتل ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة إلا
غرورا باطلا لا أصل له إن الله يمسك السموات والأرض يمسكهما أو يحفظهما أن لا تزولا
أي كراهة أن تزولا فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ أو يمنعهما من أن تزولا

لان الامساك منع فيكون الاول مفعول له والثاني مفعول به ولئن زالتا ان امسكهما ما
امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال ومن الاولى مزيدة لتاكيد
نفي الامساك عن كل احد سوى الله والثانية للبيان او الابتداء والجملة سادة مسد
الجوابين اجزى جوابي القسم والشرط وقرئ لو زالتا انه كان حليما غفورا والحليم بجانبي
يفعل بعباده من يحلم عن المسيء ولا يعاجلهم بالعقاب حين تكاثر ذنوبهم مفرط الكثرة
اى بين الحلم والعفو عن عباده حيث لم يعاجل بعقوبتهم وامسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدّا هدّا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار الامتناع عن الايمان ومستعار من جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها واصله اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل ووضع المصدر
موضعه مضافا الى المفعول كقوله تع فضرب الرقاب وحكمه حكم الحال كانه قيل جاهدين
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم
او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما
جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اى النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا
تباعدا من الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له على معنى ما زادهم
الا ان نفروا استكبارا وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين والاستكبار التكبر كالتعظم
والتعظم لفظا ومعنا ومكر السيء عطف على استكبارا او على نفورا قالوا واصله ان
مكروا المكر السيء وقرأ حمزة ومكر السيء بسكون الهمزة ووجهه انه استثقل اجتماع
الحركات فخفف باسكان الهمزة وقيل انه سكن بنية الوقف وضعف هذا الوجه بانه
لو نوى الوقف لخفف الهمزة على اصله بان يبدلها ياء ساكنة او يسهلها بين الهمزة والياء
ان وقف بالروم وقرأ ابن عبلة واليمان ومكرا سيئا بالتنوين فيهما اعتبارا بحرف
ابن مسعود رض ولا يحيق المكر السيء ولا يحيط او ولا ينزل الا باهله وهو الماكر وقد
حاق بهم يوم بدر والمعنى الا حيقا ملصقا باهله وهو استثناء مفرغ فجاز ان يقدر له
مستثنى منه عام مناسب له في جنسه فيكون التقدير لا يحيق المكر السيء حيقا الا حيقا باهله
وعن النبي عم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله
ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا فان الله تع يقول انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال

لابن

لابن عباس قراءة في التوراة من حفر مغواة وقع فيها فقال انا وجدت ذلك في كتاب الله وقرأ
الاية وفي امثالهم من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقال الكلبي المكر السيء هو اجتماعهم على
الشرك وقتل النبي عم وقال ابن عباس لا تحل عاقبة الشرك الا بمن اشرك يعني ان وبال
مكرهم راجع اليهم وقرئ ولا يحيق المكر السيء اى ولا يحيق الله وقرأ ابن مسعود ومكرا
سيئا فهل ينظرون ينتظرون الا سنت الاولين لسنة الله فيهم في الامم قبلهم بانزال العذاب
على مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير
التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهادا عليهم بما كانوا يشاهدون في مسايرهم
ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وعلامات هلاكهم و
دمارهم وكانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واهل سبا وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه
ويفوته وكان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وكذا من والكبر والمحال من كل الوجوه
ان يعجز الله شيء مما في السموات ولا في الارض لا تاكيد اخر لما النافية ففي هذا الكلام ثلث
تاكيدات انه كان عليما بليغ العلم بكل شيء في العالم مما وجد ويوجد قديرا بليغ القدرة
على كل ممكن ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من
دابة من نسمة تدب عليها بشوم معاصيهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب في جحره بذنب
ابن ادم ثم تلا هذه الاية وعن انس ان الضب ليموت هزالا في جحره بذنب ابن ادم و
قيل يحبس المطر فيهلك كل شيء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم
فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم فهو وعيد على الجزاء عن رسول الله
من يستحق العقاب منهم
من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت سورة
يس مكية ثلث وثمانون آية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا على موتاكم
سورة يس ونزل مع كل آية ثمانون ملكا وعنه عم اقرءوا يس فان فيه عشر بركات
ما قرأها جائع الا شبع وما قرأها عار الا اكتسى وما قرأها اعزب الا تزوج وما قرأها
خائف الا امن وما قرأها مسجون الا فرج وما قرأها مسافر الا اعين على سفره وما
قرأها رجل ضلت له ضالة الا وجدها وما قرئت عند ميت الا خفف عنه وما قرأها
عطشان الا روي وما قرأها مريض الا برئ دواه جاروه وعنه عم سورة يس تدعى

المنعمة ثم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عن كل سوء وتقضي له كل حاجة

بسم الله الرحمن الرحيم يسٓ اسم السورة او القرآن او الله او رسول او تعديد
للحروف على وجه التحدي وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وخلف وروح يس بامالة الياء
وادغم نون يس في واو والقرآن ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش والدوري
وخلف ويعقوب كما ادغمت من قال وعن قال وما اشبه ذلك والباقون بالاظهار
وقرئ يس بفتح النون على البناء كاين وكيف او الاعراب على اتل يس او باضمار
حرف القسم كقولهم الله لافعلن وبكسرها على الاصل كجير وبضمها بناء كحيث او اعرابا
على هذه يا سين وعن ابن عباس معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر
على شطره لكثرة النداء به كما قالوا في القسم مُ الله في ايمن الله وعنه ايضا انه قال هو قسم
وعن ابي العالية معناه يا رجل وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر والقرآن الحكيم وصف
القرآن بالحكيم لانه كلام حكيم او محكم اياته لا يتغير عما هو عليه من جهة اللفظ والمعنى ولا ينسخ غيره
منها او كانه ناطق بالحكم ونطقه بها والواو واو القسم ان جعلت يس للحروف او اسما
للسورة او القرآن مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كان يس مقسما به
وقوله انك لمن المرسلين جواب القسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب بين
المقسم به والمقسم عليه الذي احدها المقسم المنزل والاخر المقسم عليه المنزل اليه على صراط
مستقيم خبر بعد خبر لان او صلة للمرسلين اي الذين ارسلهم الله على صراط مستقيم وهو
ملة التوحيد والاستقامة في الامور او حال من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصفه وصف
ما جاء به من الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما فجمع بين الوصفين في نظام
واحد كانه قال انك لمن الرسل الثابتين على طريق ثابت استقامته وفيه تنكيره ليدل على
انه ارسل من بين الصراط على صراط مستقيم لا يوازيه ولا يكتنه وصفه في الاستقامة تنزيل العزيز
الرحيم قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف تنزيل بالنصب على اضمار اعني
او فعل تقديره نزل تنزيلا لانه اضيف فصار معرفة وقيل على المصدر من معنى المرسلين لان الارسال
بمعنى التنزيل والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرئ
بالجر على انه صفة بعد صفة للقرآن او بدل منه لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين
ما انذر اباؤهم ما نافية صفة لقوله قوما اي قوما غير منذر اباؤهم يعني اباؤهم الاقربين

تتناول

لتطاول مدة الفترة فتكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله ويجوز ان تكون مصدرية
بمعنى انذار ابائهم وان يكون موصولة او موصوفة منصوبة على المفعول الثاني
لتنذر اي الذي او شيئا انذر به اباؤهم من العذاب لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا
فهم غافلون هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون يعني ان عدم انذارهم
هو سبب غفلتهم وعلى الوجوه الاخيرة بقوله انك لمن المرسلين اي ارسلناك اليهم لتنذرهم
فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
يعني وجب عليهم هذا القول وثبت فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون ويموتون
على الكفر انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم
بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال واصلة الى اذقانهم
فلا تخليهم يطاطئون رؤسهم فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في
انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له ومن
احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم بانهم محبوسون
في مطمورة الجهل ممنوعون عن النظر في الايات والدلائل ومن جعل الضمير للايدي وزعم
ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك سمي جامعة كان ذكر الاعناق دالا على الايدي
فقد تعسف ولو قرئ في ايديهم او في ايمانهم وهما قراءة ابن عباس وابن مسعود
لامتنع ايضا ان يكون الضمير للايدي او للايمان وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا بمعنى خلق او صير فيهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف
سدا بفتح السين وهو لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس بالفتح وما كان
من خلق الله بالضم هو قراءة الباقين فاغشيناهم فغطيناهم ومن مجاهد
فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ فاعشيناهم بالعين المهملة من العشى فهم لا
يبصرون لا يرونه بابصارهم روي انها نزلت في بني مخزوم حلف ابو جهل ان رأى
رسول الله يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدفعه فلما رفع يده انثنت الى
عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا
اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم جملة
مركبة من المبتدا والخبر والمعنى الانذار وعدمه سواء عليهم لان قوله ءانذرتهم ام

تنذرهم وان كان جملة فعلية استفهامية لكنه في المعنى مصدر مضاف الى الفاعل فيصح الا
خبار عنه فقد هجر فيه جانب اللفظ الى المعنى ومنه تسمع بالمعيدي خير من ان تراه والهمزة
الاستفهام وام لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فان معنى الاستفهام منسلخ عنهما راسا بتجريد
هما عنه لمجرد الاستواء كما جرد حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة فكما ان هذا جرى على صورة النداء وليس بنداء كذلك
انذرتهم ام لم تنذرهم على صورة الاستفهام وليس باستفهام ويجوز ان يكون الهمزة بمعنى
ان الشرطية لاستعمالهما فيما لم يتيقن حصوله وام بمعنى او لاشتراكهما في افادة احد الامرين
والمعنى ان انذرت هؤلاء الكفرة اولم تنذرهم فهما سواء عليهم لا يؤمنون استيناف يقرر
ما يفيده قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم من ترك اجابتهم الانذار المفضي الى
الايمان لان المقصود بالتسوية ترك الاجابة فقوله لا يؤمنون كالتاكيد لما قبله او حال مؤكدة
لان من استوى عنده انذار رسول الله وعدمه فهو مستمر على كفره غير منفك عن عدم
الايمان انما تنذر انما ينفع انذارك اونما تنذر انذارا يحصل به البغية المرومة وهي
الايمان من اتبع الذكر اي الوعظ او القران بالتدبر فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب
وخاف عقابه قبل حلوله ومشاهدة اهواله او في سريرته ولا تغتر بكمال رحمته فانه
كما بالغ في الرحمة بالغ في القهر والسخط فكما يرجو رحمته وانعامه يخاف سخطه
وعذابه ولا يامنه وكيف يؤمن بعدما قال ان عذاب ربك غير مامون فبشره
بمغفرة بعفو وتجاوز لما فرط منه واجر كريم وثواب حسن مرضي لا ينقطع ولا يتناهى وهو
الجنة وما فيها مما اعده الله لعباده الجامعين بين اتباع ذكره وخشيته انا نحن نحيي الموتى
جمع ميت وهو من اخرج روحه وقد يطلق على الجاهل مجازا وكلاهما محتمل ههنا والاحياء
على الاول لا يكون الا بمعناه الحقيقي وهو جعل الشيء حيا ذا حس وحركة اي نجعل الاموات احياء
وعلى الثاني يستعار للهداية التي هي الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب من الحق
احياؤهم ان نخرجهم من الشرك الى الايمان وقد اطلق النبي صلعم لفظ الموتى على كل غني مترف
وسلطان جاير وذلك في قوله عم اربع يميت القلب الذنب على الذنب وكثرة مناقشة
النساء وحديثهن وملاحاة الاحمق تقول له ويقول لك ومجالسة الموتى قيل
يا رسول الله وما مجالسة الموتى قال كل غني مترف وسلطان جاير رواه ابو هريرة

وكرر

وكرر الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيدا على تاكيد بعد اختصاص الله بالاحياء كانه
قيل لا يحيي الموتى الا انا غيري ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
والطالحة واثارهم الحسنة كعلم علموه وكتاب صنفوه وحبس وقفوه وبناء بنوه من
مسجد ورباط وقنطرة ونحو ذلك والسيئة كوظيفة وظفها بعض الظلمة على المسلمين وسكة
احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك
كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر
اي بما قدم من اعماله واخر من اثاره ونكتب اثارهم اي خطاهم الى المسجد وعن ابي
سعيد الخدري شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله ونكتب ما
قدموا واثارهم وعن انس ارادت بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره
رسول الله ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة الا تحتسبون اثاركم فاقاموا وعنه عم
اعظم الناس اجرا في الصلوة ابعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلوة حتى
يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام رواه ابو موسى الاشعري و
كل شيء احصيناه كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الفعل المظهر ولو لا ذلك لكان
الاولى رفعه اي ضبطناه كل شيء وبيناه في امام مبين في لوح ابين واظهر فيه
كل ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ وكتب ما قدموا واثارهم على
البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي
من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال
واحد اصحاب القرية اي مثل اصحاب القرية على تقدير المضاف كقوله واسال القرية
وهذا المقدر بدل من الملفوظ او بيان له والمعنى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب
القرية وهي انطاكية التي من مداين النار بشهادة النبي عم قال حنبة بن عبد الله
قال رسول الله صلعم اربع مداين من مداين الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس
وصنعاء اليمن واربع مداين من مداين النار انطاكية وعمورية وقسطنطينية
وظفار اليمن وقد اثبته الفردوس الكبير وقيل اضرب يتعدى الى مفعولين لتضمنه
معنى الجعل اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا اذ جاءها المرسلون اذ منصوب
بانه بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عم الى اهلها اذ ارسلنا اليهم اثنين

قال وهب هما يحيى ويونس وقيل بولس ويحيى وقيل بولس وبولس وقيل شمعون ويحيى وقال كعب صادق وصدوق فهذه خمسة اقوال واضاف الله الارسال الى نفسه ههنا لان عيسى انما ارسلهم بامره تعالى فكذبوهما فعززنا فقواه ابو بكر بالتخفيف اى فغلبنا وقهرنا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه والباقون فعززنا بالتشديد اى فقوينا من عزز المطر الارض اذا لبدها وشددها بثالث هو شمعون في الاقوال الثلثة الاول و بولس او حبيب في القول الرابع وشلوم في القول الخامس وهو قول كعب فعليك بمراعاة هذه الاقوال الخمسة وحفظها واياك وتخليطها والالتفات الى غيرها فانه نزل قدمك بعد ثبوتها فقالوا انا اليكم مرسلون ذكر ان اهل انطاكية كانوا عبدة اوثان فارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من انتما فاخبراه بانهما من رسل عيسى يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية فقالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فبرأ وقام في الوقت باذن الله فامن حبيب النجار وفشا الخبر في المدينة وشفي في ايديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل غضب الملك وحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا بعث عيسى شمعون

اى رأس فامع

الصفا رأس الحواريين فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به الملك واكرمه فقال له ذات يوم سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعي بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له موضع البصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي فيتضرع

حتى

70

حسبوا انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به وبكما فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلثة قال الملك ومن الثلثة قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه اخبره بالحال ونصحه فامن الملك وكفر قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا وعن كعب ووهب وابن اسحق بل كفر واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ حبيبا وهو على باب المدينة الاقصى فجاء رجل يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة

وحكى الغزنوي ان الملك امن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل ... ماتت ... [illegible]

المرسلين قالوا ما انتم الا بشر مثلنا هو من قبيل قصر القلب وبيانه ان المرسلين لم يكونوا جاهلين بكونهم بشرا ولا منكرين لذلك لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لان الكفار القائلين لهذا القول يعتقدون التنافي بين الرسالة والبشرية فنزلوهم منزلة المنكرين لها فقلبوا هذا الحكم وعكسوه وقالوا ما انتم مثلنا اى انتم مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التي تدعونه فلا فضل لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعونه ولا فضل بيننا وبينكم فلم تختصون بالرسالة دوننا ولو ارسل الرحمن الى البشر رجالا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة على زعمهم وانما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا انتقض النفي بما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل وما انزل الرحمن من شيء

فلا يبقى

وحى اليكم ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون قالوا اولا انا اليكم مرسلون مؤكدا بان واسمية الجملة حين كذبوا وثانيا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون مؤكدا بالقسم وان واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في تكذيبهم وانكارهم ولا يخفى ما في هذا الكلام من الرد على صاحب الكشاف حيث قال انما قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وهو بعيد عن السداد وقد تبعه القاضي البيضاوي فيه والعجب منه فانه لو امعن النظر لاباه لا سيما اذا توغل في كلام السكاكي وصاحب الايضاح وما علينا الا البلاغ المبين قالوا اى الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة لصحة رسالتنا وقال لصحته اشارة الى الجواب وهو الحق للاستشهاد فانه الحق الابتة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم استغربوا ما ادعوه واستنكروه

وتنفرت عنه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وقبلته
طباعهم ويتشاءموا بما نفرت عنه وكرهوه فان اصابتهم نعمة قالوا ببركة هذا وان اصابهم
نقمة وبلاء قالوا بشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل ان المطر حبس
عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم لئن لم
تنتهوا عن دعواكم ومقالتكم لنرجمنكم لنطردنكم او لنرمينكم بالحجارة او لنقتلنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم ولينالنكم منا نوع شديد الالم من العذاب قالوا اي قال
المرسلون لاهل انطاكية طائركم معكم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفركم او اسباب
شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرئ طيركم وهو بمعنى طائركم وقرئ اطيركم
اي تطيرتم ائن ذكرتم ووعظتم وجواب الشرط محذوف تقديره تطيرتم بنا او توعدتم
بالرجم والتعذيب وقرأ ابو عمرو وقالون وهشام آين بهمزة الاستفهام وحرف الشرط
والين بينهما والباقون اين بهمزة الاستفهام وحرف الشرط بمعنى اتطيرتم ان ذكرتم
وقرئ بغير الاستفهام وان الناصبة بمعنى انطيرتم لان ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم
حيث جرى ذكركم بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم
الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم
حيث تتوعدون وتتشاءمون بمن يجب ان يكرم ويتبرك به من رسل الله وجاء
من اقصا المدينة رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام و
هو ممن آمن بنبينا محمد وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن
نوفل ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقال السدي كان قصابا او قال
وهب كان رجلا يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى
باب من ابواب المدينة وكان مؤمنا متصدقا يجمع كسبه اذا امسى فيقسمه نصفين
فيطعم نصفه عياله ويتصدق بنصف وقال قتادة كان حبيب في غار يعبد الله
فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لما انتهى حبيب الى الرسل قال لهم اتسالون
على هذا اجرا قالوا لا فاقبل الى قومه ثم قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسالكم اجرا جعلا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين

ومن

ومن قال الايغال هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها يكون الآية عنده مثالا
لان قوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه لان الرسول مهتد لا محالة الا ان فيه
زيادة حث على اتباع الرسل وترغيب فيهم ولما قال ذلك قالوا اليه او انت مخالف
لديننا ومتابع لدين هؤلاء الرسل ومؤمن بالهكم ومالي لا اعبد الذي فطرني
قرأ حمزة وخلف ويعقوب ومالي باسكان الياء في الوصل والباقون بفتحها ردا
للخفة ولقد تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث
لم يرد لهم الا ما اراد لها والمراد تقريعهم بقوله فطرني على ارشاده وغيرهم حيث اثر عبادة
خالقه على عبادة الاوثان وهم عكسوا فقد ضلوا ثم اخلقوا اليه واليه ترجعون
غير اسلوب الكلام حيث لم يجر اللاحق على سنن السابق التفاتا من التكلم
الى الخطاب قصدا به الى ما ذكر من امحاض النصح والتلطف لهم ولذلك لم يقل
ارجع على ما يقتضيه الظاهر والتحقيق ان المراد بقوله ومالي لا اعبد المخاطبون
بمعنى وما لكم لا تعبدون الذي فطركم لكن عبر عنهم بقوله ومالي لا اعبد ليكون
امر العبادة في نفسه تعريضا لهم فانه من التصريح وانفع في النصح منه حيث
اسمعهم بذكر الحق على وجه لا يغيظهم وهو ترك نسبتهم الى الباطل واراهم
به انها نصيحة نصح بها نفسه اولا لينظروا فيقولوا ما نصحنا الا بما نصح به نفسه وما
اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكونوا اعون لهم وادعى الى قبول الحق وابعث
على استماعه منه لكونه ادخل في امحاض النصح ثم عاد الى المساق الاول فقال
ءاتخذ من دونه آلهة انكار لعبادة الاصنام وتقريرا لعدم استحقاقهم لها
وانتفاء قدرتهم راسا والمعنى أأوثر على عبادة الله عبادة الهة للعجز
أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال العباد من دفع ضرر وجلب
نفع ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا انتصب شيئا على انه
في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء او على المفعول به من قولهم اغن عني
وجهك اي لا تنفعني شفاعتهم راسا ولا ينقذون ولا تخرجوني منه
بوجه من الوجوه والضر اسم لكل سوء ومكروه يتضرر به وهو تعميم بعد تخصيص مبالغة
بيان في عجزهم وانتفاء قدرتهم اني اذا لفي ضلال مبين اي لو اتخذت الهة

بلغ

من دون الله الذي فطرني اني اذاً لفي ضلال ظاهر لا شبهة فيه لكل ذي عقل
وتمييز فان ايثار ما هو صور وتماثيل لا تنفع ولا تقرب بوجه ما على الخالق المقتدر
على كل شيء ضلال بيّن لا يخفى على احد ممن له ادنى تمييز وبصيرة وقرأ ورش
ينقذون باثبات الياء وصلاً ويعقوب وصلاً ووقفاً اني آمنت بربكم
الذي خلقكم وقرأ الكوفيون وابن عامر انى اذاً انى آمنت باسكان الياء فيهما
والباقون بفتحها فاسمعون فاسمعوا نصحي وايماني وقيل للرسل اي فاسمعوا
اي فاشهدوا اي كونوا شهودي بالايمان
ايماني تشهدوا لي به فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتل
وقيل لما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه وقال ابن مسعود
توطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدي كانوا يرمونه
بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن حرقوا
حرقاً في حلقه فعلقوه من سور المدينة وقبره في سوق انطاكية فلما قتل
غضب الله عليهم فاهلكهم بصيحة جبريل وعن رسول الله صلعم سباق الامم ثلثة لم يكفروا
بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يٰسين ومؤمن آل فرعون قيل ادخل
الجنة اي لما قتل قيل له ادخل الجنة بشارة له واكراما واذنا او لما هموا بقتله قيل
له ذلك فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو
فيها حي يرزق ولعله اراد قوله احياء عند ربهم يرزقون وانما لم يقل قيل له ادخل
الجنة لان الغرض بيان المقول دون المقول له للعلم به ويجوز ان يكون هذا الكلام
استئنافا مبنيا على قول سائل قال كيف حاله عند لقاء ربه وما قيل بعد تصلبه في نصر
دينه وتسخيه لروحه فقيل قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين انما تمنى علم قومه بان الله قد غفر له واكرمه بانتظامه
في سلك المكرمين في الحلم عن الجاهل والترحم على الاعداء الارشاد وليعلموا انهم كانوا
على خطأ عظيم في امره وباطله وان كانوا على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزاً ولم
تعقبه الا سعادة وفي ذلك زيادة غبطته وتضاعف لذته وسروره
وقرئ المكرّمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية والباء
صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به الايمان والمصابرة على اذيتهم لاعزاز الدين

حتى قتل وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه وما نافية اي وان لم ننزل
عليهم من بعده من جند من السماء لاهلاكهم كما انزلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم
بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول صلعم وما كنا منزلين اي و
ما صح في حكمنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جنداً من السماء لانا قدرنا لكل شيء
سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا
قد نبه بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين على ان انزال الجنود من عظائم الامور التي
لا يؤهل لها الا مثل رسول الله صلعم وما كان يفعله بغيره وقيل ما موصولة معطوفة
على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وطوفان ونار ثم
بين بما اهلكهم به فقال ان كانت اي ما كانت النازلة او الاخذة او العقوبة
الا صيحة واحدة صاح بها جبرئيل وانما وصف الصيحة بالوحدة بيانا لها لما مر من
ان نكرة تحتمل الجنسية والوحدة فاذا اريدت الدلالة على ان الغرض الذي
يساق الكلام هو الوحدة شفعت بما يبينها دلالة به على ما هو الاصل في الغرض ويجوز
ان يكون للتأكيد وقرأ ابو جعفر بالرفع صيحةٌ واحدةٌ على كانت التامة اي ما وقعت
الا صيحة والقياس والاستعمال تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه انث
نظرا الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن لا ترى
الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرأ عبد الله الا
زقية واحدة من زقاء الطائر يزقو ويزقى اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي
فاذا هم خامدون فاجئوا الخمود يعني خمدوا وماتوا كما تخمد النار وتموت وفي تشبيههم
بالنار اشارة الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرماد كما قال لبيد وما المرء
الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع قال المفسرون ان جبرئيل اخذ
بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم يا حسرة على العباد
قال ابو العالية لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة اي ندامة على العباد اي على الرسل
الثلثة حيث لم يؤمنوا بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم وقال عكرمة يا حسرتهم على انفسهم
والحسرة شدة الندامة وقال الازهري الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه للمخاطبين وقيل

نداء الحسرة كانما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وتجوز
ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويحتوها به و
يعضده قراءة من قرا يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل
باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول لا
ختصاصها بهم باعتبار انها موجهة اليهم وقرئ يا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى
الوقف وقراءة وابن عباس يا حسرة العباد بالاضافة وقوله ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن وقوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها سواء كانت
للاستفهام او الخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان
زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وقوله انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى
لا على اللفظ اي الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرا الحسن
بالكسر على الاستيناف وقراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل
اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان
عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وان كل لما
جميع لدينا محضرون قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وابو جعفر لما بالتشديد بمعنى الا وان
هذه القراءة نافية والباقون لما بالتخفيف على ان ما مزيد للتاكيد وان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون
مجموعون محضرون للجزاء يوم القيمة وقيل محضرون معذبون ومعنى كل وجميع ليس بواحد
لان معنى كل الاحاطة والشمول وان لا ينفلت منهم احد ومعنى الجميع الاجتماع و
ان المحشر يجمعهم وهو فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا ولدينا ظرف له
او لمحضرون لم اسند اليهم على بعثهم وحشرهم ونشرهم وانهم يحيون باحياء الله
اياهم وايجاد الحيوة فيهم يوم القيمة كما يحيي الارض الميتة اي كما حيوتهم فقال واية لهم
الارض الميتة ودلالة ودلالة واضحة لهم الارض اليابسة وقرا ابو جعفر الميتة بتشديد
الياء وهي لغة لكن التخفيف اشيع واحسن لسلكها خفة اللسان وقرا الخليل المائتة و
قوله احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او استيناف لبيان كون الارض الميتة اية و
كذلك نسلخ وتحويرناه يكونا صفتين للارض والليل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين

للارض

لا ارض ولا ليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد
امر على اللئيم يسبني ومن هذا الاسلوب قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا اذ ان يحمل صفة
للحمار وقوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة اذ
لا يستطيعون صفة لمستضعفين او للرجال والنساء والولدان لما ذكرنا من ان
الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فلم يرد به معين واخرجنا منها حبا جنس الحب وهو
ما يقتات به من الارز والحنطة والشعير ونحوها مما تحتاج النفس اليه فمنه ياكلون قدم
الظرف للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به ومنه صلاح الانس حتى اذا
قل قل الصلاح وكثر القحط والصياح واذا فقد فقد الفلاح باختلال الاشباح و
الارواح ولامر ما قال رسول الله صلعم اكرموا الخبز فان الله اكرمه فمن اكرم الخبز اكرمه الله
رواه الطبراني وصاحب الفردوس عن ام سلمة وقال عم اكرموا الخبز فان الله سخر
له بركات السموات والارض والحديد والبقر وابن آدم ولا تسندوا
القصعة بالخبز فانه ما اهانه قوم الا ابتلاهم الله بالجوع رواه ابو هريرة وابو موسى
وعبد الله بن حرام كذا في معجم الطبراني ثم الفردوس وقد قال عم اللهم متعنا بالاسلام و
بالخبز فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا حججنا ولا غزونا وارزقنا الخبز والحنطة وجعلنا
فيها جنات من نخيل واعناب وخلقنا في الارض بساتين من انواع النخل والعنب
ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف دون الدال
على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص
شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها قرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح
والتفتيح لفظا ومعنى من العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره اي ثمر ما ذكر
من الجنات كما قالوا رءيته فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع
البهق يريد كان ذلك وتجوز ان الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه
لاختصاصه به لانه لم يوجد الا بخلقه وايجاده والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من
الثمر وقراءة حمزة والكسائي وخلف ثمره بضم الثاء والميم وهو لغة فيه او جمع ثمار
والباقون بفتحها وقرئ بضمة وسكون وقيل من ثمره اي من الثمر الحاصل بالماء
وما عملته ايديهم عطف على الثمر اي ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والاباد

وغير ذلك من الاعمال والمراد به ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما فيكون ما
موصولة ويجوز ان تكون نافية على ان الثمر يخلق الله وقد نعله ايدي الناس و
لا يقدرون عليه ويعضد الاول قراءة من قرأ وما عملت ايديهم بغير هاء وهم
حمزة والكسائي وابو بكر وخلف وان حذفه من الصلة احسن من غيرها وقيل
اراد العيون والانهار التي لم يعملها يد مخلوق مثل دجلة والفرات والنيل
ونحوها افلا يشكرون همزة الاستفهام للانكار دخلت على حرف العطف والمعطوف
عليه محذوف كانه قيل اينكرون تلك النعم فلا يشكرونها ومقدمة شكرها الاقرار
بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك وانه متقدس عن كل سوء وعن صفات الاجسام
كلها ازلا وابدا وقيل امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي اي
اسبح تسبيحا وانزه تنزيها الذي خلق الازواج كلها اوجد الانواع والاصناف
واخرجها من العدم الى الوجود مما تنبت الارض مما تخرجه الارض من الثمار والحبوب
والنبات وقرأ الخليل مما تنبت بتشديد الباء ومن انفسهم من الذكور و
مما لا يعلمون وازواجا مما لا يطلعهم الله ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته ولا يبعد
ان يخلق الله الخلائق من الحيوان والجماد ما لا يجعل للبشر طريقا الى العلم به كما قال
ويخلق ما لا تعلمون ويجوز ان يكون المعنى مما لا يدركون كنهه مما خلق من الاشياء منه
الثواب والعقاب كما قال النعيم اربع لا يدرك غايتها شرور النفس وخلائق
ابليس وثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار ومنه الروح فانه ما بلغنا ان
الله اطلع احدا على حقيقة الروح ومن ابن عباس لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعهم عليه فاعلمنا بوجوده
واعداده ولم يعلمنا به ما هو لحكمه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين و
في الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه وجهلوه ما دل على عظم قدرته وكمال علمه واتساع
ملكه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار هو من قبيل استعارة محسوس لمحسوس بوجه
عقلي وتعبيره على ما ذهب اليه القوم ان السلخ كشط الجلد وازالته عن نحو الشاة ثم
استعير لكشف الضوء وازالته عن مكان الليل وموضع القاء ظله فالمستعار منه
المسمى بالمشبه به معنى السلخ وهو كشط الجلد عن شاة مثلا والمستعار له المسمى بالمشبه

كشف

كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع لهما ما ترتب امر على امر اي حصوله
عقيبه وهو معنى عقلي وتوضيح ذلك ان الظلمة هي الاصل والنور طارئ عليها يسترها بضوئه فاذا
غربت الشمس سلخ النهار من الليل اي كشف كما يكشف عن الشيء الشيء الطاري عليه الساتر
له فيجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار كظهور المسلوخ بعد سلخ اهابه عنه
وح صح قوله فاذا هم مظلمون لان الحاصل عقيب اذهاب الضوء عن مكان الليل
هو الاظلام اي الدخول في الظلام ووقع في عبارة عبد القاهر والسكاكي ان المستعار له
ظهور النهار من ظلمة الليل واعترض بانه لو اريد ظهور النهار لكان المناسب فاذا هم
مبصرون دون مظلمون لان الواقع بعد ظهور النهار هو الابصار دون الاظلام
واجيب بحمل عبارتهما على القلب اي ظهور ظلمة الليل من النهار او بان المراد من ظهور
النهار تميزه وانكشافه عن ظلمة الليل او زواله كما في قول الحماسي وذلك عار يا ابن ريطة
ظاهر اي زايل فبالجملة يكون عبارة عن انقضاء النهار وابتداء الليل والدخول في
الظلام ولا وجه ان مرادهما انقضاء الليل وابتداء النهار من سلخت الشاة من الاهاب
اذا خرجتها لان سلخت الاهاب عن الشاة بمعنى نزعته على ما ذهب اليه غيرهما وبمعنى
اخرجها عنه وعدمه مما يختلف باختلاف الامور والعادات وزمان
النهار وان توسط بين اخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لكن لعظم
دخول الظلام بعد اضاءة النهار وكونه مما ينبغي ان لا يحصل الا في اضعاف ذلك
الزمان عد الزمان قريبا وجعل الليل كانه يفاجئهم عقيب اخراج النهار من
الليل بلا مهلة وقد ترجح هذا بعضهم بان اذا المفاجات انما يحسن على تقدير جعل
السلخ بمعنى الاخراج كما يقال اخرج النهار من الليل ففاجأه دخول الليل بخلاف
ما اذا جعلت السلخ بمعنى النزع وقلت نزع ضوء الشمس عن الهوى ففاجأه
الظلام فانه لم يستقيم ولم يحسن كما لا يستقيم قولك كسرت الكوز فوجاء الانكسار
لان دخولهم في الظلام عين حصول الظلام فيكون نسبة دخولهم في
الظلام الى نزع ضوء النهار كنسبة الانكسار الى الكسر فلهذا جعل السلخ بمعنى الاخراج
دون النزع وبعضهم بان الشيء انما يكون آية اذا اشتمل على نوع استغراب واستعجاب
يفتقر الى زيادة اقتدار وذلك في مفاجاة الظلام عقيب ظهور النهار لا عقيب

انقضاء ضوء النهار وزواله وبان ظهور النهار المقتبس انسب بظهور المسلوخ الابيض من الجلد الساتر الذي بما يكون اسود مظلما من ظهور الليل وبان التصيح وان كان يقتضي طريان صورة الضوء على الظلام بمنزلة الساتر لكن المتعارف المتبادر الى فهم العامة عكس ذلك كانهم يعتقدون ويعدون من جملة الظهور احيان الظلام هو الذي يطرأ على الضوء فيستره بمنزلة اللباس وينكشف عنه فيظهر وجعلنا الليل لباسا وقال الامام محي السنة معناه فذهب بالنهار ونجيء بالليل وذلك لان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فيظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها لحد لها من سيرها معلوم تنتهي اليه دورها في آخر السنة بمستقر المسافر اذا قطع سيره او كمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب لان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب ثم لا يعود اليهما الى العام القابل او لحد لها من سيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب او لاجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة او لوقتها قال والشمس تجري لها بالحق تذويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص وقد صح عن النبي عم انه قال مستقرها تحت العرش عن ابي ذر قال سألت النبي عم عن قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وعن ابي هريرة قال النبي عم لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب قال الله ورسوله اعلم قال عم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها الآية عن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها وهي قراءة ابن مسعود اي لا تزال تجري لا تستقر ولا تسكن ابدا وقرئ لا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن عن استخراجه واحصاء الحكم فيه وتحير الافهام في استنباطه تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه منازل اي قدرنا سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح

سعد

سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة الى آخر الثامنة والعشرين ثم تستتر ليلة او ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج وهو عنقود النخل فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزون والبزيون عن سليمان التيمي وفي حروف الحلواني كالقرضون بوزن فرعون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقرأ الكوفيون وابن عامر وابو جعفر وروح والقمر بنصب الراء باضمار فعل يفسره الظاهر اي قدرنا القمر قدرناه والباقون على انه مبتدأ خبره قدرناه او عطف على الليل وعلى التقديرين لا بد في الكلام من تقدير مضاف لما ذكرنا لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل وقيل معناه قدرناه ذا منازل لا الشمس ينبغي لها ويستقل ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا الليل سابق النهار فتتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل او ولا يسبق آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر كذلك الى ان جمع الله الشمس والقمر واطلع الشمس من مغربها وتبديل الادراك بالسبق لانه الملايم بسرعة سيره وفي انسحاب النفي فيهما دلالة على انهما من حدين لا يتحال منهما تجاوز حدها وتخطي طورها وامرها ولا يستقل لها الامارة فيهما في قبضة التسخير والتذليل وتحت التصرف والتقدير كساير المسخرات التي لا تقدر ان تخرج من حكم الله وسلطانه وقدره وقيل لا يصح للشمس ان تدرك القمر في سرعة لان ذلك تخل بتكوين النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وقرئ الخليل سابق النهار بالنصب على الاصل وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي وكلهم على ان الضمير للشموس والاقمار نظرا الى المطالع فان اختلاف الاحوال توجب تعددا ما في الذات او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك اراد بالفلك

الخفي

لجنس الذي في جنس الفلك كقولهم كساهم الامير حلة يريدون كساهم هذا
الجنس يسبحون انزلوا منزلة العقلاء يسيرون سير السابح في سطح الماء وهو خبر كل
وآية لهم تدل على قدرتنا انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم
وقيل اباءهم واجدادهم فان اسم الذرية كما تقع على الاولاد تقع على الاباء وقيل
النهم الا ان يراد ذرية ابيهم وهو آدم والام يقع الذرية في اللغة الا على الاولاد
وعلى النساء كما في حديث عمر رضه حجوا بالذرية يعني بالنساء وبهذا صح قول ذريتهم
صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم لان النساء مزارع الذرية وفي الحديث
نهى عن قتل الذراري يعني النساء وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم
فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر ويعقوب ذرياتهم بالجمع والباقون بالافراد
في الفلك المشحون اي المملو والمراد بالفلك جنسه وقيل سفينة نوح عم وحمل الله
ذرياتهم فيها حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم
دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته مع الايجاز وخلقنا لهم
من مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق ومن الابل فانها
سفاين البر قال ابن عباس وقرأ اليماني مثله بفتح الميم والثاء وان نشاء نغرقهم محمول
على الغرض والتقدير بدليل قوله والاهم ينقذون الا رحمة منا الى آخره فلا صريخ
لهم فلا مغيث لهم يعصمهم من الغرق او فلا اغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ
اي الاغاثة ولاهم ينقذون ينجون من الموت بالغرق الا رحمة منا ومتاعا الا رحمة
منا ولتمتيع بالحيوة الى حين الى وقت يموتون فيه لابد لهم منه بعد النجاة من الغرق
وقيل بعضهم لم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقراء الحسن نغرقهم
واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم اي اتقوا الوقايع التي خلت و
العذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوايب الارض كقوله اولم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من
الوقايع الخالية التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة
لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله

وما

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم
اتقوا العذاب اعرضوا لان دأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة واذا قيل لهم
انفقوا على الفقراء مما رزقكم الله اعطاكم قال الذين كفروا توغلوا في الكفر بالصانع
وتمردوا عليه يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من ايمانهم واقرارهم وتعليقهم
الامور بمشية انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم والهمزة للانكار يعني لا نطعم المقول فيه
هذا القول بتبكيم دفعا منهم كون الفقر والغنى من الله وعن ابن عباس كان بمكة
زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن و
قيل قاله مشركوا قريش حين قال لهم فقراء المؤمنين اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها
الله يعنون قوله وجعلوا الله مما ذرأ الآية ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا على
اطعامهم ولا نشاء اطعامهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهلهم بان الله
يريد ان يبلوا الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني ويطعم بالمباح على ما قضى وقدر
في اللوح والاعتراض لاحد على ارادة الله ومشيته وحكمه في خلقه ان انتم الا في ضلال
مبين خطأ ظاهر حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون جوابا من
لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ويقولون ايضا من
فرط جهلهم متى هذا الموعود من البعث والقيمة والجزاء ان كنتم صادقين في وعدكم
تخاطبون به رسول الله مع المؤمنين وحدهم ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة
واحدة هي النفخة الاولى قال ابن عباس تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم
ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون و
اصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء اتباعا للصاد وهي
قراءة عاصم والكسائي وابن ذكوان وخلف ويعقوب وقرأ نافع وابن كثير وابو
عمرو وهشام يخصمون بفتح الخاء على نقل حركة التاء اليها وابو عمرو وقالون وابو جعفر
باخفاء فتحها واختلاسه وهو اصعبها اداء وعن نافع يخصمون من خصمه اذا جادله
اي يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا
يبعثون وقراء الحسن يخصمون بكسر الياء والخاء اتباعا وفي حرف ابي يختصمون
على الاصل فلا يستطيعون توصية فلا يقدرون ان يوصوا في شيء من امورهم وقال

فما قالوا يجعلوا من الوصية فاتوا ولا الى اهلهم يرجعون ولا يقدرون على الرجوع الى
اهاليهم ومنازلهم بل يموتون حيث تبغتهم وتفجاهم الصيحة ولا تمهلهم الساعة
لشيء ونفخ في الصور النفخة الثانية والصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة
وحركها بعضهم فاذا هم من الاجداث من قبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم
ينسلون يسرعون وقرئ بضم السين قالوا يا ويلنا نادوا هلاكهم وقرئ يا ويلتنا بمعنى
نادوا هلكتهم التي هلكوا بها خاصة من بين الهلكات من بعثنا من مرقدنا قال ابي
وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين
فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الآخرة وعاينوا القيمة دعوا بالويل وقال اهل التحقيق
ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا
من بعثنا من مرقدنا ويعضد القول الاول قول النبي عم بين النفختين اربعون
وليس بينهما قضاء ولا رحمة ولا عذاب الا ما شاء ربك رواه ابو هريرة وقرئ
ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا
بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من
بعثنا ومن هبنا على الجار والمصدر وهو من قبيل استعارة معقول لمعقول فان
المستعار منه الرقاد اي النوم والمستعار له الموت والجامع بينهما عدم ظهور
الافعال والكل عقلي وقرينة الاستعارة كون هذا الكلام كلام الموتى هكذا قرر الاكثرون
من علماء البيان واعلم ان في جعلهم الجامع عدم ظهور الافعال نظرا لانه في المستعار
له اعني الموت اقوى ومن شرط الجامع ان يكون في المستعار منه تصريحية اصلية ان جعل
المرقد مصدرا بمعنى الرقاد وتبعية ان جعل اسم مكان فيعتبر التشبيه في المصدر لان
المقصود بالنظر في اسم المكان وساير المشتقات انما هو معنى القائم بالذات وهو
الرقاد ههنا لا نفس الذات وهي ههنا القبر الذي ينام فيه واعتبار التشبيه
في المقصود الاهم اولى وممن جعل الجامع عدم ظهور الافعال من زعم ان القرينة
هو ذكر البعث وفيه نظر لان البعث لا يختص بالموت يقال بعثه من نومه اذا ايقظه و
بعث الموتى حشرهم والقرينة يجب ان يكون له اختصاص بالمستعار له هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون مبتدا وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة العائد

تقديره

تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى صدق فيه المرسلون
من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره او هذا صفة لمرقدنا وما
وعد خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون حق عليكم وهو من كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون
به انفسهم او بعضهم بعضا او كلام الملائكة او كلام المؤمنين واليه ذهب الحسن و
مجاهد وعلى الاخيرين هو جواب عن سؤالهم من بعثنا معدول عن سننه تذكيرا
لكفرهم وتوبيخا عليه واعلاما بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث
كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل به الرسل وصدقوكم وليس
بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث وانما
هذا البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع ان كانت الا صيحة واحدة قرا الائمة
السبعة صيحة واحدة بالنصب على كانت الناقصة اي ما كانت النفخة الا صيحة واحدة
وخالفهم ابو جعفر وهو عاشرهم بان قراها بالرفع على كانت التامة اي ما وقعت
الا صيحة واحدة وهي النفخة الآخرة نفخة البعث فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك
الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها
فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال
لهم في ذلك اليوم وفي مثلها زيادة تصوير للموعود وفضل تمكين له في النفوس وترغيب
في الحرص عليه وعلى ما يثمره وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون
في النعمة من الفاكهة وهي المزاحة ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذون به ويتنعم و
نكر الشغل قصدا بتنكيره الى تعظيم وابهام امره وانه شغل لا يكتنهه النعت ولا
يحيط به الوصف وما ظنك بشغل من سعد بالنظر الى وجه الله في دار السلام قال
النبي عم اذا نظروا الى الله نسوا نعيم الجنة وعن ابن عباس في افتضاض الابكار و
عنه في ضرب الاوتار وعن وكيع في السماع وعن ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وعن
الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب وعن الكلبي في شغل
عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في
نعيمهم وقيل في ضيافة الله وقرا الكوفيون وابن عامر وابو جعفر ويعقوب شغل بضم

الغين والباقون بالسكون وقرئ بفتحتين وبفتح الشين وسكون الغين والكل لغات
وقرأ ابو جعفر فكهين بكسر الكاف حيث وقع وافقه حفص في المطففين وهما خبران لانّ ويجوز
ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بضم الكاف وهو لغة كقولهم رجل حدث
وحدث وقرئ فاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف هم وازواجهم مبتدأ و
ازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او جمع ظلة كقلال ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي ظلل في ظلل جمع ظلة على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة و
قيل الفراش فيها اي على السرر المستورة او على الفرش المزينة متكئون خبر ثان لهم مبتدأ
خبره في ظلال او على الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او
تأكيد للضمير في شغل وفي فاكهون وعلى الارائك خبر آخر لانّ وازواجهم عطف على هم
للمشاركة في الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وفي ظلال حال من
المعطوف والمعطوف عليه وقرأ ابو جعفر متكون وابن مسعود متكين لهم فيها فاكهة ولهم
ما يدعون يتفعلون من الدعاء اي ما يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا
شوى وحمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او ما يتمنون من قولهم
ادّع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة
او موصوفة مرفوعة بالابتداء خبره لهم وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى
او خبر له او خبر لمحذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرأ ابن مسعود سلاماً
بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصاً قولاً من رب رحيم اي يقول الله
او يقال لهم قولاً كائناً من جهة رب رحيم بمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملك او بغير
واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص ومنه قوله بينا اهل
الجنة في نعيمهم اذ سطع نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد اشرف عليهم من
فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولاً من رب رحيم
فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه
حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم رواه جابر وعن مقاتل تدخل
الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم و
قيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية فقولاً مصدر مؤكد لقوله

ولهم

ولهم ما يدعون سلام اي حقّاً من رب رحيم ويجوز ان يكون منصوباً على الاختصاص
وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك
حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
الآية يقال مازه فانماز وامتاز وقال مقاتل اعتزلوا اليوم من الصالحين
وقال قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك تفرقوا في النار لكل كافر بيت من النار
ينفرد به لا يرى ولا يرى فيمتاز بعضهم من بعض الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
على ارادة القول اي يقول الله للمجرمين من بني آدم هذا الكلام توبيخاً لهم وقطعاً لمعذرتهم
والزاماً للحجة عليهم والعهد الوصية وعهد اليه وصاه وعهد الله اليهم ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الناهية عن عبادة غيره وجعل عبادة غيره
عبادة الشيطان لانه الآمر بها والموسوس بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر الهمزة
وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد
جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وقرئ احهد بالحاء واحّد
على لغة تميم ومنه قولهم دحّا محّا ومعنى الكل الم آمركم يا بني آدم ان لا تطيعوا
الشيطان فيما يأمركم به ويزينه لكم من عبادة غير الله انه لكم عدو مبين تعليل للنهي
عن عبادته وان اعبدوني وحدوني بالعبادة ولا تشركوا بها احداً وهو عطف
على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم هذا اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية
الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه او الى عبادة الله فالجملة استئناف لبيان
المقتضي للعهد بشقيه او بشقه الآخر والتنكير للمبالغة والكمال كانه قيل صراط بليغ كامل
في بابه بليغ كامل في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ومنه قول كثير لئن كان
يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير بريد انني بليغ الفقر كامل فيه كما هو شرطه
نحيّ والا لم يستقم معنى البيت او للتبعيض لان التوحيد بعض الطريق المستقيم وفيه توبيخ
لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كقول الرجل لولده بعد ان بالغ في نصحه
هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخاً له على الاعراض عن نصائحه ولقد اضل منكم
جبلاً كثيراً افلم تكونوا تعقلون تقرير لبيان معاداة الشيطان على ابلغ وجه مع ظهور
عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل وقرأ نافع وعاصم وابو جعفر جبلاً بكسر الجيم

والباء وتشديد اللام وحمزة والكسائي وابن كثير وخلف ورويس جبلا بضم الجيم والباء
وتخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو جُبْلا بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام وقرئ
جُبُلّا بضمهما وتشديد اللام وقراءة الخليل جَبُلا بفتح الجيم وضم الباء والاعرج وعيسى
جِبْلا بكسر الجيم واسكان وقرئ جبالا بوزن رجالا وجِبِلا بوزن ابل وجِبَلا كعنب وقرأ
علي جَبَلا كعمل فهذه عشر لغات في معنى الخلق ويقال للجماعة وقيل التي بوزن عنب
هي جمع جبلة وهي الخلقة وقيل الذي بوزن عسل هو الواحد للاجبال فذكر عن بعضهم
جيلا بالياء ولا احفظه والهمزة للانكار دخلت على فاء العطف والمعطوف عليه مذكور
وهو قوله الم اعهد عطفا للجملة المنفية على المنفية ظاهرا او المثبتة على المثبتة تحقيقا لان
المعنى عهدت اليكم فكنتم تعقلون عهدي مع عداوة الشيطان واضلاله فلم لم
تعملوا على مقتضى عقلكم وموجب حكمكم وهذا توبيخ بعد توبيخ وانكار بعد انكار او
محذوف كانه قيل أعبدتم الشيطان فلم تكونوا تعقلون عداوته واضلاله خلقا
كثيرا منكم مع انهما كانا اظهر من الشمس واسند الاضلال الى الشيطان مجازا لا حقيقة
بدليل قوله ثم بعثت داعيا ومبلغا وليس اليه من الهدى شيء وخلق ابليس مزينا
وليس اليه من الضلال شيء هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا في ازمنتها
المتطاولة اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ادخلوها اليوم بسبب كفركم وتكذيبكم بها
والخطابات كلها للمجرمين كما قال هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اليوم نختم على
افواههم الختم الطبع في الاصل ثم استعير للمنع اي نمنع افواههم من النطق وتكلمنا ايديهم
بانطاقنا اياها وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون فتنطق الاربع بما كسبوه بها من
السيئات روي في الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم
وعشائرهم فيحلفون ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم و
عن انس كنا عند رسول الله صلعم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله
ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم يقول بلى
فيقول لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام
الكاتبين شهودا فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه
وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فيكون تكلم الايدي

و

وشهادة ارجلهم بانطاق الله اياها وقيل بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها
على افعالها وقرئ يختم وتتكلم ايديهم وقرئ لتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام
كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ولتشهد بلام الامر
والجزم على ان الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة وبالجملة ففيه اعلام بسوء
الحال لسوء مكسوباتهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمحونا اعينهم حتى
تصير ممسوحة وقيل لاذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق كما
قال ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يعني كما اعمينا قلوبهم لو نشاء لاعمينا ابصارهم
الظاهرة فاستبقوا الصراط محمول على حذف الجار اي فاستبقوا الى الطريق المهيع
الذي اعتادوا سلوكه ويجوز ان ينتصب الصراط بتضمين الابتدار اي فابتدروها
وتسابقوا نحوها او بالظرف او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه فانى يبصرون
فكيف يبصرون الصراط يعني لم يقدروا ان يبصروا ويعلموا الطريق وجهة السلوك
فضلا عن غيره ويجوز ان يكون المعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا
مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك عادتهم لم يستطيعوا وان يكون
المعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي
فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على طريق اعتادوه دون ما
وراءه من ساير الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا او
ضروا به من المقاصد وغيرها وقال الحسن والسدي لاضللناهم عن الهدى
وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق ح وقال ابن عباس ومقاتل و
عطاء وقتادة لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم
من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون فلم افعل ذلك بهم ولو نشاء
لمسخناهم لغيرناهم بان جعلناهم قردة وخنازير او حجارة ومدرة وهذا
اشد من الاول واقبح على مكانتهم في مكانهم ومنزلهم فما استطاعوا مضيا فلم
يقدروا ان يبرحوا باقبال ولا ادبار ولا ذهاب ولا يرجعون ولا رجوعا
فوضع الفعل موضعه لرعاية الفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم ومنى قتادة
لمسخناهم اي لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد.

المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي والجثي والجثي والصلي والصلي وصُمَّيًّا بفتح
الميم بوزن الصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهدنا اليهم احقاء بان نفعل بهم
ذلك الطمس والمسخ لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره
اى ومن نطول عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلق احشاءه وجوارحه بعد قوتها
ونقصها بعد كمالها وزيادتها حتى يرجع في ضعفه ونقصانه شبيها بالصبي في ضعف
جسده وقلة عقله ونقصان عقله وقراه عاصم وحمزة ننكسه بتشديد الكاف اى
نقله من الكهولة الى الشيخوخة الى الهرم الذي هو ارذل العمر والباقون ننكسه بتخفيفها
اى نرده بالهرم الى حال الصغر والطفولية وقيل معناهما واحد وهو ان المعمر ننكسه
الذي في الخلق فيرده الى ارذل العمر ويجعل حاله حال الصبي كما ننكس السهم فيجعل
اعلاه اسفله كما قال تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا وقرى ننكسه
بكسر الكاف وننكسه من الانكاس افلا يعقلون عطف على محذوف كانه قيل ايغفلون
عن هذا فلا يعقلون وقراه نافع وابن ذكوان وابو جعفر ويعقوب افلا يعقلون بالتاء
نظرا الى الخطابات المتقدمة اى افلا تعقلون على قضية حقوقكم وان من قدر على هذا
التغيير والنقل من حال الى حال قدر على ذلك التغيير من هيئة الى هيئة لعدم الاختصاص
حتى لا تنكر الطمس والمسخ وغيرهما من العذاب والبعث فانه لم نفعلهما بكم في الدنيا
نفعلهما بكم في الآخرة ان لم تتوبوا من الكفر والمعاصي ومما هو دليل على هذا المعنى
قول النبي عم تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة
الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم
صما وبكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع
من نار الحديث ويدل عليه الآيات من كتاب الله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان
محمدا شاعر وروي ان القايل عقبة بن ابي معيط اى وما علمناه الشعر بتعليم
القران فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة
والمنفرة ونحو ذلك الشعر الكلام موزون مقفى مخيل وما ينبغي له وما يصح له الشعر
وما يتطلب لو طلبه انما لم يعلمه الشعر ولم يتات له لان الشعر قرآن ابليس في كلامه

قال

قال النبي عم في حديث عظيم ذكر في سورة بني اسرائيل قال ابليس رب اجعل لي
قرانا قال الشعر الحديث اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له ولم
يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه ليكون الحجة اثبت والشبهة
ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتاتى
له وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي
سبيل الله ما لقيت مما صدر منه اتفاقا بحسب السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف وقصد
منه الى ذلك وقد يصدر مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات من الخطب والرسائل
والمحاورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا وعن الحسن كان النبي عم
يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال
الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال ابو بكر او عمر اشهد انك رسول الله
يقول الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن عايشة رض كان النبي عم يتمثل
ببيت اخي بني قيس طرفة ستبدي لك ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم
تزود بالاخبار فقال ابو بكر يا رسول الله ليس هكذا فقال اني لست بشاعر و
ما ينبغي لي وقيل الضمير للقرآن اى وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر
عظة وارشاد يوعظ ويرشد به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين
وقرآن مبين وكتاب سماوي يقرأ في المحاريب والمعابد ظاهر امره في الاعجاز
اى فيه الغرايب وطرد ود الاحكام وسط
العجيب كلماته وتركيبه او واضح للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم فلا تشتبه
عليهم معانيه او موضح لمن تدبره انه من عند الله لا من عند البشر او مظهر طرق
الهدى من طرق الضلالة وكل ما تفتقر اليه الامة في ابواب الديانة لينذر قراه
نافع وابن عامر وابو جعفر ويعقوب لتنذر بالتاء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم والباقون
بالغيبة على ان الضمير له او للقران وقراه اليماني لينذر مبنيا للمفعول وقرى لينذر
من نذر به اذا علمه من كان حيا مؤمنا في علم الله لان الكافر كالميت لا يتدبر في
اى من يعقل ما يخاطب به
الانذار ولا ينتفع به ولا يتاثر فيه وقيل عاقلا فهما فان الغافل كالميت ويحق
وعلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان كما كان
ويجب كلمة العذاب في قراءة الخليل ويحق القول بفتح الحاء ونصب القول على الكافرين المصرين
على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم

ثامّلهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا نحن
احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا لما فيه من بدايع الفطرة والحكمة التي لا يصح ان يقدر
عليها الا الله خالق كل شيء وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في
الاختصاص والتفرد بالاحداث والمتيقن عن انتفاء الرؤية على وجه الانكار فافاد
اثبات الرؤية وايجابها فكانه قيل قد راوا انا خلقنا لها وعلموا بدليل العقل و
النقل لا يقانهم واقرارهم بان الله خالقهم وخالق السموات والارض والشمس والقمر
فيعتقدون ان العالم بجميع اجزائه مخلوق الله لا خالق له سواه ولكنهم كانوا يشركون
في العبادة جهلا وضلالا وتقليدا لابائهم الجهلة الضلال واتباعا لخطوات الشيطان
انعاما هي الازواج الثمانية من الابل والبقر والغنم والمعز فهم لها مالكون اي بتمليكنا
اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون
قاهرون بتسخيرنا اياها لهم من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان
نفرا اي ولا اضبط وذللناها لهم وصيرناها ذليلة منقادة لهم ولولا تذليله اياها
لهم لم يقدروا عليها فهو نعمة من النعم الظاهرة ولهذا الزم الله الراكب ان يشكر
هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا الاية فمنها ركوبهم اي مركوبهم
وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او
فمن منافعها ركوبهم ومنها ياكلون ما ياكلون لحمه ولهم فيها منافع من جلودها
واصوافها واوبارها واشعارها ونسلها وغير ذلك مما ينتفع ومشارب من البانها
جمع مشرب بمعنى الموضع وهو الظاهر وقيل بمعنى المصدر افلا يشكرون رب هذه النعم
او نعم الله في ذلك والفاء حرف عطف دخلت عليه همزة الانكار والمعطوف عليه اولم يروا
انا خلقنا وانما عطف بالفاء لان المعنى راوا انا خلقنا الانعام لهم فخصصنا بملكها وذللناها
لهم فخصصناهم بركوبها واكلها وما فيها من المنافع والمشارب ابعد ذلك لا يشكرون
نعمنا في ذلك يعني كان الواجب عليهم بعد علمهم بانعام عليهم بتلك النعم ان يشكروه
عليها بان يعبدوه وحده ولا يشركوا بعبادته احدا فاذا اشركوا كفروا تلك النعم ولم
يشكروا ربها على شيء منها فاعظم كفر من لم يشكر ربه الذي انعم عليه بتلك النعم وما اجهل
من تخذ من دونه آلهة وما اظلمه وما اطغاه فان الشرك اعظم الطغيان والكفران



لهم العباد بربهم واتخذوا من دون الله آلهة اشركوا به في العبادة بعد
ما راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بالانعام عليهم
ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر على عكس ما قدروا
وتوهموا لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لالهتهم جند محضرون معدون
لحفظهم والذب عنهم ذب الجنود عن الملوك او محضرون اثرهم في النار لانهم
يجعلون وقودا لها فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد
والشرك او بالتكذيب والتهجين او بالكل انا نعلم ما يسرون وما يعلنون من اقوالهم
وافعالهم فيجازيهم على ذلك وكفى ذلك ان يتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف وكذلك
لو قرئ انا بفتح الهمزة على حذف لام التعليل جاز وعليه تلبية رسول الله عم ان
الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل ويجوز على الفتح ان يكون بدلا
من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم وهذا المعنى قائم مع المكسور اذا جعلت
مفعولا للقول وفاء الخليل ما تسرون وما تعلنون بالتاء فيهما اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين يعني قد علم الانسان انا اوجدناه
من اخس شيء وامهنه من مني جماد لا حس به ولا حركة يخرج من الاحليل الذي
هو قناة البول دلالة على قدرتنا الباهرة فاذا هو خصيم بليغ الخصومة لربه
والانكار لخالقه في الزعم وضرب لنا مثلا من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان
بالانهماك في كفران النعم وعقوق الايادي وبالافراط في الوقاحة والجهل
مع توغله في الخسة وتغلغله في القحة مبين بين في خصومته او مظهر للحجة و
يجادل جبار السموات والارض تقديرا لوقاحته وجهله ومكابرته التي لا
مطمح وراءها روي ان ابي بن خلف خاصم النبي عم في انكار واخذ عظما باليا
بفتته بيده وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عم نعم ويبعثك ويدخلك
النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا
رجل مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه فصيح كما قال او من ينشاء
في الحلية وهو في الخصام غير مبين وقيل المعنى انه مخلوق من نطفة ثم يخاصم وكيف
لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة والعامل في اذا المفاجاة معنى المفاجاة وهو

عامل لا يظهر استغنى عن اظهاره بتقدم ما فيها من الدلالة عليه ولا يقع بعدها الا الجملة
المركبة من المبتداء والخبر وهي في المعنى فاعل لان معنى فاذا هو خصيم مبين فاجاءه
خصومة مبينة كما ان معنى قوله اذا هم يقنطون فاجاءهم تقنطهم او مفعول اي فاجاءه
الخصومة وفاجاءه القنوط يعني خاصم خالقه مخاصمة ظاهرة وقنطوا من الرحمة
وضرب لنا مثلا وقص لنا قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء
الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا اياه وقيل
بدء امره يعني ان الله انشائين انشاء من تراب وهو الانشاء الاول وانشاء
من موات وهو الثاني وهذا الكافر نسي الانشاء الاول وانكر الثاني ولم يقس
قياس الثاني على الاول لانهما صفة واحدة لا انه واحد تتعدد وتتكثر باختلاف
التعلقات كساير صفاته من العلم والقدرة والكلام مثلا فان كلا منها واحدة قديمة
والتعدد والحدوث انما هو في التعلقات والاضافات والدليل على ما ذكرته
من الانشائين وترك قياس على الاول قوله تعالى كلكفارتكم وننشئكم فيما لا تعلمون
ولقد علمتم النشاءة الاولى فلولا تذكرون قال المفسرون في هذا دليل على صحة القياس
حيث جهلهم في ترك قياس النشاءة الاخرى على الاولى قال من يحيي العظام و
هي رميم انكارا لاحياء العظام واستبعادا له وهذه الجملة اعني قال مع متعلقه
استيناف بتقدير قوله مثلا وبيتة والرميم ما بلي من العظام وكذا الرمة بالكسر
ومنها الحديث نهى عن الاستنجاء بالروث والرمة وهو فعيل بمعنى فاعل من رم العظم
اذا بلي من باب ضرب ثم صار اسما له بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته
واقد استدل بهذه الآية على ان العظم ذو حيوة وان عظام الميتة نجسة لان الموت
يؤثر فيها كساير الاعضاء من قبل ان الحيوة تحلها خلافا للحنفية فانها عندهم طاهرة
وكذا الشعر والعصب ويقولون ان الحيوة لا تحلها ولا يؤثر فيها الموت ويقولون
ان المراد باحياء العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس
قل يحييها الذي انشاءها اول مرة فان من قدر على احيائها اول مرة قدر على احيائها
اخرى لاستحالة التغير في قدرته الباهرة الكاملة على ان القياس الصحيح شاهد صدق
بان من قدر على انشائها اولا من غير سبق مثال كان على اعادتها اقدر فانها اقل عملا

وصنعا

وصنعا لخصوص المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وهو من نصوص القاطعة الناطقة
بحشر الاجساد استدلالا بالابتداء على الاعادة وفيه رد على من لم يقل به وتكذيب له
وهو بكل خلق عليم بليغ بكل شيء من المخلوقات لا يخفى عليه شيء من الاجزاء المفتتة
واصولها وفروعها فاذا اراد ان يحيي الموتى يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح
اليها ويحيون كما كانوا احياء وهو معنى حشر الاجساد والارواح وبعث الموتى وقيل
يعلم كيف يخلق لا يتعاظم شيء من خلق المنشآت ومن اجناسها وانواعها وجلايلها ودقايقها
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهي انثى وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس
ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك يتخذ منه كذينقات القصارين
وانما قال الاخضر حملا على لفظ الشجر وقرئ الخضراء حملا على المعنى كقوله من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون حيث قال منها دون منه وقال بعض الافاضل كرر سبحانه
مبدأ خلق الانسان واشار الى شبهة المنكرين للاعادة وهي كون العظام رميمة
مفتتة فكيف يمكن ان تصير حية واحتج على صحة الاعادة بقوله قل يحييها الذي انشاءها
اول مرة وهذا هو الذي عول عليه المتكلمون في صحة الاعادة حيث قالوا
ان الاعادة مثل الايجاد اول مرة وحكم الشيء حكم مثله فاذا كان قادرا على
الايجاد كان قادرا على الاعادة ثم نفى شبهتهم التي حكاها عنهم ولما كان تمسكهم بكون
العظام رميمة من وجهين احدهما اختلاط اجزاء الابدان والاعضاء بعضها
ببعض فكيف يميز اجزاء بدن عن اجزاء بدن آخر واجزاء عضو عن اجزاء عضو
آخر حتى يتصور الاعادة والثاني ان الاجزاء الرميمة يابسة جدا مع ان الحيوة
تستدعي رطوبة البدن اشار الى الجواب الاول بانه عليم بكل خلق فيمكنه تمييز
اجزاء الابدان والاعضاء والى الجواب الثاني بان جعل النار في الشجر الاخضر
مع ما بينهما من المضادة الظاهرة فلان يقدر على ايجاد الحيوة في العظام الرميمة
اليابسة اولى لان المضادة ههنا اقل فاذا انتم منه توقدون تشعلون
النار من ذلك الشجر لا تشكون في انها نار تخرج منه كذلك لا تشكوا في ان الله يحيي الموتى
ويخرجهم من القبور للسؤال والجزاء من الثواب والعقاب فان من قدر على

على اعادة العظام الفانية فيما كان عظما فنيت وبليت اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم حجة ثابتة وذلك لانهم لما جادلوا في صفة خالقهم وانكروا البعث احتجوا بخلق الناس من الشجر الاخضر وبخلق السموات والارض وقيل لهم الم يقدر من اضيف اليه البعث وخلق هذه الخلايق العجيبة الدالة على كمال القدرة على ان يخلق مثلهم فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا انشاء كهذه الانشاءات واختراع كهذه الاختراعات وهمزة الانكار وان دخلت على حرف العطف ظاهر لكنها في التحقيق داخلة على كلمة النفي قصدا الى اثبات القدرة له وتقريرها لان المعنى وان الذى خلق السموات والارض مع عظم شانهما القادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والمهانة بالقياس اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد والجملة عطف على قوله وهو بكل شيء عليم وقوله بقادر في محل النصب لانه خبر ليس وقراء يعقوب في رواية رويس يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه اى بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق بليغ الخلق والايجاد لجميع المخلوقات العليم بليغ العلم بكل المعلومات وقرئ الخالق والمشهورة ابلغ انما امره انما شانه اذا اراد شيئا وجود الشيء من المعدومات والارادة المشية قيل اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن احدث فيكون فهو يحدث من غير توقف والمعنى انه تعالى اذا اراد تكوين شيء وايجاده فهو لم يمتنع عليه ووجد كما اراد وكان في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع فهو من المجاز الذى يسمى التمثيل ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم ذلك الشيء وقال له كن فكان والغرض تصوير تاثير قدرته في المقدورات وتاثرها بالذات عنها لا غير من غير ان يحقق شيء من القول والمقول له لان المقول له قبل ان يحدث معدوم عدما محضا فكيف يتوجه اليه القول ونحوه من الغور من غير ريث كما قيل شبت العرش ثم انتقش ونحوه اذا قالت الانساع للبطن الحق يقول سنى للنواة طحى لا يشطر اللهو حتى ينطق العود وشكا اليه جمل وقال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني ومنه قوله تعالى والقينا فيها رواسي وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وغير ذلك من الايات هي تصويرات

و

وتخييلات لعظمة الله وعلو شانه وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو بمنزلة على ارادته ومنقاد بالذات لمشيته ومستقر الى جنب قدرته وقراء ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب عطفا على يقول والباقون بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى فهو يكون والجملة معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضرب له المشركون ووصفوه به وتعجيب مما قالوا فيه معللا بكونه مالك الملك كله والمتصرف فيه بموجب ارادته وقضايا حكمته وقال عطاء يعنى ملكوت كل شيء والكلبي خزاين كل شيء ومقاتل خلق كل شيء والزجاج اى القدرة على كل شيء وقراء طلحة ملكة كل شيء بالياء وعكرمة والاعمش ملكوت بالتاء وابرهيم التيمي وطلحة مملكة كل شيء وملكة كل وملك كل شيء والمعنى واحد وهو مالك كل شيء واليه ترجعون واليه تردون لا الى غيره وقراء يعقوب بفتح التاء اى تصيرون وهو على القرائتين وعد ووعيد للمقربين والمنكرين وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضايل يس وقرائتها كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعن النبي عم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كانما قراء القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قراء يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال ان في القرآن سورة تشفع قاريها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس وعن معقل بن يسار قال رسول الله عم اقرؤا على موتاكم يس

## سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسم سبحانه بالملائكة الذين يصفون للعبادة في السماء ويتراصون في الصفوف عن جابر بن سمرة قال رسول الله صلعم الا تصفون كما تصف

الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة
ويتراصون في الصف وعن ابن عباس يريد الملائكة صفوفا صفوفا لا يعرف كل ملك
منهم من الى جانبه منذ خلق الله تعالى وكذا قيل والصافين وما بعدها بالتذكير لتحمل
للجماعات وقيل بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات لاقدامها في الصلوة من قولهم
وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله تعالى وقيل بصفوف
جماعات المؤمنين في الصلاة وقيل بالمتهجدين الذين يصفون اقدامهم في
تهجدهم فالزاجرات زجرا فالسابقات السحاب سوقا فالتاليات ذكرا فالقارئات
كلام الله من الكتب المنزلة وغيرها او قيل الصافات الطير من قوله والطير صافات
والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله وعن قتادة
الزاجرات هي زواجر القرآن تزجر وتنهى عن القبيح وقيل التاليات جماعة قراء
القرآن ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافين في العبادات والزاجرات عن
الكفر والمعاصي بالدلائل والنصائح التالين آيات الله والدارسين شرائعه و
بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل و العدو التالين ذكر الله
لا يشغلهم عنه مشاغل كما يحكى عن علي رضي الله عنه والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء للدلالة على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب كأنه قال الذي صبح فغنم فآب او على ترتبها في التفاوت من بعض
الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل او على ترتب موصوفاتها
في ذلك كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر
وهذا للعكس فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات
ثم ان كان الموصوف بها واحدا كما اذا اريد به الملائكة او العلماء او الغزاة كانت
الفاء للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل بان يكون الفضل للوصف ثم
للزجر ثم للتلاوة او بالعكس وان كان مختلفا بان اريد بالصفات الاولى
طوائف والثانية والثالثة اخر كانت للدلالة على ترتب الموصوفات
في التفاضل بمعنى ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات
ابهر فضلا او بالعكس وكذلك ان اريد بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر



عن معصية وبالتاليات كل من تلا الذكر فان الموصوفات مختلفة. وقرأ ابو عمرو وحمزة
والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا بادغام التاء في الصاد والزاء
والذال لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا والباقون بالاظهار على
الاصل ان الهكم لواحد جواب القسم بتأكيدات ثلث كأنها ناظرة الى الصفات الثلث
ولعل الفائدة فيه تعظيم المقسم به مع تأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف من كلامهم
وقد حققه واوضحه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع
الحكيم ووحدته ورب بدل من واحد او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف وما
بينهما يعم افعال العباد ايضا فيدل على انها من خلقه والمشارق الكواكب او مشارق
الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق كل يوم في مشرق
منها وتغرب في مغرب ولا تغرب في واحد يومين واما قيل انها مائة وثمانون
انما يصح لو لم يختلف اوقات الانتقال واما قوله رب المشرقين ورب المغربين
فمعناه رب مشرقي الصيف والشتاء ورب مغربيهما وقد دل بذكر المشارق على المغارب
لتلازمهما وتقابلهما على ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة انا زينا السماء
الدنيا اي القربى منكم بزينة الكواكب قرأ حمزة وعاصم بتنوين زينة وجر الكواكب
على ان الزينة اسم لما يتزين به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة والكواكب بدل منه
او عطف بيان له لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يتزان به وابو بكر بتنوين زينة و
نصب الكواكب على ان الزينة مصدر نصب الكواكب وذكر الفاعل متروك للعلم به
اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها او لعلم
لما ذكر والكواكب منصوبة باضمار اعني او بدلا لها من محل بزينة والباقون باضافة
الزينة الى الكواكب على ان الزينة مصدر مضافة الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب
او المفعول وهو كالوجه الاول من قراءة ابي بكر او اسم فتكون الاضافة بيانية اي بزينة
هي الكواكب او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها وعن ابن عباس بزينة الكواكب
بضوء الكواكب وقيل المراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء
وغيرها ومطالعها ومسايرها قالوا وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من

ما السيارات في الستة المتواسطة بينها وبين سماء الدنيا ان لحقق لم يقدح في ذكر فان
اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالية على سطحها الازرق باشكال مختلفة
وقرا ابو بكر بن علي والبماني بزينة الكواكب بتنوين زينة ورفع الكواكب على هو الكواكب
وحفظا منصوب باضمار فعله اى وحفظناها حفظا او بالعطف على زينة باعتبار المعنى لان المعنى
انا خلقنا الكواكب زينة السماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي
الشهب كما قال بمصابيح وجعلناها رجوما ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل و
حفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب لا يسمعون الى الملاء الاعلى كلام مبتدا لبيان حالهم بعد ان يكون في محل
ان تقدير الكلام لئلا يسمعون ثم حذف الناصب عاد الفعل المرفوع
الرفع بانه خبر مبتدا محذوف وان لا يكون له محل بانه يكون كلاما مبتدا لبيان حالهم بعد
ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز ان يكون صفة لكل شيطان اذ لا معنى للحفظ من شياطين
لا يسمعون ولا استيناف لعدم استقامته وللعلة للحفظ على حذف اللام كما حذفت
في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدر عملها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
فان اجتماع الحذفين منكر يجب صون القران العظيم عن مثله والضمير لكل شيطان
لانه في معنى الشياطين وقرا حمزة والكسائي وحفص وخلف لا يسمعون بالتشديد على
ان اصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع والباقون بالتخفيف من السماع وتعديته بالى
لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه واذا عدى بنفسه اريد به الادراك
والملاء الاعلى لانهم يسكنون السموات وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة وعنه
اشرف الملائكة ويقذفون ويرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء من اى
جهة قصدوا صعوده للاستراق دحورا مفعول له اى للدحور وهو الطرد او مصدر
اى طردا من السماء وكانوا من قبل يسمعون الى كلام الملائكة
من غير لفظ فعله لان القذف والطرد متقاربا المعنى فكانه يدحرون او قذفا او حال
بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويعضده قراءة السلمي
دحورا بفتح الدال وهو ايضا يجوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع او صفة له
على قذفا دحورا طرودا ولهم عذاب واصب دائم من وصب الامر وصوبا
اذا دام وقال مقاتل دائم الى النفخة الاولى لانهم يخرجون ويخبلون وقيل يعني انهم
في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دائم غير
منقطع الا من خطف الخطفة استثناء من واو لا يسمعون ومن بدل منها اى لا يسمع الشياطين
الا

الا الشيطان الذي خطف الخطفة اى اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة وقرئ خطف
بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما
اختطف فاتبعه فلحقه فاتبعه موصولا شهاب كوكب ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه
وقال عطاء سمي النجم الذي يرمى بها الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم وقال قتادة جعل الله
النجوم ثلث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها
غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وقيل الشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه
بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذكر اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض
من الفلك ولا في قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان
كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة لاهل السماء من حيث انه يرى
كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث لما ذكر في بعض الاوقات رجما للشياطين يتصعد
الى قرب الفلك للسمع وما روى ان ذلك حدث بميلاد النبي صلم فلعل المراد كثرته وقوعه
او مصيره دحورا واختلف المرجوم يتاذى فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد
مرة وقد لا يصيبه كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان
من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان من التراب الخالص مع
ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة اهلكتها فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة
او لبني ادم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يريد من خلقنا ما ذكر من خلائق من الملائكة
والسموات والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين
المردة وقال من دون ما لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء
فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير
تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق فا
ستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناهم من ذلك ويقطع عليه قراءة من قرا ام من عددنا
مخففا ومشددا او اشد خلقا اى اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة
او اصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى فان من هان عليه خلق
هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وقوله انا خلقناهم
من طين لازب شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يخلق من الطين غير موصوف بالصلابة

والقوة او مجاز عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب لمن ابين انكروا
ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا يعضد ما يتلو من ذكر انكارهم
البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وهذا لا يلايم قوله انا خلقناهم من طين لازب
لان هذا فارق بينهم وبين تلك الاشياء لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود
وقرى لازم والمعنى واحد وهو لاصق يعلق باليد بل عجبت من قدرة الله تعالى هذه الخلايق
العظيمة وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقال قتادة عجب
نبي الله من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي عم كان يظن ان
كل من يسمع القران يؤمن به فلما سمع المشركون سخروا عنه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبي عم
فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون وقرا حمزة والكسائي وخلف بضم التاء اى بلغ بعظم
اياتي وكمال قدرتي وكثرة خلايقي الى ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم وعنادهم
يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن
جوزه ويصف الله بالقدرة والعجب من الله محمول على تخييله وفرضه او على معنى الاستعظام
اللازم له لانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروع
وفي الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم وكان شريح يقرا بالفتح و
يقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا يعجبه
علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرا بالضم وقيل انه مقدر بالقول
اى يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون
او اذا ذكر لهم ما يدل على صدق البعث وصحته لا ينتفعون به لفرط بلادتهم وقلة
رويتهم واذا راوا اية معجزة تدل على صدق القايل وحقيته كانشقاق القمر ونحوه
يستسخرون يبالغون في سخريته ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم عن بعض ان
يسخر منها وقالوا ان هذا اشارة الى ما يرونه من الاية الا سحر مبين ظاهر امره في البطلان
لا شبهة فيه ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون العامل في اذا فعل مضمر يدل
عليه لمبعوثون تقديره انبعث اذا متنا والهمزة للانكار الذي يراد به النفي وتكريرها
باد راجها على اذا وان مبالغة في الانكار والجحود ودليل على كفر موكد متبالغ فيه ولا
يصح ان يكون اذا معمولا لمبعوثون لان ما بين يدي على عما بعدها وهي الهمزة وان واللام

واحدة

واحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت الثلثة وقيل اصله انبعث اذا متنا فبدلوا
الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا
بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد انكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر
بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب في رواية روح عنه بطرح الثانية
وقرا حمزة والكسائي وحفص وخلف متنا بكسر الميم والباقون بضمها اوآباؤنا الاولون
عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون وانما حسن العطف عليه للفاصل الذي
هو همزة الاستفهام كما حسن العطف على المضمر في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة
للنفي والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد
وابطل وقراءة نافع برواية قالون وابن عامر وابو جعفر او بسكون الواو على الترديد و
الباقون بفتحها ادخالا لهمزة الاستفهام على حرف العطف وهو ابلغ لافادته زيادة الانكار
والاستبعاد قل نعم قرا الكسائي بكسر العين والباقون بفتحها وهما لغتان وقرى قال اى
الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون وقيل انما اكتفى به في
الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر بوقوعه فانما هي زجرة واحدة
جواب الشرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هي النفخة الثانية
من زجر الراعي غنمه او ابله اذا صاح عليها فريعت لصوته ويجوز ان يكون هي ضميرا مبهما ولا
يرجع الى شيء وزجرة واحدة تفسيره فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء
يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا يا هلاكنا تعالى فهذا اوانك ثم
اشاروا الى وقت هلاكهم بقولهم هذا يوم الدين اليوم نجازى باعمالنا وقد تم به
كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم او هو
ايضا من كلام بعضهم لبعض ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين المصدق والمكذب
به احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظالمين اى المشركين
من مقامهم الى الموقف ثم الى الجحيم والحشر يجيء بمعنى البعث وبمعنى الجمع والسوق وهو
المراد به هاهنا دون الاول لما لا يخفى وازواجهم اى واشباههم من اهل الشرك
والكفر والنفاق والعصيان عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدة الكواكب
اليهود والنصارى مع النصارى والمجوس مع المجوس حتى اهل الخمر مع اهل الخمر و

واهل الزنا مع اهل الزنا ونساؤهم اللاتي على دينهم قاله الحسن او قرناؤهم من
الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة قاله الضحاك ومقاتل وما كانوا يعبدون
من دون الله من الاوثان وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون وما
موصولة او موصوفة بمعنى والهة كانوا يعبدونها وهل يجوز استفهامية بمعنى واي شيء
كان معبودهم تحقيرا لما عبدوه من الاصنام التي اصغر الاشياء واذلها واصنعها ففيه تامل
فاهدوهم الى صراط الجحيم اي دلوهم الى طريق النار قاله ابن عباس رض او فسوقوهم
الى النار كما قال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال ابن كيسان قدموهم و يقدمهم
العرب تسمي السابق هاديا وقيل عرفوهم طريق النار ليسلكوها وقفوهم احبسوهم عند الصراط
فانهم مسئولون قالوا لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط لان السؤال عند الصراط
فقيل وقفوهم انهم مسئولون عن جميع اقوالهم وافعالهم قاله ابن عباس وعنه
عن لا اله الا الله وقال النبي عم لا تزال قدما ابن آدم يوم القيمة حتى يسال عن اربعة
عن شبابه فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين كسبه وفيما انفقه وعن علمه
ماذا عمل به وقيل احبسوهم في الموقف ولعله اراد موقف الصراط حتى لا يكون مخالفا لما اجمع
عليه المفسرون من اهل الحق والآية نص قاطع ينطق بحقية الصراط وهو جسر ممدود على متن
جهنم ادق من الشعر واحد من السيف يعبره اهل الجنة وتزل به اقدام اهل النار وعن
جابر عن النبي عم اذا كان يوم القيمة نصب الصراط على متن جهنم فلا يعبره الا من كان معه
براءة بحسب التخفيف والتثقيل والا يكب على منخره في النار وعنه عم اذا اجتمع العالم و
العابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك وقيل للعالم قف هاهنا
فاشفع لمن احببت فانك لا تشفع لاحد الا شفعت فقام مقام الانبياء رواه ابن عباس
وقرأ الاعمش انهم بالفتح اي لانهم وانكره بعض المعتزلة لانه لا يمكن العبور عليه وان
امكن فهو تعذيب للمؤمنين فاجيب بان الله قادر يمكن من العبور عليه ويسهله على
المؤمنين حتى ان منهم من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم كالريح الهابة ومنهم كالجواد الى غير
ذلك مما ورد في الحديث ما لكم لا تناصرون على ارادة القول اي يقال لهم توبيخا وتقريعا
ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وقوله لا تناصرون حال من معنى الفعل في ما لكم كقولهم ما لك قائما

يعني

يعني ما تصنع قاعدا اي ما تصنعون حال كونكم غير متناصرين وحقيقته ما سبب عدم
تناصركم وانه لا ينصر بعضكم بعضا في هذا الموقف العظيم يقول الله او غيره توبيخا لهم
بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
بل هم اليوم مستسلمون خاضعون او منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم
واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله عن عجز
وكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون على الاصل وقرأ البزي لا تناصرون بادغام
التاء الاولى في الثانية واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع والكفرة و
القرناء يتساءلون يرجع بعضهم الى بعض السؤال والقول للتوبيخ اي يتخاصمون قالوا
انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن اقوى الجهات او عن الدين اي من قبل الدين
او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان
الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن
من القوة والقهر فتحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه او عن الحلف فان الرؤساء
كانوا يحلفون لهم ان ما يدعونهم اليه هو الحق اي من ناحية اليمين التي كنتم تحلفونها
ومعنى تاتوننا تقصدوننا وتضلوننا وعن بعض من قالوا بل لم تكونوا مؤمنين
اي انحن اضللناكم وحملناكم على الضلال والكفر بل كنتم ضالين كافرين في انفسكم لا
اختياركم لا ليميننا وتسويلنا وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين
وما نحن اجبرناكم وما حلنا بينكم وبين كونكم مختارين اذ لم يكن لنا عليكم من سلطان
اي قهر وقدرة نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما مختارين للطغيان فاجابهم الرؤساء
اولا بمنع اضلالهم وثانيا بمنع اجبارهم على الطغيان والكفر فحق علينا فوجب
علينا جميعا قول ربنا هو كلمة العذاب الموعود بقوله لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين يعنون لزمنا هذا القول وتعلق بنا وثبت علينا
انا لذائقون عذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ثم بينوا
ان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يدعوهم
ليكونوا امثالهم فيه فقالوا فاغويناكم اي فدعوناكم الى الغي الذي كنا عليه
انا كنا غاوين ثابتين على الغواية مصممين عليها فانهم فان الاتباع والمتبوع

جميعًا يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا
كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالكاملين في الاجرام المتناهين فيه وهم المذكورون
كقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اى عن كلمة التوحيد او على من
يدعوهم اليه والاستكبار والتكبر ويقولون اينا لتاركوا الهتنا همزة الاستفهام
للانكار اى ماتحن بتاركى الهتنا لشاعر مجنون لاجل شاعر مجنون يعنون النبي عم
ولقد كذبوا في ذلك حيث جننوه وشعروه وقد علموا انه ارجح الناس عقلًا واحسنهم
رايًا واسد قولًا واعلاهم كعبًا في المانث والفضايل كلها واطولهم باعًا في العلوم
والمعارف باسرها ويشهد بذلك خطبة ابو طالب في تزويج خديجة في محضر بنى هاشم
ورؤساء مضر بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وشهادة من الله له بان
ماجاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون فانه ما اتى به
المرسلون قبله من الحق الذى لم يحم حواليه باطل وبل للاضراب عن الاول والاثبات
للثانى اى ليس محمد بشاعر ولا مجنون اى شعر ولا الحق بل جاء بالحق وصدق
المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم بسبب الاشراك وتكذيب الرسول وقرى لذائقوا
العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير
المعرف باللام وقرى لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون
الا مثل ما عملتم اسواء الجزاء بعمل هو اسواء الاعمال وكثيرها الا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع ايضًا بهذا المعنى اولئك لهم رزق معلوم يعنى بكرة وعشيا كما صرح به في
قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا او معلوم خصايصه من الدوام ومحض اللذة والجملة
استيناف فكانه سائلًا ما لهؤلاء المخلصين من الجزاء والثواب فقيل اولئك لهم
رزق معلوم الى قوله يتسائلون ونكر الرزق قصدًا بتنكيره الى فضله وتفخيم شانه وانه
رزق لا يدانيه رزق ولا تحيط به وصف لانه موصوف بانه لا يدرك غايته كما
نطق به حديث سيد المخلصين فواكه جمع فاكهة وهو كل ما يتفكه به اى يتنعم بالجملة و
منها الفكاهة المزاحة ورجل فكه طيب النفس مزاح ضحوك وهي تفسير لرزق معلوم
يعنى ان رزقهم كله فواكه لعدم احتياجهم الى الاقوات لانهم اعيدوا على اجسام
محكمة مخلوقة للابد محصونة من الفساد والخلل فكل ما ياكلونه على سبيل التنعم و
يأكلونه

التلذذ

فالتلذذ وهم مكرمون بثواب الله واكرامه فيكون مصهم بذلك الرزق وبغيره من غير
تعب ولا سؤال منهم كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم و
هو ظرف يقدر على الرزق والاكرام او حال من الضمير في مكرمون او خبر بعد خبر
لهم لا لاولئك لقربه وبعد خاك على انه هو على سرر حال متراد او خبر ثالث
فيكون متقابلين حالًا من الضمير فيه او في مكرمون او في الظرف او متعلق بمتقابلين
والتقابل اتم للسرور والانس وقيل لا يرى بعضهم قفا بعض يطاف عليهم بكاس باناء
فيه خمرًا وخمر كقوله الحشر وكاس شربت على لذة وعن الاخفش والفراء والسدى
كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من
نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون والانهار الخارج من العيون وهو
صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى فيها كما تجرى الماء قال تعالى وانهار
من خمر او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال
اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة وهما ايضًا صفتان للكاس والخمر البيضاء تمام لم تر ولا
ترى في الدنيا وهذه من جملة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وقال الحسن خمر الجنة اشد
بياضًا من اللبن ووصفها باللذة بيانًا لمخالفتها خمور الدنيا بصفة اخرى لانقطاع اللذة
عن خمور الدنيا كلها راسًا او للمبالغة كقول الخنساء انما هي اقبال وادبار كانها نفس
اللذة وعينها او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال في لذ بريد
به النوم للشاربين كل من يشرب منها لا فيها غول غائلة كما في خمور الدنيا كالصداع
قاله الحسن او ذهاب العقل قاله الشعبي او وجع البطن قاله قتادة او الاثم قاله
الكلبي من غال يغول غولًا اذا اهلكه وافسد ومنه الغول الذى يراه بعض الناس
في البوادى ولا يكذب به ولا ينكره الا المعتزلة من جميع اصناف الناس حتى حلوه
من كذبات العرب مع انه يشهد بصحته قول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واذا
تغولت لكم الغيلان فنادوا بالاذان الحديث وبالجملة نفى عن خمر الدنيا انواع من
الفساد من السكر وذهاب العقل ووقوع العداوة والبغضاء والصداع والخسران
في الدين والدنيا حتى جعل شاربها كعابد الوثن ومن القئ والبول وكثيرًا ما تكون
سببًا للقتال والضراب والزنا والمشاحنة وقتل النفس بغير حق كما شوهد من اهلها

ولا شيء من ذلك كله في خمر الجنة وهو من قبيل قصر المسند اليه على المسند دون العكس كما
كما زعم بعضهم لان المعنى ان عدم الغول مقصور على الحصول في خمور الجنة او الغول مقصور
على عدم الحصول فيها لاعتبار النفي في جانب المسند اليه او المسند ولا هم عنها ينزفون قراه
حمزة والكسائي وخلف ينزفون بكسر الزاء من انزف الرجل اذا سكر وذهب عقله او شرابه
وتبعهم الكوفيون في الواقعة والباقون بفتحها في السورتين من نزف الشارب اذا سكر
وذهب عقله فهو نزيف ومنزوف ويقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت
الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وقرى طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاء من نزف
ينزف اذا سكر اي لا فيها فساد قط ولا هم يسكرون والسكر داخل في الفساد لكنه ذكره
بعد تخصيصها بعد التعميم اشعارا بمزيته على غيره من مفاسدها وانه اعظمها حتى انه
من اعظم فساده كانه جنس آخر مغاير ولذلك افرزه وافرده بالذكر مع حرف العطف المبني
عن المغايرة وقرا ابن ابي اسحق وابن يعمر ينزفون بفتح الياء وكسر الزاء وعندهم قاصرات
الطرف قصرن اعينهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله عربا عين حسان
العيون جمع عيناء يقال رجل اعين وامراة عيناء ونساء عين وهو صفة بعد صفة
لموصوف ترك ذكره للعلم به كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي
وقال الحسن شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها ابيض في صفرة
وقالوا احسن الوان النساء ان تكون المراة بيضاء بادية صفرة فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عطف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب لعادة الشرب
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام وقال يوسف الحنفي يقول الله تعالى
لاوليائه يوم القيمة ما حالكم في الدنيا وقد غارت اعينكم وقلصت شفاهكم واصفرت
الوانكم تتعاطوا الكاس فيما بينكم وكلوا واشربوا بما اسلفتم في الايام الخالية ويسال بعضهم
بعضا عما جرى لهم وعليهم في الدنيا وقد جاء في الحديث تحت شجرة طوبى متكى العابدين
الذاكرين هنالك ذكر التعب ههنا قال قايل منهم في محادثته ومكالمته اني كان لي قرين جليس
في الدنيا ينكر البعث قال مجاهد كان شيطانا وقيل انسيا وقال مقاتل كانا اخوين وقيل
الاخوان كانا شريكين احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مومن اسمه يهوذا وهما المذكوران
في الكهف بقوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق

بلغ

بالبعث

بالبعث وقرى بتشديد الصاد من التصدق والجملة قال بعضهم انها نزلت
في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك
فقال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين
بيوم الدين او المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيتك شيئا ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون
من دانه اذا ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومن
الاول قوله عم البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت
كما تدين تدان رواه ابن عمر رض يقال دنته بما صنع اي جزيته قال اي ذلك
القايل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وعن ابن عباس
ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القايل هو الله تعالى وقيل
بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين
فتعلموا ان منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم
الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من ان اداب المجالسة يمنع الاستبداد به او
خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه
او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخي بينهما كانه قال يطلعون وهو ضعيف لا
يقع الا في الشعر وقرى الخليل مطلعون فاطلع اليهم فراه فراى قرينه في سواء الجحيم
في وسطها يقال تعب حتى انقطع سواي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى كنت اكتب
يا ابا عبيدة حتى تنقطع سواي قال تالله ان كدت لتردين والله لقد كدت ان
تهلكني وقال مقاتل والله لقد كدت ان تغويني ومن اغوى انسانا فقد
اهلكه وان هي المخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان و
مثله ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة وقراه ابن مسعود لتغوين وقراه ورش
لتردينى باثبات الياء في حال الوصل دون الوقف ويعقوب في الحالين و
لولا نعمة ربي ولولا رحمة ربي وانعامه على بالاسلام لكنت من المحضرين من الذين
احضرهم معك في الجحيم افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اي نحن شانه الموت وقرى بمايتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا

وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسوال وانتصابها على المصدر من اسم الفاعل
او على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار فانهم في عذاب يتمنون فيه
الموت كل ساعة وعن ابي بكر الصديق رضه انه قال الموت اشد مما قبله واهون مما
بعده وذلك تمام القول لقرينه تقريعا او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله
واغتباطا بحاله او تعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ على ان في حكاية الله اياه
لنا لطفا خفيا وزجرا بليغا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا
لهو الفوز العظيم اي ان هذا الذي نحن فيه من النعمة والخلود والامن من العذاب
لهو السعادة والظفر بكل المراد اذ الدنيا وما فيها يحتقر دونه كما يحتقر القطرة من
البحر المحيط وان يكون هذا من قول الله تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو
الرزق العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون لمثل هذا الذي رزقوه من السعادة
العظيمة يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالالام السريعة الانصرام وهو
ايضا يحتمل الامرين ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك خير نزلا اي خير طعاما
او حاصلا ام شجرة الزقوم ام شجرة ثمرها نزل اهل النار والنزل طعام النزيل وهو
الضيف وطعام كثير النزل هو الزيادة والفضل ومنه قولهم العسل ليس من انزال
الارض اي من ريعها وما يحصل منها فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم
هو اللذة والسرور وحاصل الشجرة الزقوم الالم والغم وانتصابه على التمييز او الحاصل
كقولك اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني كما ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة كذلك شجرة الزقوم
نزل اهل النار فايهما خير في كونه نزلا وقيل في ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم
لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك مما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم
لاهل النار وهو اسم شجرة تهامة صغيرة الورق دفرة مرة سميت به الشجرة الموصوفة
وقيل الزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناوله فهم
يتزقمونه على اشد كراهية ومنه قولهم تزقم الطعام اذا تناوله على كره ومشقة انا جعلنا
ها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا فانهم لما سمعوا
انها في النار قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر
على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه



من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى
دركاتها طلعها اي طلع منها من حملها وثمرها مستعار من طلع النخلة لمشابهته اياه
في الشكل او الطلوع من الشجر ولعله رد على ابن الزبعرى وصناديد قريش و
تجهيل لهم حيث قال ابن الزبعرى لهم ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم
بلسان البربر الزبد والتمر فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم
بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا ما توعدكم به محمد فقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل
الجحيم فليس الزقوم ما فهم هؤلاء الجهلة الضلال ثم قررها بقوله طلعها وزاد في
التقرير بقوله كانه رؤس الشياطين في تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان صورة الشيطان
اقبح الصور واكرهها في طباع الناس وعقائدهم ومن ثم اذا وصفوا شيئا بغاية
القبح والكراهة قالوا كانه شيطان وان لم يروه فتشبيه الطلع برؤس الشياطين
تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك قال تعالى حكاية ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر جدا لها اعراف وقيل ان شجرا
في البادية يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما
سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين قصدا الى احد التشبيهين لفظيا او معنويا
ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثابتا فانهم لاكلون منها من الشجرة او من طلعها
فمالئون منها البطون لغلبة الجوع الشديد والجبر على اكلها وان كرهوها ليكون نوعا
اخر من العذاب اسم فاعل من ملاء الاناء ماء يملأه فهو مالئ وملئ والملاء حشو
الاناء بما لا يحتمل الزيادة عليه ثم ان لهم عليها اي بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش
وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة على كراهة
طعامهم وبشاعته فيكونون جامعين بين اكل الطعام الكريه البشيع وشرب الشراب الكريه
الابشع لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا ممزوجا بماء حميم يشوي وجوههم
ويقطع امعاءهم والحميم الماء الحار قد انتهى حره ومنه الحمة في قولهم مثل العالم كمثل الحمة وهي
العين الحارة الماء وقرئ الشيباني النحوي لشوبا بضم الشين ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم
الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها
لقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن اي يوردون

الله كما يورد الابل الى الماء ثم يوردون الى الجحيم ويؤيد قراة ابن مسعود ثم ان منقلبهم
وقرا ابو البرهسم وهو حرف انه ثم ان مصيرهم وفي تكرير ثم دلالة على انه يعاقب عليهم
بين اكل الزقوم وبين شرب الحميم وبين التصلية بالنار والرجوع الى دركاتها ويجوز
ان يكون ادا الاستغانوا من الحميم جعل النار غيا فهم اللهم من لا اله الا انت نسئلك بوجهك
الكريم ان لا تعذبنا بشيء من عذابك في الدنيا والآخرة وما بينهما وان تدخلنا الجنة
بغير حساب ولا عذاب ولا عتاب ولا توقف في مواقف القيمة وان تستجيب دعادنا هذا
وساير دعواتنا وان تصلي على نبينا محمد واله وصحبه اجمعين وتسلم تسليما عدد ما في
علمك في كل حين ابدا الآبدين انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون
تعليل لاستحقاقهم تلك الشدايد كلها بتقليد ابائهم في الضلال والاهراع الاسراع الشديد
كانهم يحثون حثا ويزعجون على الاسرع على اثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من
غير تامل وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم الخالية ولقد
ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
اخرا الذين انذروا من العواقب وحذروها استوصلوا جميعا بشوم ضلالهم عن
الهدى الا عباد الله المخلصين الا الذين انتهوا بانذارهم واخلصوا دينهم لله
وقرا الكوفيون ونافع وابو جعفر بفتح اللام اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب
مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم سمعوا اخبارهم وراوا اثارهم ولما ذكر ارسال
المنذرين في الامم الماضية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك قصة نوح وغيره ليكون
تفصيلا لقصصهم بعد اجمالها فقال ولقد نادانا نوح اي دعانا حين ايس من
قومه فلنعم المجيبون اللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبنا دعاءه احسن
الاجابة حيث اوصلناه الى مراده من نصره على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون
وقرا جعفر بن محمد ولقد نادينا نوحا كقوله اذ نادى ربه ونجيناه واهله من الكرب
العظيم من الغرق واذى قومه دهرا طويلا وجعلنا ذريته هم الباقين فانه تعالى جعل
الناس كلهم من نسل نوح على ما روى الضحاك عن ابن عباس انه قال خرج نوح من
السفينة مات كل من معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم وهم الذين بتوالتناسل



الى يوم القيمة وقال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وقال سعيد بن المسيب
وغيره كان ولد نوح ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم و
حام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك والخزر وياجوج و
ماجوج ومن هنالك وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على
نوح اي يسلمون عليه تسليما ويدعون وهو من قبيل الكلام المحكي كقولك قرات
الحمد لله رب العالمين وسورة انزلناها وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول
تركنا محذوف اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا في الآخرين فيمن بعده من
الانبياء والامم الى يوم القيمة في العالمين متعلق بالجار والمجرور والمعنى الدعاء
لثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم
على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح
بابقاء ذكره وتسليم العالمين عليه بقوله انا كذلك نجزي المحسنين كانه قيل جازيناه بتلك
الكرامة السنية الى آخر الدهر بسبب انه كان محسنا كاملا في الاحسان انه من عبادنا
المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدر الايمان واصالة امره و
القصاري من صفات المدح والتعظيم وترغيبا لكم في تحصيله والثبات عليه ثم اغرقنا
الآخرين من كفار قومه وهو عطف على نجيناه وثم لما بين الانجاء والاغراق من التفاوت
وكذا اذا كان عطفا على تركنا وليس للتراخي لان كلا من الانجاء والابقاء انما هو
بعد الاغراق دون العكس كما يقتضيه التراخي وان من شيعته ممن شايعه في الايمان
وساير اصول الدين وان اختلف شرايعهما او شايعه على التصلب في دين الله
ومصابرة المكذبين ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وعن ابن عباس
وان من اهل دينه وسنته لابرهيم ما كان بينهما الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح
وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى
المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم ابرهيم
او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من جميع افات القلوب او من جميع العلايق
خالص لله او مخلص له او صالح لان القلب على نوعين قلب صالح وقلب فاسد
كما نص عليه الحديث وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ وقيل من الشرك ولا معنى للعدول

عن الظاهر من غير ضرورة فليس ببعض المفاسد اولى من بعض فتناولها كلها ومعنى
المجيء بقلبه ربه انه اخلص قلبه لله وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك اذ قال لابيه
وقومه بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ماذا تعبدون استفهام انكار و
توبيخ اي اي شيء تعبدون او اي شيء الذي تعبدون أئفكا آلهة دون الله
تريدون اي اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول على الفعل للعناية
ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم عنده ان يقررهم على افك وباطل في شركهم
ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في نفسها للمبالغة
والمراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله
آفكين والافك هو الكذب او الصرف عن عبادة الحق الى عبادة الباطل وبه فسر قوله فانى
يؤفكون فما ظنكم برب العالمين بمن هو الحقيق بالعبادة لان له الربوبية المطلقة حتى
تركتم عبادته او اشركتم به غيره وانتم من عذابه والمعنى انكار ان يوجد ما يصد عن
عبادته ويجوز الاشراك به ويقتضي الامن من عذابه فضلا ان يقطع وقيل والمعنى
انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم اي شيء هو من الاشياء
حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم
غيره فنظر نظرة في النجوم فرأى في علم النجوم او في كتابها او في احكامها ومواقعها واتصالاتها
كان قومه ينتحلون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه فاوهمهم انه
استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون
لئلا يخرجوه الى عيدهم وكان اغلب اسقامهم وكانوا يخافون العدوى او اراد اني
سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج من الاعتدال خروجا قل ما يخلو عنه او بصدد
الموت فان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي
بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا بالسلامة داء وقد مات رجل فالتف عليه الناس وقالوا مات
وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه فتولوا عنه مدبرين فاعرضوا
ونفروا عنه هاربين منه مخافة العدوى وتركوه في بيت الاصنام فريدا ليس معه احد
فراغ الى آلهتهم فذهب في خفية الى اصنامهم التي زعموا انهم آلهتهم من روغة الثعلب
واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء بها وبالخطاب على حال عبدتها الا تأكلون يعني الطعام

الذي

الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون اي ما تصنعون غير ناطقين بجوابي كيف تركتم ما لكم لا تقوم
فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل كره ضربا باليمين
مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا با
ليمين اي ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدها وهذا
ما قيل من ان تقييد الضرب باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة
الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم وقرأ الحسن سفقا
والضحاك صفقا ومعناهما الضرب فاقبلوا اليه فتوجهوا الى ابرهيم بعدما رجعوا فرأوا
اصنامهم مكسرة وبحثوا عمن كسرها فظنوا انه هو كما شرح في قوله من فعل هذا بآلهتنا
الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة يُزِفون بضم الياء وكسر الزاء من ازف
اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا وقرئ يزفون
على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون
من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو لتسارعهم اليه قال أتعبدون ما تنحتون
همزة الاستفهام للانكار وما موصولة اي لا تعبدوا الذي تنحتونه من الاصنام او
موصوفة بمعنى صورا او تماثيل تنحتونها والله خلقكم وما تعملونه والخالق هو الحقيق بالعبادة
دون المخلوق وما موصولة اي ما تعملونه من الاصنام وغيرها فان جوهرها بخلق الله
وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف
عليه فعلهم من الدواعي والعدد او مصدرية اي وعملكم بمعنى معمولكم ليوافق ما
تنحتون او بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف
على فعلهم اولى بذلك ويشهد لهذا المعنى قول النبي عم ان الله تعالى خالق كل صانع وصنعته
رواه حذيفة وبهذا المعنى تمسك به اهل الحق على ان افعال العباد مخلوقة الله تعالى وقد
رجح هذا المعنى الاخير على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم في النار الشديدة الوقود من الجحمة وهي شدة التأجج وقد قيل نار جاحمة
شديدة الحر مضطرمة وقيل كل نار على نار وجمر على جمر فهي جحيم واللام عوض
عن المضاف اليه اي جحيم البنيان الذي بنوا له وتطيبه اللام في قوله وعلم آدم الاسماء واشتعل
الرأس شيبا وقيل الجحيم معظم النار وقال مقاتل بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء

ان القوم اذا ابنوا ابرهيم على كسر الاصنام فهو ذكر لهم الدلائل الدالة على فساد المصير الى عبادتها فقال أتعبدون تفسير كبير

واعلم انا ابرهيم لما اورد عليهم هذه الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء فقالوا ابنوا له تفسير كبير

ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملاؤه بالحطب واوقدوا فيه النار و
طرحوه فيها فارادوا به كيدا شرا وهو ان يحرقوه بالنار فانهم لما قهرهم وغلبهم
بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين
بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما
وقال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي وهو الشام كما قال اني مهاجر
الى ربي او ذاهب الى حيث اتجرد فيه لعبادته ولعله امره الله بان يهجر دار الكفر ويذهب
الى موضع يقدر على زيادة الصحبة التي هي قبلته وعلى عمارة المسجد الحرام وهو القرية التي دفن
فيها كما امر نبينا بالهجرة عن مكة الى المدينة سيهدين سيدلني على ما فيه صلاح ديني
او مقصدي وقرأ يعقوب سيهديني بالياء وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله
او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى حين قال عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع ولما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد بقوله
على الدعوة والطاعة ويونسه في الغربة فقال رب هب لي من الصالحين بعض
الصالحين يريد به الولد لان لفظ الهبة غالب في الولد وان جاء في الاخ في قوله
اخاه هارون نبيا ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بان الولد الموهوب له غلام
ذكر وانه يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما واي حلم
اعظم منه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم
استسلم لذلك وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما
السلام ولم يوصف به في القران العظيم غيرهما من الانبياء والحادثة تشهد بحلمهما فيه
فلما بلغ معه السعي فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في امور الدينية والدنيوية ومعه متعلق
بالسعي وجاز لانه ظرف فيكفيه رائحة من الفعل ونظيره في تقديم الظرف الواقع معمولا
للمصدر عليه قوله تعالى لا تاخذكم بهما رافة وقوله اكان للناس عجبا وغير ذلك مما ورد في
التنزيل وغيره لا ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولم يكن معا ولا بمحذوف كما زعم
الزمخشري والبيضاوي لانه عدول عن الظاهر ومحض تكلف لا شبهة فيه حيث قال كانه
لما قال فلما بلغ السعي قيل مع من قال مع ابيه واعلم ان هذا التقرير من العلامتين خطا ينبغي
ان لا يجترى عليه المفسر لكلام الله الذي لا يتغير ولا يتبدل لان الله تعالى يقول فلما بلغ

السعي

السعي معه حتى يصح كلامهما بعض الصحة بل قال فلما بلغ معه السعي بتقديم معه السعي
فقولهما كانه قال فلما بلغ السعي ضرب من التفسير للمنزل ولا يجوز مثله عند اهل الحق
كما لا يخفى على المتامل المنصف ولا يغرنك لفظ كانه في عبارتهما لانه نوع تكلفهما
مع العناية عنه بالحق الذي قررنا به سمعك وكن معنا وقيل ان الحق جواز ذكر
في الظرف وشبهه كما ذهب اليه اهل التحقيق وتخصيص اب لانه يكفي في الرفق به والعطف
عليه والاتصال له فلا يعتنى به ولا يسعى به قبل وانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلث عشرة سنة او سبع سنين على اختلاف القولين قال يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك قيل انه في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء حق كالوحي
في اليقظة ولهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك فتذكر تاويل الرؤيا كما يقول
الممتحن وقد راى انه راكب في السفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل
يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له
ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى في نفسه اي فكر من الصباح الى الرواح امن الله
هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمه سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فلما اصبح
عرف انه من الله فمن ثمه سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم
بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة لما بشرته بغلام حليم قال هو اذا ذبيح الله
فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك واختلف في هذا الغلام الذي امره
ابرهيم بذبحه فقال عمر وعلي وابن مسعود والعباس وابنه برواية عكرمة وابن
جبير عنه هو اسحق وبه قال كعب الاحبار وقتادة ومسروق وعطا ومقاتل والزهري
والسدي وقالوا هذه القصة كانت بالشام حتى قال سعيد بن جبير لما اري ابرهيم
ذبح اسحق في المنام سار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر بمنى فلما
امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية
والجبال ويشهد فيه قول النبي عم ان الله تعالى لما كشف عن اسحق كرب الذبح قيل له
يا اسحق سل تعط فقال والله لاتعجلنها قبل نزغات الشياطين اللهم من مات لا يشرك
بالله شيا ادخله الجنة رواه ابو هريرة رض وقال ابن عمر وابن عباس برواية عطا و
يوسف بن ماهك هو اسمعيل وبه قال ابن المسيب والحسن والشعبي والكلبي والقرظي

ومجاهد والربيع بن انس واحتجوا بان البشارة باسحق معطوف على البشارة
بهذا الغلام وبان اسمعيل هو الذي وهب له اثر الهجرة وعن الاصمعي سألت
ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق كان ام اسمعيل قال يا اصمعي اين ذهب عقلك متى
كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه ولقوله عم انا ابن
الذبيحين فاحدهما جده وابو عبد الله فان عبد المطلب نذر ان لا تذبح
احدا ولد ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله له خرج السهم على
عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة وبان
ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة الى ان احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم
يكن اسحق ثم وعن ابن عباس قال والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس
الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وبان الله وصفه بالصبر
دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على
الذبح ووصفه بالصدق في الوعد في قوله صادق الوعد وعدا اباه من نفسه
بالصبر على الذبح وبان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه في قوله فبشرناه
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا فلو كان الذبيح اسحق
لكان خلفا للوعد في يعقوب وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو
اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم سأل رجلا كان
من علماء اليهود اسلم وحسن اسلامه فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم
معشر العرب على ان يكون اباكم الذي امر الله بذبحه وقرأ حفص يا بنيّ بفتح الياء
المشددة والباقون بكسرها وقرأ الكوفيون وابن عامر ويعقوب اني اري اني اذبحك
بسكون الياء فيهما على الاصل والباقون بفتحها فيهما طلبا للخفة فانظر ماذا ترى من الرأي
على وجه المشاورة وانما شاوره فيه وهو حتم من الله ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله
فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليوطن نفسه عليه
فيهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله
لان المفاجأة بالذبح مما يستهجن وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة
في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك وقرأ حمزة والكسائي وخلف ماذا تُري بضم التاء وكسر الراء

من الرأي الا انه عدي بالهمزة الى مفعولين احدهما ماذا وثانيهما محذوف اي ما
ذا تريني اي تبصرني والباقون بفتحها وهو متعد الى مفعولين احدهما ماذا
اي اي شيء ترى او اي شيء الذي تراه على سيبويه في ماذا صنعت من الوجهين
احدهما ان يكون المعنى اي شيء صنعته والثاني ان يكون ماذا كله بمنزلة اسم واحد
كانه قيل اي شيء صنعت وقرئ ماذا تُرى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك
من الرأي قال يا ابت قرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي تؤمر به
فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية
اي امرك بمعنى مأمورك على اضافة المصدر من المبني للمفعول ولعله فهم من كلامه
انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون
عليه الا بامر ولعله الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال
ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع ليقع التكليف بفعل
ظاهر في الاستمرار ولتكرر الرؤيا فقال مقاتل وغيره رأى ذلك ثلث ليال متتابعات
فلما تحقق ذلك اخبر به ابنه وقال ذلك ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح
او على قضاء الله وقرأ نافع وابو جعفر ستجدني بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله
وسلما له وقد قرئ بهما بمعنى واحد وهو الانقياد له والخضوع واصلها من قولك
سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله
واسلم منقولان منه بالتضعيف والهمزة وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها
سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم
هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين اي وصرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض
لمباشرة الامر وذلك بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وقال ابن
عباس اضجعه على جبينه على الارض والجبين ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة وعن
شمالها وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان
ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى
وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا
بالعزم والاتيان بالمقدمات لقوله صلعم ان جبريل ذهب بابرهيم الى جمرة العقبة

فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ فلما اراد ابرهيم ان يذبح
اسحق قال يا ابت اوثقني لا اضطرب فينتضح عليك دمي اذا ذبحتني فشده فلما
اخذ الشفرة واراد ذبحه نودي من خلفه يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا وروي
ان ابرهيم كان قد راي الذبح ولم يذبح وقيل كان قد راي في النوم معالجة
الذبح ولم ير اراقة الدم وقد فعل ذلك في اليقظة ما في النوم فلذلك قال له قد
صدقت الرؤيا وقد روي المفسرون انه لما اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل و
المدية وانطلق بنا نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي
حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي
فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد
واقرا على سلامي على امي وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل
لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه و
هما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل شيئا لان الله ضرب صحيفة من نحاس على
حلقه فقال كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك
وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا ونظر فاذا جبرئيل معه كبش اقرن املح فكبر جبرئيل والكبش وابرهيم
وابنه واخذ الكبش حتى ذبحه وقيل لما وصل موضع السجود الى الارض جاء الفرج
وجواب لما محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد
صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما
واغتباطهما وحمدهما وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم
بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس من الفضل عن العالمين و
الثواب العظيم والاعواض ورضوان الله ليس وراءه مطلوب وفي قراءة زيد بن علي
وناديناه يا ابرهيم بحذف ان وقرا الخليل قد صدقت بالتخفيف انا كذلك نجزي
المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل
وقوعه حيث امر ابرهيم بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل وتحقيق ذلك ان العلماء
اختلفوا في ذبح ابرهيم على مذهبين فذهب بعضهم الى انه امر بذبح الولد ثم

نسخ

نسخ بورود الفداء بذبح الشاة اما كونه مامورا بذبحه ولقوله تعالى افعل ما تؤمر
فانه يدل على ان الذبح كان مامورا به ولقوله وفديناه بذبح عظيم والفداء
انما يكون بدلا عن المامور به ولو كان المامور به مقدمات الذبح لما احتيج الى الفداء
لانه قد اتى وايضا لو لم يكن الذبح مامورا به لامتنع شرعا وعادة اشتغاله بذلك
واقدامه على الترويع وامرار المدية على حلق الولد وتله للجبين واما كونه
فلانه لو لم ينسخ لكان تركه معصية فان قيل قد وجد الذبح بما روي انه
كلما قطع شيئا يلتحم عقيب القطع اجيب بانه خلاف العادة والظاهر ولم ينقل نقلا
يعتد به ولو كان لما احتيج الى الفداء ثم هذا النسخ ليس من قبيل النسخ قبل التمكن من
الفعل كما في نسخ الصلوات ليلة المعراج للقطع بانه تمكن من الذبح وانما امتنع
بمانع من الخارج فاما كونه قبل الفعل فالنسخ لا يكون الا كذلك اذ لا يتصور نسخ
ما مضى ولهذا قال بعض الائمة كل نسخ واقع فهو متعلق بما كان تقديره وقوعه في
المستقبل فان النسخ لا ينعطف على مقدم سابق بل الغرض انه اذا فرض ورود
الامر بشيء فهل يجوز ان ينسخ قبل ان يمضي من وقت ايصال الامر به ما يتسع لفعل
المامور به والحاصل انه اذا وقع التكليف بفعل ظاهره الاستمرار فهل يجوز ان ينسخ
قبل ان يؤدى بشيء من جزئياته كما لو قال حجوا هذه السنة وصوموا غدا ثم
قال قبل مجيء وقت الحج والغد لا تحجون ولا تصومون وذهب بعضهم الى
انه ذبح ابرهيم ليس بنسخ اذ لا رفع هنا ولا بيان للانتهاء وانما هو استخلاف
وجعل الذبح الشاة بدلا عن ذبح الولد اذ الفداء اسم لما يقوم مقام الشيء
في قبول ما يتوجه اليه من المكروه يقال فديتك نفسي اي قبلت ما يتوجه عليك
من المكروه ولو كان ذبح الولد مرتفعا لم يحتج الى قيام شيء مقامه وحيث قام الخلف
مقام الاصل لم يتحقق ترك المامور به حتى يلزم الاثم وانما امر بذبح الولد
ابتداء على المذهبين واعترض على الاخير بان الامر بالفداء حرم الاصل يعني
ذبح الولد وتحريم الشيء بعد وجوبه نسخ لا محالة اجيب بانه لما اقام الفداء مقامه
عاد الحرمة الاصلية يعني ان حرمة ذبح الولد ثابتة في الاصل فزالت بالوجوب
ثم عادت لقيام الشاة مقام الولد فلا يكون حكما شرعيا حتى يكون نسخا له

شئ للوجوب ان هذا لهو البلاء المبين اى الاختبار البين الذى يتميز فيه
المخلصون من غيرهم او المحنة البينة التى لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح الذبح
اسم ما يذبح وعن ابن عباس برواية سعيد بن جبير هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل
منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعن الحسن فدى بوعل اهبط عليه من
ثبير وقال اكثر المفسرين كان كبشا رعى فى الجنة اربعين خريفا وعن ابن عباس لو تمت
تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى
وقوله صلعم عظموا اضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقال مجاهد سماه عظيما لانه متقبل
وقيل لانه كان من عند الله وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وقيل لانه رعى
فى الجنة ثلثة الاف وثلثمائة وسبعين سنة وقيل عظيم فى الثواب وروى انه هرب من
ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة فى الرمى وعن ابن عباس لما امر
بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابرهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة
فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابرهيم لامر الله تعالى وروى
انه لما ذبحه قال جبرئيل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله
اكبر ولله الحمد فبقيت سنة والفادى على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه لانه الواهب
له والآمر به على التجوز فى الفداء او الاسناد وقد استشهد ابو حنيفة بهذه الآية فيمن
نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة وكان مسروق يفتى بوجوب ذبح شاة فى النذر
بذبح الولد وابن عباس بوجوب مائة من الابل اذ هى الدية ثم رجع الى فتوى مسروق
وتركنا عليه فى الآخرين تركنا بمعنى ابقينا ومفعوله اما محذوف يدل عليه
التسليم اى ابقينا له ذكرا جميلا وثناء حسنا فى الآخرين من الانبياء والامم على ما حكى
بقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين او مذكور وهو قوله سلام على ابرهيم
اى هذا الكلام وجئ به على الحكاية كقولك بدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلنا
ها ومنه قوله وجدنا فى كتاب بنى تميم احق الخيل بالركض المعار والمعنى يسلمون
عليه تسليما او هو سلام من الله عليه كذلك نجزى المحسنين مثل ذلك الجزاء نجزى
كل من احسن فى العمل فنبقى له ذكرا جميلا وثناء حسنا فى اهل الارض واهل
السماء فيذكرونه بالخير ويثنون عليه بالجميل ويدعون له ويترحمون عليه

و

ويستغفرون له حيا وميتا ولما ذكرنا كذلك فى هذه القصة مرة حذف انا ههنا
رومًا للخفة واكتفاء بذكره مرة ثانية انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه
محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة قدر الايمان ورفعة محله واصالة امره و
يرغبك فى تحصيله والثبات عليه وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين البشارة الاخبار بما يظهر
سرورا فى المخبر به ومنه تباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه ومن جعل الذبيح اسمعيل قال
بشر ابرهيم بعد ذلك باسحق نبيا جزاء لطاعته ومن جعل الذبيح اسحق قال بشر بنبوة
اسحق من رواة عكرمة عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ و
المعنى على هذا الوجه الاخير وبشرناه بعد نجاة اسحق من الذبح بكون اسحق نبيا من
الصالحين فيكون نبيا منصوبا على انه خبر لكان المحذوف ومن الصالحين صفة له او خبر
ثان وهذا المعنى لا غبار فيه ولا كلام عليه وكذلك على الوجه الاول ان كان اسحق موجودا
حين نجى اسمعيل من الذبح وقيل المعنى وبشرناه بوجود اسحق نبيا على ان نبيا حال مقدر
كقوله فادخلوها خالدين على ان عاملها الوجود لا فعل البشارة ومن الصالحين
حال ثانية وردت على سبيل الثناء والتعظيم لان كل نبى لا بد ان يكون من الصالحين
وقيل مقضيا بنبوته مقدرا كونه وهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به
وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار
المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق
نبيا اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها
خالدين لا الداخلين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة
نفسه وصلاحها حينما يوجد وفيه نظر لان من جعل الوجود عاملا فيهما ان يكون المبشر به
موجودا حال تقدير النبوة والصلاح غير معدوم لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا
بالحلى الا ان يكون مقدرا بنبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد على انه لا استحالة اسحق
لم يكن مقدرا بنبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد لان كل واحد من الانبياء كان
معدا بنبوته وصلاحه حينما يوجد وتوضيح ذلك ان كل مقدر من النبوة والصلاح
والدخول فى الجنة مثلا لا بد له من مقدر وهو الله الذى قدر كل شئ تماما
ويكون فى اللوح المحفوظ واذا وقع المقدر حالا من شئ فلا بد من وجود ذلك

الشيء لان الحال صفة والصفة لابد لها من موصوف وجودًا وعدمًا بمعنى ان عدم
ذي الحال يوجب عدم الحال في وجودها وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه
بذبحه قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معًا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع
علمه بانه سيكون نبيًا وفي هذا التعليل نظر وباركنا عليه وعلى اسحق اي وافضنا عليهما
بركات الدين والدنيا او وباركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا
من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب وقرئ وبركنا بالتشديد للمبالغة
ومن ذريتهما محسن في العمل او على نفسه بالايمان والعمل الصالح وظالم بخبره بان يأمر
بها ونهيه عن ضدها وقراءة سعيد بن جبير وابو البرهسم ومن ذريتهما بفتح الهاء وظالم لنفسه
بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان الظلم في اولادهما وذريتهما لا يعود عليهما
بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يجازى بما صدر من نفسه طاعة او معصية لا بما صدر
من اصله وفرعه كما قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وان النسب ليس له زيادة اثر
في الصلاح والفساد والطاعة والعصيان فقد يلد الصالح العاصي والمؤمن الكافر
وبالعكس ولو كان ذلك بحسب الطبيعة لم تتغير ولم تتخلف ولقد مننا على موسى وهرون
اي انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة وساير النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم من الغم العظيم الذي كانوا فيه من الغرق وتغلب فرعون
واستعباده ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه
واتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور وقال من جوز ان يكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند
فوعلة منه على ان التاء مبدلة من الواو وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام
من الطريق الموصل الى الحق والصواب كما يعبر الصراط المستقيم من معناه الحقيقي وهو
الطريق المستوي للدين الحق وهو ملة الاسلام وهذا امر متحقق عقلًا فقد نقل
اللفظ الى امر معلوم من شانه ان ينقص عليه ويشار اليه اشارة عقلية ولاجل
خفة ستيت هذه الاستعارة بالحقيقة وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى و
هرون وابقينا لهما في الاخرين هذا الكلام او ذكرًا حسنًا انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين مر تقريره ونظيره غير مرة وان الياس لمن المرسلين هو



الياس بن ياسين من اولاد هرون اخي موسى بعثه بعد وقال ابن عباس
هو ابن عم اليسع وقال ابن اسحق هو الياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هرون
بن عمران قبل وهو ادريس كانه استدل عليه بقراءة ابن مسعود وان ادريس
في مكان الياس وفي حرف ابي وان ابليس وقراءة ابن ذكوان مع خلاف عنه وان
الياس قراءة الحسن بالوصل وحذف حركة الهمزة منه والباقون باثباتها اذ قال لقومه
الا تتقون محذوف وهو اذكر او بالمرسلين بمعنى وان الياس لمن الذين ارسلوا بالنبوة
والرسالة حين قال لقومه الا تتقون الا تخافون الله ان يزيل عنكم نعمه وينزل
عليكم نقمه بشوم كفركم وعبادتكم غيره او الا تتقون الله في حفظ حقوقه فتركوا عبادة
غيره والمعنى اتقوا الله لا تدعوا بعلًا لان الهمزة في الا تتقون للانكار والتوبيخ ينكر
عليهم عدم تقواهم ويوبخهم عليه كما تقول للجار الفاسق الا تتقي الله الا تستحيي من الناس
انكارًا عليه عدم اتقائه وترك استحيائه وتوبيخًا عليه وكذا في قوله اتدعون بعلًا اي
اتعبدونه بمعنى لا تعبدوه ولا تطلبوا الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام و
هو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذا
الدار اي ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون
عبادته وقد اشار فيه الى الموجب للانكار المراد بالهمزة ثم صرح بقوله الله ربكم ورب
ابائكم الاولين قراءة حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالنصب على البدل من احسن
الخالقين او عطف بيان له والباقون بالرفع على الابتداء وروي عن حمزة انه كان اذا
وصل نصب واذا وقف رفع وروي ان يوشع بن نون لما فتح الشام قسمها بين بني
اسرائيل فاحل سبطًا منهم ببعلبك وهم السبط الذين كان منهم الياس ولما قبض الله
حزقيل اليهم ولما قبضه عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك
ونصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله اليهم الياس نبيًا وكان
الانبياء من بني اسرائيل يبعثون من بعد موسى بتجديد ما نسوا من التورية وكان
على سبط منهم الياس ملك اسمه لاجب قد اضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام وكان
يعبد هو وقومه صنمًا يقال له بعل وكان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعًا وله
اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخذموه اربع مائة سادن وجعلوهم انبياءه

فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى وهم لا يسمعون منه شيئا الا كاتب الملك فانه صدقه
وآمن به فكان الياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان لهذا الملك امرأة يقال لها
ازبيل ويستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم وكانت تبرز للناس وتقضي بينهم وكانت قتالة للانبياء
يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب مؤمن حكيم يكتم ايمانه وخلص
من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة وقد تزوجت سبعة
من ملوك بني اسرائيل وقتلت كلهم غيلة وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا و
كان لزوجها لاجب جار صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها في جنب قصرها
يشرف عليها وكانا يتنزهان فيها ويقيلان ويأكلون ويشربان منها وكان الملك
يحسن جوار مزدكى ويحسن اليه وامرأته تحسده لاجل الجنينة وتحتال ان يغصبها لما تسمع
الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال ان تقتله والملك ينهاها عن
ذلك فلا تجد عليه سبيلا حتى خرج الملك الى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته ذلك فامرت
جمعا من الناس ان يشهدوا على مزدكى انه سب زوجها لاجب فاطاعوها فيه وكان
في حكم ذلك الزمان يحل القتل على من سب الملك اذا قامت عليه البينة فاحضرته وقالت
له بلغني انك شتمت الملك فانكر فاحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فامرت بقتله
واخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره اخبرته
الخبر فقال لها ما اصبت ولا ارانا نفلح بعده قد جاورنا منذ زمان فاحسنا جواره و
كففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فختمت امره باسوأ الجوار فقالت انما غضبت لك
وحكمت بحكمك فقال لها وما كان يسعه حلمك فيحفظ له جواره فقالت قد كانت
ما كان فبعث الله الياس الى ذلك الملك وقومه وامره ان يخبرهم بان الله قد
غضب لوليه حين قتلوه ظلما واقسم على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ولم يردا الجنينة
على ورثة مزدكى ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى يتعرى
عظامهما من لحومهما فجاء الياس واخبرهما بما اوحى الله اليه في امره وامر امرأته و
الجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال يا الياس والله ما ارى ما
تدعو اليه الا باطلا وما ارى فلانا وفلانا من الملوك قد عبدوا الاوثان الا على

مثل

مثل ما نحن عليه من الاكل والتمتع والملك ما ينقص من دنياهم وامورهم التي تزعم انه باطل فهم
بتعذيب الياس وقتله فلما احس بالشر رفضه ولحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة
بعل وارتقى الياس الى اصعب جبل وارفعه فدخل مغارة فيه ويقال انه بقي سبع
سنين شريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر
وهم في طلبه قد وضعوا العيون عليه والله يستره فلما مضى سبع سنين اذن الله في اظهاره
عليهم وشفا غيظه منهم فامرض الله ابن الملك وكان احب ولده اليه واشبههم به فادنف
حتى ايس منه فقاساه مقاساة شديدة فدعا صنمه بعلا فلم يجب واشتد مرض ابنه فطلب من
السدنة ان يشفعوا الى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع
الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه وهم يجتهدون في التضرع اليه فلما طال عليهم ذلك
قالوا للملك ان في ناحية الشام آلهة اخرى فابعث اليها انبياءك فلعلها تشفع لك الى الهك
فانه غضبان عليك ولولا غضبه لقد اجابك قال ومن اجل ما ذا غضب علي وانا اطيعه قالوا
لاجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجى سليما وهو كافر بالهك قال الملك و
كيف لي بان اقتله وانا مشغول عن طلبه لوجع ابني وليس له مطلب ولا موضع معروف
فيقصد فلو عوفي ابني لفرغت لطلبه حتى آخذه فاقتله فارضي الهي ثم بعث
انبياءه الاربعمائة الى الآلهة التي بالشام يسألونها ان تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه
فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس اوحى الله اليه ان يهبط من
الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم والقي الرعب
في قلوبهم فنزل من الجبل واستوقفهم فلما وقفوا قال ان الله تعالى ارسلني اليكم والى
من وراءكم فاسمعوا ايها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا اليه و
قولوا له ان الله يقول لك الست تعلم يا لاجب اني انا الله لا اله الا انا اله بني اسرائيل
الذي خلقهم ورزقهم واحياهم واماتهم فجهلك وقلة علمك حملك على ان تشرك بي
وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لانفسهم شيئا الا ما شئت اني
حلفت باسمي لاغيظنك في ابنك ولاميتنه في فوره هذا حتى تعلم ان احدا لا يملك له
شيئا دوني فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك اخبروه
بان الياس قد انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده

عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذفت له
في قلوبنا الهيبة والرعب وانقطعت السنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على
ان نكلمه ونراجعه حتى رجعنا اليك وقصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا تنتفع بالحياة
ما كان الياس حيا ولا يطاق الا بالمكر والحيلة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوي القوة
والباس وعهد اليهم عهده وامرهم بالاحتيال له والاغتيال به وان يطمعوه بانهم قد
امنوا به هم ومن وراءهم ليسكن اليهم ويغتر بهم فياتون به الملك فانطلقوا حتى ارتقوا الجبل
الذي فيه الياس ثم نادوا باعلا اصواتهم اي يا نبي الله ابرز الينا وامنن علينا بنفسك
فانا وملكنا وجميع قومنا قد امنا بك وصدقناك وانت امن على نفسك وكل بني اسرائيل
يقرءون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت فامنا بك
واجبناك فيما دعوتنا اليه فهلم الينا فاقم بين اظهرنا واحكم فينا فانا ننقاد لما امرتنا
وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا مع ايماننا وطاعتنا فارجع الينا
وكل هذا مكر وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم طمع في ايمانهم وخاف الله الى
ان هو لم يظهر فالهمه الله التوقف والدعاء فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما
يقولون فأذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم
فما استتم قوله حتى صبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا اجمعين فبلغ لاجب وقومه الخبر
فلم يرتدع من همه بالسوء واحتال ثانيا في امر الياس وقيض له فئة اخرى مثل
عددها وكل اقوى منهم وامكر في الحيلة والراي فارتقوا قلل الجبال ينادون اي
يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته فانا لسنا كالذين اتوك
قبلنا فانهم قد نافقوا وصاروا اليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم
لقتلناهم وكفيناك مؤنتهم فلان قد كفاك الله ربك امرهم واهلكهم وانتقم لنا و
لك منهم فلما سمع مقالتهم دعا بدعوته الاولى فامطر عليهم النار فاحترقوا
عن اخرهم وكان ابن الملك في كل ذلك في البلاء الشديد من وجعه فلما سمع
بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غضبا على غضبه واراد ان يخرج في طلب الياس بنفسه ولكن
شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحوه المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء ان ياتي
الياس فينزل معه واظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوءا وانما اظهر له ذلك

بلغ



لما اطلع عليه من ايمانه وكان مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو من الكفاية والامانة وسداد
الراي فلما وجهه نحوه ارسل معه جماعة من اصحابه وامرهم دون الكاتب ان يوثقوا الياس
وياتوا به ان اراد التخلف عنهم وان جاء مع الكاتب واثقا به لم يروعوه ثم اظهر مع الكاتب
الانابة وقال انه قد ان لي ان اتوب وقد اصابتنا بلايا من حريق اصحابنا ومرض
ابني وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست امن ان يدعو على جميع من بقي
منا فنهلك بدعوته فانطلق اليه واخبره انا قد تبنا وانبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما
نريده من رضاء ربنا وخلع اصنامنا الا ان يكون الياس بين اظهرنا يامرنا و
ينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا وامر قومه فاعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس انا
قد خلعنا الهتنا التي كنا نعبد وارجانا امرنا حتى ينزل الياس فيكون هو الذي
يحرقها ويهلكها وكان ذلك مكرا من الملك فانطلق الكاتب والجماعة حتى علا الجبل ثم ناداه
فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وكان مشتاقا الى لقائه فاوحى الله اليه ان
ابرز الى اخيك الصالح فالقه وجدد العهد به فبرز اليه وسلم عليه وصافحه فقال له ما
الخبر فقال المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغية وقومه ثم قص عليه ما قالوا و
قال اني لخائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فمرني بما شئت افعله انقطعت اليك
فان شئت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت ترسلني اليه بما تحبه
فابلغه رسالتك وان شئت دعوت الله ربك ان يجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا
فاوحى الله الى الياس ان كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان
اخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم تات به اتهمه وعرف انه قد داهن
في امرك فلم يامن ان يقتله فانطلق معه فاني ساشغله عنكما واضاعف على ابنه البلاء حتى
لا يكون له هم غيره ثم اميته على شر حال فاذا مات فارجع عنه فانطلق معهم حتى قدموا
على لاجب فشدد الله على ابنه الوجع واخذ الموت يكظمه فشغلهم الله بذلك عن الياس
فرجع عنه سالما الى مكانه فلما مات ابنه وقل جزعه انتبه لالياس وسال عنه الكاتب
فقال ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ثم اكن احسبك الا و قد استوثقت
منه فاضرب عنه وتركه لما فيه من الجزع على ابنه فلما طال الامر على الياس ومل الكمون في
الجبال نزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامراة من بني اسرائيل وهي ام يونس بن متى

ذى النون كان مختفيا عندها ستة اشهر ويونس يومئذ مولود يرضع فكانت امه تخدم
الياس بنفسها وتواسيه ثم ان الياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسيح الجبال فاحب
اللحوق بها فعاد الى مكانه فجزعت ام يونس لفراقه واوحشها فقده ولم تلبث الا يسيرا
حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت فى طلب الياس فوجدته
وقالت له انى قد فجعت بعدك بموت ابنى فعظمت فيه مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى
ولد غيره فارحمنى وادع ربك فيحيى لى ابنى وانى قد تركته مسجى لم ادفنه وقد اخفيت مكانه
فقال لها الياس ليس هذا مما امرت به وانما انا عبد مامور اعمل بما يامرنى ربى فجزعت المراة
وتضرعت فعطف الله قلب الياس لها فقال لها متى مات ابنك قالت منذ سبعة ايام
فانطلق الياس معها وسار سبعة ايام اخرى حتى انتهى الى منزلها فوجد ابنها ميتا له
اربعة عشر يوما فتوضا وصلى ودعا فاحيى الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب
الياس وعاد الى موضعه فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا فاوحى الله اليه
بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه
الست امينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى من خلقى فاسئلنى اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة
والفضل العظيم قال تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى فاوحى اليه
يا الياس ما هذا باليوم الذى اعرى منك الارض واهلها وانما قوامها وصلاحها بك و
بشبهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى فاعطك قال ان لم تمتنى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل قال
الله تعالى اى شئ تريد ان اعطك قال تمكنى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة
الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتى اذ لا يذلهم الا ذلك قال تعالى يا
الياس انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال تعالى انا ارحم
بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقى من ذلك ولكنى اعطيك ثارك ثلث سنين
اجعل خزائن المطر بيدك قال فباى شئ اعيش قال اسخر جيشا من الطير ينقل اليك
طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال رضيت فامسك الله عنهم المطر حتى
هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس
على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان وقد عرف ذلك قومه وكانوا
اذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه ولقى منهم





اهل ذلك المكان شرا وعن ابن عباس اصاب بنى اسرائيل ثلث سنين القحط فمر الياس
بعجوز فقال لها هل عندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل فدعا فيه بالبركة
ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين
لك هذا قالت مر بى رجل من حالته كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس
فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم اوى الى بيت امراة من بنى اسرائيل لها ابن يقال له اليسع
بن اخطوب به ضر فآوته واخفت امره فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به
واتبع الياس فآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيث ما ذهب وكان الياس قد
اسن وكبر واليسع غلام شاب فاوحى الله الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن
لم يعص من البهائم وغيرها بحبس المطر قالوا فقال يا رب دعنى اكن انا الذى ادعو لهم
وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون من عبادة غيرك وينزعون عنه
فقيل له نعم فجاء الى بنى اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم و
الدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا فاخرجوا
اصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم و
دعوت الله ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا باوثانهم فدعوها
فلم تجب ولم تفرج عنهم البلاء ثم قالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا
لهم الياس ودعا اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون
فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم وحييت بلادهم
فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وتكذيبهم و
اقاموا على اخبث ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب كما قال تعالى اخبارا عنهم
بقوله فكذبوه اى فثبتوا على تكذيبهم اياه وداموا عليه ولما راى ذلك منهم الياس
دعا الله تعالى ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا فاخرج فيه الى
موضع كذا وكذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى
اذا كانا بالموضع الذى امر اقبل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف
بين يديه فركبه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرنى فقذف
اليه بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم

وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا
قال ابن قتيبة وذكر ان الله تعالى قال لالياس سلني اعطك قال ترفعني اليك وتؤخر
عني مذاقة الموت فصار يطير مع الملائكة وقال بعضهم كان قد مرض واحس الموت فبكا
فاوحى الله اليه لم تبكي احرصا على الدنيا او جزعا من الموت او خوفا من النار قال
لا ولا شيء من هذا وعزتك وجلالك انما جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي
ولا احمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا اذكرك ويصوم الصائمون بعدي ولا
اصوم ويصلي المصلون بعدي ولا اصلي فقيل له يا الياس لاؤخرنك الى وقت لا يذكرني
ذاكر يعني يوم القيمة وسلط الله على لاجب وقومه عدوا لهم قصدهم من حيث لم
يشعروا به حتى رهقهم فقتل لاجب وامراته ازبيل في جنينة مزدكي فلم تزل جيفتا
هما ملقاتين فيها حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله اليسع وبعثه الى
بني اسرائيل فاوحى الله اليه وايده فامنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله
فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع عم وقال السري بن يحيى كان الياس والخضر عليهما السلام
يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم كل عام وقيل ان الياس موكل
بالفيافي والخضر موكل بالبحار وقال مكحول قال انس غزونا مع رسول الله صلعم حتى
اذا كنا بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة
المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال رسول الله صلعم يا انس ما هذا الصوت
فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض اللحية والراس عليه ثياب بيض طوله اكثر من
ثلثمائة ذراع قال انت رسول النبي عم قلت نعم قال ارجع اليه واقريه مني السلام
وقل له هذا اخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبي عم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه
تقدم النبي عم وتاخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة فدعواني
فاكلت معهما فاذا فيها كماة ورمان وكرفس ولما اكلت قمت فتنحيت جاءت سحابة فا
حتملته فاذا انا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوي به فقلت للنبي عم بابي وامي هذا الطعام
الذي اكلنا من السماء نزل عليه فقال النبي عم سالته عنه فقال ياتيني جبرئيل في كل اربعين
يوما اكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رايته على الجب يملأ بالدلو فيشرب
وربما سقاني فعلى هذا يكون قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد من العام المخصوص

فانهم

فانهم لمحضرون لمدخلون في العذاب لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم
بمخرجين وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا
عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرون لفساد المعنى وهذا الاستثناء يحتمل
الاتصال والانقطاع وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين قرأ الكوفيون وابن
كثير وابو عمرو والياسين بكسر الهمزة وسكون اللام على انه لغة في الياس كادراسين
وادريس وسيناء وسينين وقيل هو جمع لالياس يراد به هو واتباعه كالمهلبين ورد
بان العلم اذا جمع يجب تعريفه بالالف واللام ونافع وابن عامر ويعقوب آل ياسين
على اضافة آل ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون المراد بياسين ابا الياس
وقيل محمد او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله
بعد من التعليلين وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم
الخبيبون والمهلبون وقرئ على ادراسين وادريسين على انها لغات في ادريس
لعل لزيادة هذه الحروف في السريانية معنى وقرا ابو البرهيم على آل ادريس والحسن
وابو رجاء سلم على الياسين موصولا انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
من الظاهر الذي لا شبهة فيه ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين في الباقين في العذاب او الهالكين وهو
صفة لها يعني الا عجوزا مقدرا لغبورها لان الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم فلم يكن
بد من تقدير مقدر ثم دمرنا الاخرين اراد بتدميرهم الايتفاك بهم وامطار
الحجارة عليهم فانه تعالى لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وانكم يا اهل مكة
لتمرون عليهم على اثارهم وديارهم ومنازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم
في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها
وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون
افليس لكم عقل تعتبرون به او افلا تعقلون على قضية العقل وان من قدر على تدمير
اهل سدوم واستيصالهم بسبب كفرهم وتكذيبهم كان قادرا على تدمير كفار مكة
واستيصالهم لاتحاد السبب ووجدانه لانهم اكثر من هؤلاء والكذب واشد كما يشهد
به قوله اكفاركم خير من اولئكم وكان النبي عم يقول لا يجهل ان هذا اعتبر على الله

من فرعون وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون من يونس وهو نبي من
انبياء بني اسرائيل اذ ابق هرب وحقيقة الاباق الهرب من السيد ولما كان هرب
يونس من قومه بغير اذن ربه اطلق عليه الاباق على المجاز الى الفلك المشحون المملوء بالناس
والمتاع فساهم فقارع اهله والقوا السهام على جهة القرعة فكان من المدحضين من جملة
المقرعين المغلوبين بالقرعة وحقيقة المدحض المزلق عن مقام الظفر والغلبة
وعن ابن عباس ووهب وعد يونس قومه العذاب فلما تاخر عنهم خرج عنهم كالمتشور
منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا
القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت عليه فقال انا الآبق وزج نفسه في الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او ات بما يلام عليه او مليم نفسه
وقرئ بفتح الميم مبنيا من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي
بناء على دعي فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح قبل ذلك او مدة حبسه
او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعن ابن عباس
من المصلين وقال كل تسبيح في القران فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء فقال
وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا عثر وجد متكأ وعن الضحاك شكر الله
لطاعته القديمة وعن الحسن ما كانت له صلوة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وعن
وهب من العابدين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا او ميتا كما قال قتادة لكان بطن
الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له
سجنا ولم اجعله لك طعاما وفيه بعث لنفسه على الاكثار ذكر الله واعلام بانه من اقبل على ذكره
وطاعته في اوقات الرخاء نجاه من الشدايد ومضايق البلاء فنبذناه فطرحناه بان
حملنا الحوت على طرحه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت
سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس ويونس يسبح فلم يفارقهم حتى انتهوا الى البر
فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل
واختلفوا في لبثه في بطن الحوت فقال الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية وقال ابن حيان ثلثة
ايام وقال عطا سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقال الاكثرون اربعين يوما
وهو سقيم عليل كالفرخ الممعط وقيل بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة وقيل صار بدنه

كبدن

كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه له وقيل فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين يعني
الدبا على قول الجمهور غطته باوراقها من الذباب فانه لا يجتمع عنده ولا يقع عليه
ويدل انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب الدبا قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل
التين وقيل الموز يغطى بورقها ويستظل بورقها ويستظل باغصانها ويفطر على ثمارها
وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض ليس له ساق ولا يبقى على
الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين وقيل هو يفعيل من قطن بالمكان اذا
اقام به وقال مقاتل بن حيان كان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة فاستيقظ و
قد يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا واصابه اذى الشمس فجعل يبكي فبعث الله جبرئيل
اليه فقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون من امتك وقد اسلموا
وتابوا وفي رواية انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله تعالى اليه بكيت على
شجرة ولم تبك على مائة الف في يد الكافر وعن انس قال رسول الله صلعم ان يونس
قال يا رب كيف بعثتني الى قوم جحدوا كتابك وكذبوا رسلك قال يا يونس كانك تجد
اهل نوبتنا ان توجب عليهم ما علمت الى اهدي القلوب وانوجب عليها واضل القلوب
واضم عليها وارسلناه الى مائة الف ارسله الله الى اهل نينوى من الارض الموصل قبل
ان يصيبه ما اصابه وقيل بعد خروجه من بطن الحوت وقيل الى قوم غيرهم او يزيدون
في مراى الناظر اي اذا نظر اليهم الناظر قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة
والاكثرون منهم ابن عباس على ان او بمعنى الواو وقد قرئ به وعندنا او ههنا ليست
للعطف بل هو حرف الاستئناف لمجرد الاضراب بمعنى بل كما في قوله تعالى كلمح البصر او هو اقرب
اي بل هو اقرب وعليه المحققون من علماء البيان وبه قال مقاتل والكلبي ثم اختلفوا في
مبلغ تلك الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول
الله صلعم وقال الحسن بضعا وثلثين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا فامنوا فصدقوا
او فجددوا الايمان بحضرته فمتعناهم الى حين فنفعناهم بالسلامة من العذاب وطول
الاعمار الى اجلهم المسمى بسبب ايمانهم الصادر عن خلوص الاعتقاد وصميم القلب وقرئ حتى
حين وقيل ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به ساير القصص تفرقة بينهما و

بين ارباب الشرائع الكبر واولو العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل
المذكورين في آخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون عطف على مثله في اول
السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر الله تعالى رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه
انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره الى ما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض
ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الجائرة التي قسموها حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم
البنين في قولهم الملائكة بنات مع انهم افر خلق الله عنهن واستنكفهم لهن وانفرهم منهن
ولقد بلغ بهم المقت والانفة الى ان وادوهن وهؤلاء قد زادوا على الشرك انواعا اخر
من الكفر التشبيه لان الولد لا يكون الا تشبيها بالوالد من جنسه والتجسيم لان الولادة مختصة
بالاجسام الكائنة الفاسدة وكفران النعمة لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله
وتفضيل انفسهم على ربهم حيث جعلوا اوفى الجنسين له واعلاهما لهم وكانها انتهم به حيث
جعلوه من جنس المخلوقات ومماثلا لها وبالملائكة حيث انثوهم وجعلوهم انقص الخلق رأيا و
اخسهم نوعا مع انهم اكمل العباد واكرمهم على الله ولو قيل لاحد قد ولدت لك بنت و
اغتم وملئ غيظا وحنقا وتلهفا وكربا وغيظا ولو قيل لاقلهم وادناهم نسبة الانوثة او
شكل شكل النساء لغضب على قائله اشد الغضب ولاغتاظ غاية الاغتياظ ولذلك
كرر الله انكار ذلك وابطاله في كتابه الكريم مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم
حيث لم يقنعوا بان جعلوا لله ولدا حتى جعلوا له من خلقه اخس النوعين وابغضهما اليهم
واخرهما لديهم وقيل الانكار ههنا مقصور على الاخير لاختصاص هذه الطائفة
بها ولان فسادها مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن
التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ام معادلة للهمزة في الربك البنات
اي متصلة بها بمعنى اي الامرين تقولون بان لله البنات ام بخلقه الملائكة اناثا وهم
حاضرون والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا او منقطعة بمعنى بل اخلقنا الملائكة اناثا
والهمزة للانكار ايضا وانما خص علم المشاهدة لان مثل ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة
ليست من لوازم ذاتهم ليعلم بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء بهم والاشعار بانهم
لفرط جهلهم يثبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم ونظيره قوله وشهدوا خلقهم

وقرا

وقرئ للخليل ام خلقنا الملائكة انثى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه
وقيام ما ينفيه والافك الكذب البحت ولقد وضح افكهم وذكره بغاية الفظاعة ونهاية
المبالغة حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه واكدها بان واللام واسمية الجملة
وتكرير مع المضارع المبني على الاستمرار وقرئ للخليل افكهم بفتح الالف وكسر الفاء وانهم
لكاذبون لتمادون في الكذب على الله والافتراء عليه وليس قولهم ولد الله باول كذبهم
عليه فانهم يكذبون في جميع ما يتدينون من الاشراك وتحريم ما احل الله وتحليل ما
حرمه وانكار الحشر والنشر والثواب والعقاب وغير ذلك وقرئ ولد الله اي الملائكة
ولده والولد فعل بمعنى مفعول يطلق على الذكر والانثى والواحد والجمع يقول هذا
ولدي وهذه ولدي وهؤلاء ولدي اصطفى البنات على البنين استفهام انكار
واستبعاد وقرئ لحمزة وابو جعفر والاعمش اصطفى بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
لدلالة ام بعدها عليه او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى البنات
او ابداله من ولد الله والاصطفا الاختيار وقيل اخذ صفوة الشيء ما لكم كيف تحكمون
هذا الحكم الاعوج المبني على الشطط في القسمة وانه اثركم على نفسه بصفوة النوعين وخير
هما وارفعهما كان امر الاصطفاء موكول اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم وعليك بزيادة
التامل في هذا البيان وفيه تجهيل لهم في حكمهم وانكار له وتعجب منه وايذان بانه
صادر من محض جهل واختلال فكر واعوجاج راي والمعنى اي عرض لكم في حكمكم بما لا
يقبله عقل ولا يرتضيه رأي افلا تذكرون افلا تتفكرون في قولكم الاحمق وحكمكم
الاعوج او فيما انزل اليكم من الآيات ونصب لكم من البينات فتعلموا انه متعال عن
الشبه والمجانسة حتى يكون من شبهه وجنس صاحبه فينبو الذات الواجب بالذات
لو ولد لكان فانه كثير من الممكنات وذلك ان لاد عقل وعقلا اذا نظر في المخلوقات النظر
الصحيح يعلم قطعا ويقينا ان شيئا منها لا يماثل خالقها في شيء من اوصافه وافعاله وانه
تعالى اجل واعلى من جميع ما فيها بحيث لا مناسبة بينهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص و
خلف تذكرون بتخفيف الذال والباقون بتشديدها وقرأ طلحة تذكرون باسكان الذال
ام لكم سلطان مبين اي حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم
فاصدقوا كتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا الآية ان كنتم صادقين

في دعواكم ولم يحتمل ان تكون معادلة وان يكون منقطعة فلتجم في بيانها حول ذكا بك
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اراد بالجنة الملائكة وسموا جنة لاجتنانهم واستتارهم عن
الابصار وبالنسب زعمهم انه بناتهم والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم
واثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة وقال ابن عباس الجنة حي من الملائكة يقال لهم
الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله وقال الكلبي قالوا ان الله تزوج من الجن فخرج منها
الملائكة تعالى عن ذلك وقد كان زعم بعض قريش ان الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق
فمن امهاتهم سروات الجن وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن معنى النسب
انهم اشركوا الشيطان في عبادة الله ولقد علمت الجنة انهم اي ان الكفرة او الانس او الشياطين
لمحضرون في العذاب ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب العبادة لما احضرهم
النار ولما عذبهم بها سبحان الله عما يصفون تنزيه له من الولد والنسب او تعجب من كلمتهم
الحمقاء وجعلتهم العوجاء كانه قيل ما ابعد وما انزه من هؤلاء خلقه وعبيده عما يضافون
اليه من الولد والنسب والشركاء الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين اي لكن
المخلصين ناجون ولا يحضرون او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وبينهما اعتراض يفيد تنزيه
الله وتقديسه عما ينسبون اليه او من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن
المخلصين برآء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم وما موصولة
او موصوفة بمعنى والهة تعبدونها ما انتم عليه على الله بفاتنين بمفسدين الناس بالاغواء
الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه داخل في النار واصحابها لا محالة وانتم ضمير
لهم ولالهتهم تغليبا للمخاطب على الغائب او وما تعبدون لمعنى المقارنة فيه ساد
مسد الخبر اي فانكم والهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدون بفاتنين باعثين
او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا ضالا مستوجبا للنار وجوز ان يكون في اسلوب
قولك انت والكتاب الى علي كذا بغنه وقد حلم الاديم وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام
على انه جمع سقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صايل على القلب كشاك في شايك او
هو محذوف لامه تخفيفا واجري الاعراب على عينه كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها
بالية كعافية كقراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين
وجعل اللام المحذوف كالمنسي وما منا الا له مقام معلوم على حذف الموصوف واقامة الصفة

مقامه

مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا يكفي كان من اري البشر وهو حكاية اقرار الملائكة
بالعبودية للرد على عبدتهم اي ما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء
الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي ما في السماء موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او
يسبح وعن ابي ذر قال النبي عم اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما
فيها اربعة اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وقال السدي الا له مقام
معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله
من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علمت الملائكة ان المشركين
معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تنزيها لهم منه
ثم خاطبوا الكفرة بالافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت
مراتبهم فيه لا يتجاوزونها وقال ابو بكر الوراق الا له مقام معلوم يعبد الله عليه كالخوف
والرجاء والمحبة والرضاء وانا لنحن الصافون صفوا اقدامهم في الصلوة او اجنحتهم
في الهواء منتظرين ما يؤمرون به وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف
الناس في الارض وقيل صفوا اجنحتهم حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين
انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل
في صلوتهم غير المسلمين وانا لنحن المسبحون المصلون او المنزهون الله عما لا يليق به
وهذا تخصيص بعد التعميم لان المقام المعلوم يعم مقام الصف في الصلوة والهواء
ومقام التسبيح ومقام الخدمة وغير ذلك من مقام الدعاء والسؤال وفي اللام وتكرير
الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاصهم بالصف وبالتسبيح دايما
كانهم قالوا انما نصف في الصلوة وفي الهواء وحول العرش صفا دايما ولا نسبح
تسبيحا دايما الا نحن معاشر الملائكة لا غيرنا كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقال ويسبحونه وله يسجدون وقيل هو من قول النبي عم والمؤمنين يعني وما
من المسلمين احد الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة ثم ذكر اعمالهم
وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله عن السوء كله وان كانوا ليقولون
اي مشركوا قريش وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم

التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا
ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز
من بين الكتب مهيمن عليها فكفروا به اى فلما جاءهم الذكر كفروا به فسوف يعلمون عاقبة
كفرهم وما يحل بهم من العذاب العظيم وهو وعيد لهم وتهديد ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين اى ولقد وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب
ولا قتل وعن ابن عباس ان لم ينصروا فى الدنيا ينصروا فى الآخرة وانما سماه كلمة وهى
كلمات عديدة لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا
وقرأ ابن مسعود على عبادنا ضمن سبقت معنى حقت ووجبت كما قال النبى
ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح يريد به العفاف
والمجاهد فى سبيل الله رواه ابو هريرة فتول عنهم فاعرض عنهم واغمض على اذاهم
حتى حين الى وقت يسير وهو وقت قبل نزول العذاب اليهم وعن ابن عباس الى الموت
وعن مجاهد الى يوم البدر وعن السدى حتى نامرك بالقتال وقيل الى يوم القيمة وقال
مقاتل بن حيان نسختها آية القتال وابصرهم وما يقضى عليهم من القتل والاسر فى الدنيا
والعذاب فى الآخرة والمراد بابصارهم على الحال الموعودة للدلالة على ان ذلك كاين
قريب كانه قدام ناظريه وهو ذكر تسلية له وتسرية عنه فسوف يبصرون ما قضينا لك من
النصرة والتاييد والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
ابعد هذا التكرير بالوعيد يستعجلون بعذابنا فالهمزة للانكار والتعجب كانه ابعد
هذا التكرير اسمع ابصر استعجالهم المستنكر المقتضى للعجب روى انه نزل فسوف يبصرون
قالوا متى هذا العذاب فنزل فاذا نزل بساحتهم اى فاذا نزل العذاب بفنائهم
شبه العذاب النازل بهم بعد ما توعدوا به وانكروه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم
وقيل الرسول ويعضده ما روى انس ان رسول الله صلعم حين خرج الى خيبر اتاها ليلا
وكان اذا جاء قوما بليل لم يغز حتى يصبح فلما اصبح خرجت يهود بمساحيها ومكاتلها فلما
راوه قالوا محمد والخميس فقال رسول الله صلعم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وقرئ نُزل على اسناده الى الجار والمجرور مثل ذهب بزيد

وتنزل

وتُنزل العذاب فساء صباح المنذرين ساء بمعنى بئس واللام فى المنذرين
للجنس لان فاعل ساء وبئس اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى جنسه والمخصوص
بالذم محذوف تقديره فبئس صباح المنذرين صباحهم وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا فسمى الغارة وان وقعت فى وقت آخر وقراءة ابن مسعود فبئس
صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية وتاكيد
لوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه نكتة جليلة وهى اطلاق الفعلين معا للاشعار بانه يبصر وانهم
يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول مختص بعذاب
الدنيا والثانى بعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه له
عما اضاف اليه المشركون والولادة والنسبة او تعجب من وصفهم اياه بما لا يليق
كانه قيل ما ابعد من اختص به الربوبية وما اعلاه عما يصفونه او عن وصفهم
اياه بصفات الاجسام على ان ما موصولة او مصدرية واضاف الرب الى العزة لا
ختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كقولك صاحب صدق لاختصاصه بالصدق
على انه ما من عزة لاحد من الانبياء وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز
من تشاء وفيه اشعار بالسلوب والاضافات كما فى قوله تبارك اسم ربك ذى
الجلال والاكرام وذلك ان قوله سبحانه اشارة الى السلوب كالجلال فان كلا منهما
يفيد ما افاد الآخر فى قولنا سبحان ربنا عن الشريك والشبيه وجل ربنا عنهما
وقوله ربك رب العزة اشارة الى الاضافات كالاكرام وانما قدم السلب على
الاضافة لان السلوب كافية فيها ذاته من حيث هو هو بخلاف الاضافات فانه
لا بد فى تحققها من غيره لان الاضافة لا توجد الا عند وجود المضافين وقيل
تمادح فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
والتسليم على الرسل الذين ارسلهم الى اقوامهم واممهم ليبلغوهم رسالته ويبينوا لهم
ما يحتاجون اليه من امور الدينية والدنيوية اولهم آدم وآخرهم محمد عم والحمد
لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العواقب
ولذكر الحمد عقيب التسليم والمراد تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا
عن مضمنات كتابه الكريم ومواعظ قرانه العظيم وعن على من احب ان يكتال بالمكيال

الا وفي من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة
وقراءة طلحة برواية عيسى بن حمير فسوف يبصرون واذنتكم باداية المرسلين وليسالن عن
هذا النباء العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال ابو عبد الرحمن السلمي
ومحمد بن ثابت قراءة علي وابن مسعود اذنتكم باداية المرسلين ليسالن عن النباء العظيم
كذا في غرايب القرآن للامام ابي بكر النيسابوري عن رسول الله صلعم من قرا والصافات اعطى
من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين سورة ص مكية
وهي ست وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم ص قراءة العامة صاد بسكون الدال
على الوقف وقرأ ابي والحسن وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم بكسر الدال لالتقاء الساكنين
او لانه امر من المصاداة وهي المعارضة والمقاولة ومنها الصدا وهو ما يعارض
الصوت في الاماكن الخالية عن الاجسام الصلبة اي عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره
وانته عن نواهيه وقرأ عيسى بن عمر بفتح الدال لذلك او لحذف حرف القسم وايصال الفعل
اليه كقولهم الله لافعلن بالنصب على اضماره والفتح في موضع الجر فانها لم تنصرف للتعريف
والتانيث لانه علم السورة وقيل نصب على الاغراء وقيل بانما ذفعل مثل اللاتي تقديره
اتل صادا او اقرأ صاد وقرأ ايضا صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب وقرأ هرون
الاعور وابن السميفع صن وقن بضم آخرهن لانه المعروف بالبناء في غالب الحال
مثل منذ وقط وقيل وعن عكرمة سال نافع ابن عباس عن ص كان بحرا بمكة وكان
عليه عرش الرحمن اذ لا ليل ولا نهار وقال ابن جبير ص بحر يحيي الله به الموتى بين
النفختين وقال الضحاك معناه صدق الله وعنه ان ص قسم اقسم الله به وهو
اسم من اسماء الرحمن وعنه ايضا من اسم القرآن وقيل هو سر من اسرار الله استاثر
بعلمه والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي
او الرمز بكلام مثل صدق الله او للسورة خبر المبتدا المحذوف او لفظ الامر
وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على
التحدي او الامر بالمعارضة تقديره والقرآن ذي الذكر لكلام معجز او اقسمت بصاد
والقرآن ذي الذكر انه لمعجز او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة

وشقاق

وشقاق مما كفر به من كونه ذا خلل وجرة فيه بل الذين كفروا في عزة اي استكبار عن الحق
وشقاق اي وخلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من
الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والذكر الموعظة او الشرف او الشهرة او ذكر
ما يحتاج اليه في الدين من العقايد والشرايع والاقاصيص والمواعيد وقرأ الخليل
ذي الذكر بضم الذال وهو بالقلب والمذكور باللسان والتنكير في عزة وشقاق
للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة بغين المعجمة والراء اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر
واتباع الحق كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به تكبرا وشقاقا فنادوا
استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي
لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وكتبها خصت
بان يكون المنصوب بها حينا ويحذف اسمها قال ابو زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان لات حين بقاء وقال غيره تذكرت ليلى لات حينا واضحى الشيب قد
قطع القرينا وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بالاحيان وحين
مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه انما ينتصب بعده فعل مضمر اي
ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كاين لهم وعند غيره ان
النصب على ولات الحين حين مناص وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص
حاصلا لهم وقرئ حين مناص بكسر النون كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان لان لات
تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان
شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان مقطوع من الاضافة اذ اصله ولات
اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد
لان اصله حين مناصهم ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير المتمكن وقرئ ولات بكسر التاء
على البناء كجير بكسر الراء وقد تفتح ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء المؤنثة و
البصريون بالتاء كالافعال المتصل بها تاء التانيث وقيل ان التاء مزيدة على حين
لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد
فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين ما من عاطف
والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا والفوت من ناصه ينوصه اذا فاته

اذا فاته وعن ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم
لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص
فانزل الله ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم رسول من انفسهم
او بشر من جنسهم اي من عدادهم وقال الكافرون اقام المظهر مقام المضمر اظهارا
للغضب عليهم ودلالة على ان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره من
معجزة كذاب فيما يقولون على الله اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت
لهم لواحد ومعنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كما في قوله وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا كأنه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال فالهمزة
للانكار والاستبعاد ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب لانه خلاف ما تعودوا ونشأوا
عليه ولم يجدوا عليه آباءهم الضالين وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله مكرا كبّارا وهو ابلغ
من الخفيف وما العجب ان الكفرة الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وللتوحيد الذي هو احق الحق
فتعجبوا منهما وقد رضوا للالهية بحجر ولم يتعجبوا من هذا الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحة
ولا اقبح منه روي ان عمر لما اسلم فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ
منهم فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا و
كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاحضر
ابو طالب رسول الله فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على
قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك
والهك فقال عم ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب و
يدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم وانطلق
اشراف قريش وصناديدهم من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله بالجواب
العتيد ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا اثبتوا على آلهتكم على عبادتها
فلا حيلة لكم في دفع امر محمد عم وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول
ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول فانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا
من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال ابن عم

ضموا

ضموا افواشيكم وقرأ ابن ابي عبلة منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وقرأ ابن مسعود
وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء يريد
الله ويحكم بامضائه وما اراد كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر
لشيء من نوائب الزمان يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب
ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد ويقصده من
الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد ما سمعنا بهذا بالذي
يقوله محمد عم من التوحيد في الملة الآخرة في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او في
ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة وهو في الوجهين متعلق بسمعنا
ويجوز ان يكون متعلق بهذا على انه حال منه والمعنى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان
بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه وافتعله أأنزل عليه
الذكر من بيننا انكار منهم لاختصاصه بالشرف من بين اشرافهم وان ينزل عليه الكتاب من
بينهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار دليل
على ان ما كان مبدأ تكذيبهم الا الحسد على ما اوتي رسول الله من شرف النبوة من بينهم
بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما
يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوا زال عنهم شكهم يعني انهم لا
يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك
العزيز الوهاب ام منقطعة بمعنى بل والهمزة وهي للانكار يعني ما هم بمالكي خزائن
الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديد
هم ويترفعوا بها عن محمد عم وانما الذي يملك خزائن الرحمة العزيز الغالب الذي
لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح هذا المعنى فقال
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما بل ألهم ملك العالم والتصرف فيه حتى يتكلموا
في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء فاذا لم يكن لهم
التصرف في هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فلان لم يتصرفوا في
خزائن رحمته التي لا غاية لها بطريق الاولى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف

إلى أن كان لهم ذكر المذكور فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا أو بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية أو أبوابها
وطرقها من علماء السماء وقراءة الخليل فليرتقوا بكسر اللام جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب
ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم مكسور عما قريب فمن أين لهم
في الأمور الربانية فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون والجند جمع معد للحرب
وما مزيدة للتقليل كقولك أكلت شيئا ما أو للتعظيم كما في قول امرئ القيس وحديث ما
ما قصر إلا أنه على سبيل الهزء والأول أوجه لزيادة ملاءمته ما بعده وهنالك إشارة
إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول وهو مركب من ثلث كلمات
أحدها هنا وهو إشارة إلى المكان قريب والثانية اللام وهي للتأكيد والثالثة الكاف
وهي للخطاب قالوا واللام فيها كاللام في ذلك في الدلالة على بعد المشار إليه وقوله من
الأحزاب أي من جملة الأحزاب وهم القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء
بالتكذيب فقهروا وأهلكوا وقيل هنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم ثم قال مسليا للنبي
صلعم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ذو الملك الثابت بالأوتاد و
أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده ثم استعير لثبات الملك والعز والاستقامة
الأمر كما قال الأسود في ظل ملك ثابت الأوتاد أو ذو القوة والبطش قال الضحاك
أو ذو الجنود والجموع الكثيرة لأنهم يشدون الملك والبلاد كما تشد الأوتاد البناء
وقيل سميت الجنود والجموع الكثيرة بالأوتاد لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء
أو ذو الأبنية المحكمة قال ابن عباس وعن الضحاك أيضا كان كثير البنيان والبنيان يسمى
أوتادا وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية
مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقال الكلبي ومقاتل كان يعذب
بالأوتاد وإذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد في الأرض فيرسل
عليه العقارب والحيات وقال قتادة وعطا كان له أوتاد وحبال وملاعب
يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أي أصحاب الغيضة وهم قوم
شعيب وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو جعفر ليكة بفتح اللام والتاء من غير
همزة والباقون بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء أولئك الأحزاب حمل بهذه الكناية

على

على أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب
إن كل إلا كذب الرسل إيضاح لما أسند إليهم من تكذيبهم المعبر عنه بالجملة الخبرية على وجه الإبهام
وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالخبرية والاستثنائية وورود
الاستثنائية مؤكدة ومخصصة أنواع المبالغة والتأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب
ولذلك رتب عليه فحق عقاب فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم وهو إما مقابلة الجمع أو
جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وقرأ سلام عقابي بالياء حال الوصل وما ينظر هؤلاء
وما ينتظر أهل مكة أو جميع الأحزاب من قريش وغيرهم لاستحضارهم بالذكر أولا أنهم كالحضور
عند الله إلا صيحة واحدة هي نفخة الصور ما لها من فواق من توقف مقدار
فواق وهو ما بين حلبتي الحالب من الوقت لأنها تحلب ثم تترك سريعة يرضعها الفصيل
لتدر ثم تحلب يعني إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله فإذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس وقتادة ما لها من رجوع وترداد من
أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع اللبن إلى ضرعها يعني أنها
نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقرأ حمزة والكسائي وخلف فواق بضم الفاء
وهما لغتان بمعنى واحد كقصاص الشعر وقصاصه وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
من العذاب الذي توعدنا به أو الجنة التي وعدتها المؤمنين من قطه إذا قطعه
كما يقال الصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة
أعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك بطريق الهزء والسخرية اصبر على ما
يقولون أي اصبر نفسك على احتمال ما يقول المشركون في وفيك واذكر عبدنا داود
واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في أعينهم فإنه مع علو شأنه واختصاصه بأعظم
النعم من النبوة والرسالة والحكمة والملك لما زل زلة بعث الله إليه الملائكة
ووبخه عليها بالتمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه واستغفر ربه وأناب وبكى بكاء
لا يتقادر قدره فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان الذين هم من أعدى أعداء الله
أو تذكر قصته وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم
وتحمل أذاهم فيلقاك ما لقيه من توبيخ الله ومعاتبته على ذلته اليسيرة ذا الأيد
أي ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه إنه أواب رجاع إلى مرضاة الله

وهو تعليل للايد دليل على ان المراد بالقوة في الدين كان على نهوضه باعباء
النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وقيل كان هذا قبل الخطيئة
واما بعدها فقد صام الدهر كله وقام الليل كله وقيل فلان اواب لانه كلما ذكر ذنبه
او خطر بباله استغفر منه كما قال النبي عم انى لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة انا سخرنا
الجبال معه يسبحن قد مضى تفسيره مستوفا في سورة الانبياء لكن قدم الجبال هاهنا على
معه على الاصل واللام يحتمل الجنس والعهد ويسبحن حال منها واختير على مسبحات لاحضار
الحال الماضية والدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شئ وحالا بعد حال
او استيناف كان سائلا سال كيف سخرهن فقال يسبحن بالعشى من حين تزول الشمس الى ان
تغيب والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضئ ويصفو شعاعها
وهو وقت الضحى وعن ام هانى دخل علينا رسول الله صلعم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة
الضحى وقال يا ام هانى هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون
ذكر صلوة الضحى في القرآن فقالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق
وقال كانت صلوة يصليها داود عم وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية وعنه
لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شئ حتى طلبتها فوجدتها في الاية يسبحن بالعشى والاشراق
وكان لا يصلى صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس انى لاجد في كتاب الله
صلوة بعد طلوع الشمس قال انا اوجدك ذلك في القرآن في قصة داود يسبحن بالعشى
والاشراق وصلوة الضحى نافلة مستحبة وهى في الغداة بازاء العصر في العشى واقلها ركعتان
واكثرها اثنتى عشر ركعة قال ابن عمر قال رسول الله صلعم اذا كانت الشمس من مطلعها
كهيئتها لصلوة العصر من مغربها فقام العبد فصلى ركعتين واربع سجدات كتب له
اجر ذلك اليوم حسنة وكفر عنه خطيئة واثمه وفى سنن الترمذى قال ابو هريرة قال
رسول الله صلعم من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه وان كان مثل زبد البحر وعنه
عم ان في الجنة بابا يقال له الضحى فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين كانوا
يدومون على صلوة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله عز وجل وروى البخارى و
مسلم عن ابى هريرة قال اوصانى خليلى بثلاث لا ادعهن حتى اموت صوم ثلثة
ايام من كل شهر وصلوة الضحى ونوم على وتر لفظ البخارى وقال مسلم ركعتى الضحى و

بلغ

خرجه

خرجه من حديث ابى الدرداء كما خرجه البخارى من حديث ابى هريرة وروى الترمذى
من حديث انس قال قال رسول الله صلعم من صلى الضحى ثنتى عشر ركعة بنى له قصر من
ذهب في الجنة وقيل يحتمل ان يكون الاشراق من اشرق القوم اذا دخلوا في
الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق
ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق وقوله الطير والاشراق يقتضى لان
والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان حشرها
جملة واحدة ادل على القدرة منه متدرجا وعن ابن عباس اذا سبح جاوبته
الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وهو معطوف على الجبال والمعنى و
سخرنا الطير محشورة اليه يسبح لله معه وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبر كل له
اواب اى كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اى لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح لانها
كانت تسبح بتسبيحه وفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا يدل
على المداومة عليه او على كل من داود والجبال والطير مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه
وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود والقاء الرعب في قلوب قومه وذكر ان رجلا ادعى
عند على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا
منام فاعيد الوحى في اليقظة فاعلم الرجل فقال صدقت وان الله لم ياخذنى بهذا الذنب
ولكن بانى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره
الله عليه فهابوه وعظمت هيبته وقيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه
وروى الحلوانى عن الحسن وشددنا مشددا وعن ابن ابى عبلة مثله واتيناه الحكمة يعنى
الزبور وعلم الشرايع وقيل النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل كل كلام وافق الحق فهو
حكمة وقال مجاهد العدل وقتادة السنة وشريح العلم والفقه وابو العالية العلم بكتاب الله
وفصل الخطاب من عطف الخاص على العام تنبيها على جلالة امره وفخامة قدره لان
فصل الخطاب نوع من الحكمة واضافة الفصل الى الخطاب من اضافة الصفة الى الموصوف
سواء كان الفصل بمعنى الفاعل او المفعول لان المعنى واتيناه الخطاب الفاصل المميز
بين الحق والباطل او الخطاب المفصول يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه والفصل المميز
بين الشيئين وقال ابن مسعود والحسن فصل الخطاب الفصل في القضاء واليه ذهب

قال سهل اى اعطينا علما بنفسه والسماء بمواعظ العلم والفهم
وقال جعفر صدق القول وصحة العقد والثبات في الامور وقال
ظاهر الخط الابعاد وغاية الاشراد تحقيق

ابن ... ١٢ ...

معاند والكلبي والسلمي وقال ابن عباس هو بيان الكلام وقال حتى رده هو قوله البينة
على المدعي واليمين على من انكر ويروى واليمين على المدعى عليه وبه قال قتادة وشريح
وقال ابو موسى الاشعري السعبي هو قوله اما بعد وهو اول من تكلم به فانه يفتتح
اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق
اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد وقيل هو البين من الكلام الملخص الذي
تبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وقيل فصل الخطاب بقوله يتميز الحق من الباطل والكلام
الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس تراعى فيه مظان الفصل و
الوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وجوز ان
يراد بفصل الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة
رسول الله صلعم فصل لا نزر ولا هذر وعن ابي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وبه
قال مجاهد وخطاب ابن ابي نجيح وما ذكرته اولا يشمل كل هذه الاقوال وهل اتيك
نبأ الخصم استفهام معناه التعجب او التشويق الى استماعه لانه من الانباء التي حقها ان يتعجب
منها كل من سمعها ويتشوق اليها وفيه تفخيم لشان وتنبيه على انه ليس من علم النبي صلعم
وانما عرفه بالوحي والخصم في الاصل مصدر ولذلك يقع على الواحد والجمع كالضيف والزور
والصوم اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور وهو الحائط المرتفع
ونظيره تسنم من السنام اذا علا سنامه واذ منصوب بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ
تحاكم الخصم اذ تسوروا او النبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناده
اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه رسول
الله لم يكن حين تسور المحراب وانما كان في عهده واذ في قوله اذ دخلوا على داود بدل
من الاولى او ظرف لتسوروا روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان
يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحراس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما
جالسان بين يديه ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله
لا يتركون من يدخل عليه فانه كان جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم ففاجؤوه في يوم
خلوته غير يوم القضاء فخاف منهم وقال ما ادخلكما علي قالوا لا تخف نحن خصمان خبر مبتدأ





محذوف اي نحن خصمان اي فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بدليل قراءة
من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض وقيل فاعل فعل محذوف اي يقول خصمان وقيل
ما تقول ان اتاك خصمان يقولان بغى بعضنا على بعض على سبيل الافتقاد او الفرض
وقصد التعريض لانهما كانا ملكين ولم يكونا فاولا باغيين ولا ياتي منهما الكذب وقيل
هما كانا اثنين جبرئيل وميكائيل قد نبها داود بذلك على ما فعل وقيل كانا اخوين من
بني اسرائيل لاب وام فلما قضى داود بينهما بقضية قال له ملك من الملائكة فهلا قضيت
بذلك على نفسك يا قيل اتيانه ليلا في غير وقت دخول الخصم فاحكم بيننا بالحق ولا
تشطط ولا تجر في حكومة وهو تاكيد للامر بالحكم بالحق وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق
ولا تشطط ولا تشاطط والكل بمعنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى
سواء الصراط وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او بالصحبة او بهما او بالنسبة على
القول واخي بدل من هذا او خبر لان له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى
من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود
واوقع في النفس واقوى في القلب والسمع وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون
وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة وقرأ ابن مسعود
نعجة انثى وقرأ حفص ولي نعجة بفتح الياء روما للخفة والباقون بسكونها على الاصل
فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي او اجعلني كافلها
كما يكفل الرجل ملكه وذلك بالتمليك وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وقال مسروق قال
ابن مسعود ما زاد داود على قوله اكفلنيها اي انزل عنها وقال سعيد بن جبير
اي تحول عنها وضمها الي وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء
بحجاج لم اقدر ان ارده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو
فخاطبني خطابا اي فغالبني في الخطبة فغلبني حيث تزوجها دوني وقرئ وعازني اي
غالبني وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه
على نحو ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة
في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وتعديته الى
مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الضم او الاضافة كانه قيل بضم نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال

والطلب ولعله قال ذلك على تقدير صدق المدعي او بعد اعتراف صاحبه ولكنه
لم يحك في القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي
مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة
فقال يا داود انت احق بذلك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم
ير احدا فعرف ما وقع فيه وقيل قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى آخره ان الآخر سلم في الدعوى
نوقع بعد ذلك الفتوى وقال النبي صلعم اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض لاحدهما حتى
تسمع من الآخر وان كثيرا من الخلطاء من الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط وهي
الخلطة اي الشركة وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين
في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما
وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد فان كان لهما اربعون شاة فعليهما شاة و
ان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد
وعند ابي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين
لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلث شياه وانما ذكر حال الخلطاء في ذلك
المقام قصدا به الى الموعظة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم
بالقلة وان يكره اليهم الظلم الذي عليه اكثرهم مع التأسف على حالهم وان يسلي المظلوم
عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة ليبغي ليتعدى وقرئ ليبغي بفتح
الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم
محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وقد رواه صاحب الغرائب عن اهل
الشام حيث قال عن اهل الشام من رواية هشام من الخلطاء ساكنة اللام ليبغ بحذف الياء
بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم يعني ممن يؤمن
ويعمل صالحا قليل جدا فهم مبتدأ خبره قليل وانما افرد تشبيها بفعيل بمعنى مفعول وما
مزيدة لتأكيد القلة وقيل للابهام والتعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها
وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى
قط وظن داود انما فتناه اي وعلم داود وايقن انما ابتليناه لا محالة بالمرأة
او رايا هل يثبت ام يزل وقيل ابتليناه بالذنب او امتحنا بتلك الحكومة هل ينتبه بها وانما

اجرى

اجري الظن مجرى العلم واليقين لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات
والاحكام وقرئ انما فتناه بتشديد التاء للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس
افتنت وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا
على تسمية السجود ركوعا لان الراكع ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه
في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود او خر للسجود راكعا اي مصليا اطلاقا
للجزء وارادة الكل كانه احرم بركعتي الاستغفار والدليل على ان الركوع ههنا بمعنى السجود
ما رواه ابن عباس ان النبي صلعم يقول في سجدة ص وسجدة الشكر اللهم اكتب لي عندك
بها اجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع عني بها وزرا واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود
سجدته وعن انس سمعت رسول الله صلعم يقول ان داود النبي عم حين نظر الى المرأة فهم
ما همّ قطع على بني اسرائيل بعثا فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب
فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين
يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان
عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على
راسه واكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة ابعد مما بين
المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في
المخلوق من بعده فجاءه جبرئيل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد
غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر الهم الذي هممت
به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيمة فقال رب دمي الذي
عند داود فقال جبرئيل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت فقال نعم فعرج جبرئيل
وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال سألت الله عن الذي ارسلتني فيه فقال قل
لداود ان الله يجمعكما يوم القيمة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك
يا رب فيقول ان لك في الجنة ما شئت عوضا وعن ابن عباس وكعب ووهب لما دخل
على داود الملكان فقضى على نفسه تحولا في صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على
نفسه وعلم داود انه انما عني به فخر ساجدا اربعين يوما لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة
او ما لا بد منه لا ياكل ولا يشرب ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يزل

ماء الارض لنباته دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في التوبة والعفو عنه حتى كاد يهلك و
اشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع
اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وعن وهب ان داود اتاه
نداء اني قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا
فناده وانا اسمعه نداءك فتحلل منه فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى
اوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا نبي
الله قال اسألك ان تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك
للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى الله اليه يا داود الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي
بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امرأته فرجع اليه فناداه فاجابه فقال من هذا الذي
قطع علي لذتي فقال انا داود فقال يا نبي الله اليس قد عفوت عنك قال ولكن انما فعلت
ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها فسكت ولم يجبه ودعاه فلم يجبه ودعاه فلم يجبه فقام عند
قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل له سبحان خالق النور الويل
لداود اذا نصبت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل
حين يؤخذ بذقنه فيدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل
له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فنودي من السماء
يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يا رب
كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود اعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه
فاقول له رضي عبدي فيقول من اين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض عبدي
داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي واناب
ورجع الى الله بالتوبة قال بعضهم واقصى ما في هذه الاشعار بانه هم وود ان يكون ما
لغيره كان له امثاله فنبهه الله هذه القضية فاستغفر ربه واناب وما روي ان بصره وقع
على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته
او استنزله عن زوجته وكانت لاهل زمان داود عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها
كما ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد
مرارا وامره ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤ وافتراء وقال الزمخشري وقيل خطبها

اوريا

اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه
واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان آبائي قد
ذهبوا بالخير كله فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابراهيم بنمرود و
ذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فاوحى
الله اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل
يصلي ويقرأ الزبور فجاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له
صغير وقيل من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد
فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فذهب ليأخذها ويريها بني اسرائيل فينظروا الى قدرة
الله فطارت فامتد اليها وطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت
شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا
افتن داود وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من
يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يديه و
سلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء
وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء
المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء هذا كلامه وقد علمت ما فيه من النكارة والمخالفة
لحديث رواه انس بن مالك صاحب رسول الله وبقول كثير من علماء السلف ثم قال وعن
سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث داود على
ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث
بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت
القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كان
على ما ذكرت وكف الله سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال لسماعي هذا الكلام احب
الي مما طلعت عليه الشمس والذي عليه التمثيل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج
المرأة ان ينزل له عنها فحسب وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه
فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن
ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وذلك

في شهر ذي الحجة لقول ابن مسعود عن النبي صلعم انه قال بعث الله تعالى محمدا في ثلث ليال
بقين من رجب فصوم ذلك اليوم كصوم مائة سنة وانزل الرحمة واللعنة لخمس ليال
بقين من ذى القعدة فصوم ذلك اليوم كصوم سبعين سنة وانزلت توبة داود لسبع
ليال بقين من ذي الحجة فمن صام ذلك اليوم غفر الله له ذنوبه كما غفر ذنب داود وان له
عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة وعن وهب ان داود لما تاب
الله عليه بكى على خطيئته ثلثين سنة لا يرقا دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو
ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء ويوم لنسائه ويوم
يسيح في الفيافي والجبال والسواحل ويوم يخلو في دار له فيها اربعة الاف محراب فيجتمع اليه
الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك ويرفعون اصواتهم معه بالبكاء
والنوح فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش التي تحته من دموعه ويقع فيها مثل الفرخ فيضطرب
فيجي ابنه سليمان فيحمله فياخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول يا رب
اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاؤه ببكاء اهل الدنيا لعدله وذكر الاوزاعي مرفوعا
الى رسول الله صلعم ان مثل عيني داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع
في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله عليه قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان
لا انسى خطيئتي فاستغفر لها وللخاطئين الى يوم القيمة فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما
رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا راها وما قام خطيبا في الناس الا بسط راحته
فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان اذا دعا استغفر للخاطئين قبل نفسه
وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطي
ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال
يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فياكل ويقول هذا اكل الخاطئين
للخاطئين وكان قبل الخطيئة يقوم الليل ويصوم الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام
الدهر كله وقام الليل كله وعن علي رضه قال رسول الله صلى الله عم اوحى الله الى داود يا داود
قل للعاصين ان يسمعوني ضجيج اصواتهم فاني احب ان اسمع ضجيج العاصين اذا تابوا الي
يا داود لن ينفع المتفردون الا من هو كرم مني ولا يسال السائلون اعظم مني جودا وان
العبد ليعصيني ثم تقبل علي فاقبله على ما كان منه وانا ارحم الراحمين وعن ايوب بن مالك

فقال

قال النبي عم اوحى الله تعالى الى داود يا داود وعزتي ما من عبد يعتصم بي دون خلقي
اعرف ذلك من نيته فيكيده السموات السبع ومن فيهن والارض بمن فيها الا جعلت له
من ذلك مخرجا وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني اعرف ذلك من نيته الا قطعت اسباب
السموات من يديه وارسخت الهواء من تحت قدميه وما من عبد يطيعني الا وانا معطيه
قبل ان يسالني ومستجيب له قبل ان يدعوني وغافر له قبل ان يستغفرني يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد
ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء
القائمين بالحق قيل وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كان عليه لم تتغير فاحكم
بين الناس بالحق بحكم الله اذ كنت خليفة ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس في القضاء
وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا وهو يؤيد ما قيل من ان ذنبه الهم
الذى هم به حين نظر الى المراة كما صرح به رسول الله عم في الحديث الذى رواه انس
او المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الاخر قبل مسالته لان كلا منهما مما هو تهوى النفس
او عن طريق الله الذى هو الاسلام هذا وامثاله يدل على ان اتباع الهوى موقع عن دين
الاسلام مراحل فيهلك به كما قال سيد الانبياء عليه وعليهم السلام ثلث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقد قال صلعم ما عبد اله تحت السما ابغض الى الله تعالى من
الهوى رواه ابو امامة وقال الشعبي انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال ابن
عباس ما ذكر الله هوى في القران الا ذمه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد نوع من العذاب منفاقم وهو النار وعن النبي عم انه قال لعلي رض يا علي احكم بالحق
فان لكل حكم جاير سبعين درجة من النار لو ان درجة واحدا وضع على راس جبل شاهق
لاصبح الجبل رمادا بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله فان تذكره
يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى او بنسيانهم يوم الحساب وعن بعض خلفاء بني مروان
انه قال لعمر بن العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة
لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء
ثم تلا هذه الاية وعن ابن عباس انه قال في تفسير قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق و
لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان ارتفع لك الخصمان فكان لك في احدهما هوى

ولا تنتهي في تمسك الحق له ليغلبه على صاحبه فان فعلت محوت من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا اهل كرامتي وفي الآية دليل بين على وجوب الحكم بالحق وان لا يميل الحاكم الى احد الخصمين في شيء من الاشياء وقال الليث تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان فاقامهما ثم عادا فاقامهما ثم عادا ففصل بينهما فقيل له في ذلك فقال تقدما الي فوجدت لاحدهما ما لم اجد لصاحبه فكرهت ان افصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما وقال الشعبي كان بين عمر وابي خصومة فتقاضيا الى زيد بن ثابت فلما دخلا عليه اشار عمر الى وسادته فقال عمر هذا اول جورك اجلسني واياه مجلسا بين يديه وقرأ ابو البرهسم وابو حيوة يضلون بضم الياء وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اي خلقا باطلا لا حكمة فيه او على الحال تقديره ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق او على المفعول له اي للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون او على وضع الصفة موضع المصدر مثل هنيئا او على الميل الى جانب المعنى وهو باب واسع في علم الكتاب فكأنه قيل ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ومتابعة الهوى بل للحق المبين وهو ان خلقنا اجساما يدل على وجودنا ووحدتنا وباهر قدرتنا وبالغ حكمتنا ويذكر بها الآخرة وثوابها وعقابها لانطباقها على اسباب الانس واللذة والروح والراحة واسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والاحناش والسموم والمخاوف وقيل هو ان خلقنا نفوسا او دعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك اي خلقها باطلا ظن الذين كفروا الظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة مظنون الذين كفروا فانهم وان كانوا مقرين بان الله خالقها لما اعتقدوا ان الجزاء الذي هو حكمة خلق العالم كما صرح به القرآن باطل لزمهم ان يظنوا ان المعلول باطل ويعتقدوا ذلك وقيل لما كان انكارهم للبعث والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها ومن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد

سفه

سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار وقرأ الخليل ذلك ظن بفتح النون على الماضي فويل للذين كفروا من النار فالهلاك كل الهلاك لهؤلاء الكافرين بسبب هذا الظن الباطل والاعتقاد الفاسد ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة فاشعرت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها فانكر كون المؤمن الصالح والكافر سواء في الجزاء عند الله كأنه قال في ظنهم الباطل ولاسيما التسوية المنكرة بين الفريقين التي هي من لوازم خلقها باطلا روي ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت الآية وكذا ام الثانية في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كأنه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والفاجرين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بين الفريقين انما يحصل بدخول دار المتقين وذلك بعد ان يبعث الله الموتى ويحشرهم كتاب انزلناه اليك مبارك كثير المنافع والفوائد وقرئ مباركا بالنصب على الحال ليدبروا اياته ليتفكروا فيها فيقفوا على ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثوج لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الورعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتفكرين في آياتك وارزقنا العمل بها خالصا لوجهك الكريم ولا تجعلنا من جبابرة العلماء والقراء برحمتك يا ارحم الراحمين قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من فخر القراء فانهم اشد فخرا من الجبابرة ولا احد ابغض الى رسول الله من قارئ متكبر وعن علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من واد الحزن فانه اذا فتحت الجاري منها جهنم سبعين مرة اعدها الله تعالى للقراء المرائين باعمالهم وان شر القراء لمن يزور الامراء وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك وهي في شواذ عاصم والسلمي وقرئ لتدبروا وقراء

ابو جعفر والاعرج وعاصم ليدبروا بالياء وتخفيف الدال وليتذكر اولوا الالباب و
ليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم
من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع
وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولان التدبر للعلم الاول والتذكر للثاني وعن الحسن
تدبرا يابه اتباعه ووهبنا لداود سليمان لما فرغ من قصة داود وبيان اصول الشرع
في قصة ابنه سليمان وما جرى عليه بسبب امرأة وغيرها روي ان داود عم عاش مائة سنة
ومات يوم السبت فجأة اتاه ملك الموت وهو يصعد في محرابه وينزل وقال جئت لاقبض
روحك فقال دعني حتى انزل او ارتقي فقال ما لي الى ذلك سبيل نفدت الايام والشهور
والسنون والاثار والارزاق فما انت بمؤثر بعدها فسجد داود على مرقاة من الدرج
فقبض نفسه على تلك الحال وكان بينه وبين موسى عم خمسمائة وتسع وتسعون سنة
او تسع وسبعون على خلاف القولين واوصى الى ابنه سليمان بالخلافة نعم العبد المخصوص
بالمدح محذوف تقديره نعم العبد سليمان وقيل داود وقرئ نِعْمَ العبدُ على الاصل
ثم علل كونه ممدوحا بقوله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له
اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر
الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من
الصافنات الجودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص وقيل الذي في قوله
الوح الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاثة كسرا واما الصافن فالذي يجمع يديه
وعن القتيبي والزجاج الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها ومنه قول النبي عم
من سره ان يقوم الناس له صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدمهم
الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض
وقيل جمع جيد قال الكلبي غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس
وقال مقاتل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقال الحسن بلغني انها كانت
خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وقال الضحاك كانت منقوشة ذات اجنحة اخرجت لسليمان
من البحر فصلى سليمان الصلوة الاولى فقعد على كرسيه واستعرضها فلم يزل يعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له وقت العشاء فاغتم

لما

لما فاته فقال ردوها علي فردوها عليه فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف
تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته وبقي منها مائة فرس فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها
وقال الحسن لما عقرها ابدله الله خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف يشاء
وقيل كانت عشرين فرسا وقيل مائة وقال عكرمة عشرين الف فرس لها اجنحة
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يتعدى بعلى لانه بمعنى اثرت
لكن لما تضمن معنى انبت عدي كتعديته وقيل فعدى عن ذكر ربي على ان حب الخير
مفعول له وقيل لزمت من قوله بغير السوء اذا حبا اي برك وعلى هذا ايضا يكون
مفعولا له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس
الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة
وقال في زيد الخيل رضه وقد وفد اليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني
الا زيد الخيل وسال رجلا بلال رضه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله
فقال الرجل اردت الخيل فقال بلال وانا اردت الخير وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها حتى توارت بالحجاب اي حتى غربت الشمس شبه
غروبها بتواري الملك والمخباة بحجابها وذكر العشي دليل على ان الضمير للشمس وقيل الضمير
للصافنات اي توارت بحجاب الليل وقيل الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب
الشمس من ورائه ردوها الضمير للصافنات اي توارت بحجاب الليل وقيل الحجاب
جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها الضمير للصافنات
فطفق مسحا بالسوق والاعناق فاخذ يمسح السيف مسحا بسوقها واعناقها يعني يقطعها
من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وكون المسح بمعنى القطع قول الجمهور وعن
الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف
في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقال الزهري وابن كيسان مسح سوقها
واعناقها بيده حبا لها وشفقة عليها وقوله ردوها علي مقول قول محذوف
تقديره قال ردوها علي والجملة جواب لسؤال مضمر فكانه سائلا سال فماذا قال
سليمان لانه موضع مقتضى للسؤال ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا
حتى تفوته الصلوة عن وقتها وعن علي رضه ان معناه قوله ردوها علي خطابا على

(العصر)

سليمان بامر الله للملائكة بالشمس ردوها علي يعني الشمس فردوا الشمس عليه حتى صلى العصر في وقتها وذكر انه تعرض عليه الخيل الجياد حتى توارت بالحجاب قال ابن عباس سالت عليا عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها فقلت سمعت كعبا يقول ان سليمان لما اشتغل بعرض (الافراس) حتى توارت الشمس بالحجاب وفاتته الصلوة قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي آثرت حب الخير عن ذكر ربي ردوها علي يعني الافراس وكانت اربع عشرة فضرب سوقها واعناقها بالسيف وان الله سلبه ملكه اربع عشر يوما لانه ظلم الخيل فقال علي بن ابي طالب كذب كعب لكن سليمان لما اشتغل بعرض الافراس للجهاد حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس فقال بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها يعني الشمس فردوها حتى صلى العصر في وقتها وان انبياء الله لا يظلمون لانهم معصومون ومن قال ان الضمير في ردوها عائد الى الشمس فذلك من معجزات سليمان وقد اتفقت مثل ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم خرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها بعد ما غربت طلعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وعن ابن كثير بالسؤق على همزة الواو لضمة ما قبلها كموقن وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روى الاعرج عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لكان فلم يقل ونسي والحديث في صحيح البخاري ومسلم وقيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك مما نحن فيه من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه واناب عليه وقيل انه غزا صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وكان بها ملك عظيم



الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اتى بها بجنوده من الانس والجن فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان يقاد معها حزنا على ابيها فامر الشيطان فمثل لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج الى الفلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة اعطاها الخاتم وكان ملكه فيه فاعطاها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان فاجتمع عليه الطير فغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وبه قال الحسن حيث قال ما كان الله يسلط الشيطان على نسائه ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر وابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ والسجود للصورة بغير علمه لا يضره على الشيطان لا يتصور بصورة الانبياء وقال سعيد بن المسيب احتجب سليمان عن الناس ثلثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله تعالى فذكر حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه كما ذكرنا وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يتقر في يدك اربعة عشر يوما فتب الى الله واني اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك واخذ آصف الخاتم فوضعه في اصبعه فثبت فهو الجسد المذكور في الآية فاقام آصف

في ملكه بسبب تربيته اربعة عشر يوما الى ان ردّ الله الى سليمان فجلس على كرسيه واعاد الخاتم
في يده فثبت وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله
محمد رسول الله وعن يحيى بن عمرو الشيباني ان سليمان وجد خاتمه بعسقلان فمشى منها الى
بيت المقدس تواضعا لله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
لا يتسهل لاحد ولا يكون ليكون معجزة لي مطابقة لشاني فانه عم قد نشا في بيت الملك والنبوة
وكان اهل زمانه يتفاخرون بالملك والجاه فسال ربه ملكا خارقا للعادة بالغا حد الاعجاز
ليكون ذلك معجزا له يدل على صحة نبوته ويقهر به كل من بعث اليهم فان غالب معجزات
الانبياء من جنس ما يتفخر به اهل زمانهم ويباهون به على ما حققناه في خطبة الكتاب وتحقيقها
او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او ملكا عظيما لا يتيح لاحد من بعدي لعظمته
كانه خاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ حدود الله فيه وقال مقاتل بن حيان كان سليمان
ملكا عظيما ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل
ما بعده وعن ابي هريرة قال النبي عم ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله
منه فاخذته فاردت ان اربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت
دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا وقدم الاستغفار
على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة و
القبول وقرا نافع وابو عمرو من بعدي بفتح الياء والباقون بسكونها انك انت الوهاب
بليغ الهبة تبالغ فيها لمن تشاء فتعطيه ما لا يتكاثر قدره ولا يحيط به النعت فسخرنا له
الريح فذللناها لطاعته وجعلناها مطيعة له لا تخالفه فيما امرها به اجابة لدعوته وقال ابو
عمرو انه ريح الصبا وقرا ابو جعفر الرياح بالجمع تجري بامره رخاء لينة لا تزعزع او طيبة لا
تمتنع عليه ولا تخالف ارادته كالمامور المطواع والجملة استيناف بتقدير التسخير او حال
من الريح حيث اصاب حيث قصد واراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب
وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال لهما
اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعنا وقيل اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على
الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من محاريب وتماثيل
وغير ذلك ويستخرجون الدر واللآلي من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وآخرين

مقرنين

مقرنين في الاصفاد عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كان
عليه السلام يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل كي يؤمنوا فاذا
امنوا اطلقهم وليكفوا عن الشر والفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مكبلين
في الجوامع وقيل ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هو الاقرب
ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط
بالمنعم عليه ومنه قول علي من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك واصله قوله عم الانسان
عبيد الاحسان وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده و
اوعده هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به
غيرك عطاؤنا فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت من شئت او امسك او
امنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منته وامساكه لتفويض
التصرف فيه اليك او من قوله عطاؤنا او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا
يكاد يمكن حصره ويجوز ان يكون هذا اشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن اطلاقهم و
بالامساك ابقاؤهم في القيد بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك وقرا ابن مسعود هذا
فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب وقتادة هذا اشارة الى ما اعطيه من القوة على الجماع
وكان له ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وكان في ظهره ماء مائة رجل رواه عكرمة عن ابن
عباس وعلى هذا فامنن من المني يقال امنى يمني ومنى يمني لغتان والامر من امنى امن
فاذا جيئ بنون الفعل نون الخفيفة قلت امنن هكذا قاله القرطبي في تفسيره وفيه من
الخطاء ما لا يخفى ثم قال المعنى على ما روى عكرمة عن ابن عباس فجامع من شئت من نسائك
واترك جماع من شئت منهن لا حساب عليك هذا كلامه وان له عندنا لزلفى لقربة
في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب مرجع وهو الجنة وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايتم ما اعطي سليمان بن داود من ملكه فان ذلك لم يزده الا تخشعا ما
كان يرفع بصره الى السماء تخشعا لربه واذكر عبدنا ايوب هو ايوب بن اموص بن رازح
بن روم بن عيص بن اسحق وامراته ماخير بنت ميشا بن يوسف الصديق او رحمة بنت
افرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق وهما اخي يعقوب وعيص اخوان وايوب
عطف بيان للعبد اذ نادى ربه بدل من عبدنا اي حين دعا ربه اني مسني باني مسني

وقرأ حمزة مسني بسكون الياء وسقوطها من الوصل وقرأ عيسى بن عمر انى بكسر الهمزة
على اضمار القول او لتضمن النداء معنى القول الشيطان بنصب وعذاب النصب التعب
والمشقة وكذا النصب بفتح النون والصاد وهو قراءة يعقوب وبضمها وهو في حرف
ابي جعفر وقرأ ابو البرهسم وابو حيوة واليماني بنصب النون واسكان الصاد والعذاب
الالم يريد مرضه وما قاسى منه من انواع الوصب وقيل النصب في الجسد والعذاب
في ذهاب الاهل والمال وهو حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولاه لقال بانه مسه
لانه غائب واسناده الى الشيطان اما لان مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قال انه
اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم على ظالم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك
كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة
للادب حيث لم يسنده الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو ولانه وسوس
الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم وروي انه كان يعوده ثلثة من المؤمنين
فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين
او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من عظم البلاء
والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه بكشف البلاء
او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب
اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هو ارض الجابية هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها
فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما تغتسل به وتشرب منه
فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت عينان حارة وباردة فا
غتسل من الحارة وشرب من الباردة فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله و
قال قتادة هما عينان بارض الشام في ارض يقال لها جابية وقال ابن عباس بقي ايوب
في البلاء سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب سبع سنين
وبقي يوسف في السجن سبع سنين وبختنصر جعل في السباع سبع سنين
وقيل عشر سنين وقيل ثماني عشرة سنة رواه انس مرفوعا وقيل اربعين سنة
ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم واحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا
مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب

ولتذكر

ولتذكير اولي العقول لينتظروا الفرج بالصبر والالتجاء الى الله فيما ينزل بهم من البلايا
والمحن وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث ملؤ الكف من الشجر والحشيش او
الشماريخ وقيل انه كان حزمة من الاسل وهو نبات له اغصان لا ورق لها وقيل
الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر فاضرب
به ولا تحنث روي ان زوجته رحمة بنت افرايم او ماخير بنت ميشا او ليا بنت يعقوب
ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك واختلفوا
في ان هذه الرخصة هل هي باقية في حدود اهلها والجمهور انها باقية وبها احتجاجا اخرجه ابو داود
في سننه قال حدثنا احمد بن سعيد الهمداني قال سا ابن وهب قال اخبرني يونس
عن ابن شهاب قال اخبرني ابو امامة الباهلي انه اخبره من بعض اصحاب النبي عم من الانصار
انه اشتكى رجل منهم حتى اضني فعاد جلده على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش
لها فوقع عليها فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه اخبرهم بذلك وقال استفتوا الى النبي
عم فاني وقعت على جارية دخلت علي فذكروا ذلك لرسول الله وقالوا ما رأينا باحد
من الناس من الضرب الذي هو به لو حملناه اليك لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم
فامر رسول الله صلى الله عم ان ياخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة قال
الشافعي اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو ذلك
بقلبه يكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية وقال مالك ليس الا الضرب الذي يولم
ويحكي ابو زيد عن ابن القاسم عن مالك من حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه
واحدة لم يبر وعند الشافعي وعطاء بن ابي رباح ومجاهد وغيرهم يبر وعن النبي عم
قد اتي بمخدج قد خبث فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة وتجب ان
يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود
صورة الضرب وقيل كان السبب في حلفه انها جاءته بزيادة على ما كانت تاتيه من الخبز
فخاف خيانتها فحلف ليضربها وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واو
لادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان
ان ايوب اذا شرب الخمر برا فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب الشيطان
بعناق وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام انا وجدناه

صابرا علمناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والاولاد والمال ولا يخل به
شكواه الى الله من الشيطان لانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال
ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين حيث كان يوسوس اليهم وسوسة انه لو كان
نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق
معه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني
قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان
ولا كاسيا ومعي جايع او عريان فكشف الله عنه وعن سفيان بن عيينة لما عوا في ثلاثة
وقع في قلبه انه صبر فنودي بعشرة آلاف صوت من روايته عشرة آلاف غمامة يا ايوب
انت صبرت ام نحن صبرناك قال يا رب بل انت صبرتني نعم العبد ايوب انه اواب
مقبل بشراشره على طاعة الله ولقد سوى الله تعالى بين عبديه الذين احدهما انعم عليه
فشكر والآخر ابتلي فصبر حيث اثنى عليهما ثناء واحدا وقال في وصف سليمان نعم العبد
انه اواب وفي وصف ايوب كذلك وقيل لما اذهب الله عنه ما كان فيه من الاذى انزل
عليه ثوبين ابيضين من السماء فاتزر باحدهما وارتدى بالآخر ثم مشى الى منزله
فاقبلت سحابة حتى سحلت في اندر قمحه ذهبا حتى امتلا واقبلت سحابة اخرى الى
اندر شعيره فسحلت فيه ورقا حتى امتلا واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن
كثير عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع او على جعل ابرهيم بدلا منه او عطف بيان له ثم عطف
اسحق ويعقوب على عبدنا والباقون عبادنا على انهم بدل منها او عطف بيان
اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصاير في الدين او اولي الاعمال
فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثر الاعمال يباشر بالايدي فغلب الاعمال بالايدي
على ساير الاعمال التي تباشر بغيرها وبالابصار عن العلوم لانها اقوى مباديها وفيه تعريض
بالبطلة والجهال انهم كالزمنى والعماة حيث لا يعملون اعمال الآخرة ولا يستبصرون في دين
الله وتوبيخ على تركهم العمل والتفكر مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي
على جمع الجمع وقرا ابن مسعود اولي الايد بحذف الياء اكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد
من التأبيد قلق غير متمكن انا اخلصناهم بخالصة انا جعلناهم لنا خالصين بخصلة
خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم الآخرة دائما لان خلوصهم في الطاعة

بسببها

بسببها لان مطمح نظرهم ومقصد همتهم فيما يأتون ويذرون جناب الله و
والفوز بلقائه ورضوانه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية
والدنيا معبر وقرا نافع وهشام وابو جعفر باضافة بخالصة الى ذكرى للبيان اذ
الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى فاضيفت الى ما بينها كما اضيف الشهاب الى
القبس في قوله بشهاب قبس او لان الخالصة مصدر كالعافية بمعنى الخلوص فاضيف
الى فاعلها اي بان خلصت لهم ذكرى الدار او بمعنى الاخلاص فاضيف الى المفعول اي باخلاصهم
ذكرى الآخرة ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا والباقون بخالصة بالتنوين على ان ذكرى
الدار بدل من خالصة او عطف بيان لها او فاعلها او مفعولها او خبر مبتدا محذوف
اي هي ذكرى الدار والباء للسببية اي اخلصناهم بسبب هذه الخصلة الخالصة وبانهم
من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم واللطف بهم في اختيارها وقيل المعنى اخلصناهم بافضل
ما في الآخرة وقال مالك بن دينار ونزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب
الآخرة وذكرها وقال السدي اخلصوا بخوف الآخرة وقيل بالدعوة الى الآخرة والى الله تعالى
وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم و
قرا ابن مسعود بخالصتهم وهي تؤيد كون الباء للسببية وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار
او جمع خير بالتشديد او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت وقرا عبيد بن
عمير وانهم عندي واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه
الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه مثل قوله رايت الوليد بن اليزيد
مباركا على ان حرف التعريف دخل على يسع ويزيد وهما من المضارع الثلاثي
وقرا حمزة والكسائي وخلف والليسع بتشديد اللام وبسكون الياء تشبيها بالمنقول
من ليسع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته وقيل
الياس وقيل يوشع بن نون وقيل ذكريا وعلى هذه الاقوال الثلاثة لا شك في نبوته
والكفل النصيب والضعف والكفالة سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله او تكفل منه
او كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم او فر اليه مائة من بني اسرائيل
من القتل فآواهم وكفلهم او كفل بنبي من انبياء بني اسرائيل فوفى به وكل اي وكلهم

من الاخيار ممن اختير للنبوة والرسالة هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم
ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو
باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر
وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم شرع في بيانه وهو ما اعد لهم ولا
مثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع وقيل ان لهم مع هذا الذكر الجميل
والثناء الحسن في الدنيا حسن المرجع في العقبى جنات عدن يحتمل ان تكون منصوبة
على المدح بتقدير اعني جنات عدن وهو احسن الوجوه بالنظر الى مقتضى المقام
وان تكون مجرورة بدلا من حسن مآب او عطف بيان له وقرأ زيد بن علي
وابو البرهسم جنات بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وعدن علم بمعنى
العدن وهو الاقامة كما ان امس علم بمعنى الامس او علم لجنات هي قصبة الجنة
التي هي مشرفة على الجنان كلها او علم لارض الجنة لانها مكان اقامة وقال ابن عباس
باب عدن مصراعان من زمرد وياقوت كما بين المشرق والمغرب وهو من
الاعلام الغالبة مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في
للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره
مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد الرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ
جنات عدن مفتحة برفعهما على الابتداء والخبر او انهما خبران لمبتدأ محذوف
اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة
وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل
او يدعون استيناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار
على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة
وعندهم قاصرات الطرف اي وعندهم نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا
ينظرن الى غيرهم اتراب مستويات في السن بنات ثلث وثلثين وازواجهن
كذلك عن رسول الله صلى الله عم يدخل الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء
ثلث وثلثين وانما جعلن على سن واحد لان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن
لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد

وقال



وقال مجاهد اتراب اي متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن جمع ترب
يقال هذه ترب هذه اي لدتها ومعناه بالفارسية هم زاد هذا ما توعدون
ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابو عمرو وابن كثير يوعدون
بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة والباقون بالتاء التفاتا من الغيبة الى الخطاب
وهو ابلغ ان هذا لرزقنا ما له من نفاد من انقطاع كما ينقطع في الدنيا شيئا
فشيئا حالا فحالا وفيه دليل على ان نعيم الجنة دائم لا ينقطع ابدا كما قال عطاء غير مجذوذ
هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا والوقف على هذا حسن جدا وان
للطاغين لشر مآب لشر مرجع وهو جهنم والمراد بالطاغين الكافرين جهنم نصب
على انها بدل من شر مآب او عطف بيان له يصلونها حال اي يدخلون جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد والفراش الذي يفترشه النائم والمخصوص
بالذم محذوف وهو جهنم كقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا
هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم و
غساق وهو على الاوليين خبر محذوف اي هو حميم والحميم الماء الحار الذي انتهى
حره والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال
دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف غساق بتشديد السين والباقون
بتخفيفها وهما لغتان بمعنى واحد وقيل الحميم يحرق بحره والغساق الزمهرير
يحرقهم ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت
منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله
ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم واخفوا
واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وقال كعب الحميم عصارة اهل النار وقال
السدي الغساق الذي يسيل من اعينهم وقيل عين في جهنم يسيل اليها سم كل
ذي سم من العقارب والحيات وفي سنن الترمذي قال ابو سعيد قال النبي عم
لو ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا وآخر قرأ ابو عمرو
ويعقوب واخرى ومذوقات اخر او وانواع عذاب اخر والباقون
وآخر اي ومذوق آخر او وعذاب آخر من شكله اي من مثل هذا المذوق

أو العذاب في الشدة والفظاعة وتوحيد الضمير على أنه لما ذكر أو للشراب
الشامل للحميم والغساق أو للغساق وقرئ من شِكله بالكسر وهو لغة
أزواج أجناس خبر لآخر أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف
مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم
وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذا حكاية
ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في
الضلال أو حكاية قول الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد
بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم
دعاء من المتبوعين على أتباعهم أو صفة لفوج أو حال أي مقولا فيهم لا مرحبا بهم
أي ما أتوا بهم رحبا وسعة تقول العرب في دعاء الخير مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد
لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم و
قال ابن عباس ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة
للقادة هذا فوج أي الاتباع مقتحم معكم أي داخل النار معكم قالت القادة لا مرحبا
بهم أي لا اتسعت منازلهم في النار انهم صالوا النار داخلون النار بأعمالهم مثلنا
قالوا أي قال الاتباع للرؤساء بل أنتم لا مرحبا بكم بل أنتم أحق بما دعوتم به علينا
أو قيل لنا لضلالكم كما قالوا أنتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب أو الصلي بإغوائنا و

> أو اضلالكم خ

اغرائنا على ما قدمه من العقائد الزائغة والأعمال القبيحة كما قال وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وقيل انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتم لنا فبئس
القرار فبئس المقر جهنم قالوا أي الاتباع أيضا ربنا من قدم لنا هذا اشارة الى القدح
فزده عذابا ضعفا في النار أي عذابا مضاعفا بمعنى ذا ضعف وهو أن يزيد على
عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقد فسر عبد الله
بن مسعود عذابا ضعفا بالحيات والأفاعي وقالوا أي الطاغون وقيل صناديد قريش
وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار يعنون فقراء المسلمين الذين
يسترذلونهم ويسخرون بهم وقوله ما لنا لا نرى رجالا مثل قوله ما لي لا أرى
الهدهد في أن الاستفهام محمول على التعجب لا على حقيقته اذ لا معنى لاستفهام العاقل عن

حال

حال نفسه والفعل المنفي حال من معنى الفعل في ما لنا كما تقول ما لك قائما بمعنى
ما تصنع قائما أي ما تصنع غير رائين رجالا والمعنى أي حال لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف
دينهم فكانوا يعدونهم أشرارا أتخذناهم سخريا قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بهمزة الوصل
على أنه صفة أخرى لرجالا والباقون بهمزة الاستفهام كقوله افترى على الله كذبا أم به جنة
على أنه إنكار لأنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ مجاهد اتخذناهم بهمزة و
مدة وقرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر سُخريا بضم السين والباقون بكسرها
وهما لغتان بمعنى واحد عند الخليل وسيبويه والكسائي مصدر سخر كالسخر الا
ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وقال يونس
والفراء المضموم من السخرة والعبودية أي تسخرناهم واستعبدناهم والمكسور من
الهزء أم زاغت عنهم الأبصار مالت الأبصار عنهم فلا نراهم وأم معادلة لما لنا لا نرى
على أن المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم أي ما لنا لا نراهم في النار أليسوا فيها أم زاغت
عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا
من أهل النار الا أنه خفي عليهم مكانهم أو لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى أي الفعلين
فعلنا بهم الاستسخار منهم أم تحقيرهم فإن زيغ الأبصار كناية عنه على معنى إنكار الأمرين
جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم
محقرة لهم أو منقطعة سواء كان اتخذناهم سخريا خبرا أو استفهاما كقولك انها لابل أم
شاة وأزيد عندك أم عمرو أي ما لنا لا نراهم في النار بل أزاغت عنهم أبصارنا
فلا نراهم وهم فيها وقد خفي علينا مكانهم ويجوز أن يقدر الاستفهام محذوفا فيمن
قرأ بغير همزة لأن أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان إثبات هذه الهمزة وحذفها
وقيل المراد على تقدير كونها منقطعة الدلالة على أن استرذالهم والاستسخار منهم
كان لزيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا
عنهم لحق لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم أهل النار وهو بدل من حق
أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على أنه صفة ذلك أو بدل منه وسمي ذلك تخاصما
على تشبيه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من

من نحو ذكر ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من
باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذكر انما انا منذر قل يا محمد
لمشركي مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا
يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار الغلاب لكل شيء ومن الاشياء الهتهم فهو يغلبهم فكيف
تكون له شركاء ثم دل بربوبيته المطلقة وعزته الباهرة ومغفرته البالغة على انه واحد
لا يشاركه قهار لا يغالب رب السموات والارض وما بينهما رب كل شيء من السموات و
الارضين وما بين هذين الجنسين ومثل هذه الربوبية العامة توجب الاستغناء الكامل
عن الشريك فكل مربوب والتوحيد فحقه ان يوحد ويقطع عن الشريك حيث ظهرت
اثار وحدته وعظمته في السموات والارض والعالمين العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب
الكفار والعصاة ومع ذلك الغفار الستار الذي لا يعاقب العباد او قل لهم ما انا الا نذير
كلهما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف من عقابه كما هو حقيق
بان يرجى ثوابه قل هو اي ما انبأتكم به من اني رسول منذر وان الله واحد لا
شريك له وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان
العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج القاطعة الواضحة اما على التوحيد فما
مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول
الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع وقراءة كتاب
لا يكون الا بالوحي ومن مزيدة لتاكيد النفي كانه قال ما كان لي علم ما بالملاء الاعلى
واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملاء الاعلى وقيل النبأ العظيم
القران قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعن الحسن يوم القيمة كقوله عم يتساءلون
عن النبأ العظيم وقرأ الخليل نبأ عظيم بالاضافة ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
اي لانما انا نذير يعني النذارة كانه لما ادعى ان الوحي يتحقق علته بما هو المقصود به
نظرا اليهم لانه هو نذير للكافرين بالنار والعقاب كما انه بشير للمؤمنين بالجنة والثواب
ويجوز ان يكون مرفوعا بيوحى وقرأ انما بالكسر على الحكاية وهو قراءة ابي جعفر اذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي
دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة

و

والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها
وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي عم بمثل ما حاق ابليس على استكباره على
آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة وان يفسر الملاء الاعلى بما يعم
الله والملائكة والمراد بالاختصام التقاول على ما سلف ولعل حكاه اقتصر على الكلام فنكر
البشر والطين قصدا الى التنويع والتفظيم كما اشار الى عظمته بسجود الملائكة له اكراما
وتعظيما وتشريفا فاذا سويته اي فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي
واحييته وجعلته حساسا متنفسا بنفخ الروح فيه واضافه الى نفسه على سبيل التفخيم له
والتعظيم لان المضاف الى المضاف يعظم بالاضافة اليه وقيل لشرفه وطهارته و
الظاهر ان هذا النفخ بغير وسط وسببي ملك وهل يجوز ان يكون بوسط ملك نفخ
فيه الروح باذنه كما صرح به النبي عم في خلق بني آدم بقوله ثم يرسل الله اليه ملكا فينفخ
فيه الروح الحديث فيه كلام فقعوا له فخروا له ساجدين بوضع الوجه على الارض كما
هو حقيقة السجود فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اي فسجدوا كلهم مجتمعين
في وقت واحد غير متفرقين في اوقات وانما صح استثناء ابليس وهو جني من الملائكة
بناء على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك لما
تستثنى المراة من الرجال في قولك قاموا الا فلانة لشهادة عليها بتكبرها وترفعها عن
القيام استكبر جملة مستانفة كانه جواب سائل سالهم لم يجد اي تعظم عن السجود
وكان من الكافرين وصار من المتوغلين في الكفر باستكباره امر الله او كان منهم
في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي لما خلقته بنفسي
من غير واسطة كاب وام وقال مجاهد بيدي تاكيد لما قبله وقيل المراد باليد
ههنا القدرة والمعنى ما صرفك عن السجود لما خلقت بيدي وقرئ به كما قرئ
بمصرخي وقرئ بيد على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي
للتعظيم او لانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح لمانع اذ للسيد ان يستخدم
بعض عبيده لبعض سيما اذا كان له مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين
اظهرت التكبر من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق فاجاب بانه من العالين
حيث قال انا خير منه او استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين ومعنى همزة

الملائكة جوفا البشر طالعنصر في اللوح المحفوظ اذا بان
قال الملهم الذا لا خالق خلقا من صفته كيت وكيت وكيت وكذا ضبع

الاستفهام التقريري اي حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه وعن محمد بن صالح من شبل عن ابن
كثير بيدي استكبرت بحذف همزة الاستفهام لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير
منه ابداء للمانع واظهار منه عن نفسه بالفضل عليه ثم علل فضله بقوله خلقتني من نار وخلقته
من طين يعني لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مثلي فكيف لمن دوني لانه من طين و
النار تغلب الطين وتاكله فلا يحسن ان يسجد الفاضل للمفضول كيف يحسن ان يومر به
ولقد غلط اللعين في الافضلية حيث راى الفضل باعتبار العنصر وذهل عما في آدم من
الفضل باعتبار الفاعل خلقت بيدي وباعتبار الصورة ونفخت فيه من روحي وباعتبار
الغاية وعلم آدم الاسماء كلها على ان الطين سبب نماء الاشياء وازديادها والنار سبب هلاك
الاشياء ونقصانها والجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار نازلة منزلة المعطوف عطف
البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح ونسبة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى
النار اما باعتبار انه اول ما تعرض به في خلقه من العناصر الاربع واما باعتبار الجزء الغالب
على ان القرآن العظيم ينطق في مواضع بان آدم خلقه الله من طين فقط من غير انضمام
شيء آخر والشيطان من نار فقط من غير اختلاط شيء آخر معها من ساير العناصر ولا يستحيل
هذا الا فلسفي او متفلسف واما لحن فمنقوص ان ذكر لين يستحيل لان الله على كل شيء قدير
قال فاخرج منها من الجنة او السماء وقال الحسن وابو العالية من الخلقة التي انت فيها لانه كان
يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد
ما كان نورانيا فانك رجيم مطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد يرمى بالحجارة
على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب وان عليك لعنتي الى يوم الدين
يعني ان عليك اللعنة في الدنيا قال رب فانظرني الى يوم يبعثون من قبورهم وهو يوم القيمة
والانظار الامهال والتاخير فصيحة كانه قال اذا اخرجتني منها ولعنتني فانظرني قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو الوقت الذي يقع فيه النفخة الاولى وذكر الوقت
معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر ارادة اللعين بدعايه ان لا يموت فلم يجب
ولم يوصل الى مراده قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين لاكونن سببا
لغوايتهم اجمعين بتزيين الشهوات والاماني الفارغة وادخال الشكوك والشبه
فيهم والدعوة الى الكفر والمعاصي الا عبادك منهم المخلصين قرأ الكوفيون وابو جعفر بفتح اللام

مطلب غلط الشيطان



الا الذين اخلصهم الله لعبادته وعصمهم من الغواية والباقون بكسرها اي الذين اخلصوا
دينهم وقلوبهم لله والاستثناء يحتمل الاتصال والانقطاع قال فالحق والحق اقول قرأ
حمزة وعاصم وخلف فالحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فالحق مني او قسمي او
خبر مبتدأ محذوف اي فانا الحق والحق الثاني منصوب باقول او بحذف حرف القسم
والباقون فالحق بالنصب على حذف حرف القسم كالله في قوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه
لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم ومعناه لا اقول الا الحق والمراد بالحق الاول
اما اسم الله او الحق المناقض للباطل عظمه الله باقسامه به وقيل الاول والثاني منصوبان
باقول على التكرير وقيل فالحق منصوب بفعل مضمر تقديره فاحق الحق وقيل على
الاغراء اي فالزموا الحق وقرئ بالجر فيهما على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كما بينا وحذف
الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ
المقسم به في الثاني للتاكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب ايضا وقرئ بجر الاول
ورفعه ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين لاملانها
من جنسك وهم الشياطين وممن الذين اتبعوك وقيل الضمير في منهم للثقلين واجمعين تاكيد له
او للضميرين في منك ومنهم ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك
منهم احدا ولا تفاوت في ذكر بين تخص وتخص قل ما اسالكم عليه من اجر على القرآن او
تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما
عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن
ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلث
علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم وعنه عم انا بريء من التكلف
وصالحو امتي رواه الزبير بن العوام ولتعلمن نباه خبره من الوعد والوعيد والمراد تعلمه
تصديقه واعتقاد انه صدق بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عن ظهور الاسلام
وقال السدي يوم بدر وفيه تهديد من النبي عم من قرا سورة ص اعطي له من الاجر بوزن
كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه الله ان يصر على ذنب صغير وكبير سورة الزمر
خمس وسبعون او اثنان وسبعون آية مكية قال ابن عباس الا اثنتين فانهما نزلتا بالمدينة
احدهما الله نزل احسن الحديث الآية والاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وقيل الا سبع آيات

من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الى آخر السبع نزلت في وحشي واصحابه على ما يأتي
بيانه ان شاء الله بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر مبتدا محذوف اي هذا
تنزيل الكتاب او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الوجه الاول صلة التنزيل
او خبر بعد خبر او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة والكتاب على الاول السورة
وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله والمراد بالحق الصدق
او العدل او الانصاف او الحكمة والصواب فهو في موضع الحال من الكتاب ويجوز ان
يكون صفة مصدر محذوف اي انزالا ملتبسا بالحق فاعبد الله اي فوحده بان لا تشرك
به شيئا والخطاب للنبي عم وهو الظاهر المطابق للسباق او لكل من يتأتى منه العبادة
ويعضده قراءة اليماني فاعبدوا الله بالجمع مخلصا له الدين نصب على الحال من ضمير
اعبد اي ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وانتصاب الدين بانه
مفعول مخلصا وقرئ الدين بالرفع على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص
المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجرى مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور برهانه
الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل
شائبة كدر لتفرده بصفات الالهية واطلاعه على الغيوب والاسرار وخلوص نعمته
من استجرار النفع وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام
وعنه قال ابو هريرة قال رجل يا رسول الله اني اتصدق بالشيء واصنع الشيء اريد به
وجه الله وثناء الناس فقال النبي عم والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئا شورك
فيه ثم تلا رسول الله الا لله الدين الخالص وقرأ ابرهيم النخعي الا لله دين المخلص بالاضافة
وضم الخاء وتشديد اللام والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة
والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع الى الموصول واضمار المشركين من
غير ذكرهم لكونه مفهوما من سوق الكلام والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء وهو
مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول اي يقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا وان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول
المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة او صلة بعد صلة وزلفى مصدر من غير لفظ فعله

نحو

نحو قعدت جلوسا او حال وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم باظهار القول وابي ما
نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا
للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم
اي ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع اصنامهم التي
نحتوها وعبدوها من دون الله فيما هم فيه يختلفون من الدين والظاهر ان الضمير
لهم ولمعبودهم كما ذكرنا واختلافهم ان عبدتهم مشركون وهو موحد وراجيا دونهم
ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقربهم الى الله زلفى وقيل الضمير للكفرة ومقابليهم
ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق وقيل لا يرشد لدينه من هو كاذب كفار
من سبق لها القضاء بالشقاء على الكذب والكفر البليغ فانهما يعميان البصائر والبصيرة
وقرئ كذاب وهو اوفق بقوله كفار وقرئ كذوب كفور وكذبهم قولهم في بعض
من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله وولده ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو اراد اتخاذ الولد لامتنع
ولم يتأت لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفي من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما
يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة وبعض الناس كما قال بل عباد
مكرمون فافتتنتم به وحسبتم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته
المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض كأنه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل
من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة وبعض الناس الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم
اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين مبالغين
في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار تنزيها
لذاته عما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد
اي موجود جل عن التركيب والمماثلة ذاتا وصفاتا فلا يكون له ولد لان الولد
يماثل الوالد في الذات والصفات وقهار اي غلاب لكل شيء سواه من الاشياء
آلهتهم فكيف يكون له اولياء وشركاء ثم دل على ذلك بقوله خلق السموات والارض
بالحق ملتبسا بالحق والحكمة مقترنا بذلك لا باطلا وعبثا او بالغرض الصحيح كما اقتضته
الحكمة الالهية او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء للعبادة على اعمالهم بان يدخل الموحدين

منهم الجنة ويعزهم والمشركين النار فيقهرهم ويذلهم يكور الليل على النهار و

يكور النهار على الليل اى يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس

او يغيبه تغيب الملفوف باللفافة عن مطامح الابصار او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا

تتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض فيكون كالعمامة وكورها اذا ادارها على

راسه وقال الضحاك يلقى كل واحد منهما على الآخر والجملة حال من ضمير خلق اى متسابقا

لبيان برهانه قطعى آخر على وحدانيته ولم يقل كور ويكون على لفظ المضارع ليدل على ان

تكويره كعادته وسخر الشمس والقمر وصيرهما منافع للناس كل يجرى كل واحد منهما

بسيره في فلكه لاجل مسمى لمدة هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر

على كل مقدور الغالب على كل شىء من مثوبة الموحدين وعقوبة المشركين وخبر ذكر الغفار الستار

على التائبين وعلى المصرين حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة

وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس ابيكم آدم ع م ثم جعل

منها زوجها عطف على محذوف يدل عليه المعنى كانه قيل من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها

يعنى شقكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى انه انشاه من تراب ثم خلق زوجها حواء

من ضلع من اضلاعها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها

بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى وهى تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر

من نفس آدم عادة مستمرة دون الثانية وهى خلق حواء من قصيراه اذ لم تجر بها العادة

ولم يخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم

خلق بعد ذلك حواء فعلى هذا ثم للتراخى في الوجود لا في الحال والمنزلة كما فيما سبق

ثلث دلايل على وحدانيته وقدرته خلق آدم اولا من غير واسطة ثم خلق حواء منه

ثم تشعيب الناس منهما وانزل لكم اى وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه توصف بالنزول

من السماء حيث كتبت في اللوح او جعل لكم نزلا ورزقا او احدث لكم باسباب نازلة

كاشعة الكواكب والامطار وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها من الانعام ثمانية ازواج

ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والواحد اذا كان وحده فهو فرد

واذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله تعالى

خلق الزوجين الذكر والانثى وقوله ثمانية ازواج الاية كيف فسرها الله تعالى بقوله

من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ومنك تسميتها الفرد

بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضد

للمشاكلة الزوج خلاف الفرد كالاربعة والثمانية في خلاف الثلاثة والسبعة يخلقكم في بطون

امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه

غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا

سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من

بعد نطف وقيل خلقا في بطون امهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم وقيل خلقا في

ظهر الاب ثم خلقا في بطن الام ثم خلقا بعد الوضع في ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم و

ظلمة المشيمة او الصلب والرحم والبطن وقرا الخليل في ظلمة ثلث ذلكم المعلوم الموصوف

بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها احد الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله

الا هو ذلكم مبتدا والباقى خبر بعد خبر اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية

والاختصاص بالمالكية والوحدانية لا ثانى له فانى تصرفون فكيف ومن اى وجه تصرفون

عن عبادته الى عبادة الاوثان وهذا ما قيل فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ان

تكفروا فان الله غنى عنكم اى عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم

بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في التهلكة وان تشكروا يرضه لكم

اى يرضى الشكر لكم لانه بسبب فوزكم وفلاحكم وقال ابن عباس والسدى ولا يرضى لعباده

المؤمنين الكفر وهم الذين ذكرهم في قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فيكون

عاما مخصوصا كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وقال جمهور السلف

هو محمول على عمومه وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر وكذا الكافر غير مرضى لله

وان كان بارادته وعليه المتكلمون حيث قالوا الحسن من افعال العباد يرضى الله تعالى

والقبيح منها ليس برضاه فالارادة تتعلق بالكل عندهم والرضا لا يتعلق الا بالحسن

دون القبيح وقرا ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها

صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة

فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر الحمل الثقيل ووزره اى حمله اى لا تحمل نفس

حاملة حمل نفس اخرى من الذنب والمعصية ثم الى ربكم مرجعكم اى ثم لا ترجعون

فى العاقبة الا الى ربكم فاستعدوا للعاقبة فينبئكم بما كنتم تعملون من الحسنات والسيئات فيحاسبكم
بها ويجازيكم على حسبها انه عليم بذات الصدور بليغ العلم بخفيات القلوب واسرارها
فلا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو وعد ووعيد واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه
راجعا اليه بالتضرع والابتهال لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على ان مبدا الكل منه
ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله
نسى ما كان يدعوا اليه اى نسى الضر الذى يدعو الله الى كشفه او نسى ربه الذى كان يتضرع
اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا جمع ند و
هو المثل المخالف المناوى اى امثالا يعتقد انها قادرة على مخالفة الله ومضادته وهو
غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ليضل عن سبيله وقراء ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء
والباقون بضمها والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان يكونا غرضين
قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل فيه اشعار بان الكفر نوع تشبه
لا سند له واقناط للكافرين من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب
النار على سبيل الاستيناف للمبالغة وقليلا صفة مصدر محذوف او زمان محذوف
وقال مقاتل نزلت الآية فى ابى حذيفة بن المغيرة المخزومى وقيل فى عتبة ابن ربيعة وقيل
عام فى كل كافر امن هو قانت قائم بوظايف العبادات اناء الليل ساعاته وواحدها اناء
ومثله انى والى وجنب واجناب وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو
قانت او منفصلة والمعنى بل امن هو قانت كمن هو بضده وقراه نافع وابن كثير وحمزة
امن بتخفيف الميم على ادخال حرف الاستفهام على من بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا
وقيل الهمزة للنداء كما فى قوله ازيد اخا ورقاء ان كنت ثائرا والمعنى يا من هو قانت
والباقون بالتشديد ومن مبتدا خبره محذوف كما بيناه وانما حذف لدلالة الكلام عليه
ساجدا وقائما حال من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين
الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فى موقع الحال او الاستيناف للتعليل وقال
ابن عباس نزلت فى ابى بكر الصديق رضه وقال الضحاك فى ابى بكر وعمر رضه وعن ابن
عمر فى عثمان بن عفان رضه وعن الكلبى فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقرا سعيد بن
جبير يحذر عذاب الآخرة بالاضافة وقراء ابو البرهسم عذاب الآخرة قل هل يستوى

الذين

الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية
بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم او تقرير للاول على
وجه التنبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون
والفعل اعنى يعلمون منزل منزلة اللازم ولم يقدر له مفعول لان المقصد كالمذكور والمعنى
لا يستوى من يوجد حقيقة العلم ومن لا يوجد وقيل اى من يحدث له معنى العلم و
من لا يحدث انما يتذكر اولوا الالباب اى ما يتعظ بهذه الآيات او ما ينظر فيها الا
اولوا الالباب فان قضية اللب الاتعاظ بها والتنظر فيها ومن لم يتعظ ولم ينظر من الالباب
فكانه لا لب له ومثله مثل البهائم وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادى الذين امنوا
اتقوا ربكم للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا
لا بحسنة معناه الذين احسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى ثواب الله
الذى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره ويجوز ان يتعلق بحسنة والمعنى للذين احسنوا
حسنة فى هذه الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه الدنيا بمكان الاحسان فى الاول
والحسنة فى الثانى كقوله انما ياكلون فى بطونهم نارا فى انه بيان لمكان الاكل وحسنة مرفوعة
بالابتداء خبره للذين احسنوا او بانه فاعل للظرف اعنى للذين وهو معتمد بالفعل
على الاصح روى العيلى عن ابى عمرو يا عبادى بفتح الياء وارض الله واسعة فمن تعسر عليه
الاحسان فى وطنه فليهاجر الى مكان يتمكن منه اقتداء بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم
الى غير اوطانهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو
الذين كانوا فى بلاد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقيل هى ارض الجنة وقال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من
البلد الذى تظهر فيه المعاصى وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقال سعيد بن جبير من
امر بالمعاصى فليهرب انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلايا وتجرع
الغصص ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اى لا يحاسبون عليه وقيل بغير
مكيال ولا ميزان يغرف لهم غرفا وعن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب
ولا يعرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة
والحج فيوفون بالموازين من اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى

يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تُقرَّض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء
من الفضل وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حين لم يتركوا دينهم لما اشتد عليهم
البلاء وصبروا وجاهدوا وهاجروا قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي
امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لان اكون اول المسلمين لاجل ان اكون مقدمهم
وسابقهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في اخلاص الدين فمن اخلص عُدَّ سابقا
او لانه اول من اسلم وجهه لله من هذه الامة او من قريش ومن دان بدينهم والعطف
لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان
اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة في الدين ويحتمل
ان يكون اللام مزيدة كما في ردف لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء
بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان
اكون من المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول
من اسلم قل اني اخاف ان عصيت ربي يعني ان الله امرني ان اخلص له الدين من الشرك والرياء
بدليل الوحي فاخاف ان عصيت ربي بترك ذلك الامر عذاب يوم عظيم فلا اعصيه ولا
اتابعكم فيما تدعونني اليه من الشرك والرياء وذكر حين دعوه الى دين ابائه ووصف اليوم
بالعظم ضرب من البيان البليغ لعظم المعصية وتفاقم الذنب في الميل الى ما هم عليه من الشرك
بترك الاخلاص قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار بانه يختص الله وحده دون غيره بعبادته
مخلصا له دينه بدليل تقديم المعبود على فعل العبادة بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا
بالعبادة والاخلاص خائفا من المخالفة له من العذاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا وتخلية لهم قل ان الخاسرين الكاملين
في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه الذين خسروا انفسهم بالكفر واهليهم بدعوتهم
اياهم الى الكفر يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل
الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة الهلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا
من النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا
لا رجوع بعده اليهم وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه
وبين اهله وعن ميمون بن مهران قال ابن عباس ما من انسان الا وقد خلق الله له





اهلا ومنازل في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والاهل ومن عمل بمعصية الله دخل النار
وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم
بالتاكيد وجه لاستيناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه وتوسيط الفصل بين المبتداء والخبر
وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار اطباق وسرادقات من النار
ودخانها وهو تشنيع لخسرانهم ومن تحتهم ظلل فرش ومهاد من نار الى ان ينتهي الى القعر
كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقيل اطباق من النار هي ظلل للاخرين
ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب العظيم هو الذي يخوف الله به عباده ليجتنبوا
ما يوقعهم فيه ويدخلهم الجنة بسبب اجتنابه قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول ما خلقت جهنم الا لكونها سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة يا عباد فاتقون
خافوا عقابي ولا تقعون في المحافظة على حدودي فيما امرتكم به ونهيتكم عنه في عبادتي و
طاعتي وقرأ ابو عمرو برواية عنه يا عبادي فاتقوني بالياء فيهما والذين اجتنبوا الطاغوت كانه
تغيير للتغيير والطاغوت البالغ غاية الطغيان والتجاوز عن حدود الله فعلوت
منه كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او
الشياطين لكونها مصدرا ففيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان و
بناء المبالغة فان الملكوت الملك العظيم البسيط والرحموت الرحمة الواسعة والقلب وهو
للاختصاص لانه مخصوص بالشيطان ولا يطلق على غيره وقرأ الضحاك والحسن الطواغيت
بالجمع ان يعبدوها بدل الاشتمال من الطاغوت وفيها اشارة الى ان المراد بالطاغوت
ههنا الجمع وقيل طاغوت اعجمي وليس بعربي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت
وانابوا الى الله رجعوا الى الله تعالى مقبلين الى طاعته بشراهم لهم البشرى البشارة بالثواب
على السنة الرسول والملائكة في الحيوة الدنيا وفي الآخرة واعلم ان المراد باجتناب الطاغوت
الكفر بها وبالانابة الى الله الايمان بالله كما قال فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى وقدم اجتناب الطاغوت على الانابة الى الله تعالى كما قدم الكفر بالطاغوت
على الايمان بالله ليكون على وفق كلمة التوحيد لا اله الا الله حيث قدم نفي وجود الالهة
على اثبات الالوهية لله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اقام
المظهر مقام ضمير الذين اجتنبوا اشعارا بان اولئك هم الذين جمعوا بين هذه الخصال اللائقة

مطلب تأويل التوحيد

من الاجتناب والانابة والاستماع والاتباع ودلالة على ان الجامعين بينهما هم العباد الذين
حق على الله ان يبشرهم ويخصهم بالبشرى كما في الدارين وقيل للدلالة على مبدا اجتنابهم
فانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل وقيل يميزون
الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب
كذلك المباح والمندوب واضاف العباد الى نفسه في قوله فبشر عبادي اظهار المعظمتهم عند الله
وتشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه فان المضاف الى العظيم عظيم ويكون ذكر لطفا للسامعين
وترغيبا على حيازة فضلهم والتزين بزيهم والانتظام في سلكهم ويحتمل الاختصاص وانهم عباد الله
دون غيرهم كعبيد الدنيا وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط
غضب تعس وانتكس فاذا شيك فلا انتقش رواه ابو هريرة التعس الهلاك واصله الكب
للتعبير للشقاوة والصغار والخميصة ثوب او كساء اسود مربع له علمان وكان من لباس الناس
وشيك اي اصيب بالشوكة فلا انتقش فلا اخرج بالمناقش اولئك الذين هداهم الله ارشدهم
الى الصراط المستقيم ووفقهم للاهتداء اليه فاولئك هم اولوا الالباب اصحاب العقول السليمة من
العقايد الردية والشوايب العادية وفيه اشعار بان العقل من شانه السلامة وقبول الرشاد
كما ان من شانه التمييز وقبول الكمال وذكر كلية بهداية الله وتوفيقه لا غير هذا الذي ذكرناه
مبني على اطلاق القول وتعميمه جريا على الاصل واليه ذهب من قال يستمعون القرآن وغيره فيتبعون
القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها كالقصاص والعفو والانتصار
والاعطاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث محاسن ومساوي فيحدث
باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدا الذين يستمعون
برفعه على انه مبتدا خبره اولئك وعنه ايضا ان ابا بكر الصديق رضي امن بالنبي عم فجاءه عثمان
وابن عوف وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزلت
فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول الآية وقيل نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل و
ابي ذر وسلمان وغيرهم ممن وحد الله قبل مبعث النبي عم والمراد باحسن القول لا اله الا
الله افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصله امن حق عليه كلمة العذاب
فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاد الجزاء ثم دخلت الفاء



التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره انت مالك امرهم
فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتاكيد الانكار
والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع
فيه لامتناع الخلف فيه واجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار فالآية
على هذا جملة واحدة واذا قلنا ان الجزاء محذوف تقديره افمن حق عليه العذاب
فانت تخلصه وقوله افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف
كانت الآية جملتين وقال ابن عباس معناه من سبق في علم الله انه في النار فلا تقدر انت
على انقاذه منها وقال يريد ابا لهب وسائر من تخلف من عشيرته عن الايمان وقيل كلمة العذاب
قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء في النار ولا ابالي وتذكير الفعل لوجود الفصل ولان
الكلمة بمعنى القول لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق
بعض مبنية بنيت من زبرجد وياقوت ودر وغير ذلك من الجواهر وقيل بنيت بناء المنازل
التي على الارض وسويت تسويتها وفي الكليل لكن الذين اتقوا بالتشديد تجري من تحتها
الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر موكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم
الله ذلك لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص مناف للالوهية وكمال الغنى الم تر ان الله انزل
من السماء ماء هو المطر وقيل وارد تقريرا للوعد السابق على سبيل التشبيه والمعنى انه لا يخلف
ميعاد الغرف وهو قادر على ذلك كما انه قادر على انزال الماء من السماء فسلكه فادخل
ذلك الماء ينابيع في الارض ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل الينابيع نابعات
في الارض اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر يعني على تقدير الاول او الحال
يعني على الثاني وفيه نظر لانه لا يخلو من خطاء وذلك انه انما يكون حالا من الضمير المنصوب
في فسلكه وهو مفرد مذكر والحال جمع مؤنث وكذلك اولها بالنابعات ولم يقع مثله في
الاستعمالات للبلغاء وغيرهم وكذلك تاويل الجمع بالمصدر فالصواب ان ينصبها على الظرف
اي في ينابيع كقوله اسلك يدك في جيبك او على انها صفة لمصدر محذوف وضعت موضعه تقديره
سلوكا في ينابيع وقوله في الارض بيان لمكان الينابيع كقولك لصاحبك ادخل الدهن
في البرنية في الدكان والماء في جدول المبطخة في البستان ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه
اصنافه من بر وشعير وغيرهما او هياته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغيرها ثم يهيج

يوم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور رعن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتاتا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس ان في ذلك المذكور من الصفات لذكرى لتذكيرا و
تنبيها على انه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه ونقله من حال الى حال وهيئة الى هيئة وعلى انه
مثل الحيوة الدنيا في قلة بقائها وسرعة فنائها فلا تغتر بها لاولى الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم
او لتذكيرا لهم بان من قدر على ذلك قدر على اعادة الموتى واخراجهم من القبور افمن
شرح الله صدره للاسلام اي وسع صدره للاسلام حتى ثبت فيه قال ابن عباس وسعه لقبول
الحق وقبل حتى تمكن فيه بيسر يختبر به عن خلق نفسه شديد الاستعداد لقبوله غير متباينة
عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام فهو
على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء اذ لا نور ولا سعادة لمسلم الا بالعلم والمعرفة
ولكل واحد من المسلمين معرفة تختص وانما يتفاوت درجات المؤمنين بحسب تفاوت المعرفة
والايمان والمعارف انوار ولا يسعون الى لقاء الله عز وجل الا بانوارهم يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ومرورهم على صراط على قدر نورهم فان ثم من المؤمنين من
يضيء نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا
يضيء الا موضع قدميه وقال ابن مسعود نورهم على قدر اعمالهم والايمان من الاعمال
فكما يتفاوت المؤمنون في الايمان بدليل لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح
كذلك يتفاوتون في انوار ايمانهم فايمان احاد العوام نوره كنور الشمع وبعضهم نوره
مثل نور السراج وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم على تفاوتها واما الانبياء
فنور ايمانهم كنور الشمس وازيد فكما ينكشف في نور الشمس كل الافاق مع اتساعها و
لا ينكشف في نور الشمع الا زاوية ضيقة من البيت كذلك يتفاوت انشراح الصدر
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب المؤمنين ولهذا جاء في الحديث ان الله تعالى
يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة
وذرة وفيه من التنبيه الكامل على تفاوت درجات الايمان ما لا يخفى وفيه تصريح
بتفاوت الناس في الايمان وقيل نور الله لطفه والمعنى افمن عرف الله انه من اهل
اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج
الصدر قاسي القلب ولا يخفى ما فيه من المخالفة لما روي ان النبي عم سئل عن قوله تعالى افمن

شرح

شرح الله صدره للاسلام ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب
انشرح له الصدر وانفسح وعن ابن مسعود تلا رسول الله صلعم هذه الآية قلنا يا رسول الله
كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة
ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله و
خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اي المؤمنين
اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم للموت استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح و
استوسع قالوا فما آية ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزول الموت وهو نظيره افمن هو قانت في حذف الجزء والتقدير
افمن شرح الله صدره للاسلام كمن اقسى قلبه وجعل صدره ضيقا حرجا وانما جاز حذفه
لدلالة ما بعده عليه وهو قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره وبسببه ونظير
من هذه من في قوله مما خطيئاتهم اغرقوا يعني اذا ذكر الله عندهم او آياته ازدادت قلوبهم
قساوة كقوله فزادتهم رجسا وهو ما قيل من ان معنى من ذكر الله ان قلوبهم تزداد قسوة
من سماع ذكره وقرئ عن ذكر الله والفرق بينهما ان معنى قسا قلبه من ذكر الله ما ذكر
من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه ومعنى قسي عن ذكر الله غلظ عن قبول ذكره وجفاه
ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده
عن العطش وقيل من ابلغ من عن لان القاسية من اجل الشيء اشد تابيا من قبوله
من القاسي عليه لسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهولاء بالامتناع ذكر شرح
الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين
ظاهر بين لا يخفى على من له ادنى بصيرة والآية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده
وقيل المراد بمن شرح الله صدره عمر بن الخطاب رض وقال مقاتل عمار بن ياسر رض عنه
ايضا والكلبي ان المراد به رسول الله صلى الله عم والآية عامة فيمن شرح صدره للاسلام
بخلق الايمان فيه الله نزل احسن الحديث يعني القرآن العظيم الذي لا نهاية لحسنه و
لا غاية لجمال نظمه وملاحة معانيه عن ابن مسعود ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا
ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تفخيم للمنزل واستشهاد
على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله وان مثله لا ينزل الا من حسنه وتنبيه على انه وحي معجز

باهر على سائر الاحاديث لا يوازيه حديث ولا يدانيه كتابا بدل من احسن او حال
منه متشابها صفة والمراد بتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم والتاليف
وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة والبناء على الحق والصدق مثاني وصف آخر
كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات واقاصيص واحكام ومواعظ و
الانسان عظام وعروق واعصاب او تمييز من متشابها كقولك رايت رجالا حسنا شمايل
والمعنى متشابهة مثانيه جمع مثنى بفتح الميم بمعنى مكرر من ثنيت الارض اذا كربتها مرتين
او مثنى بضمها من الاثناء لما فيه من الثناء على الله بما هو اهله او مثنى من التثنية بمعنى
التكرار لانه يكرر فيه القصص والاحكام والانباء والوعد والوعيد وثنى في التلاوة فلا
يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم تضطرب وتشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف من اقشعر
الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة
الراء ليكون رباعيا دالا على معنى زائد كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد و
يجوز ان يريد به الله تعالى التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى
انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيد اصابتهم خشية تقشعر عنها جلودهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم
وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وانما اطلق بان اقتصر على ذكر الله
من غير ذكر الرحمة اشعارا لنا بان اصل امره الرحمة وانها سبقت غضبه فلا محالة رحمة
اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رحيما او لان اسم الله مبنى عن الرحمة وكمالها
وذكر الى الله لما كان اسما للذات الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال كان ذكره في مقام
لين جلود والقلوب مبنى عن غاية الرحمة والرافة والمغفرة والجود والكرم وتعدية اللين
بالى لتضمنه معنى السكون والاطمينان كانه قيل تسكن وتطمئن الى ذكر الله لينة غير منقبضة
راجية غير خاشية او تلين ساكنة مطمئنة الى ذكر الله على ان المضمن يقع حالا او المضمن
وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها وقيل المعنى ان قلوبهم تقشعر عند
الخشية والخوف وتلين عند الرجاء وعن العباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر
جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها

وعنه



وعنه صلعم ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا حرمه الله على النار وعن شهر بن حوشب
قالت ام الدرداء انما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة اما تجد الاقشعريرة
قلت بلى قالت فادع الله فان الدعاء عند ذلك مستجابة ذلك اشارة الى الكتاب هدى
الله يهدي به من يشاء هدايته وهم المتقون فانهم يخشون تلك الخشية ويرجون ذلك الرجاء كما
قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله بخلق الضلالة فيه فما له من هاد يخرجه
باخراجه من ظلمات الضلالة افمن يتقي بوجهه افمن يجعل درقة يقي به نفسه لانه يلقى
اى افمن يدفع بوجهه سوء العذاب
في النار الا مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف
بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد به جملة البدن تعبيرا عن الكل باشرف
اجزائه واعزها وقال مجاهد يخر على وجهه في النار وخبر من محذوف كما في
نظايره يدل عليه قوله سوء العذاب يوم القيمة كانه قيل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
كمن امن العذاب وسوء العذاب شدته وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين
اى لهم فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم و
ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وباله والواو للحال وقد مقدر كذب الذين من
قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان العذاب
ياتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم فاذاقهم الله الخزي اى الذل
والصغار كالمسخ والخسف والاسر والغرق مثلا في الحيوة الدنيا بيان لمكان اذاقة
الخزي ولعذاب الآخرة الذي اعد لهم اكبر لعظمه وكثرته ودوامه لو كانوا يعلمون
لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به او لو كانوا يرجعون الى علم لعلموا
انهم مثل الذين سبقوهم في استيهال العذاب والخزي في الدنيا والآخرة لاتحاد السبب
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد بينا لهم فيه كل صورة هي
في غرابتها وحسنها كالمثل السائر وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كقصة الاولين
وقصة المبعوثين يوم القيمة وغير ذلك لعلهم يتذكرون يتعظون بذكره او يتفكرون
فيه فيرتدعون عن المعاصي قرآنا عربيا نصب على المدح اى اريد بهذا القرآن قرآنا عربيا
او على الحال من هذا والاعتماد فيها على الصفة وهي حال موكدة لتحقق التقرير والتاكيد
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا غير ذي عوج ليس فيه التناقض و

والاختلاف بوجه ما وقال ابن عباس غير مخلوق وما قيل من ان المراد بالعوج الشك
استشهادا بقوله وقد اتاك يقيني غير ذي عوج من الاله وقول غيره مكذوب
تخصيص له ببعض مدلوله وما عن عثمان بن عفان رضه غير متضاد وقيل غير ذي لحن وانما
قال غير ذي عوج دون ان يقول مستقيما او غير معوج مع انه اخصر لفائدتين
احدهما نفي ان يكون فيه عوج وثانيهما ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان لعلهم
يتقون علة ثانية مرتبة على الاولى اي لعلهم يعلمون عمل اهل التقوى في المحافظة
على حدود الله تعالى في القرآن والاعتبار بامثاله ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد
فيه شركاء متشاكسون مختلفون متنازعون يدعي كل واحد منهما انه عبده ورجلا
سالما لرجل خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمراد تمثيل المشرك على ما هو مذهبه
من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون بعبد يتشاركون فيه فيتجاذبونه
ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لمالك واحد
ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء كما يقول اشتركوا فيه وقرا الكوفيون
ونافع وابن عامر وابو جعفر سلما بفتح السين واللام وقرئ سلما بفتح السين وسكون
اللام وسلما بكسر السين مع سكون اللام والثلاثة مصادر سلم وصف بها كقولك رجل عدل
او محذوف ذا بمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشرك وقولهم سلمت له الضيعة
وقرا ابو عمرو وابن كثير سالما اي خالصا من الشرك وقرئ رجل سالم بالرفع اي وهناك رجل
سالم لرجل فتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع والتنكير للافراد اي فردا من الاشخاص
لفرد من الاشخاص وقرا ابو ابرهيم ورجلا سالم اي هو سالم هل يستويان مثلا اي صفة
او حالا ونصبه على التمييز ووحده لانه وحد وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان
المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل و
مثل رجل وهل استفهام انكار بمعنى لا يستويان الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه احد سواه لانه
المنعم بالذات والمالك على الاطلاق او لله الحمد كله دون غيره من المعبود بل اكثرهم لا يعلمون
فيشركون به غيره من فرط جهلهم وقيل المراد بالاكثر الكل انك ميت وانهم ميتون فان الكل
عرضة للموت وفيه عداد الموت كانوا يتربصون برسول الله صلعم موته فاخبر ان الموت
يعمهم فلا معنى للتربص والشماتة اكثر اثبات الموت بتاكيد واحد او بتاكيدين على

اختلاف

اختلاف الاراء تنزيلا للمخاطب منزلة المتردد فيه تنبيها له على ظهور دلالته وحثا على
التطرق فيها واما قوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فيحتمل تاكيده ما ذكرناه
ويحتمل ان يقال اكثر اثبات الاختصام بتاكيدين وان كان الاختصام مما لا ينكر
لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في انكار الاختصام لانهم كانهم في الغفلة عنه وعن
قتادة نعي الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرا عبد الله بن الزبير وابن ابي عبلة وعيسى
بن عمر انك مائت وانهم مائتون لانه مما سيحدث وتوضيحه ان المائت صفة حادثة
في الحال او في المستقبل بدليل صحة قولك زيد مائت الآن او غدا بخلاف الميت فانه
صفة لازمة كالسيد ثم انكم اي انت واياهم على تغليب ضمير المخاطب على ضمير الغائب يوم
القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل
في الشرك واجتهدت في الدعوة والتبليغ ولجوا في العناد والتكذيب ويعتذرون
بما لا طائل تحته مثل اطعنا سادتنا وكبراءنا وجدنا اباءنا فيجوز ان يراد الاختصام العام
وان يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما جرى بينهم في الدنيا بدلائل منها قول النبي عم اول
من يختصم من هذه الامة بين يدي الرب تعالى علي ومعاوية الحديث رواه ابن عمر ومنها
قوله صلعم اول من يختصم يوم القيمة الرجل وامراته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها
تشهد ورجلاها عليها بما كانت تعيب لزوجها وتشهد عليه يداه ورجلاه بما كان يؤذيها
رواه ابو ايوب الانصاري ومنها قوله صلعم انا خصيم عثمان يوم القيمة والمعاهد ومن
اخاصمه اخصمه رواه عمر بن سعيد ومنها قول النبي عم انا خصيم عثمان بن عفان بين يدي
الرب عز وجل وعن ابرهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان
قالوا هذه خصومتنا وعن ابي سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد فما هذه
الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابن
عمر عشنا برهة من الدهر ونحن نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم و
نبينا واحد ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف
فعرفت انها نزلت فينا فقد علمت هذه الدلائل والاقوال ان الوجه الوجيه هو هذا
الوجه الاخير العام لا الوجه الاول الخاص كما توهم الزمخشري وغيره ويعضده ما روى البخاري
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض او مال

فليتحلله اليوم قبل ان يوخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح اخذ منه
بقدر مظلمته فان لم يكن له اخذ من سيئاته فجعلت عليه فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد
والشريك اليه ومعنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الظلمة كلهم اعظم ظلما ممن تقول على الله
وفيه دلالة بينة على ان الاختصام يوم القيمة بين الظالمين والمظلومين ومن الظالمين اهل
البدع والاهواء لاسيما القدرية فانهم مجوس هذه الامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم خصماء الله الا وهم القدرية رواه ابن عمر وكذب بالصدق
بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلعم اذ جاءه فاجاءه بالتكذيب ساعة اتاه
واول ما سمعه من غير اعمال فكر واعادة نظر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام
انكار وانكار النفي نفي له ونفي النفي اثبات اي ان جهنم منزل ومقام للكافرين جزاء لكفرهم
واللام يحتمل العهد اشارة الى هؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق والجنس اشارة
الى جميع الكفار ويدخل هؤلاء فيه دخولا اوليا واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون
بما علم صدقه ورد بانه مخصوص بمن فاجاء ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق
وصدق به التعريف في الذي اما للعهد مرادا به رسول الله ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك
يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز واما للجنس مرادا به كل من جاء بالصدق وصدق به من
الرسل والمؤمنين وقراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ
وصدق بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف
او صار صادقا بسببه لانه معجزة تدل على صدقه وقرئ وصدق به على البناء للمفعول
قال ابن عباس والذي جاء بالصدق هو رسول الله جاء بلا اله الا الله وصدق اي رسول
ايضا بلغه الى الخلق وقال السدي الجائي جبرئيل عم جاء بالقرآن وصدق به محمد عم تلقاه
بالقبول اولئك هم المتقون الكفر والتكذيب او الكاملون في التقوى لهم ما يشاؤن
عند ربهم في الجنة كقوله ولهم ما يشتهون ذلك جزاء المحسنين على احسانهم في اعمالهم
قال تعالى نجزيهم بالمحاسن من اعمالهم ولا نجزيهم بالمساوي ليكفر الله عنهم اسوأ الذي
عملوا خص الاسوا بالذكر للمبالغة لانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم
الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغاير اسوأ ذنوبهم

ويكون

ويجوز ان يكون بمعنى السيء وقرئ اسوأ الذي عملوا جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم
ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر
وعظمه لفرط اخلاصهم اليس الله بكاف عبده استفهم عن انتفاء الكفاية على وجه الانكار فافاد
اثبات الكفاية وايجابها والكاف لتاكيد النفي المراد به تاكيد الايجاب لان المعنى ان الله
كاف عبده وهو رسول الله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وخلف وابي جعفر
عباده وفسر بالانبياء وبالاعم قال الحجاج ان الله كاف عبده المؤمن بالثواب و
عبده الكافر بالعقاب وقراءة الخليل بكاف عباده بالاضافة ويخوفونك بالذين من
دونه يعني قريشا فانهم قالوا لرسول الله صلعم انا نخاف ان يخبلك آلهتنا ونخشى عليك
معرتها لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال سادنها احذركها
يا خالد فان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف
خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه فالمراد من دونه الاوثان التي
اتخذوها من دونه ومن يضلل الله ومن يجعله ضالا عن الطريق القويم حتى غفل عن
كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديهم الى الرشاد ومن يهد
الله فما له من مضل ومن يرشده الى الصراط المستقيم فلم يقدر احد على اضلاله عنه اذ لا
معقب لحكمه ولا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام من النعمة و
هي الشدة والعقوبة والمعنى ان الله عزيز ذو انتقام ينتقم من اعدائه لما علمت ان الاستفهام
اذا دخل على النفي افاد تحقيقا وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم
منهم وينصرهم عليهم ثم قرر وحدته في الالوهية وكماله في العزة والقدرة فقال
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض من اخترع هذين الجنسين المعبر عنهما
بالعالم ليقولن الله لتسني خلقهما الى الله وليسندنه اليه لوضوح البرهان على اختصاصه
بالخالقية واللام الاولى موطئة وممهدة للقسم والثانية جوابه وهو ساد مسد جوابين
قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
الفاء على اصلها الذي هو التعقيب وارأيت بمعنى اخبرني اي فل اخبروني عقيب اقراركم بان
خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضرا من مرض او فقر مثلا هل
يكشفه او ارادني برحمة بنفع من صحة او غنى او غير ذلك من المنافع هل هن ممسكات

[illegible] انه تعالى [illegible] ولا يضر ولا ينفع [illegible]

رحمة بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وآلباقون بالاضافة وانما قال كاشفات وممسكات ابانة لكمال ضعفها واشعارا بانوثتها كما قال ان يدعون من دونه الا اناثا قل حسبي الله اي يكفيني الله وكافي في المضار والمنافع كلها وقيل نثق به واعتمادي عليه وقيل كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير بانه القادر الذي لا مانع لما يريد من خير او شر وقال مقاتل ان النبي صلعم سالهم عن ذلك فسكتوا فنزل قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون اي يكفي المتوكلون الله بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم ان الكل منه ولا كافي سواه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة اسم المكان ثم استعير للحالة كما استعير هنا وحيث للزمان وهما للمكان وقرئ مكاناتكم اني عامل على مكانتي حذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والايذان بان حاله عم لا تقف وتزداد كل يوم قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي فمن اهتدى باتباع كتاب الله المنزل عليك فلا ينفع باهتدائه الا نفسه فان منافعه لا تعود الا اليه ومن ضل بمخالفته وترك اتباعه فانما يضل عليها فلا يضر بضلاله الا نفسه فان وباله لازم لها لا يتخطاها ولا يفارقها لان كل نفس بما كسبت رهينة وقيل انزلنا عليك الكتاب لاجل حاجة الناس اليه ليبشروا به وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها النفس هي الجملة والانفس الجمل وتوفيها اماتتها والجمهور على ان المراد بالانفس الارواح وتوفيها قبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم وقال علي رضي الله عنه يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد



الروح الى جسده باسرع من لحظة ثم قال فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل ارسالها الى جسدها فهي الرؤيا الصادقة وما راته بعد ارسالها وقبل استقرارها في جسدها تلقاها الشياطين وتخيل اليها الاباطيل فهي الرؤيا الكاذبة والتي لم تمت في منامها عطف على الانفس وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات وارواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت اي فلا يرد الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي الى ابدانها وقرا حمزة والكسائي وخلف قضي بالمجهول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي ويعيد الاخرى النائمة الى بدنها عند اليقظة قال عم اذا انتبه من النوم قال الحمد لله الذي رد الي نفسي ولم يمتها في منامها الحمد لله الذي يمسك السموات والارض ان تزولا الاية الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله الاية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فاذا اراد جميعها الرجوع الى الابدان امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى ابدانها واجسادها الى اجل مسمى هو الوقت المعلوم المحدود لموته وهو غاية جنس الارسال وما قال ابن عباس ان في بني آدم نفسا وروحا وبينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه موافق لقول الجمهور وفي الآية تصريح بان النوم وفاة كالموت ولذا قالوا النوم اخو الموت وعن جابر قيل يا رسول الله اينام اهل الجنة قال لا النوم اخو الموت لا موت فيها اخرجه الدارقطني وعنه عليه السلام كما تنامون تموتون وكما توقظون تبعثون ان في ذلك اي في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل معلوم لايات لادلة واضحة على وحدة متوفيها وعظيم قدرته وباهر حكمته وعلمه وشمول رحمته لقوم يتفكرون يجيلون افكارهم في كيفية تعلق الانفس بالاجساد وقبضها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في قبضها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها وفي امر البعث فيستدلون بتوفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي على البعث ام اتخذوا ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والتوبيخ اي بل اتخذ قريش من دون الله

من غيراذنه شفعاء تشفع لهم عند الله وذلك حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف
عليه محذوف يدل عليه السياق والسباق معناه ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة
لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم حتى يعلموها لان شفعاءهم على زعمهم
صور وتماثيل نحتوها بايديهم وسودها لا قدرة لها ولا علم ولا نفع ولا ضر ولا
حركة كما شاهدوها قل لله الشفاعة جميعا اى الشفاعة كلها مختصة بالله لا يملكها الا هو
ولا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ثم قرر ذلك بقوله له ملك السموات والارض قدم الظرف
ليدل بتقديمه على معنى اختصاص الملك بالله لان الملك كله في الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء
ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه والمتصرف فيه فلا يملك احد سواه ان يتكلم في امره الا
دون اذنه ثم اليه ترجعون اى ثم لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاهتموا بالاستعداد للقائه
وجزائه فانه مالك يوم الدين والجزاء فيكون الملك كله يومئذ له ايضا كما قال الملك
يومئذ لله يحكم بينهم الآية وقرأ ابو البرهسم يرجعون بفتح الياء اى اهل العالم
واذا ذكر الله وحده اى اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم ووحده مصدر
وقع موقع الحال اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت قلوبهم و
نفرت واذا ذكر الذين من دونه يعنى الاصنام سواء ذكر الله معهم او لم يذكر اذا هم
يستبشرون لفرط افتتانهم ونسيانهم حق الله وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا
شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله
من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فالقى الشيطان في امنيته تلك الغرانيق العلى
فسجدوا معه في آخر السورة لفرحهم وكل واحد من الفعلين الواقعين جزاء بلغ غاية
في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما
حتى ينقبض اديم وجهه والحاصل ان الاستبشار المبالغة في البشر والسرور والاشمئزاز المبالغة
في الانقباض والنفرة والعامل في اذا المفاجاة تقديره في وقت ذكر الذين من دونه
فاجاءوا في وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
التجئ الى الله تعالى بالدعاء وباسمائه العظمى اذا تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم
وشدة شكيمتهم لانه القادر على الاشياء وخالقها والعالم باحوالها وقرأ الخليل

الشهادة

بكر الشبلي في كل القرآن انت تحكم بين عبادك اى انت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم
فيما كانوا فيه يختلفون من الحق وعن سعيد بن جبير انه قال انى لاعرف موضع آية ما قرأها احد
قط فسأل الله شيئا الا اعطاه اياه قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض الآية وعن الربيع
بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما
زاد على ان قال آه وقد فعلوا وقرأ هذه الآية ويروى انه قال على اثره قتل من كان
صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه اى للذين ظلموا في موضع الرفع على انه فاعل فعل محذوف اى لو ثبت ان ما في الدنيا
من خزائنها واموالها وجميع منافعها للذين ظلموا لافتدوا به لجعلوه فدية لانفسهم
من سوء العذاب يوم القيمة لاجل شدة العذاب يوم القيمة وهذا تمثيل للزوم العذاب
العظيم لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه من الوجوه ووعيد شديد واقناط كلي
لهم من الاخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اى وظهر لهم حين بعثوا ما لم يكن
قط في حسبانهم ولم يخطر ببالهم من سخط الله وعذابه وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات
فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال اخشى ان يبدو لى من الله ما لم احتسبه
وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمال كسبوها او سيئات كسبهم او سيئات الذى كسبوه
على ان ما موصوفة او مصدرية او موصولة وذلك حين تعرض صحائفهم ويجوز ان يراد
بالسيئات انواع العذاب الذى يجازون بها على ما كسبوا فسميت سيئات على طريقة وجزاء
سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ونزل بهم واحاط جزاء استهزائهم
وهذه الآية مبالغات في الوعيد بحيث لا يمكنه كنهه ولا يتبادر قدره وهو نظير قوله تعالى
في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار
عن الجنس بما يغلب فيه وعطف على قوله واذا ذكر الله بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم
في السبب بمعنى انهم يشمئزون من ذكر وحده ويستبشرون بذكر آلهتهم فاذا اصابهم
ضر من مرض او قحط او فقر مثلا دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا
بذكره وما بين المعطوفين من الآى اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه
نعمة منا اعطيناه نعمة تفضلا من غير جزاء لان التخويل يختص بالتفضل يقال خولني
فلان اذا اعطاك على غير جزاء قال انما اوتيته على علم من الله بى وباستحقاقى او على علم

منه بانه سأعطاه لما فيّ من استحقاقه او على علم مني بوجوه كسبه كما قال قارون على علم عندي
وذكر الضمير العائد الى النعمة نظرًا الى جانب المعنى لانه اراد بقوله نعمة منا شيئا من النعمة
وقسما منها وان جعلت ما موصولة فهو ظاهر يدل ليها اي الذي اوتيته على علم بل هي فتنة
اي ابتلاء وامتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وانكار له اي ما خولناه من النعمة
لما يقول بل هي فتنة وتانيث الضمير نظرا الى الخبر او الى لفظ النعمة وقرئ بل هو فتنة
على وفق انما اوتيته ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ذلك امتحان وهو دليل على ان الانسان
للجنس قد قالها الذين من قبلهم الضمير في قالها عايد الى قوله انما اوتيته على علم
على معنى الكلمة او الجملة وقرئ قد قال على معنى القول او الكلام والذين من قبلهم
قارون وقومه فانه قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها
ويجوز ان يكون في الامم الماضية اخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم استفهام في معنى
الانكار ومحله الرفع على الابتداء او نفي ما كانوا يكسبون مرفوع على الخبر او الفاعل
وما موصولة او مصدرية او موصوفة بمعنى مكسوبهم او كسبهم او متاع كسبوه
والمعنى فلم ينفعهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه او ما نفعهم
اعمالهم التي كسبوها في الازمنة المتطاولة فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان
جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا متمادون في الظلم ومتغلوا فيه من هؤلاء
مشركي قومك او مشركين منهم ومن قبلهم ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات
ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم حيث قتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم
الرزق وقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين وما هم بمعجزين
بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
حيث ضيق عليهم الرزق سبعا ووسع فعلموا قطعا انه لا قابض ولا باسط
الا الله تعالى ان في ذلك فيما ذكر من مجازاتهم على كسبهم وبسط الرزق وقدره
لآيات لقوم يؤمنون بالله وصفاته فيعلمون حقا ويقينا ان الحوادث كلها
من الله بقضائه وقدرته لا شريك له فيها وخص المؤمن بالذكر لانه هو المنتفع
بالايات والتأمل فيها فيعلم ان سعة الرزق فتنة تجر الى العقوبة غالبا في الدنيا

و

والآخرة وكفى بحال عبرة من فرعون وقارون وهامان وغيرهم ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم افرطوا بالجناية عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها واضافة
العباد مخصصة بالمؤمنين على ما هو عرف في القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا
من انعامه واحسانه اليكم وقيل لا تيأسوا من معرفته اولا وتفضله ثانيا وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم وابن كثير وابو جعفر عبادي بفتح الياء للتخفيف والباقون بسكونها
على الاصل وقرأ ابو عمرو ويعقوب والكوفيون لا تقنطوا بكسر النون والباقون
بفتحها والمشهور ان الكسر قراءة الكسائي وابي عمرو في هذه السورة والروم والحجر والفتح
قراءة الباقين وقرئ بضم النون وثلثها لغات ولقد اجمع العلماء على ان القنوط من
رحمة الله كفر لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا عنها ولو بعد بعيد لان الذنوب
لا تخرج العبد المؤمن عن الايمان ولا تمنع الكافر عن الدخول فيه يغفر ما دون
الشرك انه هو الغفور الرحيم من الصغائر والكبائر مع التوبة وبدونها ولا يغفر الشرك
الا بعد التوبة عنه وتقييده بالتوبة على ما هو مذهب الاعتزال خلاف الظاهر
وعدول عنه بلا دليل ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على اكد وجه وابلغه من حروف التحقيق و
ضمير الفصل واسمية الجملة وصيغة المبالغة ولقد نص قوله عم ان الله يغفر الذنوب
جميعا ولا يبالي ذكره صاحب الغرائب وقيل على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة
بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل
والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط
مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب
ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق التأكيد
بالجميع وما روي انه عم قال ما احب ان يكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك
ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل

وقتل النفس بغير حق لم يُغفر له فكنّا ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي

حرّم فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة عذبوا فافتتنوا فكنا نقول

لا يقبل الله لهم صرفًا ولا عدلًا فنزلت فكتب بها عمر رضي فاسلموا وهاجروا او في وحشي

قاتل حمزة لابن عم مهما وكذا قوله وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له

العمل من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فان الآية لا تدل على حصول المغفرة لكل احد

من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وينافي الوعيد بالعذاب

واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم هو القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم

دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ او الانابة والمواظبة على الطاعة او الجميع من الصور

الحسن فان كل واحد منها ما يجب ان يتبع من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون

اي من قبل ان يجاءكم العذاب وانتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئًا لفرط غفلتكم وسهوكم

واشتغالكم بامر دنياكم وانتصاب بغتة على الحال من العذاب بمعنى باغتًا او على المصدر

كأنه قيل يبغتهم العذاب بغتة اي يفجأهم فجاءة ان تقول نفس اي كراهة ان تقول

وقيل لئلا تقول وقيل حذرًا ان تقول وقيل اي من قبل ان تقول نفس على

انه بدل من ان يأتيكم العذاب وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس وهو النفس

الكافرة او نفس متميزة من الانفس بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم او للتكثير

كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوّه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا يريد افواجًا

من الكرام ينصرونه لا كريما واحدًا ومنه قولهم ان له لابلًا وان له لغنمًا يا حسرتا

وقرئ يا حسرتي بالياء على الاصل لان النفس تنادي حسرتها تقول لها تعالي فهذا

من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها او فهذا اوانك وقرأ ابو جعفر يا حسرتاي بالجمع

بين العوض والمعوض منه وقرأ الاعمش يا ويلتا على ما فرطت ما قصّرت في جنب الله

في جانبه او في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد

حرّى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة

ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته يعني في طاعة ذاته على حذف المضاف وقال

ابو عبيدة في ثوابه وقال مجاهد في امره وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب

وقال الضحاك في ذكر الله وقد قرئ به وعن النبي عم انه قال ما جلس رجل مجلسًا ولا مشى

مشيا

مشيًا ولا اضطجع مضطجعًا لم يذكر الله فيه الا كان عليه حسرة يوم القيمة ذكره ابو داود في

سننه وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين باهل دين الله وعن قتادة لم يكفه ان ضيّع

طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل قوله وان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت

وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق

اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه

ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان

واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن او تقول لو ان الله هداني

ارشدني الى الحق والطريق المستقيم لكنت من المتقين من الذين اتقوا في محافظة حدود

ما امر به ونهى عنه او من العاملين من اهل التقوى في اداء حقوقه وفرائضه او من الخائفين

الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي لو ثبت ان لي كرة لان لو انما

يدخل على الفعل فوجب تقديره فاكون من المحسنين في اعمالهم الظاهرة والباطنة واو للدلالة

على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرًا وتحسرًا او تعللًا بما لا يفيدهم بلى قد جاءتك آياتي

فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين تكذيب من الله اياه عليه لما تضمنه قوله ان

الله هداني من معنى النفي لان بلى اثبات لما بعد النفي كأنه قال ما هداني فقال الله بلى قد

قد هديتك الى الطريق الهدى بآياتي التي جاءتك فكذبت بها واستكبرت وانما فصل بينهما

بآية لانه تقديمه تفرق القرائن الثلث وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود وهو

بالتفريط على الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو

انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب وذكر الخطاب نظرًا

الى المعنى او لان النفس تقع على الذكر والانثى وعلى من هو غير متصف بالذكورة والانوثة

وقال المبرد تقول العرب نفس واحد اي انسان واحد وقرأ النبي عم برواية ام سلمة

وعبد الرحمن بن ابي بكر وجماعة قد جاءتك فكذبت واستكبرت وكنت بكسر الكاف والتاءات

الثلث وقرأ الاعمش قد جاءته على مخاطبة النفس والمراد بالآيات القرآن في الاكثر وقيل المعجزات

والمعنى بلى قد هديتك بالقرآن العظيم الذي جاءك من عندي فكذبت به واستكبرت

عن الايمان به والفضالة على الهدى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز

عليه باضافة الولد والشريك اليه وجوههم مسودة بسواد الكفر والمعاصي وقيل بما ينالهم

من شدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل وقيل بما احاطهم من غضب الله ونقمته وجوههم مسودة جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو ومفعول ثان ان كان من روية القلب وقراء الخليل مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن الايمان بالله وطاعته وهو تقرير لانهم ترى كذلكم وعن النبي عم يحشر المتكبرون يوم القيمة كالذر يلحقهم الصغار حتى يوتى بهم الى سجن جهنم وعن ابن مسعود قال النبي عم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال الرجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وينجي الله الذين اتقوا من الكفر والمعاصي ويخلصهم من جهنم وعذابها او يعصمهم منها ومن سواد الوجه وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باعظم اقسام الفلاح وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقراء حمزة والكسائي وابو بكر وخلف بمفازاتهم بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه فان لكل متق مفازة والباء فيها السببية صلة ينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء مما يتعلق به الخلق والايجاد من خير وشر وايمان وكفر وهو من عام مخصوص خص منه القديم اعني به ما لا ابتداء لوجوده وهو على كل شيء وكيل حفيظ موكول اليه امره فيتصرف فيه كيف يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يحفظها ولا يتصرف فيها الا الله وحده وهو كناية عن حفظه وتدبيره لها وفيها زيادة دلالة على الاختصاص لان الخزاين لا يحفظها ولا يدبر امرها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها ويملكها وهي جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته او جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وقيل لا واحد لها من لفظها وعن عثمان بن عفان رض سال النبي عم عن تفسير له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها اذا اصبح عشر مرار اعطي ست خصال اما اولهن فيحرز من ابليس وجنوده واما الثانية فيعطى قنطارا من الاجر واما الثالثة فيرفع له درجة في الجنة واما الرابعة فيتزوج من الحور العين واما الخامسة فيحضره اثنا عشر الف ملك واما السادسة فله من الاجر كمن قراء القرآن والتورية والانجيل والزبور وله مع هذا يا عثمان من الاجر كمن حج واعتمر وقبلت حجه وعمرته فان مات من يومه طبع بطابع الشهداء

اخرج

اخرج صاحب الفردوس الكبير وخرج البيهقي عن ابن عمران عثمان بن عفان سال رسول الله عن تفسيرها وزاد الثعلبي في تفسيره قالها اذا اصبح او امسى عشر مرات اعطاه الله ستة خصال وهو اوفق لحديث على رض والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه وقال قتادة ومقاتل له مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال السدي له خزاين السموات والارض وقال الكلبي خزاين المطر والنبات وروي الحارث عن علي رض انه قال سالت النبي عم صلى الله عم عن تفسير المقاليد فقال يا علي سالت عن عظيم هو ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا قوة الا بالله العلي العظيم الاول والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا اذا اصبح وعشرا اذا امسى اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرس من الشيطان وجنوده ولا يكون لهم عليه سلطان والثانية يعطى قنطارا في الجنة هو اثقل في ميزانه من جبل احد والثالثة ترفع له درجة لا ينالها الا الابرار والرابعة يزوجه الله من حور العين والخامسة يشهده اثنا عشر الف ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون بها يوم القيمة والسادسة يكون له من الاجر كانما قراء التورية والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته فان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهداء وقيل المقاليد الطاعة والمعنى طاعة اهل السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون وما بينهما اعتراض للدلالة على انه خالق الاشياء كلها ومهيمن عليها ومطلع على افعال المكلفين يجازيهم عليها وقد جعل متصلا بما يليه ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل تغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم والتصريح بالوعيد والتعريض بالوعد قضية للكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلايل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب وقيل بايات الله اي بالقرآن ويجيء به غيب ذكر والمعنى افغير الله اعبد بامركم بعد هذه الدلايل والمواعيد وذكر حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك ويجوز ان ينتصب

[illegible]

بايدى عليه تامرونى اعبد لانه بمعنى تعبدوننى وتقولون لى اعبد على ان اصله تامروننى
ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في احضر الوغى وينصره قراءة من قرأ اعبدَ بالنصب
وقراءة ابن عامر تامرونني باظهار النونين وسكون الياء على الاصل ونافع وابن عامر
وابو جعفر تامرونى بحذف الثانية وفتح الياء وابن كثير تامرونّى بتشديد النون وفتح
الياء والباقون بتشديدها وسكون الياء ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك من
الرسل والانبياء لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على سبيل
الفرض والتقدير والمراد به تهييج الرسول واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد
الخطاب باعتبار واحد منهم كانه قيل لكل منا واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف
والثانية لام الجواب وهو نايب مناب الجوابين واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم
لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب
وقال بعض الافاضل اى اوحى اليك او الى الانبياء قبلك بالتوحيد فحذف التوحيد لدلالة ضمير
عليه وهو الشرك في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي عم خاصة وقيل الخطاب
له والمراد امته وهو اقرب الى التحقيق والتوجيه وقرأ الخليل ليحبطن عملك بكسر الباء ونصب
عملك بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك
بعبادته بل ان كنت عابدا عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه
وبه قال الزجاج وجوز الكسائي والفراء نصبه بقول مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد
فاعبد وقال ابن عباس فاعبد اى فوحد وقيل فاطع وكن من الشاكرين على ما انعم به
عليك من ان جعلك سيد اهل الوحي وخاتم وانزل عليك سيد الكتب السماوية قيل وفيه
اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما عرفوا الله حق معرفته وما قدروا
واعلم انه لما بين انهم ما عظموه تعظيما لائقا به وارفقه بما يدل على كمال عظمته و
عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث اضافوا اليه الولد والشركاء ووصفوه بصفات الاجسام
وقال المبرد ما عظموه حق عظمته اذ عبدوا معه غيره من قولك فلان عظيم القدر و
قرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه قرأ الاعمش وابو حيوة قدَره بفتح الدال
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه هو تنبيه على عظمته وجلالة شانه
على وجه التمثيل الحسي والتخييل لعظمته وعلو شانه من غير تصور قبضة وطي ويمين وبيان

ذكر

ذكر انه تعالى تتنبه الارضين السبع والسموات السبع استحقارا لها وان كانت خلقا عظيما لا يقادر
قدره بكرات من جمع قبضته قابض منا في يده فتفتتها باصابعه في قصعته وبو... اخذ
هو آخذ بين يديه فطويهن بيمينه ونظيره ذكر قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة والقينا فيها رواسي شامخات فنبذناهم في اليم في انها تصويرات وتخييلات
لعلو شانه وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم فهو مستحقر الى جنب عظمته وقدرته
وهذا تاويل قوله عم ان الله تعالى يقبض الارض يوم القيمة بشماله والسموات بيمينه ثم يقول
انا الملك اين الملوك رواه ابن عمر رض وعن عبد الله جاء يهودي الى النبي عم فقال يا محمد ان الله
يمسك السموات على اصبع والخلايق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك النبي عم حتى بدت نواجذه
تصديقا لقول اليهودي ثم قال وما قدروا الله حق قدره قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح
وفي سننه عن عائشة سألت رسول الله عن قوله والارض جميعا قبضته قلت فاين الناس يومئذ
يا رسول الله قال على جسر جهنم وفي رواية على الصراط يا عائشة وتاكيد الارض بالجمع لان المراد
بها الارضون السبع كلها بدليل قول النبي عم تذهب الارضون كلها يوم القيمة الا المساجد
فانها ينضم بعضها الى بعض رواه ابن عباس رض فيشمل جميع ابعاضها البادية والغايرة ولا حاجة
الى جعله قسما على حدة قسيما لذكره وادل ما رواه ابن عمر رض انه عم قال يطوي الله السموات
يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي
الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون خرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما
والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهو المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او
بتقدير ذات قبضة يعني والارضون كلهن ذوات قبضة يقبضهن قبضة واحدة يعني ان
الارضين السبع مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته يقبضها
قبضة بكف واحدة كما قال عم ان الله قبض قبضة بيمينه فقال هذه للجنة ولا ابالي وقبض قبضة اخرى
فقال هذه للنار ولا ابالي فلا ادري في اي القبضتين انا ومعناه على الاول ان الارضين
بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة وقبض الشيء اخذه وهذا الشيء في قبضة
فلان اى في ملكته وتصرفه وقرئ بالنصب تشبيها للموقت بالمبهم وقال صاحب غرايب القرآن
قراءة اليماني قبضتَه بالنصب على نزع الخافض اى في قبضته وقرئ مطويات على انها حال
والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها ودخولها تحت القبضة ويؤيده الحديث الآخر

تأبيدا وهو ما رواه ابن عمر وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وقال الفراء والمبرد بيمينه
اي بقوته وقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها سبحانه وتعالى عما
يشركون تنزيه له عن الشريك او تعجب من كلمتهم الحمقاء وقولهم بالشفيع والشريك اي ما ابعد من
هذه قدرته وعظمته وما اعلاه من اشراكهم وما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة
الاولى وقرأ زيد بن علي وقتادة في الصور بضم الصاد وفتح الواو جمع صورة يعني صور من فيهما لكل
وغيرهم فصعق من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه وهذا في يوم الجمعة لقوله عم
افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلوة فان صلوتكم
معروضة وقيل انما النفخ في الصور نفختان يموت الخلق في الاولى منهما ويحيون في الثانية وقوله
فصعق اي مات والنافخ هو اسرافيل عم يشهد به قوله عم ان الله تعالى خلق ملكا يوم خلق
السموات والارض وامره ان يقول لا اله الا الله فهو يقول لا اله الا الله مادا صوته لا يقطعها
ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها امر اسرافيل بنفخ الصور وقامت القيمة رواه ابن
عباس الا من شاء الله قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام فانهم
يموتون بعد وقيل حملة العرش وقيل الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش
وقال الحسن هو الله الواحد القهار وما يدع احدا من اهل السموات والارض الا اذاقه
الموت وقال قتادة بثنياه وقال الضحاك هم رضوان ومالك والزبانية وقيل الحور و
خزان النار وحياتها ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاولى ونفخ في الصور
نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب على انها صفة لمصدر محذوف والرفع
حملا على قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وعن النبي عم ينفخ في الصور فيصعق من
في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا
موسى اخذ بقائمة من قوائم العرش ولا ادري اكان ممن استثنى الله تعالى ام رفع راسه قبلي او
من قال انا خير من يونس ابن متى فقد كذب وقرأ زيد بن علي والخليل فيصعق مبنيا للمفعول
فاذا هم قيام ينظرون قائمون من قبورهم او واقفون جامدون في مكانهم لتحيرهم
ودهشتهم وقرئ قياما بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو على الرفع حال من ضميره والمعنى
يقلبون ابصارهم في الجوانب والاطراف نظر المبهوت اذا فاجاءه خطب عظيم او ينتظرون
ما يفعل بهم والفاء للتعقيب والعامل في اذا المفاجاة تقديره عقيب النفخة الاخرى

فاجاءى

فاجاؤا في وقت القيام واشرقت الارض بنور ربها اي انارت واضاءت بعدل الله وقضائه
بالحق بين اهلها وسمي العدل نورا لانه ينور الصدور ويحيي الحقوق ويبطلها كما سمي
الظلم ظلمة وفي الحديث اياكم والظلم فان الظلم هو الظلمات يوم القيمة او بنور يخلقه الله
فيها بلا واسطة الشمس والقمر وغيرهما من الاجسام المضيئة وقيل بنور خالقها وذكر حين
يتجلى الرب سبحانه لفصل القضاء بين خلقه فما تضارون في نوره كما لا تضارون في الشمس
في اليوم الصحو وقرأ ابن عباس وجماعة واشرقت مبنيا للمفعول ووضع الكتاب
للحساب والجزاء شبه وضع الحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي
العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحائف وجيء بالنبيين
والشهداء اي الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل هم المستشهدون
في سبيل الله وقال ابن عباس هم امة محمد عم يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وقضي بينهم
بين العباد بالحق بالعدل وانصاف المظلوم من الظالم منهم وهم لا يظلمون بنقص الثواب
او زيادة العقاب على ما جرى به الوعد وقيل لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم
وهو في المعنى تاكيد للقضاء بالحق ووفيت كل نفس ما عملت جزاء ما عملت من طاعة و
معصية وهو اعلم بما يفعلون فلا يخفى عليه شيء من افعالهم وجزاؤه ولا يفوته ثم فصل التوفية
فقال وسيق الذين كفروا اصروا على الكفر حتى ماتوا عليه الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في
اثر بعض كاصوات المزامير وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة
سيما الجماعات المتفرقة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل
المروة وقيل دفعا وزجرا بصوت كصوت المزمار وقرأ عبيد بن عمير الى جهنم زمر
بالرفع على هم زمر حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها السبعة ليدخلوها وحتى هي التي تحكي بعدها
الجملة والجملة المحكية هي الشرطية وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء والباقون بالتشديد
وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا جمع خازن كسادن وسدنة الم ياتكم رسل منكم
من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء وقتكم هذا وهو
وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد استفاض استعمال اليوم والايام في اوقات الشدة
قيل وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل و
تبليغ الكتب قالوا بلى اي بلى اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين و

وجبت ولزمت كلمة بالعذاب على كل كافر لزم على كفره وثبت وهو الحكم عليهم بالشقاوة
وانهم من اهل النار ووضع المظهر موضع المضمر دلالة على الموجب لكلمة العذاب او هو قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقراء الاعرج والخليل الم تاتكم رسل بالتاء قيل
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القايل لتهويل المقول لهم فبئس مثوى المتكبرين
اللام فيه للجنس لان فاعل بئس اما معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم سبق
ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب
حقت عليهم فان تكبرهم وساير مقابحهم مسببة عنه كما قال عم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار
استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها حذف جزاء اذا للدلالة قوله فادخلوها
خالدين عليه وهو دخلوها بتقدير بعد قاله الزجاج وقيل انما حذف لانه في صفة اهل الجنة
فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل للدلالة على انهم
من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين
وقال الكوفيون الجزاء مذكور وهو قوله وفتحت ابوابها على ان الواو زايدة فيكون على وفق
ما قال في سوق الكفار وقيل جوابه قوله وقال لهم خزنتها والواو فيه ملغاة تقديره اذا
جاءوها وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها والوجه الوجيه هو الاول وهو ان الجواب محذوف
والواو للعطف وقيل واو الحال بتقدير قد وقد قيل بمعنى مع تقديره حتى اذا جاءوها
وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقراء الكوفيون وحمزة وعاصم والكسائي وخلف بتخفيف
التاء على الاصل والباقون بتشديدها على التكثير والمبالغة والمعنى وكثر فتح ابوابها وتوسع
فيه لدخولهم فيها فان الجنة اسم جنس يطلق على كل بستان لتكاثف اشجاره ثم جعل علما للدار
الثواب كلها وهي تشتمل على جنان لا تعد ولا تحصى مرتبة مراتب متفاوتة على استحقاق المتقين
اي المؤمنين لكل منهم جنات من تلك الجنان وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد
مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي وخبث الخطايا وقال ابن عباس طاب لكم المقام وعن
مجاهد طبتم في الدنيا بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح وقال مقاتل وقتادة اذا
قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت

بينهم



بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فقال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم
طبتم الآية وقال علي رض اذا سيقوا الى الجنة وانتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من
تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر
باطنه فعندها تقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم الآية وفي قوله فيغتسل المؤمن دلالة على
ان المراد بقوله تعالى الذين اتقوا المؤمنون كافة كما قال وسيق الذين امنوا ربهم الى
الجنة فانها اعدت للذين امنوا بالله ورسله كما نص عليه في سورة الحديد فادخلوها
خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم وطهارتهم من الكفر والشرك بالايمان
بالله وتوحيده سبب لدخولهم وخلودهم في دار الطيبين الطاهرين وهو لا يمنع دخول
المؤمن العاصي بعفو الله تعالى لانه طيب وطاهر من ارجاس الكفر واوضار الشرك قال الله عز
من قايل صبغة الله ومن احسن من الله صبغة اي تطهير الله بالايمان ولا تطهير احسن من
تطهيره وقال رسول الله صلى الله عم يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قالوا يا رسول الله وما الحجاب
قال ان تموت النفس وهي مشركة رواه ابو ذر وقال عم ان الله لا يعذب من خلقه
الا المارد المتمرد عليه بان لا يقول لا اله الا الله رواه ابن عمر اخرجه القزويني في سننه و
الكلباء في الفردوس الكبير وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا
الارض يريد المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوءا اي وقسمها بيننا كما يقسم
الميراث بين ورثته او ملكنا اياها وجعلنا ملوكها او نقلها علينا كما يبقى على الوارث
مال الموروث وعن قتادة وابي العالية اورثهم الله من ارض الجنة التي كانت لاهل النار
لو امنوا اي جعلنا ورثة تلك الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي ينزل كل منا كل مكان
يريد ان يتخذه منزلا ومتبوءا من جنة الواسعة التي لا يحتاج بها الى جنة الغير وهذا معنى
قول من قال ننزل من الجنة كل مكان نريد على ما هو ظاهر النقل وقول من قال اي يتبوء
كل منا في اي مقام اراده من جنة الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع
واردوها فنعم اجر العاملين والمخصوص بالمدح وهو الجنة وقراء الخليل فنعم بتاء نعم
ونعم وقد قرئ بثلثتها وترى الملائكة حافين محدقين وقيل محيطين من حول العرش
اي حوله اي حافاته وجوانبه ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي يقولون
سبحانه الله ملتبسين مقترنين بحمده تلذذا اذ ذلك لا تعبدا لان التكليف يزول في ذلك اليوم

والجملة حال مترادف بمعنى ترى الملائكة جامعين بين الحفوف والتسبيح والتحميد او متداخل
على ان يسبحون حال من ضمير حافين او استيناف لبيان حالهم وانهم حالهم وانهم ينزهون
ربهم دايما عن الانداد ولا يليق به وقيل المعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه
اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وعن كعب الاحبار
التسبيح للملائكة كالنفس لبني آدم وقضي بينهم بين الخلق بادخال بعضهم الجنة وبعضهم النار
واقامة الملائكة في منازلهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم ولا حاجة الى القول بان المقضي بينهم
اما جميع العباد واما الملائكة بالحق قضاء ملتبسا بالعدل مقرونا به بعيدا عن الحيف والظلم
وقيل الحمد لله رب العالمين على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المقضي بينهم من المؤمنين
والملائكة وايراد الفعل مجهولا دون معلوم للاختصار ولان هذا الفعل لا يكون الا لله عن
رسول الله صلى الله عم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة فاعطاه ثواب
الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضه ان رسول الله صلى الله عم كان يقرا كل ليلة
بني اسرائيل والزمر سورة المؤمن حم خمس او ثمان وثمانون آية مكية بسم الله
الرحمن الرحيم حم هو اسم الله الاعظم رواه السدي عن ابن عباس وعنه الر وحم
ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وعنه ايضا اسم من اسماء الله اقسم به وقال
قتادة اسم من اسماء القرآن وقال مجاهد حم فواتح السور وقال عطاء الخراساني الحاء افتتاح
اسمه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح اسمه ملك مجيد منان متكبر مصور ويعضد القولين
ما رواه انس ان اعرابيا سال النبي عم ما حم فانا لا نعرفها في لساننا فقال حم بدء اسماء
وفواتح سور وقال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كاين كانهما اشارا الى ان معناه حم
بضم الحاء وتشديد الميم اي قضي ورفع وقيل معناه حم امر الله اي قرب نصر الله لاوليائه وانتقامه
من اعدائه كيوم بدر وقيل تعديد للحروف على سبيل التحدي لاعجاز العرب وتبكيتهم وقرا
ابن كثير وحفص وقالون وهشام وابو جعفر ويعقوب حم بفتح الحاء والباقون بامالتها
وعن ابي عمرو وورش بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لاجتماع الساكنين وايثار اخف الحركات
نحو اين وكيف والنصب باضمار اقرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث او التعريف والنها
على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ان كان حم مبتدا
خبره تنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب



ومن الله صلة للتنزيل وان كان تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف
خبرا وان كان مقسما به كان تنزيل الكتاب صفته وجواب القسم محذوف مثل انه كلام معجز او
مذكور وهو قوله ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا كقولهم والله ما فعل هذا
الا فلان وفي تخصيص الوصفين بالذكر تنبيه على ما في القرآن من الاعجاز والحكم الدالة على القدرة
الكاملة والحكمة البالغة وتوطئة وتمهيد لما يذكر بعد ان يسوق بعد في هذه السورة من
حقايق حريته في التصلا ولبانه والانتقام من اعدائه وما في ذكر من دقايق علمه ولطايف
حكمته غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه
وجعله بعضهم بدلا من الكتاب والتنوين عوض عن
من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة حقيقية لانه اريد بها ثبوت
الافعال ودوامها مثل اله الخلق ورب العرش ولم يرد بها حدوثها وانه يغفر الذنب و
يقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية و
المراد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وان يزاوج
ما قبله وما بعده لفظا او بدال وجعله وحده بدلا كما زعم الزجاج بعيد عن السداد
لادائه الى تنافر النظم وتشويشه وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو
الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اي ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين
لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التايب من الذنب
كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة بمعنى الرجوع وقيل جمعها مثل دومة ودوم
وعومة وعوم وعن عمر رضه انه افتقد رجلا من اهل الشام ذا باس شديد فقيل
له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك فانا احمد اليك الله
الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله واليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله
لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقراها
ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن
النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل فسددوه
وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه والطول الفضل بترك
العقاب المستحق وقيل ذي الغنى وقال عكرمة ذي المن من طال عليه يطول طولا اذا امتن عليه
وقال قتادة ذي النعم وقيل ذي القدرة وقيل في توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة

دليل بجانبها وقرأ عبيد بن عمير ذي الطول بالنصب على المدح لا اله الا هو اي المختص بالالهية
المتفرد بها فلا يستحق العبادة احد سواه اليه المصير اي لا يصير العباد في العاقبة الا اليه فوجب عليهم
ان يستعدوا لتلك الغاية ويخصوه بالعبادة ولا يشركوا به بعض خلقه من ملك وانسان فضلا عن
جماد لا يقدر على شيء ما ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما بين جلالة شان التنزيل سجل
بالكفر على المجادلين فيه بالباطل من الطعن وادحاض الحق كما نص عليه بقوله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق واما الجدال فيه لايضاح ملتبسه وحل عقده واستنباط لطايفه ودقايقه
واطلاق النفس على درر فرايده وكشف فوايده لينجوا بذلك عن غياهب الشكوك وظلمات الاوهام
ورد اهل الزيغ به وعنه وتقطع مطاعنهم فيه فمن اجل الطاعات واعظم الجهاد في سبيل الله
ولذلك قال عم ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة والجدال الشديد
في الخصومة من الجدل وهو الفتل فلا يغررك تقلبهم في البلاد الخطاب لرسول الله صلى الله عم او
لكل احد اي فلا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والعيش والبسط في اقطار الارض ودرك
حظوظ الدنيا اغترارا بظاهرها ترى من اقبالهم في دنياهم وتبسطهم في الارض وتقلبهم
في بلاد الشام واليمن بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم
اخذ من قبلهم من الامم المكذبة لآيات الله وانبيائه كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل والانبياء وناصبوهم من بعد قوم نوح كعاد
وثمود وفرعون وقرأ زيد بن علي والخليل فلا يغرك بالادغام وهمت كل امة فصدت
كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به
واصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا
حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوا به الحق الذي جاء به رسولهم فاخذتهم بالاهلاك جزاء
لهمهم وقصدهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم
فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم وتشاهدون اثره كم وهو
تقرير فيه معنى التعجب وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عم وتهديد لقومه على تكذيبهم
وقصدهم بسوء ومجادلتهم بالباطل وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب
على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك بدل كل او
بدل اشتمال على ارادة اللفظ او المعنى اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من

اصحاب

اصحاب النار يعني كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم
بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين
كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم التي هم قوم نوح والاحزاب كذلك وجب
اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات ربك بالجمع وهي قراءة
نافع وابن عامر وابي جعفر وقرأ الخليل انهم اصحاب النار بكسر الهمزة على الاستيناف
الذين يحملون العرش ومن حوله حملة العرش والطايفون به هم الكروبيون
وهم سادة الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم و
تدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره وعن
ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروي ان
اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذي
العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس
رب الملائكة والروح وروي ايضا ان ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة وهم اشد خوفا
من اهل السماء التي تليها وهو اشد خوفا من التي يليها وعن مجاهد بين الملائكة والعرش
سبعون حجابا من نور وعن جابر قال رسول الله صلى الله عم اذن لي ان احدث عن ملك من
حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عنقه مسيرة تسعمائة عام ذكره البيهقي وعنه عم تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره فان من السماء السابعة الى كرسيه
سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك وان ملكا من حملة العرش يقال له اسرافيل زاوية من
زوايا العرش على كاهله قد مرقت قدماه في الارض السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة
العليا وانه لمن اعظم من المخلوق رواه ابن حنبل وذكر صاحب الفردوس الكبير وفي الحديث
ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على
ساير الملائكة واجمعت كلمة المفسرين قاطبة على ان العرش هو السرير وانه جسم خلقه الله تعالى
وامر ملائكته بحمله والطواف به كما خلق في الارض بيتا وامر بني آدم بالطواف به واستقباله
في الصلوة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القايمتين من قوايمه خفقان
الطير المسرع ثمانين الف عام وقال كعب الاحبار لما خلق الله العرش قال لن يخلق الله

خلقا اعظم منه فاهتز فطوقه الله تعالى بحية لها سبعون الف جناح في كل جناح سبعون
الف ريشة في كل ريشة الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان
تخرج من افواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطرات المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصا
والثرى وعدد ايام الدنيا وعدد الملائكة اجمعين فالتوت الحية بالعرش الى النصف
الحية وهي ملتوية وعن جعفر بن محمد الصادق ان العرش يكسى كل يوم الف لون من النور لا يستطيع
ان ينظر اليه احد من خلق الله والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وسال النبي عليه السلام يهودي
هل احتجب الله من خلقه بشيء غير السموات فقال عليه السلام نعم بين الله تعالى وبين الملائكة الذين حول
العرش سبعون حجابا من نور وسبعون حجابا من نار وسبعون حجابا من در احمر و
سبعون حجابا من در اصفر وسبعون حجابا من درة اخضر وسبعون حجابا من
ضياء وسبعون حجابا من ثلج وسبعون حجابا من ماء وسبعون حجابا من غمام وسبعون
حجابا من برد وسبعون حجابا من عظمة الله التي لا توصف وان الملك الذي يليه اسرافيل
ثم جبرائيل ثم ميكائيل ثم عزرائيل عليهم السلام ذكره صاحب الفردوس وعن مجاهد بين السماء
السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وظلمة ونحوه
وهب حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم
سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل و
التكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو
يسبح بما لا يسبح به الآخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه
اربعمائة عام وقال ايضا لكل واحد من حملة العرش ومن حوله اربعة وجوه وجه ثور ووجه اسد
ووجه نسر ووجه انسان واربعة اجنحة جناحان على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق
وجناحان يطير بهما ليس له كلام الا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد وقرأ ابن عباس العرش
بضم العين والذين يحملون بالواو ويسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله والجملة
على المرفوع على انه خبر لقوله الذين يحملون العرش او صلة بعد صلة او حال او استيناف و
الخبر محذوف يقدر عند قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة اي يقولون ربنا وسعت وقيل
يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان
الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به وصفهم بالايمان مع ان الملائكة لم يكونوا الا مؤمنين

اظهارا

اظهارا لشرف الايمان وفضله وتعظيما لاهله وترغيبا فيه كما وصف الانبياء في غير موضع
من كتابه بالصلاح لذلك وساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا
اشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم
وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب
النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة
وعن مطرف بن عبد الله وجدنا انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين الشياطين
ربنا اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان
يكون حالا وان يكون خبرا كما مر وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسع كل شيء رحمتك وعلمك
فازيل الكلام عن اصله لما جاء عليه للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم و
اسعان كل شيء وقدم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
اي الذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وهو دين الاسلام الذي امر كل احد والدخول
فيه وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها وكرر ربنا مبالغة فيما يوجب حسن الاجابة
فلا بد من تكريره وتقديمه بين يدي في الدعاء مع ما في ذلك من الارشاد الى الكيفية الابتهال
الى الله والتضرع اليه ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم في وادخلهم
اي وادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او في وعدتهم بيان عموم الوعد وعن سعيد بن
جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابي اين امي اين ولدي واين زوجتي فيقال انهم لم
يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وقرئ جنة عدن وصلح
بضم اللام وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب عليه مقدور الحكيم
المتقن الذي لا يفعل كل ما يفعل الا على ما يقتضيه الحكمة البالغة ومن ذلك الوفاء بالوعد
وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص
بمن صلح او المعاصي في الدنيا كقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في
الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما طلبوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة
او الوقاية او مجموعهما هو الفوز العظيم الظفر بكل مراد لا يعرف كنهه لعظمه ان
الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي

الى لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فحذف الآخر لدلالة الثاني عليه اذ تدعون فتكفرون
قيل ظرف للمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء
والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر
اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل حين
لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر وقيل ظرف لفعل دل
المقت الاول عليه لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا
جزاء اعمالهم الخبيثة الآن باقول يجوز في الصبوح ضيعت اللبن وقيل معناه لمقت الله
اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا و
اذ تدعون تعليل للحكم وزمان المقتين واحد والمقت اشد البغض فوضع موضع البغض
الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم امتنا
عند انقضاء آجالنا لان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير كالتصغير
والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار
الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين احياتين الاحياءة الاولى
واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انقضاء الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء
للسؤال والاحياء الثاني بما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد معاينة بما
غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا لان اقترافهم
بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج اي نوع من الخروج من النار سريع او بطيء
من سبيل طريق فنسلكه ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج لا سبيل اليه وهذا
كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا على
حسب ذلك بقوله ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم قط بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده
متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بتوحيده وان
يشرك به تؤمنوا بالاشراك به فالحكم لله الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال او المستحق
للالوهية والعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى
بغيره حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض خلقه في استحقاق العبادة هو الذي يريكم آياته
من الريح والسحاب والرعد والمطر وغير ذلك مما يدل دلالة واضحة على وجود خالقه

وقدرته

وقدرته الباهرة وحكمته البالغة وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر وما يتذكر
وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله وقيل بالآيات التي هي كالمذكورة في العقول لظهورها
المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب من يتوب من الشرك
ويرجع الى الله لان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه فادعوا الله فاعبدوه مخلصين
له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم وقيل وان غاظ ذلك
اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش خبران للمبتدا محذوف يدلان
على وجوب اختصاص الله بان يخلص له الدين والطاعة من الشرك والرياء بالتوحيد
وتصفية السر لارتفاع وكمال عزه وكبريائه وسلطانه وملكوته ومن غير شركة لاحد سواه
في ذكر من مثل هذه العظمة والكبرياء يوجب العبادة والاخلاص في الطاعة على كل من
من شأنه ذكر فالمعنى برفع درجات العابدين المخلصين في الدنيا بالمدح على اعدائهم وحسن
الذكر وفي الآخرة بابوابهم غرف الجنان والنظر الكريم الى وجه الكريم ولعمري انه لو لم يكن
في رفع الدرجات الا هذا انظر اليه لكفى به رفعة وفضلا مثبتا لاصحاب الدرجات وقوله
ذو العرش اي ربه ومالكه وقيل خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث
المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفع درجات كماله بحيث
لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح
ان يشرك به وقيل معنى رفيع الدرجات اي رفيع الصفات وقيل رفيع السموات
السبع قاله ابن عباس والكلبي وسعيد بن جبير وقيل رفيع مراتب المخلوقات وقيل
رفيع مصاعد الملائكة الى العرش وقيل رفيع درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه
في الجنة وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من
عباده خبر ثالث لزيادة الدلالة على وجوب اختصاصه بان يعبد ويخلص له الطاعة من
كل شائبة كدر وقيل خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره
باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن
امره بيانه لانه امر بالخير وبعث عليه او مبدأه والامر هو الملك المبلغ لاختياره للنبوة
وانما سمي الوحي روحا لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى البدن بالروح وقيل
الروح جبرئيل عم وقال ابن عباس من امره اي من قضائه وقيل من قوله وقال

مقاتل من بعض البلاء اي بامره وانما قال يلقي بلفظ المضارع مع ما فيه من تغيير النظم لبدل
على ان القاء الروح عادة لينذر الله او الروح او من يلقى عليه وقرا ابن عباس والحسن ومحمد
بن السميفع لتنذر بالتاء خطابا للنبي وهو ايضا غاية الالقاء وهي قراءة يعقوب يوم التلاق
اي يوم القيمة لان فيه يتلاقى الخلق والخالق قاله قتادة ومقاتل والارواح والاجساد
واهل السماء والارض والظالم والمظلوم والخصوم والعابدون والمعبودون والوالد و
المولود والشاهد والمشهود والعمل والعامل والمعمول وقيل يلتقي الاولون
والآخرون على صعيد واحد وعن اليماني لينذر يوم التلاق برفع اليوم معلوما ومجهولا
يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او
بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث
يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان واعمالهم و
سرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعمالهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لبروزهم و
ازاحة لنحو ما يتوهمونه في الدنيا من الاستتار بالحيطان والحجب لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
حكاية لما يسئل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب
وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال اليوم فناطقة بذلك دائما وفي الخبر انه ينادي
مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل الجنة لله الواحد القهار الذي قهر الخلق بالموت
اليوم وعن ابن مسعود يحشر الناس على ارض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر
مناد ينادي لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت قيل لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك
اي بما عملت في الدنيا من خير وشر
وهي ان كل نفس تجزى بما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب
لا يبطئ وان الله لا يشغله حساب عن حساب وقيل كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس
تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق
تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت المها ولذتها وما موصولة
او مصدرية او موصوفة اي بعمل من خير او شر كسبته وتقديم الظرف للاختصاص كانه
قال لا تجزى كل نفس بما كسبت الا في هذا اليوم كقوله انما توفون اجوركم يوم القيمة
وقوله انما تجزون ما كنتم تعملون لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ومواخذة

المطيع

المطيع والبريء من الظلم بسبب العاصي والظالم كما يفعله الملوك الظلمة فان المحسن
يوم القيمة يجزى باحسانه والمسيء باساءته ان الله سريع الحساب فانه يحاسب
الخلائق كلهم في وقت واحد فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا كما قال ابن عباس اذا اخذ في
حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت
بالآزفة لازوفها اي لقربها او المراد بيوم الآزفة الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول
النار وهي الموت اذ القلوب لدى الحناجر فان القلوب ترتفع عن مقارها
واماكنها وتلتصق بحناجرهم اي بحلوقهم فلا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا
ولا تخرج فيموتوا ويستريحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا كاظمين من اصحاب القلوب على المعنى اذ المعنى اذ قلوبهم
لدى حناجرهم كاظمين عليها او من القلوب واذ القلوب كاظمة على غم وكرب فيها
مع بلوغها الحناجر او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله
فظلت اعناقهم لها خاضعين او مفعول انذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين
الكظم كقوله فادخلوها خالدين في كونه حالا مقدرة وقرئ بالرفع كاظمون ما للظالمين
من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع اي لا شفاعة ولا طاعة على الوجه
قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار نفيا للملزوم بنفي اللازم والضماير ان
كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص
ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين اي مسارقة النظر ومنه الحديث ما كان
لنبي ان يكون له خائنة الاعين قاله حين قيل له هلا اومأت لنا بقتل ابن ابي
سرح وقال الضحاك هو قول الانسان ما رأيت وقد رأى ورأيت وما رأى وقال السدي
هو الرمز بالعين وقيل فيه تقديم وتأخير والمعنى يعلم الاعين الخائنة وقيل الخائنة صفة
للنظرة اي يعلم النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او
او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة اي يعلم خيانة الاعين كاستراق النظر
الى ما لا يحل ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور
لا يساعده والجملة خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم اياته مثل يلقي الروح وفائدته
الاعلام بانه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء وقرئ للتعليل خيانة الاعين وما

غني الصدور من ضمائر القلوب واسرارها والله يقضي بالحق يحكم بالعدل لانه المالك
الغني الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه وبناء الفعل على المبتدأ للحصر ولذا قيل
معناه والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالعدل لاستغنائه عن الظلم وقيل
والله يجازي بالحق من غض بصره عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على مواقعة
الفواحش اذا قدر عليها والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بآلهتهم
لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع وهشام تدعون بالتاء خطابا
للمشركين على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع لما تقول ويقولون البصير
بما تعمل ويعملون فيثيبك ويعاقبهم والجملة تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق
ووعيد لهم وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم
كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين
معرفتين لمضارعة أفعل من للمعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرأ
ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم
الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق من حافظ يحفظهم مما نزل بهم من العذاب ذلك
العذاب بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالشرائع الواضحة فكفروا فاخذهم
الله انه قوي قدير متمكن مما يريد غاية القدرة والتمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب
دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا هي المعجزات الواضحات الدالة على صدق نبوة
موسى وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات او العصا وبيان ذكره انه يجوز ان
يراد بسلطان مبين الايات نفسها بعينها اي بهذه الايات فيها سلطان مبين لموسى
على صدق نبوته وان يراد به العصا لانه اتم ايات موسى وابهرها وقد اشتملت على
معجزات شتى من انقلابها ثعبانا مبينا وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما
بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة الى غير ذلك مما مر بيانه جعلت كانها ليست
بعضها لما استبدت به من الفضل والمزية في باب الاعجاز فلذلك عطفت عليها كقوله
ربهم الملائكة والروح وقيل فالعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا
تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى فسموا



السلطان المبين وكذبا وسحرا وفيه تسلية وثلج لصدر رسول الله صلعم عما كان
يلقى من مثل ذلك من كفار قريش وقيل فيه تسلية له وبيان للعاقبة من اشد الذين
كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا المراد بالحق النبوة
وقيل المعجزة الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا
عليهم القتل ليمتنعوا عن مظاهرة موسى قال قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون
كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث الله موسى اعاد القتل عليهم ليصدهم بذلك
عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين وما مكر فرعون الا في ضلال في ضياع
وذهاب باطلا لم تجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار
من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وانما وضع المظهر موضع المضمر تعميما للحكم وتنبيها على
العلة واظهارا للغضب عليهم وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه من قتله خافهم به
ويقولون انه ليس الذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا ساحر ومثله لا يقاوم
الا ساحرا مثله ولو قتلته ظن الناس انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه
قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء دليل انه تيقن انه نبي يخاف من قتله ان يعاجل
بالهلاك ويعضده قوله وليدع ربه فانه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته
وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان
يكفه الا هول الفزع الذي في نفسه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه
من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك وان يظهر في الارض الفساد اي يفسد
دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو
ابن عامر بالواو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب باو وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر وابن عامر وخلف بفتح الياء والهاء ورفع الفساد والباقون بضم الياء وكسر الهاء
ونصب الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون
وقرأ الاعمش تظهر مبنيا للمفعول وقال موسى لقومه لما سمع بكلام فرعون في قتله اني عذت
بربي وربكم اكد الكلام بان والاسمية لجملة وتكرير الضمير دلالة على زيادة مبالغة في التعوذ
بالله واعتصامه بالتوكل عليه وخص اسم الرب اعلاما بانه مالكه الذي يملكه ويتولى اموره
ظاهرا وباطنا بالتربية والعصمة من شر اعدائه الذين من جملتهم فرعون وقومه واضافته

اليه واليهم تكريرًا ليكون تاكيدا المعنى اختصاص الله بالربوبية العامة وبعثا لهم على موافقة
في ذكره فان مثل هذه الربوبية العامة توجب التعوذ والاعتصام على كل مربوب
والمعنى اني حذفت برني الذي هو ربي وربكم ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم
الاستعاذة ورعاية لحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت
بادغام الذال في التاء هاهنا وفي الدخان وعن نافع مثله والباقون بالاظهار بخلاف عن
ابي جعفر من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب اورد لفظ كل وهو للاحاطة والشمول لما ذكر من
النكت وقيل لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون
ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الايمان للحق وهو اقبح استكبار وادل دليل على دناءة صاحبه
ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعتوه ووصفه بعدم الايمان بيوم الحساب تنبيها على كماله في التكبر
وعبر بلفظ المضارع المنفي دلالة على استمراره لانه كما ان المضارع المثبت يفيد استمرار الثبوت
كذلك المنفي يفيد استمرار النفي وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وكان قبطيا ابن
عم لفرعون آمن بموسى سرًا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او متعلق بقوله
يكتم ايمانه اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب او حزبيل او حزبيل و
قرأ ابو عمرو وعيسى بن عمر وقال رجل ساكنة الجيم اتقتلون رجلا اترتكبون او اتقصدون
قتله وهذا انكار منه عظيم وتوبيخ شديد ان يقول لان او وقت ان يقول على تقدير مضاف
محذوف يعني اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا تامل في امره ربي الله
وحده وفي تعريف الطرفين المسند والمسند اليه دلالة بينة على الاختصاص كقولك رفيقي
زيد وقد جاءكم بالبينات بالمعجزات العظيمة التي شاهدتموها من ربكم من عند من اضيف
اليه الربوبية المطلقة العامة وهو ربكم لا ربه وحده فاضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا
عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف وليليق بذكر حاجتهم ويكسر من سورتهم ثم اخذهم
بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال فان يك كاذبا فعليه كذبه اي فيعود عليه كذبه لا يتجاوزه
وباله وضرره وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه او
تعرضتم له وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب في القول والنصيحة
ولذلك قدم الكاذب على الصادق او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض
مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وقال ابو عبيدة اراد بالبعض

الكل

الكل اي ان قتلتموه وهو صادق اصابكم بما يتوعدكم به من العذاب واستشهاد
بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه
اراد بالبعض نفسه وقال الزمخشري ان صحت الرواية عن ابي عبيدة فقد حق فيه قول المازني
في مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى
البينات وللنبوة ولما عضده بتلك المعجزات الباهرات وثانيهما ان من خذله الله
واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله والظاهر انه اراد المعنى الاول وخيل اليهم الثاني ليلين
شكيمتهم وتنكسر نخوتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الرشاد
والنجاة وقيل ما تولاه ابو بكر رضي رسول الله كان اشد من ذلك طاف بالبيت فكان
يصلي بفناء الكعبة فاقبلوا عليه واخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان
يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رض فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته وعيناه تسفحان حتى ارسلوه هي
جملة الصادق وانت مؤمن آل فرعون قال ذلك سرًا وابو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض في ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا
اي فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه بقتله فانه ان جاءنا لم
يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليعلمهم انه معهم
ومساهم لهم فيما ينصحهم وقيل في قوله يا قوم دليل على انه قبطي ولذلك اضافهم الى نفسه
قال فرعون ما اريكم ما اشير عليكم براي الا ما ارى الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا
قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد طريق الصواب
او وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطيان على ما اقول وقرئ الرشاد
بتشديد الشين على انه فعال للمبالغة من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد لا من
ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال
الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم
الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جميع اليوم وقيل اقتصر على الواحد
من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا مثل داب قوم نوح

وعاد وثمود يحمول على حذف مضاف اى مثل جزاء ما كانوا عليه دايبا من الكفر و
التكذيب وساير المعاصي وقيل اى مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حين اتيهم العذاب
وهو عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناوله الاضافة قوم نوح كقولك دمر الله الاحزاب
قوم نوح وعاد وثمود وقرا الحليل وثمود بالجر والتنوين والذين من بعدهم كقوم لوط
واصحاب مدين وما الله يريد ظلما للعباد فلا يدبكم الا بالعدل و بعد الزام الحجة وتاكيدها
ببعث الرسل حين استحقوا الاهلاك بارتكاب الكفر والمعاصي وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام
للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من بعد عن ارادة الظلم كان من الظلم ابعد وحيث
نكر الظلم لانه يفيد انه لا يريد شيئا من الظلم لاحد من عباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى
قوله ولا يرضى لعباده الكفر اى لا يريد لعباده ان يظلموا يعني انه اهلكهم لانهم كانوا ظالمين
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة الذي ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او
يتصايحون بالويل والثبور وينادي اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في سورة الاعراف
وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وقال الضحاك اذا
سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملايكة صفوفا فيرجعون
الى المكان الذي كانوا فيه فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذا سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب
يوم تولون مدبرين منصرفين من موقف الحساب الى النار او فارين من النار غير معجزين
ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه سواء الصراط
ويخلصه من الضلال ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عم على ان فرعون فرعون
موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب
اقام فيهم نبيا عشرين سنة وحكى النقاش عن الضحاك ان الله بعث اليهم رسولا من الجن
يقال يوسف والجمهور على ان فرعون موسى فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر
وقيل الفراعنة ثلثة سنان بن علوان وهو فرعون ابرهيم الخليل عم والثاني الريان بن
الوليد وهو فرعون يوسف عم والثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى عم من
قبل اى من قبل موسى عم بالبينات بالمعجزات وقيل يعني قوله ارباب متفرقون خير ام الله
الواحد القهار فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين او من البينات واليه ذهب الزمخشري
حيث قال وبختهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين

حتى

حتى اذا هلك اى مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده او جزما بان الله لا يبعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله
في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك في دينه الذي يشهد به البينات بغلبة الوهم والانهماك
في التقليد وقيل اى مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب
في دينه وقيل كل مشرك شاك في وحدانية الله تعالى الذين يجادلون في آيات الله بدل من
من هو مسرف لانه بمعنى الجمع كانه قال كل مسرف بغير سلطان بغير حجة مستند الى السمع من جهة
الوحي او العقل اتاهم عزوي بل اما بتقليد لابائهم الضلال او شبهة داحضة اتاهم كبر
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فاعل كبر ضميرها العايد الى من هو مسرف عليه حملا على
لفظه ويجوز ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر على حذف المضاف اى وجدال الذين يجادلون
كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل قوله كذلك اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله
يطبع على كل قلب متكبر جبار كلاما مستانفا للدلالة على الموجب لجدالهم وفي كبر التعجب
من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها الا يرى ان المعنى ما اكبر مقتا جدالهم وما
اغلى نابا بواؤها كليب بمعنى التعجب الاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد
الاشكال من الكباير لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظايره واشكاله ونصب مقتا
على تفسيره ليدل على ان جدالهم مقت خالص لا شوب فيه لفظ تمكن المقت منه واختير لفظ
المقت لانه اشد البغض وابلغه وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر
والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كقولك راى عيني وسمع اذني او على حذف مضاف اى على كل
ذي قلب متكبر يجعل الصفة لصاحب القلب والباقون باضافة القلب الى المتكبر وقال
فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء ظاهرا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح الشيء
اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها
وكل ما اداك فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق
السامع الى معرفتها وقرا الكوفيون ويعقوب لعلي بسكون الياء على الاصل والباقون بفتحها
للتخفيف فاطلع الى اله موسى قرا حفص فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها له بالتمني
والتمني اشبه لعل بليت لان فرعون كان يدعي ان البلوغ الى اسباب السموات من جملة
ما يذكر بلفظ لعل وكان ذكرها لاقصار لعل مشابها بالليت في المعنى والاستعمال

ن بعد رسول الا مع الشك في رسالة
وقرئ الن يبعث السابق كان
منه الاستفهام على حرف النفي
على ان بعضهم نفى وبعض
نفى البعث م

موضع الحال لان لعل لا يستعمل في المحال اذ لا يقال لعل الشباب يعود يوما وانما يستعمل فيه ليت ولذلك جاز اضمار ان بعد الفاء في قوله فاطلع لان التمني من احد الاشياء الستة التي تضمر ان بعد الفاء في جوابها الا الترجي وهي الامر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض وذلك مثل اذكر الله فيذكرك حقا ولا تطغوا فيحل عليكم غضبي ولا يقضى عليهم فيموتوا فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا يا ليتني كنت معهم فافوز الا تنزل فتصيب خيرا والباقون فاطلع بالرفع عطفا على ابلغ وقراء ابو البرهسم فاطلع بالتخفيف وحميد بن عمير فاطلع بالرفع ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه وان يرى فساد قول موسى عم بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وقيل مما يقول ان له ربا غيري وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه قراءة من قراء وزين مبنيا للفاعل وبالتوسط الشيطان وفي الحديث خلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شيء وقراء الكوفيون ويعقوب وصد بضم الصاد والباقون بفتحها على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويعضده قوله وما كيد فرعون الا في تباب في خسار وهلاك وقراء طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب وصدوا بفتح الصاد والجمع وعبد الرحمن ابن ابي بكر والخليل بضم الصاد وبالجمع ويحيى وصِد واكسر الصاد والجمع مثل ردّ قال الذي آمن هو مؤمن من آل فرعون وقيل موسى اتبعون بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي وقراء قالون وورش وابو جعفر اتبعوني باثبات الياء وقال ابو بردة قرا معاذ اتبعوني بفتح الياء وقراء الخليل سبيل الرشَد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع قليل لقلة بقائها وسرعة فنائها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ابدا الا بدين من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن

عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن مخلص في ايمانه غير منافق فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل ما لا يدرك كنهه ولا يحيط به الوصف لفرط كثرته فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك وعن ابن عباس رض ومن قال لا اله الا الله وهو مصدق لله بقلبه وللانبياء فاولئك يدخلون الجنة وقراء حمزة والكسائي وحفص ونافع وابن عامر وخلف ورويس يدخلون بفتح الياء وابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب بضمها مبنيا للمفعول مطابقا لقوله يرزقون ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ادعوكم في محل النصب على انه حال من معنى الفعل في ما لي اي ما اصنع داعيا اياكم الى النجاة كقولهم ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما والمعنى اي شيء لي او اي غرض لي في اني ادعوكم الى النجاة واي غرض لكم في ان تدعونني الى النار وقراء الكوفيون ونافع وابو جعفر ما لي بسكون الياء على الامر والباقون بفتحها وقيل فتحها نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام والباقون بسكونها رفعا للخفة وكرر نداء قومه لزيادة التنبيه والايقاظ لهم من سنة الغفلة والمبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده تفسير لما اجمل فيه تفخيما او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به اي بربوبيته علم اراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها وقيل المراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا من ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الى البليغ القدرة والغلبة على الانتقام من الكفرة والمشركين البليغ المغفرة والستر لذنوب المؤمنين والموحدين وقيل الى المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازات والقدرة والغفران لا جرم لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله انما مع ما في حيزه وهو قوله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب بطلان دعوة الهتكم لانها جمادات ليس لها دعوة الى طاعتها قط في الدنيا والآخرة

ومن حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى الطاعة ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة
ربهم او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وكان فرعون يدعوا اولا الى عبادة
الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فاذا هرمت امر بذبحها
ثم دعى باخرى سمينة وتجوز ان يكون جرم بمعنى كسب وفاعله مستكنا فيه اي كسب ذلك الدعاء
اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم وهو القطع
كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الاصنام
اى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك في وقت ما فينقلب حقا وينصره قول العرب لا جرم انه يفعل
انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة وفعل وفعل اخوان كعدم وعدم ورشد ورشد وان
مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم اصحاب النار ملازموها لا
يغيبون عنها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب وقراءة الخليل فستذكرون
مجهولا ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء والتفويض التسليم و
ترك المنازعة وهو آخر العلم بالله واوله معرفته قال ابن مسعود قال النبي عم اول العلم
معرفة الجبار عز وجل وآخره تفويض الامر اليه روي انهم توعدوه لمخالفته دينهم فقال ذلك
ان الله بصير بالعباد عالم باقوال العباد واعمالهم واحوالهم فيعلم المحق من المبطل ويجازيهم
على حسب ذلك ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وما قصدوا به من الشر وقال قتادة نجا مع موسى وكان قبطيا وحاق بآل فرعون
بفرعون وقومه واكتفى عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك او بطلبة المؤمن من قومه لانه فر الى
الجبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء
العذاب الغرق والقتل في الدنيا والنار في الآخرة النار يعرضون عليها غدوا و
عشيا جملة مستانفة او النار خبر مبتدا محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء
العذاب ويعرضون حال منها او من الآل وقرى النار بالنصب على الاختصاص او باضمار فعل
يدل عليه يعرضون تقديره يدخلون يعرضون وعرضهم عليها احراقهم بها من عرض الامام
الاسارى على السيف اذا قتلهم به وذكر لارواحهم كما قال ابن مسعود ارواح
آل فرعون في اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى
النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة ومقاتل والسدي

والكلبي

والكلبي يعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويجوز ان يكون ذكر
لارواحهم واجسادهم فالاية مما يستدل العلماء به على حقيقة عذاب القبر ولا نقول
ان ارواحهم ليست في قبورهم وانما فيها اجسادهم وكذلك قالوا في جواب من انكر عذاب
القبر لان الميت جماد لا حيوة له ولا ادراك يجوز ان يخلق الله تعالى في جميع الاجزاء او في
بعضها نوعا من الحيوة قدر ما يدرك الم العذاب وهذا لا يستلزم اعادة الروح
الى بدنه ولا ان يتحرك ويضطرب او يرى اثر العذاب عليه حتى ان الغريق في الماء والمأكول
في بطون الحيوانات والمصلوب في الهواء يعذب وان لم نطلع على عباراتهم ويعضد
هذا الجواب قول النبي عم ان الموتى ليعذبون في قبورهم حتى ان البهائم لتسمع
اصواتهم وعن ابن عمر قال النبي عم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان من اهل النار فمن اهل النار ويقال هذا مقعدك
حتى تبعث اليه يوم القيمة وقال عم ان للقبر ضغطة ولو كان احد ناجيا منها نجا سعد
بن معاذ فان قلت بين المستقر للارواح بعد مفارقتها الاجساد قلت ان ارواح الكافرين
في سجين وهي الارض السابعة السفلى وارواح المؤمنين في السماء السابعة قال رسول الله
صلى الله عم ان ارواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون الى منازلهم في الجنة وقال
عم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تغدو والى رياض الجنة ثم تأوي الى قناديل
معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تعالى اتعلمون كرامة افضل من كرامة اكرمتموها فيقولون
لا الا وددنا انك اعدت ارواحنا في اجسادنا حتى نقاتل مرة اخرى فنقتل في
سبيلك وفيها شاهد دليل على تنعيم اهل القبور وذكر الغدو والعشي يحتمل التخصيص والتعميم
على انهم يعذبون بالنار في هذين الوقتين وفيما بينهما ينفس عنهم او يعذبون بجنس آخر
من العذاب او بالنار في جميع الاوقات والله اعلم باحوالهم ويوم تقوم الساعة اى
هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت القيمة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون على
حذف حرف النداء اشد العذاب اشد عذاب جهنم او عذاب جهنم لانه اشد مما كانوا فيه
وقراء ابن كثير وابن عامر وابو بكر وابو عمرو الساعة ادخلوا بوصل الهمزة من الدخول
على امرهم بدخولهم النار والباقون ادخلوا بقطع على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون
في النار واذكر وقت تخاصم بعض اهل النار بعضا فيها ويجوز ان يكون عطفا على غدوا

فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل لمخاصمتهم انا كنا لكم تبعا تباعا في الدنيا
فيما دعوتمونا اليه من الكفر والمعاصي كخدم جمع خادم او ذي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او
اضمار مضاف
التجوز ووصفا بالمصدر للمبالغة كقول الخنساء فانما هي اقبال وادبار فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا منصوب بما دل عليه مغنون او له بالتضمين
او بالمصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة
مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم في النار فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا
عن انفسنا وقرئ انا كلا على التاكيد لان اسم ان وهو معرفة والتنوين عوض عن المضاف اليه
تقديره كلنا برفع اللام في المشهورة وبنصبها في المسئلة الشاذة وهي قراءة ابن السميفع وعيسى
ابن عمر ولا يجوز ان يكون حالا من المستكن في فيها لان الظرف لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل
في الظرف المتقدم تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله قد حكم بين
العباد فقضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا تبديل لحكمه وقال الذين
في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها اي للقوام بتعذيب اهلها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل
والتفظيع او لبيان محلهم فيها ولبيان البعد ركاتها قعرا من قولهم بير جهنام بعيدة القعر
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم اذ لا يوم هناك ولا ليل من العذاب شيئا من العذاب
ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات بالحجج والمعجزات وارادوا بهذا السؤال على سبيل الاستفهام الزامهم الحجة وتبكيتهم وتوبيخهم
على اضاعتهم اوقات الدعاء والتضرع وتعطيلهم الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا
بلى قد اتتنا رسلنا بالبينات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ان لم نؤذن في الدعاء لا
لانا لكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا يجاب وقام
الظاهر مقام المضمر تصريحا بالسبب في امتناع اجابة دعائهم انا لننصر رسلنا والذين امنوا
بالحجة والظفر والانتقام لهم من اعدائهم الكفرة والمرتدين في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
اي في الدنيا والاخرة يعني انه يغلبهم على اعدائه في الدارين جميعا باحد هذه الوجوه من الحجة
والغلبة والانتقام والاشهاد جمع شاهد كبار وابرار وناصر وانصار والمراد بهم الانبياء
والملائكة والمؤمنون فانهم يقومون يوم القيمة للشهادة على الناس وقيل هم الحفظة من الملائكة
يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب وعن قتادة الملائكة والانبياء وقرأ الاعرج و

ابو

١٤٠

ابو عمرو برواية الحلواني تقوم بالتاء يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من اليوم
الاول وعدم نفع معذرتهم لانها لم تقبل منهم وقيل ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم و
ان تابوا لم ينفعهم وقرأ الكوفيون ونافع وقيل لا ينفع بالياء للفصل ولان تانيث المعذرة
غير حقيقي ولانها في معنى العذر او الاعتذار والباقون بالتاء اعتبارا للتانيث الظاهر ولهم
اللعنة واللعنة مختصة بهم اي البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار الاخرة وهو عذابها
ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والالواح والتورية
والشرايع وقال مقاتل هدى من الضلالة يعني التورية كما قال انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى هداية
او ما يهتدى به من اتبعه منهم وذكرى تذكرة لهم او مذكرا يتذكرون به وانتصابهما على
المفعول له او الحال لاولي الالباب لذوي العقول السليمة وهم المؤمنون به العاملون بما
فيه من غير تحريف ولا تبديل فاصبر على احتمال البلايا في طاعة الله وتجرع الغصص والاذية
من اعدائك ان وعد الله حق ان ما وعدك الله به من نصرك واظهارك على الدين كله
حق لم يحم حوله باطل ولا كذب واستشهد بحال موسى وفرعون فانا كما نصرناه عليه ننصرك
عليهم واستغفر لذنبك واقبل على التقوى في امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى و
الاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك بالنصر واظهار الامر وقيل واستغفر
لذنب امتك على حذف المضاف وقيل واستغفر الله من ذنب صدر منك قبل النبوة وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل في هذين الوقتين اذا
كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقال ابن عباس رض يعني الصلوات
الخمس ولعله امره بالاستغفار والتسبيح بعد ذكر الوعد بالنصر لانها اسباب النصر وانجاز
الوعد كما انها اسباب الهداية وقيل ليشتغل بذلك عن استعجال النصر وقرأ الخليل والابكار
بفتح الهمزة ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم عام في كل مجادل
مبطل وان نزلت في مشركي قريش او اليهود ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن قبول الحق
وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة وان النبوة والملك لا يكون الا لهم او ارادة
دفع الايات بالجدال ما هم ببالغيه ببالغي مقتضى ذكر الكبر لان الله مذلهم او ببالغي دفع الايات
او المراد والجمهور على ان المجادلين هم اليهود فانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لست صاحبنا

وانا صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر و
والبحر وتسير معهم الانهار ويرد الينا الملك فسمى الله تمنيهم كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فانتقل
بالله فالتجئ الى الله تكفا من كيد من يحسدك ومن فتنة الدجال انه هو السميع لما تقول ويتقولون
البصير بما تفعل ويفعلون لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على
خلقها مع عظمها وبسطها اولا من غير اصل كان على خلق الانسان مع صغره وبهانته ثانيا من اصل
اقدر وهو حجة عليهم في جدالهم في ايات الله التي كانت مشتملا على انكار البعث وهو اصل جدالهم
ومداره والمعنى خلق العالم مع عظمه اعظم في الصدور من خلق الناس اي من اعادتهم بعد
الموت ولكن اكثر الناس يعني الكفار لا يعلمون لا ينظرون فيها نظر العلماء المنصفين حتى
يستدلوا بذلك على توحيد صانعها وقدرته الباهرة وحكمته البالغة وقال جماعة من
المفسرين في قوله اكبر من خلق الناس اي اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يعني اليهود الذين يخاصمون في امر الدجال وقال هشام وابن عامر سمعت رسول الله عم
يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال وقالت اسماء بنت يزيد الانصارية
كان رسول الله عم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلث سنين سنة تمسك السماء
ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي
نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كلها فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات
ضرس من البهائم الا هلكت وان من اشد فتنة انه يأتي الاعرابي فيقول ارأيت ان احييت لك
ابلك الست تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيتمثل له نحو ابله كاحسن ما يكون ضروعا واعظمه
اسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارأيت ان احييت لك اباك واحييت
لك اخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشياطين نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم فاخذ بلحمتي الباب وقال مهيم اسماء
قلت يا رسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه
والا فان ربي خليفتي على كل مؤمن قالت اسماء فقلت يا رسول الله والله انا لنعجن عجيننا
فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح و
التقديس وقالت قال عم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة
والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار وعن انس قال النبي عم ما من نبي الا وقد

انذر

انذر امته الاعور الكذاب الا وانه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه ك ف ر
اتفق عليه البخاري ومسلم وقال ابن عمر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما
هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي الا انذره قومه لقد انذر نوح قومه
ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور وقال
عبد الله ذكر الدجال عند رسول الله صلعم فقال ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور و
اشار بيده الى عينيه وان المسيح الدجال اعور عين اليمنى كان عينه عنبة طافية وعن حذيفة
قال رسول الله صلعم ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فاما الذي يراه الناس ماء فنار
تحرق واما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي
يراه نارا فانه ماء عذب طيب وعن انس قال قال النبي عم ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة
والمدينة ليس من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة باهلها ثلث
رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق وعن ابي هريرة قال رسول الله صلعم يأتي المسيح
من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم يصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك
يهلك وعن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من امتي سبعون
الفا عليهم السيجان وفي رواية ابو امامة عن رسول الله صلعم قال مع الدجال يومئذ
سبعون الف يهودي كلهم ذو ساج وسيف محلى وما يستوي الاعمى والبصير الغافل
والمستبصر او الجاهل والعالم والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء فينبغي ان
يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي ما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي
وقيل لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني
عطف الموصول بما عطف عليه الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة
والتمثيل قليلا ما يتذكرون حيث يتركون الحق ويتبعون الباطل والضمير للكفار وقيل
للناس وقليلا صفة المصدر محذوف اي يتذكرون تذكرا وما مزيدة لتأكيد القلة
ويجوز ان يكون على الظرف لانه صفة الاحيان والعامل ما يليه والتذكر الاتعاظ و
الاعتبار وقرأ الكوفيون تتذكرون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر
الرسول بالمخاطبة والباقون بالياء بناء على ما قبله من الغيبة ان الساعة لآتية
لا ريب فيها لا شك في مجيئها لانه لا يظهر حال الفريقين الا بوقوعها ولكن الذين

يجحدوا بها انهم كانوا كاذبين وقيل لاريب في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها و
اجماع الرسل على الوعد بوقوعها وقيل لابد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه
لابد من جزاء ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لكمال جهلهم بها وفرط غفلتهم
عنها وقصور نظرهم على ظاهر ما يحسونه به وقال ربكم ادعوني اعبدوني دون غيري
استجب لكم اثبكم بدليل قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
صاغرين ذليلين وان اريد بالدعاء السؤال كان الاستجابة بمعنى الاجابة دون الاثابة و
كان عبادتي بمعنى دعائي لان الدعاء باب من العبادة ويؤيده ما روي جابر ان النبي عم
قال ان الله تعالى يدعو عبده يوم القيمة فيقول اني قلت ادعوني استجب لكم فهل دعوتني
فيقول نعم فيقول اراءيت يوم نزل امر كذا وكذا مما كرهت فدعوتني فعجلت لك في الدنيا فيقول
نعم ويقول دعوتني يوم نزل بك فلم ترى فرجا فقد ذخرته لك في الجنة حتى يقول العبد ليته لم يجب
لي في الدنيا دعوة وعن انس قال النبي عم ان الله عز وجل يحب قلب المؤمن بالدعاء ويعضد الوجه
الاول وهو ان الدعاء بمعنى العبادة ما روي عن النعمان بن بشير انه قال سمعت النبي عم
يقول على المنبر ان الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم الاية وعن ابن عباس و
حدوني اغفر لكم وعن عبادة بن صامت قال سمعت رسول الله صلم اعطيت امتي ثلثا لم
تعط الا الانبياء كان الله اذا بعث النبي عم قال ادعني استجب لك وقال لهذه الامة
ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي عم قال له ما جعل عليك في الدين من حرج
وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله اذا بعث النبي عم جعله
شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهداء على الناس ذكره الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول وفي سننه قال عم من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر
الدعاء عند الرخاء وعنه عم لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر ذكره
الترمذي والغزويني وابن حبان وعن انس قال رسول الله صلم ليسئل احدكم ربه
حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وعن ابي سعيد قال النبي عم ان الله عز وجل يمسك
من عبده الخير الكثير ويقول لا اعطي عبدي حتى يسالني وقيل للثوري ادع الله فقال
ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته
افضل ما اعطي السائلين وقراء ابن كثير ادعوني بفتح الياء والباقون بسكونها

وقراء

وقراء يعقوب سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء الله
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي
الى ضعف الحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز
فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه
فضل وللاشعار به لم يقل لمتفضل او متفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله وانعامه
عليهم لفرط جهلهم به وتكرير الناس لتخصيص الكفر بالنعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون
فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان
لظلوم كفار ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به
نفسه من صفات يتفرد بها ولا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو
اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقريرها اي هو الجامع لهذه الصفات
من الالهية والربوبية وايجاد كل شيء والوحدانية لا ثاني له ولا شريك له في شيء من
الاشياء وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالتقرير
اختصاصه بالالهية كقولنا الكعبة تلك القبلة لا قبلة الا هي وقيل كالنتيجة للاوصاف المذكورة
فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان التي هي جمادات بعض
اخس خلق الله واعجزهم وانقصهم قرا طلحة بن مصرف يؤفكون بالياء كذلك يؤفك الذين كانوا
بايات الله يجحدون اي كما افكوا يؤفك عن الحق كل من يجحد بايات ولم يتاملها ولم يكن فيه همة
طلب الحق وخشية العاقبة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية
العرب لمضاربهم في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وهذه دلالة ثانية على تفرده بافعال
اخر خاصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء
والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات وهو ماخوذ من قول
ابن عباس خلق ابن ادم قائما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول
بفيه وقال مقاتل خلقكم فاحسن خلقكم وقيل اي خلقكم في احسن صورة فانه لم يخلق حيوانا
احسن صورة من الانسان والظاهر التصوير الى الله مسند حقيقة والى الملك مجازا لان
افعال العباد خلق حقيقة والمجاز هو المراد لقوله عم اذا مر بالنطفة اثنان واربعون
ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها الحديث

وقد ذكر تمامه في سورة الحج وقرئ بكسر الصاد وهو لغة ورزقكم من الطيبات اللذائذ وقيل
ما رزق غير الدواب ذلكم الله ربكم خالقكم الذي لا شريك له في تلك الصفات فتبارك الله
رب العالمين اي فتزايد خير الله رب كل مربوب وتكاثر او تزايد عن كل شيء ربا
وخلقه وتعالى عنه في صفاته وافعاله هو الحي هو المستأثر بالحيوة الذاتية المختص بها لا اله الا هو
المتوحد المتفرد بالالوهية وصفاتها فادعوه فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه
من ملك وانسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع مخلصين له الدين مخلصين اله الطاعة من
الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية الحمد لله رب العالمين قائلين الحمد لله رب العالمين
وعن ابن عباس رضي من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من
الآيات لانها مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما
تنحتون والله خلقكم وما تعملون وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له
ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد
لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم كما قوتكم في البدن والعقل والتمييز
واللام متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه
على لتبلغوا وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا بالتوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم ومنكم من
يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل بلوغ الاشد والشيخوخة كما تشاهدونه ولتبلغوا ويفعل
ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وقتا محدودا معلوما هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون
ما في ذكر من العبر والحجج وفوائد الجليل من يتوفى مبنيا للفاعل وهو الله كقوله تعالى الله يتوفى الانفس
هو الذي يحيي ويميت يحيي للنطفة والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء فاذا قضى امرا فاذا اراده
فانما يقول له كن فيكون فانما يكونه من غير كلفة ولا معانات وقيل فلا يحتاج في تكوينه الى عدة
وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذكر نتيجة ما ذكر من افعال الله الدالة على ان مقدوراته
لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه ان الذين
يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه
او للتأكيد وقيل كيف صرفوا عن دين الحق وعن محمد بن سيرين وجماعة من المفسرين انها
نزلت في القدرية وعن عقبة بن عامر قال النبي عم نزلت هذه الآية في القدرية الذين كذبوا

بالكتاب

بالكتاب بالقرآن ولجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع
فسوف يعلمون صدق ما كذبوا به حين عاينوا العذاب المعد لهم على تكذيبهم او جزاء تكذيبهم
وهو وعيد وتهديد اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ
الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا خبره قوله يسحبون في الحميم والعائد محذوف
اي يسحبون بها وهو حال على الاول وقرئ والسلاسل بالنصب يسحبون بفتح الياء على تقديم
المفعول وعطف الجملة الفعلية على الاسمية وقرئ والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في
اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمار الباء بدليل قراءة من قرأ وبالسلاسل يسحبون باظهار
الباء والحميم الماء المتناهي في الحر وقيل الصديد ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر
التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير الصديق كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه يعذبهم
بانواع العذاب وينقلون من بعضها الى بعض وقال مقاتل معناه توقد بهم النار وقال
مجاهد يصيرون وقودا للنار وقيل معناه تملأ بهم النار وقال الزمخشري معناه انهم في
النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار اي مملوة بها اجوافهم قوله تعالى نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من النار بعفوك يا مجيب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من
دون الله وقعت ما موصولة في خط المصحف باين وحقها ان ينفصل لانها موصولة بمعنى
اين الآلهة التي كنتم تشركون قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم وذلك قبل
ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من
قبل شيئا بل تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كقولك حسبت فلانا
شيئا فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك مثل ضلال آلهتهم عنهم يضل
الله الكافرين يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم
الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح او بما كنتم تبطرون وتتكبرون
بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاصنام وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول
الى الخطاب للمبالغة وقال الكلبي الفرح السرور والمرح العدوان ادخلوا ابواب جهنم الابواب
والتاء في قوله فما اغنى عنهم لانها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس
مثوى المتكبرين عن الحق النار المستحقين به مثواكم او جهنم وكان مقتضى النظم ان يقال
فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زرت بيت الله فنعم المزار وصليت في المسجد الحرام فنعم

المصلي ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثوى ختم بالمثوى فاصبر ان وعد الله حق
بنصرك واعلاء كلمتك واهلاك اعاديك من الكفار والمشركين فاما نرينك اي فان نريك وما
مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي
نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة
فننتقم منهم اشد الانتقام والفاء جواب نتوفينك واما جواب نرينك فمحذوف مثل فهو تحت
قدرتنا لا يفوتون ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حيوتك او لم نعذبهم
في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض وقرأ طلحة
بضم الياء والخليل يرجعون بفتح الياء ولقد ارسلنا رسلا من قبلك التنكير فيه للتعظيم والتكثير
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قال النبي عم في رواية عدد الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الفا وفي رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا وعن انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على اثر ثمانية آلاف نبي منهم اربعة آلاف من بني اسرائيل ذكره
الفردوس في حرف الباء وعن علي رضي الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه والذين ذكر
الله قصصهم في القرآن العظيم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله هذا
في اقتراحهم الآيات على رسول الله عنادا يعني انا قد ارسلنا رسلا ذوي عدد كثير وآيات
عظام وما كان لواحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فليس لمحمد ان يأتي بآية مما تقترحون
الا من بعد ان يأذن الله في الاتيان بها وقيل فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته
حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله
بالعذاب في الدنيا والآخرة وهو كما ترى وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات قضي بالحق بانجاز الوعد باحقاق
الحق واهلاك المبطل وبالحق في موقع الحال او صفة لمحذوف اي قضاء ملتبسا بالحق مقترنا به
بعيدا من الباطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات وقد اتتهم الآيات وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وسموها سحرا مبينا الله الذي جعل لكم الانعام اي الازواج الثمانية
وقيل الابل خاصة لتركبوا منها ومنها تأكلون لان من جنس الانعام ما يؤكل وهو الغنم والمعز
ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع من الالبان والجلود والاوبار وغيرها
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمهاجرة والمسافرة عليها من بلد الى بلد لاقامة الدين او
طلب علم او نكاح حلال او فرار من معصية او اهلها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون

الجملة

الجملة عطف على الجملة المتقدمة اعني قوله ولكم فيها منافع وانما استعمل بعلى ولم يستعمل بفي كقوله
قلنا احمل فيها لتقارب معنى الابعاد ومعنى الاستيلاء وصحتهما اذ الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة
له يستعليها وليكون مطابقا لقوله وعليها ومزاوجا له وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة
اذ يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة
كالغزا او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته ويبصركم اياه ويعلمكم دلايلها الواضحة الحجة
النيرة على وجوده ووحدته وعظم قدرته وبالغ حكمته فاي آيات الله فاي آية من آياته التي
اريتموها وقد جاءت على اللغة الكثيرة الدور على السنتهم واستعمالاتهم فان قولك فاية اسم قليل
لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات غريب مثل حمار وحمارة وبقر وبقرة
وهي في اي اغرب لابهامه تنكرون فانها لكمال ظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته
متعلقا بضميره كان الاولى رفعه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
مآل حال المنكرين لآيات الله من الامم المتقدمة كعاد وثمود وقوم لوط وهو تقرير لسيرهم
في اطراف الارض ونظرهم في آثار المنكرين قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض
ما بقي منهم من قصورهم ومصانعهم ونحوها وقيل آثار اقدامهم من مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة بما يليه تقديره فاي شيء
اغنى عنهم والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة بمعنى اي شيء نفعهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل
والمراد بالعلم عقايدهم الباطلة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وسماها علما على زعمهم تهكما
بهم او علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان من علم الطبايع والتنجيم والمنطق و
الرياضي وهي ثلاثة علم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ونحو ذلك كالسحر والطلسمات
وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم رسل الله وانبيائه الى علمهم وعن سقراط
انه سمع بموسى عم فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من
يهذبنا او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به كانه قال استهزؤا وبالغوا
به مع علم الوحي فرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ويجوز ان يجعل

اجرامهم ع

الفرح للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار واستهزائهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم
من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم وان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم
تدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ذلك مبلغهم من العلم
فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا
به فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفروا
بما كنا به مشركين اي اشركنا هم في العبودية فلم يك ينفعهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله
حينئذ لمعاينتهم العذاب ولذلك قال فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء في قوله فما اغنى
عنهم لانه نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وفي قوله فلما جاءتهم لانه كالبيان والتفسير له وفي قوله فلما
راوا باسنا لان رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل وفي قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لان امتناع
نفع الايمان مسبب عن رؤية الباس سنة الله التي قد خلت في عباده سنة الله اسم وضع موضع
المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم كانه قيل سن الله ذلك سنة
ماضية في عباده وهو امتناع نفع الايمان واستحالة قبوله عند رؤية باسه وشدة عذابه وهي
من اسماء غير مصادر جارية مجرى المصادر الموكدة مثل وعد الله وصبغة الله وصنع الله
وسبحان الله وخسر هنالك الكافرون هنالك مكان استعير للزمان اي وقت رؤيتهم
الباس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسر
المبطلون وقت مجيء امر الله ووقت القضاء بالحق عن النبي صم من قرا سورة المؤمن لم يبق
روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له وعنه عم لكل شيء ثمرة وثمرة
القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض
الجنة فليقرا الحواميم وقال عم مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب ذكره الثعلبي

سورة السجدة مكية [فصلت] وهي اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل حم مبتدا خبره تنزيل من الرحمن الرحيم احتيج الى اضمار مثل تنزيل حم تنزيل
من الرحمن والجار صلة للتنزيل وان جعل تعديدا للحروف على طريق التحدي فتنزيل خبر مبتدا
او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل من تنزيل او خبر آخر او خبر
محذوف وان جعل مقسما به كان تنزيل صفة له وجواب القسم محذوف وما يدل عليه قوله كتاب

كانه

كانه قيل انه كلام معجز كتاب فصلت آياته وقيل لعل افتتاح هذه السور السبع بحم
وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم
للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل
في معان مختلفة من التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص وغير ذلك او جعلت فصولا
سورة سورة وآية آية او فصل فيها طرق الهدى من طرق الضلالة وما يحتاج اليه الامة
في ابواب الديانة اي بين ولخص او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فرقت بين
الحق والباطل والمحق والمبطل وبين الغافل والمستبصر وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض
باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح اي اريد
بهذا الكتاب المفصل قرآنا عربيا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت آياته في حال
كونه قرآنا عربيا وقرا اليماني حديثه بالرفع على المدح لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر
وقال الضحاك يعلمون ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد يعلمون انه اله واحد
في التورية والانجيل وقيل لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم
العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او
لفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاول اولى لوقوعه بين الصفات
اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئ بشير ونذير
بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمبتدا محذوف فاعرض اكثرهم عن قبوله وتامله فهم
لا يسمعون سماع قبول وطاعة وتدبر ولا يصغون اليه تكبرا وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
في اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر فلا نفقه ما تقول ولا نسمعه واصله الثقل وقرئ بكسر الواو
ومن بيننا وبينك حجاب ساتر وحاجز منيع يمنعنا عن التلاقي والترائي ومن ابتدائية تفيد
ان الحجاب مبتدا منا ومنك بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ فيها وهي تمثيلات لنبو قلوبهم
عن ادراك الحق الذي يدعوهم اليه وتقبله واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه
فيها ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه وامتناع مواصلتهم وموافقتهم الرسل وقيل حجاب اي
خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول وقيل ان ابا جهل استغشى على
راسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه فاعمل على دينك او في ابطال امرنا
وقيل فهلا كنا انا عاملون على ديننا او في ابطال امرك وقال مقاتل فاعمل لالهك الذي

ادسكم فانا نعمل لالهتنا التي نعبدها وقيل فاعمل لآخرتك فانا نعمل لدنيانا وقراءة اليماني انا
بنون واحد قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد اي لست بملك وانما لا يمكنكم التلقي منه
وانما انا بشر مثلكم ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول وانما ادعوكم الى التوحيد الذي هو اجل الاعمال
واشرفها واحسنها بدليل العقل وقيل اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم
فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي ان الهكم اله
واحد قراءة النخعي والاعمش قال انما فاستقيموا اليه فتوجهوا اليه في جميع احوالكم وافعالكم او فاستووا
اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل غير ملتفتين الى ما سول لكم الشيطان من الاشراك واتخاذ الولد
والشفعاء واستغفروه ذنوبكم التي صدرت منكم واصررتم عليها من الشرك والتكذيب بالحق وغير ذلك
وويل للمشركين والهلاك كل الهلاك للذين اشركوا بالله لافراطهم في الجهل به وتماديهم في الغي و
الضلال عن طريق المستقيم الذين لا يؤتون الزكوة لا يعطون زكوة اموالهم لفرط بخلهم وعدم
شفقتهم على خلق وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقال ابن عباس الذين لا
يقولون لا اله الا الله وهي زكوة الانفس وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكوة ولا يرون
ايتاءها واجبا وقيل لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وقيل كان مشركوا
مكة يطعمون ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلعم فنزلت الآية وهم بالآخرة هم كافرون
حال تدل على ان منعهم الزكوة انما كان لاجل كفرهم بالآخرة التي هي محل الجزاء على الاعمال ويجوز ان
يكون الواو للعطف لا للحال وتغيير النظم للدلالة على شدة كفرهم واستمرارهم ودوامهم عليه
ويجوز ان يكون جملة برأسها كانه قيل وهؤلاء الموصوفون بالاشراك ومنع الزكوة هم الكافرون
بالآخرة وتكرير الضمير للاختصاص وانهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم قوم مؤمنون بها
وهم الذين آمنوا بالله وحده وليؤكد كفرهم بالجزاء استعظاما لما هم عليه من الاشراك ومنع الزكوة
وانكار الوحي الذي لا يرتكبها الا من هو كافر شديد الكفر بدار الجزاء ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جمعوا بين التصديق بالقلب والعمل الصالح وداموا على ذلك لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير
ممنون به عليهم لانه ثواب عليهم وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون وهو ما ينقص من حوادث
الدهر وقال مجاهد غير محسوب وقال السدي نزلت الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا
عن الطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قال ابن حجر قال رسول الله صلعم ان العبد اذا
اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذ كان طليقا

حتى

حتى اطلقه واكفته الي قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الهمزة الاستفهامية معناها الانكار
والتعجب والمعنى انكم لتكفرون بالذي قدر على خلق الارض في مدة يومين بعيد الكفر والله فان كفركم به
يستنكره كل من في الارض والسماء وما فيهما ويقضي منه العجب العجاب فان كلها مؤمنة بالله ناطقة
بتوحيد الله وتقدسه عن الند والشريك بلسان الحال والمقال وقيل في مقدار يومين او بنوبتين
وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة
ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم
في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ولا ضد ولا شريك ذلك الذي خلق
الارض في يومين رب العالمين خالق كل شيء سواه من الموجودات ما يعم به ومربيها يقال
عالم الاجساد وعالم الارواح وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الشهود وعالم الملكوت الى
غير ذلك وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت ارسيت بها الارض وهو استيناف غير معطوف على
خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه
الاستبصار ويكون منافعها معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليعلم ان الارض والجبال اثقال
على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وجل بقدرته ولو كانت تحت الارض
كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وبارك فيها واكثر خيرها
وانماه بان خلق فيها البحار والانهار وانواع الاشجار والثمار والحيوان والمعادن وانزل
فيها الكتب السماوية التي شملت بركاتها كل خير وبركة وقدر فيها اقواتها على حذف المضاف اي
اقوات اهلها بعضا من ارزاقهم ومعايشهم وما يصلحهم بان عين لكل واحد منهم ما يعيشه
ويصلحه وخصص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقال عكرمة والضحاك قدر في كل
بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد وقال الكلبي قدر
الخبز لاهل قطر والذرة لاهل قطر والتمر لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك اقواتها
وقرا ابن مسعود وقسم فيها اقواتها وبه فسر الحسن ومقاتل لفظة قدر في اربعة ايام سواء
في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر يجوز
انه قال ذلك ولم يقل في يومين دلالة على اتصالهما باليومين الاولين وتصريحا به على الفذلكة
لمدة خلق الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية لا زيادة ولا
نقصان قالوا خلق الله الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثا ويوم الاربعا

قال ابو حيان في اسئلته على سورة الانعام الذي اجتمعا الفرق بين الخلق والجعل والربط وافيا لما خالف بينهما خلوق جوهر ... الخلق فيه خطر الجواب ان الاول الخلق عبارة عن التقدير ... جعل الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان فيكون في حق الحق عبارة عن علمه النافذ في جميع الكليات والجزئيات الواصل الى جميع ذرات الكائنات قال الفاضل العلامة المحقق في رسالته المعمولة في جعل الماهية واما الخلق وهو تقدير وايجاد وقد يقال للتقدير من غير ايجاد

وقرأ يعقوب والحسن البصري سواءٍ بالجر على انه صفة ايام كما بيناه وابو جعفر سواءٌ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي سواءٌ والباقون سواءً بالنصب على استوت سواءً بمعنى استواءً والجملة صفة ايام كقراءة يعقوب والحسن وقيل على الحال من الضمير في اقواتها او في فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين او بمحذوف تقديره هذا الحصر لاجل السائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها ثم استوى الى السماء اي ثم قصد الى السماء بارادته ومشيته بعد خلق الارض وما فيها من غير ان يريد فيما بين خلقهما وقصده الى السماء خلق شيء آخر يقال استوى الى مكان كذا كالسهم اذا توجه اليه توجها مستويا من غير ان يلوي على غيره وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج في قولهم استوى العود اذا اعتدل كأنه تعالى

والمعنى ثم دعى داعي مشية الالهية وحكمته الربانية الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك ومن غير ان يريد فيما بين الخلقين خلق شيء آخر ولا يمكن حمل الاستواء في الآية على حقيقته وهي الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج بمعنى قام واعتدل لانه من صفات الاجسام وخواصها والله متعال عنها والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى الفوق والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض وما فيها لا للتراخي في الزمان لقوله بعد ذلك دحيها ودحو الارض متقدم على خلق الجبال من فوقها ومتأخر عن خلق السموات وان تقدم خلق جرم الارض خلقها وهي دخان قيل كان ذلك الدخان بخار الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض وقيل دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر او اظهرا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنة المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة او لتأت كل واحدة منكما الاخرى في حدوث ما اريد لتوليده منكما من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وينصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها والمراد اظهار كمال



قدرته فيهما وان امتناعهما منه محال وقيل المراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين او مكرهين قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات واختلفوا فيه فقال جمهور اهل العلم انه تعالى خاطبهما وخلق فيهما الكلام فتكلمتا بالجواب حتى قال بعضهم نطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيه حرمه وقال غيرهم المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بأمر المطاع واجابة المطيع الطائع من غير ان يحقق شيء من الخطاب والجواب كقول الراجز امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني وقوله اذا قالت الانساع للبطن الحقي تقول سني للنواة اخنعي وانما قال طائعين على اللفظ او طائعات على المعنى فانهما سموات وارضون لانه لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بما هو خاص بالعقلاء وهو الطوع والكره اجرى عليهما حكمهم بأن قيل طائعين في موضع طائعات كأنهما عاقلين وهذا كثير شائع في كلام العرب وفي حديث ان موسى عم قال يا رب لو ان السموات والارض حين قلت لهما ائتيا طوعا او كرها عصتاك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما قال يا رب واين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال واين ذلك المرج قال في علم من علمي قرأ ابن عباس وابن جبير آتينا قال ابو حاتم لا ادري ما هذا الآن يريد آتينا الطاعة اي اعطيناها من انفسنا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين فخلقهن خلقا ابداعيا واحكم امرهن خلق السموات في يوم الخميس وما فيها من الشمس والقمر والنجوم في يوم الجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فالضمير للسماء على المعنى وقيل مبهم يفسره سبع سموات وهو حال على الاول وتمييز على الثاني واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حمل عليها اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وقيل امرها اي ما امر فيها ودبر من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك وعن عطاء قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد والثلج وما لا يعلمه الا الله وقال مقاتل واوحى في كل سماء ما اراد من الامر والنهي وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب في مرأى العين كالدرر واللآلي التي تتلألأ عليها وتتزين بها وقيل ان في كل سماء كواكب تضيء وقيل بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا وحفظا

بفعل المقدر اي وحفظناها من الافات والمسترقة بالثواقب حفظا ويجوز ان يكون مفعولا
له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح او وخصصنا السماء الدنيا بالمصابيح زينة وحفظا
ذلك الذي ذكر من صنعه تقدير العزيز اي البليغ القدرة على كل مقدور العليم اي
البليغ العلم بكل معلوم فان اعرضوا عن الايمان بتوحيد الله بعد ما تتلو عليهم من
هذه الدلايل الواضحة والحجج القاطعة على وحدانيته وقدرته وعلمه فقل انذرتكم
صاعقة خوفتهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود وقيل اي خوفتكم هلاكا مثل هلاكهم وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود
وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا على انه
من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد لانه صفة لصاعقة ولا ظرف
لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من كل جانب واجتهدوا بهم من
كل جهة واعملوا فيهم كل حيلة وقال الحسن انذروهم من وقايع الله فيمن قبلهم من الامم
وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي
وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما يجري عليهم وقيل من قبلهم ومن بعدهم
اذ قد بلغتهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين الى الايمان
اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الا
تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا مصدرية او مفسرة بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله
بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا الا الله وعلى الاول يحمل على
تقدير القول ايضا لكنه سياق عليه تقديره يقولون بان لا تعبدوا الا الله اي يامرونهم
بعبادة الله وحده كما اخبر عنهم في قوله والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وعن
نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله
قالوا لو شاء ربنا مفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل
ملايكة برسالته فانا بما ارسلتم به كافرون الفاء وقعت في جواب شرط محذوف تقديره
اذا انتم بشر ولستم بملايكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به ولا يجب ان يكون ما دخل
عليه انا فعلا لجواز دخولها على الجملة الاسمية المركبة من مبتدا وخبر بدليل اتفاقهم

على

على جواز اذا زيد ضربته واذا زيد اكرمته اكرمته ولو كان الفعل لانما لم يجز الرفع كما لا يجوز
ان زيد ضربته ضربته اذ لا يرفع الاسم الا بالابتداء والخبر واليه ذهب الزمخشري ههنا كما
لا يخفى وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو تهكم على كلام الرسل وفيه كما
قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وعن جابر بن عبد الله انه قال الملاء
من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر
فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد علمت الشعر والكهانة
والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت تتمنى
الرياسة عقدنا لك الوية فكنت راسنا ما بقيت وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة
تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني انت وعقبك
من بعدك ورسول الله صلعم ساكت فلما فرغ قرا رسول الله صلعم بسم الله الرحمن الرحيم
تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش
والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا
بنا اليه فانطلقوا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات الى
محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب
عتبة واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته
وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة
ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا
اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق اي فتعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم من العتو وعظم الاجرام
او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية وقالوا من اشد منا قوة
اغترارا بقوتهم وشوكتهم وعظم اجسامهم فانهم كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم
وكان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة من الجبل فيقلعها بيده وروي ان
هودا عم لما هددهم بالعذاب قالوا من اشد منا قوة ونحن نقدر على رفع العذاب

عن انفسنا بفضل قوتنا قال الله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة قدرة حيث قدر على خلقهم وخلق الارض والسموات التي هي اعظم منهم واقوى
واشد واصلب وقيل فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوتى على ما لا يقدر عليه
غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها وانكروها كما يجحد المودع
الوديعة وينكرها وهو عطف على فاستكبروا اي كانوا فسقة كفرة فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا اي ريحا عاصفا يصرصر اي يصوت وقيل باردة تهلك بشدة بردها من
القر وهو البرد الذي يقر اي يجمع ويقبض وقال السدي شديد الصوت في هبوبها من
الصر والصرة وهي الصيحة في ايام نحسات اي مشومات قال مجاهد وقتادة
وقرأ الكوفيون وابن عامر وابو جعفر بكسر الحاء جمع نحسة من نحس ينحس وهو نحس
وهي نحسة نقيض سعد سعدا والباقون بسكونها على انه مخفف من المكسور او على النعت
على فعل او الوصف بالمصدر بجمع نحسة على انها نفس الشوم مبالغة وذلك سبع ليال
وثمانية ايام وكن آخر شوال من اربعاء الى الاربعاء وعن ابن عباس ما عذب
قوم الا في يوم الاربعاء وقال الضحاك امسك الله عنهم المطر ثلث سنين ودامت
الرياح عليهم من غير مطر وعن جابر بن عبد الله اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل
عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد بقوم شرا حبس عنهم المطر وسلط
عليهم كثرة الرياح لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بالريح العقيم واضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به بقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في
الاصل صفة المعذب فوصف العذاب به من الاسناد المجازي لحصول الخزي بسببه
والمجاز ابلغ من الحقيقة باتفاق البلغاء لانه يفيد تاكيدا لاثبات المعنى لا يفيده الحقيقة
الا ترى الى البون بين قولك هو عادل وله عدل عادل وهم لا ينصرون بدفع
العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقال
ابن عباس فبينا لهم سبيل الهدى وقرأ الحسن ثمودَ بالنصب بفعل مضمر يفسره
المذكور بعده وقرئ منونا في الحالين وبضم الثاء والرفع افصح لوقوعه بعد
حرف الابتداء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى والكفر على الايمان
وقال السدي اختاروا المعصية على الطاعة فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة



من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة والهون
الهوان وهو الخزي فاهانهم الله بذلك العذاب في الدنيا واخزاهم بما كانوا
يكسبون من اختيار الضلالة والكفر والمعصية ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار قرأ نافع ويعقوب نحشر بالنون و
نصب الاعداء والباقون يحشر بالياء وبناء المفعول وقرئ يحشر مبنيا للفاعل وهو الله تعالى
وقرأ الاعرج نحشر بفتح النون وكسر الشين حيث وقع فانه بكسر الشين في كل القرآن نقل
يحشرهم ذكره ابو حاتم عن يعقوب واعداء الكفار من الاولين والآخرين اي يجمعون
الى النار كقوله ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة
عن كثرة اهل النار اللهم اعصمنا من عذابك كله في الدنيا والآخرة وما بينهما بجاه
محمد عبدك وعترته الطاهرين الناجين يا خير الغافرين وارحم الراحمين حتى اذا
ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور يعني ان وقت
مجيئهم النار لا بد ان يكون وقت الشهادة عليهم شهد عليهم سمعهم وابصارهم و
جلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله كما انطق الشجرة والشاة المشوية المسمومة
بان يخلق فيها كلاما وهذا ما عليه الاكثرون وقيل هي كناية عن الفروج وفي قول الاكثرين
الجلود باعيانها وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب انطقنا الله
الذي انطق كل شيء من الحيوان اوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي قدر على
انطاقه كل حيوان وعلى خلقكم وايجادكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه
ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال كما هو خلاف الظاهر ومذهب المرجوح يعني
الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون
تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم يعني انكم كنتم تستترون من الناس بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش
مخافة الفضاحة وما ظننتم ان جوارحكم تشهد عليكم فما استترتم عليها وفي هذا اعلام
بان المؤمن ان يحفظ نفسه ويحاسبها قبل ان تحاسب ويتقن ان الله معه اينما كان
وقال مجاهد الاستتار يعني الاتقاء اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم

جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة وقال قتادة بمعنى الظن
اي ما كنتم تظنون ان يشهد عليكم سمعكم بان يقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا
يجوز من المعاصي ولا ابصاركم فتقول رايت ايات الله وما اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز
ولا جلودكم فيقول لا امسّ الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليه من المحرمات ولكن ظننتم ان
الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من خفيات اعمالكم ولذلك تجاسرتم على ما عملتم من الذنوب العظام
وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ خبره ما بعده وهو ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم
خبران له اي وذلك الظن هو الذي اهلككم والجوار ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا ونسب
الارداء الذي هو فعل الله الى ظنهم لكونه سببا فيه كقوله تعالى ينزع عنهما لباسهما وقرى وكلكم
زعمتم فاصبحتم فصرتم من الخاسرين الكاملين في الخسران حيث ظننتم بالله ظن السوء وسوء الظن
بالله من اكبر الكبائر قال ابن عمر رضه قال النبي عم اكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل واصله
ومعدنه حب الدنيا وهو ايضا من اكبر الكبائر وقال رسول الله صلى الله عم اكبر الكبائر
حب الدنيا وقيل اذ صار ما منحوا للاسعاد في الدارين سببا للشقاء في المنزلين وعن قتادة
الظن هاهنا بمعنى العلم وعن النبي عم انه قال لا يموتن احدكم وهو يحسن بالله الظن فان قوما اساؤا
الظن بربهم فاهلكهم فذلك قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال الحسن ان قوما الهتهم
الاماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول احدهم اني احسن الظن بربي وكذب لو احسن
الظن لاحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الاية وقال عمر بن الخطاب في هذه الاية هؤلاء قوم
كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتوكلون على المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ثم قرا
وذلكم ظنكم الذي ظننتم الاية وقال قتادة من استطاع منكم ان يموت وهو حسن الظن بربه
فليفعل فان الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي فان يصبروا فالنار مثوى لهم يحتمل ان يكون
معناه فان يصبروا في الدنيا على اعمال اهل النار فالنار مثوى لهم كقوله فما اصبرهم على
النار وان يكون فان يصبروا في النار او يجزعون فالنار مثوى لهم اي لا خلاص لهم عنها
ولم ينفكوا بالصبر من الثواء فيها وحمل على الجزع بقوله وان يستعتبوا لان المستعتب جزع
اي وان يسالوا العتبى وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين الذين
يعتبون اي يعطون العتبى ويجابون اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص وفي بعض التفاسير فان يستقيلوا فما هم من المقالين وقرا عبيد بن عمير وابو العالية





وان يستعتبوا بالبناء للمفعول فما هم من المعتبين بكسر التاء على وزن اسم الفاعل اي
ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك لفوات المكنة وقيل
اذا قالهم الله وردهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعة لما سبق لهم في علم الله من الشقاء قال تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيضنا لهم اي وقرنا للكافرين والمشركين قرناء
اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقال
الجوهري هو ما يغلق من قشور البيض الاعلى وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة وهي بيع عرض بعرض وقيل اي هيأنا لهم شياطين قال مقاتل وقال الزجاج
سببنا لهم نظراء من الشياطين حتى اضلوهم وقيل سلطنا عليهم قرناء يزينون
لهم المعاصي وهؤلاء القرناء من الجن والشياطين والانس فزينوا لهم ما بين ايديهم
ما تقدم من اعمالهم وما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات حتى آثروا
ذلك على الآخرة وما خلفهم من امر الآخرة وانكار ان لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار
او وما هم عازمون عليها وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله
ان تك من الصنيعة ما فوكا في اخرين قد افكوا فانت في جملة آخرين وانت في عداد
الآخرين لست في ذكر با وحد وهو في موقع الحال من ضمير عليهم اي حق عليهم القول كائنين
في جملة امم وقيل في بمعنى مع قد خلت من قبلهم من الجن والانس قد عملوا مثل اعمالهم
من الكفر والمعاصي انهم كانوا خاسرين اعمالهم في الدنيا وانفسهم واهليهم يوم القيمة
وهو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم جميعا وقال الذين كفروا من كفار
قريش لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه من اللغو وهو الباطل من الكلام الذي لا طائل
تحته اي لا تسمعوا للقرآن اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات
والهذيانات لتشوشه على القارئ كان قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا وقال مجاهد و
الغوا فيه بالمكاء والصفير وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال
السدي وصيحوا في وجهه وقرئ بضم الغين وهو لغة يقال لغا يلغي ولغا يلغو اذا هذى
لعلكم تغلبون لكي تغلبوا على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا يحتمل ان يراد
بهم هؤلاء القائلون وان يراد عامة الكفار ونكر العذاب ووصفه بالشدة ليدل على انه
نوع من جنس العذاب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وقيل العذاب الشديد ما يتوالى

وقيل هو العذاب في جميع اجزائهم ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم
وقد مر مثله وقيل يعني باسوأ الذي اي باقبح الذي كانوا يعملون في الدنيا وهو الشرك وعن
ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك اشارة الى الاسواء
ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى يستقيم هذه الاشارة وهو
مبتدأ وخبره قوله جزاء اعداء الله النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار
الخلد اي نار اقامتهم لا انتقال لهم منها ونظيره قولك هذه الدار دار السرور تريد بالدار
عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون ويلغون فيها فذكر
الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
اي ارنا الشيطانين الذين حملانا على الضلال من نوعي الجن والانس لان الشيطان يين جنى
وانسى بدليل قوله شياطين الانس والجن وقوله من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل
لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرأ ابن عامر وابن كثير وابو بكر والسوسى ويعقوب
ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كفخذ في فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء وقيل معناه
اعطنا الذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذ قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا
قلته بسكون الراء فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء
واصله الاحضار نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما او نجعلهما في الدرك الاسفل
من النار ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا وقال ابن عباس ليكونا اشد
عذابا منا ان الذين قالوا ربنا الله اقرارا بالوهيته ووحدانيته وربوبيته وان لا رب
الا اياه ثم استقاموا اي ثم ثبتوا على قولهم ربنا الله وقيل في العمل ويدل على الاول دلالة
بينة قول النبي عم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قد قالها الناس ثم كفر اكثرهم
فمن قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها رواه الترمذي عن انس بن مالك رض وثم لتراخي
الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونظيره قوله
تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي ثم ثبتوا على الاقرار بقولهم
ربنا الله ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رض استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه
تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال
لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وفي بعض التفاسير سئل ابو بكر رض عن الاستقامة فقال ان

لا يشرك

لا يشرك بالله شيئا وقال عمر رض الاستقامة ان يستقيم على الامر والنهي ولا يروغ روغان
الثعلب وعنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب وقال عثمان رض اخلصوا
العمل لله وقال على رض ادوا الفرائض وقال ابن عباس استقاموا على اداء الفرائض وقال الحسن
استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على
شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وهو موافق للحديث المذكور وكذا قول مقاتل استقاموا
على المعرفة ولم يرتدوا وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا
الاستقامة وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل
ربي الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما يخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عم بلسان
نفسه وقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت قاله ابن عباس او اذا قاموا من قبورهم
قاله قتادة ومقاتل وقال وكيع البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث
الا تخافوا ما تقدمون عليه من امر الآخرة والخوف غم يلحق لتوقع المكروه وقيل الا تخافوا من
الموت ولا تحزنوا على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم فيه ذكره عطاء بن ابي رباح لا تخافوا ولا
تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم والحزن غم يلحق الانسان لوقوعه من فوات نافع او
حصول ضار والاحسن ان يفسر مطلقا كما وقع في القرآن والمعنى لا تغتموا لشيء من الاشياء فان
الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء
اي بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان او مفسرة بمعنى اي وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا اي يقولون
لا تخافوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة
الدنيا انصاركم واحباؤكم نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة
بالشفاعة والكرامة حيث ما يتعادى الكفرة وقرناؤهم وقال مجاهد اي نحن قرناؤكم الذين
كنا معكم في الدنيا فاذا كان يوم القيمة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة وقال السدى اي نحن
الحفظة لاعمالكم في الدنيا واولياؤكم في الآخرة ولكم فيها في الآخرة لا تعنيكم من اعدائكم ما تشتهي
انفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو
اعم من الاول نزلا من غفور رحيم النزل ما يهيأ للنزيل وهو الضيف وقرأ ابو البرهسم
وابو حيوة نزلا بسكون الزاء فانتصابه على الحال من ما تدعون اشعارا بان ما يتمنون بالنسبة
الى ما يعطون من ما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه

قبل رزقا او عطاء من غفور رحيم اي بليغ المغفرة والرحمة ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى توحيد
الله وعبادته وحده وعن ابن عباس هو رسول الله عم دعا الى الاسلام وقال ابن سيرين والسدي
هو رسول الله دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له
كما قال وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذ الاسلام دينا او مذهبا ومعتقدا كما تقول هذا
قول ابي حنيفة يريد مذهبه وعن ابن عباس انهم اصحاب رسول الله صلى الله عم وعن عائشة رض
وعكرمة ومجاهد نزلت في المؤذنين وقال الحسن وقيس بن ابي حازم هذه الآية عامة في كل من
دعا الى الله وقال ابو امامة معنى قوله وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة وقال الكلبي
ادى الفرايض وعن عبد الله بن مغفل قال رسول الله صلى الله عم بين كل اذانين صلوة ثلث
مرات ثم قال في الثالثة لمن شاء وعنه عم لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة وقيل
لما قال تعالى وقال انني من المسلمين مطلقا غير مقيد بشرط ان شاء الله رد على من يقول انا مسلم
ان شاء الله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة والثانية مزيدة لتاكيد
النفي قال معناه لا تستوي الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة وقيل لا تستوي
التوحيد والشرك وقال الضحاك الحسنة العلم والسيئة الفحش وقال علي رضه الحسنة حب رسول
الله عم والسيئة بغضهم ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة التي ترد عليك من غيرك بالحسنة التي
هي احسن منها على ان المراد بالاحسن الزايد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات
وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذكر وضع احسن موضع
الحسنة لانه ابلغ في الدفع بالحسنة فان من دفع بالحسنة هان عليه الدفع بما دون وقال مجاهد
بالتي هي احسن السلام اذا لقي من يعاديه وقيل المصافحة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم اي فانك اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق مصافة لك وما يلقاها وما
يلقى هذه الخلة او السجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا الا اهل الصبر فانهم
يحبسون بها انفسهم عن الانتقام او وما يلقى هذه الخصلة التي دفع السيئة بالحسنة الا الذين
صبروا على كظم الغيظ وتجرع الغصص واحتمال البلايا والمكاره في طاعة الله وازدياد الخير
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وكمال النفس وفسره بعضهم
الحظ بالثواب وقتادة الجنة اي وما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقال مقاتل بن حيان نزلت
في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله عم فصار وليا مصافيا مصانعا

الذي

الذي حصلت بينه وبين رسول الله صلى الله عم وقيل نزلت في ابي جهل كان يؤذي رسول الله
صلعم فامره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي نخس وهو
في الاصل الطعن بعود ونحوه ومنه الحديث ان قدم على فلان فاحرقوه بالنار فانه نخس
بزينب بنت رسول الله صلعم اي نخس دابتها ثم استعير لما يلقي الشيطان في قلب ابن آدم من ذكر الشهوات
واللذات واتيان الاماني والوسوسة وبه صرح رسول الله صلعم في بعض احاديثه وهو قوله عم
ان ابليس له خرطوم كخرطوم الكلب واضعه على قلب ابن آدم يذكر الشهوات واللذات ويأتيه
بالاماني ويأتيه بالوسوسة على قلبه ليشككه في ربه فاذا قال العبد اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم واعوذ بالله ان يحضرون ان الله هو السميع العليم خنس الخرطوم عن القلب ذكره صاحب
الفردوس وقيل نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل
النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر
او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ
بالله فالتجئ الى الله من شره وامض على شانك ولا تطعه انه هو السميع لقولك وقوله
العليم بعملك وحمله وهو ناصرك عليه وعاصمك من شره ومن آياته ومن ادلته الواضحة
على وجوده ووحدته وكمال علمه وعزته وقدرته على الانتقام من اعدائه الليل و
النهار والشمس والقمر لان ارباعها مما يحدث ويتغير وينتقل من حال الى حال وهيئة
الى هيئة ووقت الى وقت فلا بد لها من مغير محدث ناقل يجريها بقدرته ويدبر امورها
بعلمه وحكمته الالهية ومشيته الربانية وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم الحقيق
بعبادة كل عابد وسجدة كل ساجد لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران
بالعبادة والسجدة مثلكم قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب الآية واسجدوا لله الذي خلقهن و
ضمير جماعة النساء عائد الى الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى
او الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل
خلقهن حملا على المعنى وايا ما كان فالمراد اضافة الفعل اليها دلالة على انها من المخلوقات
التي انتفى عنها العقل والاختيار راسا وبالكلية ان كنتم اياه تعبدون لان السجود اقصى
العبادات ولا يحق الا لمن يليق بان يختص بها وهو الواجب الوجود الصانع لكل شيء

الجامع الصفات الكمال على وجه الكمال وهو موضع السجود عند الشافعي رض لاقتران الامر به و
في رواية مسروق عن عبد الله وعند ابي حنيفة رض يسأمون لانه تمام المعنى وكان ابن عباس
وابن عمر والحسن وابن المسيب والنخعي وابن سيرين والسلمي وقتادة يسجدون عنده
ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون
انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا
بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين من غير مشركين
فان استكبروا عن الامتثال للامر فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار
ينزهونه عن الانداد وساير ما لا يليق به دائما وفي جميع الاوقات لقوله وهم لا يسأمون
لا يملون عن عبادته ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة لا نبات فيها
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل والتقاصر فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت
وتزخرفت بالنبات وربت وانتفخت اذا اخصبت كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك
كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا قصد
ان يظهر ارتفعت له الارض ان الذي احياها قدر على احيائها بعد موتها لمحيي الموتى انه
على كل شيء قدير بليغ القدرة على كل مقدور والبعث واخراج الموتى احياء من المقدورات
وقد وعد بذلك فلا بد ان يفي به ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا
بالطعن واللغو فيها كما اخبر عنهم بقوله والغوا فيه والانحراف في تأويلها من جهة الصحة و
الاستقامة وقال قتادة يكذبون في آياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقيل
يميلون عن الحق في ادلتنا وقال ابن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه
وقال مجاهد يلحدون في آياتنا اي عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو
والغناء لا يخفون علينا فنحن نعلمهم والحادهم فنجازيهم على حسب ذلك وهو وعيد و
تهديد لهم على الحادهم بالطعن واللغو والتحريف وقال مقاتل نزلت في ابي جهل افمن
يلقى في النار على وجهه وهو ابو جهل في قول ابن عباس ومقاتل خير امن يأتي آمنا يوم
القيامة قيل هو النبي عم وقيل حمزة وقيل عمر وقيل عثمان وقيل عمار وقيل ابو سلمة
بن عبد الاسد المخزومي وقيل ان الآية عامة في الناس فالذي يلقى في النار الكفرة بانواعهم
والذي يأتي آمنا المؤمنون على طبقاتهم وقابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة

في الحاد

في الحاد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد بأمر لظهور ان ليس المقصود الامر بكل عمل
شاء انه بما تعملون بصير وعد ووعيد ان كان الخطاب عاما ووعيد ان كان خاصا
بالكافرين ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا
او مستأنف وخبر ان محذوف مثل سوف نصليهم نارا او هالكون او يجادون بكفرهم
مذكور وهو قوله اولئك ينادون من مكان بعيد والذكر القرآن لانه كفرهم به طعنوا
فيه ولغوا فيه وحرفوا تأويله وقوله لما جاءهم اي بادهوه بالكفر والانكار ساعة جاءهم واول
ما سمعوه من غير اجالة فكر واعادة نظر وكذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل
وانه لكتاب عزيز ذو عزة بالغة لما في القرآن من الاعجاز الدال على القدرة الكاملة ونظمه به
او وصف بصفة من هو من سببه كما قيل في وصفه بالحكيم وقال ابن عباس عزيز اي كريم على
الله وقيل اعزه الله لا يتطرق اليه الباطل اي لا يجد اليه الباطل طريقا قاله قتادة وقيل منيع
محمي بحماية الله من الشيطان ان يبدل قاله السدي ومقاتل ومن الناس ان يقولوا مثله
قاله ابن عباس وقيل كثير النفع عديم النظير وقيل غير مخلوق فلا مثل له لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات
حتى يصل اليه ويتعلق به وقال ابن جريج لا يأتيه الباطل فيما اخبر عما مضى ولا فيما اخبر عما يكون من
الامور الآتية وقال السدي وقتادة الباطل هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره بان يزيد فيه
او ينقص منه وقال سعيد بن جبير ومقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب
يبطله وينسخه وعن ابن عباس من بين يديه اي من الله تعالى ولا من خلفه اي ولا من جبريل
ومحمد عم تنزيل من حكيم اي حكيم حميد اي حميد يحمده كل خلق في كل مكان بلسان الحال و
المقال بما وصل اليه من نعمه وعن ابن عباس حكيم في خلقه حميد اليهم وعن قتادة حكيم في امره
حميد الى خلقه ما يقال لك من القرآن الا ما قد قيل في غيره من الكتب السماوية للرسل من
قبلك وذكر المقول المتفق عليه في القرآن وساير الكتب الالهية هو توحيد الله وان
لا شريك له واختصاصه بصفات الالهية واخلاص العبادة له من كل شائبة كدر وغير ذلك
مما لا خلاف فيه بين الشرايع لرسل الله كلهم اولهم آدم وآخرهم محمد عليهما السلام والجملة
المحققة بعده وهي قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم بمعنى ان حاصل ما اوحي
اليك والى الرسل من قبلك وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة والقايل هو الله

اى ما يقول الله لك الا مثل ما قال للرسل من قبلك او القرآن وساير الكتب السماوية فان
كل كتب الله قايلة بما ذكر من الوجهين اى ما يقول لك القرآن الا مثل ما قال ساير كتبنا لهم
وقيل اى ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات الموذية
والمطاعن فى الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة لانبيائه ومن آمن بهم جميعا وذو عقاب
اليم لاعدائهم الذين لم يؤمنوا وبما انزل اليهم جميعا وقيل لذو مغفرة لمن تاب وآمن
بك وذو عقاب اليم لمن اقر على التكذيب ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم تعنتا هلا
نزل القرآن بلغة العجم لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي قرأ حمزة والكسائى
وابو بكر وضلع اعجمى بهمزتين محققتين اوليهما همزة الاستفهام المعنى بها الانكار اى لانكروا
وقالوا الكلام او قرآن اعجمى ومخاطب عربى وهشام عن ابن عامر والحسن اعجمى بغير
همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمى والمرسل والمرسل اليه عربى والباقون
آعجمى بقلب همزة الاستفهام بالمد والمعنى ان كلام الله على اى طريقة جاءهم وجدوا فيه
متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم وتجوز فى قراءة هشام ان يكون
المراد هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وروى
عن سعيد بن جبير انه قال قالت قريش لولا انزل القرآن اعجميا وعربيا فيكون بعض آياته
عجميا وبعضها عربيا فنزلت الآية وانزل فى القرآن من كل لغة فمنها السجيل وهى فارسية اصلها
سنك كل ومنها الفردوس رومية وكذلك القسطاس ومنها الاسماء السريانية والعبرانية و
الحبشية والعجمى منسوب الى العجم وهو خلاف العرب ومعنى الاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه
من اى جنس كان وقيل الذى فى لسانه عجمة اى عدم افصاح بالعربية وان كان عربيا قل
هو للذين آمنوا هدى الى الحق والى طريق مستقيم وشفاء لما فى الصدور من الظن
والشك والوهم والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره قوله فى آذانهم وقر على تقدير هو فى آذانهم
وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصاممهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات
ويجوز ان يكون والذين لا يؤمنون فى موضع الجر عطفا على للذين آمنوا بمعنى هو للذين
آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وفيه عطف على عاملين وقد
اجازه الاخفش وقال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به وقرى وهو عليهم
عمى وهو فى مصحف ابن عباس وابن العاص والخليل وقرأ الضحاك عمى كقوله تعالى فعميت عليهم



الانباء اولئك ينادون من مكان بعيد يعنى انهم لا يقبلونه ولا يسمعونه ولا يفقهونه
كمن يصيح به من مسافة بعيدة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولا يفقهه وعن
الضحاك ينادون يوم القيمة باقبح اسمائهم من مكان بعيد فيكون ذلك اشد لتوبيخهم
وحزنهم وعن على رضه ومجاهد اى بعيد من قلوبهم كانما ينادون من السماء فلا يسمعون
ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب فقال بعضهم
هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف فى القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك ولولا العدة
بالقيمة وان الخصومات تفصل فيها فى ذلك اليوم او ولولا تقدير الآجال وقيل ولولا القول بتأخير
العذاب عن المكذبين لقضى بينهم بين قوم موسى او قومك اى لفرغ من عذابهم فى الدنيا
وعجل اهلاكهم بعذاب الاستيصال لكن الساعة ادهى وامر وانهم وان اليهود او الذين
لا يؤمنون لفى شك منه من التورية او القرآن وقيل من صدقك مريب موجب للاضطراب و
الشك عبارة عن تساوى الطرفين والتردد فيهما من غير ترجيح والوهم ملاحظة الطرف المرجوح
وكلاهما تصور لا حكم معه اى لا تصديق معه اصلا من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء
فعليها فنفسه ضره والله متعال عن الانتفاع بطاعة العباد ومن التضرر بمعصيتهم فمن اطاعه
فله الثواب الذى لا يكتنه كنهه ومن عصاه فعليه العقاب الذى لا يغادر قدره وما ربك بظلام
للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها قيل الله
يعلم او لا يعلمها الا الله وروى انهم قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت
وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة وغلافها
وقرأ نافع وابن عامر وحفص وابو جعفر من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرى من
اكمامهن بجمع الضمير وما نافية او موصولة معطوفة على الساعة ومن الاولى مزيدة
لاستغراق النفى ومن مبنية بخلاف ما وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا
بعلم مصاحبا بحكمته والمعنى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع
الا وهو عالم به يعلم وقت خروج الثمرة من اكمامها وعددها وساير ما يتعلق بها ووقت
الحمل وعدد ايامه وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة
والحسن والقبح وغير ذلك ووقت الوضع وما يتعلق به ويوم يناديهم اين شركاى
بزعمكم كما بين فى قوله اين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا آذناك اعلمناك

ما منا من شهيد ما منا من احد يشهد لهم بانهم شركاؤك اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال
او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ
وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين في اضافتهم الشركة
الينا وضل عنهم اي غاب عنهم ومعناه على التفسير الاخير لا ينفعهم ما كانوا يدعون يعبدون
وما موصولة والعائد محذوفة او موصوفة بمعنى آلهة كانوا يعبدونها من قبل في الدنيا وظنوا وتيقنوا
ما لهم من محيص مهرب من حاص يحيص حيصا وحيصا اذا هرب والظن معلق عنه
بحرف النفي والتعليق ان يوقع بعد ما يوجب نصب المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو و
علمت ازيد منطلق لا يسأم الانسان لا يمل الكافر من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة
وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر مثلا واللام يحتمل الجنس
والعهد وهذا اقصى حد البلاغة فيؤوس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة
الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من طريقين
من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير وقيل من طريق التنكير ايضا والقنوط ان يظهر عليه
اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله ورحمته ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته اي ولئن آتيناه نعمة وسعة في الرزق من بعد ضيقة وفقر اصابه
او ولئن فرجنا عنه بصحة وسعة بعد مرض وضيق ليقولن هذا لي اي هذا حقي
وصل الي لاني استحقه بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي دائما لا يزول عني ونحو
قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وما اظن الساعة قائمة اي وما اظنها تقوم وتكون و
نحو قوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
اي ولئن قامت الساعة على طريق التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة
كما اكرمني بالنعم في الدنيا فقد قاس امر الآخرة على امر الدنيا بوهم محض وامنية الكذب
وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في عتبة و
شيبة ابني ربيعة وامية بن خلف وقرأ الخليل رجعت معلوما فلننبئن الذين كفروا
فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون
عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ولنذيقنهم

من عذاب غليظ شديد او عظيم ومن ابتدائية او بيانية والمبين محذوف كانه قيل
ولنذيقنهم عذابا مبهما من عذاب كبير بدل ما اعتقدوه لانفسهم من الاكرام والا
عزاز من الله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر على انعامه وهذا نوع آخر
من طغيان الكافر اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم وكفر
بنعمته بترك الشكر عليها ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا وتعظما
والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله وقرأ ابن ذكوان وناء بتأخير الهمزة
على القلب ونظيره في القلب راء في رأى او على انه بمعنى نهض فلا يكون مقلوبا وورش وخلاد
والسوسي ونأى بامالة الالف مع فتح النون والكسائي وابو بكر وخلف ونئي بامالة
الالف وكسر النون ابتداء لكسر الهمزة والباقون ونأى بفتح النون والهمزة واذا مسه الشر
اي اذا مس الشر هذا الانسان المعرض المتكبر وانما جيء بلفظ الماضي واذا لان المراد الشر
المطلق الذي حصوله مقطوع به ولذلك عرف تعريف الجنس لان جنس الشر وقوعه كالواجب
لكثرته واتساعه لتحققه في كل نوع وغيره لان المفرد المعرف بلام الجنس يصح ان يراد به
البعض الى الواحد بخلاف الجمع فانه لا يصح الا الى الثلاثة ويجوز ان يكون تعريفه للعهد لان
الى الشر معهود جار عليه وقيل لفظ اذا للتنبيه على ان مثله يحق ان يكون ابتداؤه بالقدر
مقطوعا به فذو دعاء عريض كثير مستعار من عرض متسع للاشعار بكثرته ودوامه وهو
ابلغ من الطويل لان الطول اطول الامتدادين واذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
والمعنى اذا اصابه الضر والفقر اقبل على كثرة الدعاء ودوامه وشرع في الابتهال والتضرع قل
ارأيتم اخبروني وقرأ الكسائي ارايتم ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر
واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة
شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم وخلافهم وقيل فاي الناس اضل منكم اي لا احد اضل منكم
لفرط شقاقكم وعداوتكم سنريهم آياتنا في الآفاق سنبصرهم دلائلنا الواضحة على وحدانيتنا
وقدرتنا الكاملة في الآفاق وهي ما اخبرهم النبي عم من الحوادث الآتية وآثار النوازل
الماضية وما يسره الله له ولخلفائه ونصار دينه من بعده من الفتوح والظهور على
آفاق الدنيا من بلاد الشرق والغرب وما بينهما على وجه خارج من المعهود خارق للعادة
اذا لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم وقرأ طلحة ولنريهم وفي انفسهم يعني

ماظهر فيما بين اهل مكة وما نزل بهم من قتل صناديدهم واسرهم ونهب اموالهم
وفتح بلدهم الحرام ولم ينقل الينا ان مكة فتحت على يد احد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم و
كذلك قتل اهلها واسرهم وما في بدن من عجايب الصنع الدالة على كمال صنع صانعها وقدرته
وحكمته وتدبيره لانه ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما اختص به
وتفرد من بدايع الفطر التي يتحير فيها الاذهان وحسبك بالالسن وما اودع فيها والفلوح
وما ركز فيها من الايات الساطعة والبينات القاطعة على قدرة المدبر الصانع وحكمته ولطف تدبيره جميع
ساير الاعضاء والاطراف وما رتب فيها وركب من اصناف المحاسن ولطايف المعاني والمناظر
الحسنة البديعة والهيئات النافعة البهيجة وكاستخراج الصنايع المختلفة العجيبة والتمكن من كسب
الكمالات المتنوعة الغريبة التي ليست كل واحد منها الا علما من اعلام صانعها القادر الحكيم واية
من اياته وقال ابن عباس في الافاق يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلاء والامراض
وقال قتادة والضحاك في الافاق يعني وقايع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر وقال الحسن
ومجاهد والسدي في الافاق ما يفتح من القرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي
انفسهم فتح مكة وقال عطاء وابن زيد في الافاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر و
النجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبروق والصواعق والنبات والاشجار
والجبال والبحار وغير ذلك وفي انفسهم من لطف الصنعة وبديع الحكمة والافاق النواحي جمع
افق وافق كاعناق جمع عنق وعنق ومنه رجل افقي اذا كان من افاق الارض حتى يتبين لهم انه
الحق الضمير في انه عايد الى القران او الرسول او دين الاسلام او التوحيد او الله تعالى اولم يكف بربك
زيدت الباء في الفاعل للتاكيد وابدل منه قوله انه على كل شيء قدير اي اولم يكفهم ان ربك
على كل شيء شهيد يعني انه يحقق له فيحقق امرك باظهار ايات الله الموعودة في الافاق والانفس
كتحقيق ساير الاشياء او مطلع مهيمن على كل شيء فيكفيك علمه بحالك واعلم ان الاشياء كلها قد
اتفقت على الشهادة لوحدة خالقها وانه مظهرها من كتم العدم والمظهر لا يفارق المظهر ومن
ارباب البصاير فسبحان من هو عند كل شيء ومعه وفوقه ومن ههنا قال بعضهم ما رايت
شيئا الا رايت الله معه وقال بعضهم ما رايت شيئا الا رايت الله قبله فمنهم من يرى الاشياء
به ومنهم من يراه بالاشياء والى الاول الاشارة بقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد والى
الثاني لقوله سنريهم اياتنا في الافاق فالاول صاحب شاهد ودرجة الصديقين والثاني صاحب

صاحب الاستدلال

صاحب الاستدلال باية ودرجة العلماء الراسخين فما بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين
وقيل المعنى اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية
وقيل معنى الاية ان هذا الموعود من اظهار ايات الله في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينون عند ذلك ان القران تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن
يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك
لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة الا انهم في مرية في شك وقرئ بضم الميم وهو
لغة فيه وهذه القراءة عن ابي عمرو وقد بولغ في كونهم في مرية من جهة الاستيناف و
اثبات الجملة الاسمية فان الاسمية المثبتة تفيد تاكيد الثبوت ودوامه والتصدير بالا وحرف
التحقيق ووقوعهم في الشك وقوع المظروف في الظرف كان الشك احاط بجميع جوانبهم ونواصيهم
لا خلاص لهم عنه وهم مستمرون دايمون فيه نعوذ بالله من ذلك من لقاء ربهم بالبعث
والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها لا يفوته
شيء منها علما وتصرفا وقدرة عليها فهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم
ومرجع تاكيد العلم الى تاكيد الوعيد وقال الكلبي احاطت قدرته بجميع خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة السجدة اعطاه بكل حرف عشر حسنات وعن علي وانس قال صلى الله عليه وسلم
امرني جبرئيل ان لا انام الا على قراءة حم السجدة وتبارك الذي بيده الملك
سورة الشورى مكية ثلث وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق
لعله اسماء للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا ايتين وان كانا اسما واحدا فالفصل
ليطابق ساير الحواميم وقرا ابن عباس وابن مسعود حم سق وعن ابن عباس
كان علي رض يعرف الفتن بها وعن ارطاة بن المنذر قال رجل لابن عباس وعنده
حذيفة اليماني اخبرني عن تفسير قوله تعالى حم عسق فاعرض عنه حتى اعاد عليه ثلثا فاعرض فقال
حذيفة انا انبيك بها قد عرفت لم تركها نزلت في رجل من اهل بيته يقال له عبد الاله وعبد
الله نزل على نهر من انهار المشرق يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا فاذا اراد الله
زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث على احديهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة فتحرق كلها
كانها لم تكن مكانها فتصبح صاحبتها متعجبة كيف قلبت فما هو الا بياض يومها يجتمع فيها كل جبار
عنيد ثم يخسف الله بهم جميعا فذلك قوله حم عسق اي عزمة من عزمات الله وفتنة وقضاء

حم عسق ح علماً منه بمن سيكون وما يقع فيها بين المدينتين ونظير هذا التفسير ما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجتمع فيها جبابرة الأرض تجبى إليها الخزائن تخسف بها وفي رواية بأهلها فلهي أسرع ذهاباً في الأرض من الوتد الحديد في الأرض جبابرة الأرض الرخوة وعن نافع

قال ابن عباس الحاء حكمه والميم مجده والعين علمه والسين سناه والقاف قدرته أقسم الله بها وعن محمد بن كعب أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناه وقدرته أن لا يعذب من عاذ بلا إله إلا الله مخلصاً من قبله وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح الحاء حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش والميم ملك يتحول من قوم إلى قوم والعين عدو لقريش يقصدهم والسين سبا يكون فيهم والقاف قدرة الله النافذة في خلقه وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحاء من الرحمن والميم من المجيد والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر وقال عبد الله بن بريدة إنه اسم الجبل المحيط بالدنيا وقال مجاهد فواتح السور وذكر الثعلبي والقشيري أن النبي عليه السلام لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجهه فقيل له يا رسول الله ما أحزنك قال أخبرت ببلايا تنزل بأمتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وآيات متتابعات متصلات بنزول عيسى وخروج الدجال وعنه صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً أتاحت بكم الشرق الجون أو الشرق قالوا يا رسول الله وما الشرق الجون قال فتن كقطع الليل المظلم يعني فتناً طالعة من قبل المشرق جمع شارق من شرقت الشمس إذا طلعت من مشرقها والجون جمع جون وهو الأسود والشرق جمع شارق وهو المسنة من النوق يريد فتناً متصلة الأوقات متطاولة المدد يشبهن بمسان النوق وقيل هذا في شأن النبي عليه السلام فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه في الكرامة من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحي إليه حم عسق فلذلك

قال كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله يعني أن مثل ما في هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك في غيرها من السور وأوحاه إلى رسله من قبلك يعني أن الله كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم بعباده من الأولين

و



والآخرين وإنما ذكر بلفظ المضارع دلالة على استمرار الوحي وتجدده وقتاً فوقتاً وأن إيحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالبناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند إلى ضميره أو مصدره ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأن قائلاً قال من الموحي فقيل الله أي يوحي الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم بمعنى زينه لهم شركاؤهم والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحي به كما مر في السورة المتقدمة أو بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله له ما في السموات وما في الأرض خبره وعلى الوجوه الأخر استئناف مقرر لعزته وحكمته والمعنى أن الله يختص به في جميع ما في العالم خلقاً وملكاً وعلماً وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة والحكمة تكاد السموات يتفطرن يتشققن من عظمة الله وعلو شأنه أو من دعاء الولد له وقرأ نافع والكسائي يكاد بالتذكير لأن تأنيث السموات غير حقيقي والباقون بالتأنيث مراعاة للفظ السموات وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وحمزة والكسائي وحفص وخلف وأبو جعفر يتفطرن والباقون ينفطرن ووافقهم فيه حمزة وابن عامر والأول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وروى يونس عن أبي عمرو وتتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر روي في نوادر الأعراب الإبل تشممن من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لأن أعظم الآيات وأدلها على العظمة وعلو الشأن من تلك الجهة من العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الأولى كأنه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن فإنها أولى بالانفطار لأن كلمة الكفر إنما جاءت من الذين تحتهن وقيل الضمير للأرض لأن المراد بها الجنس أي من فوق الأرضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض هو من العام الذي خص منه البعض لأن المراد بمن في الأرض المؤمنون بدليل تصريح الواو بخصوص المؤمنين ويستغفرون للذين آمنوا وتفسيره بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقيل هو محمول على عمومه والمعنى أنهم يستغفرون لكل من في الأرض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع

نعم للحيوان بل الجماد وحيث حق بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة وقال الكلبي لما رايت الملايكة
ان هاروت وماروت افتتنا بالزهرة وهربا الى ادريس جد ابي نوح عم وسالاه ان
يدعو لهما بجميع ربهم واستغفروا لبني آدم وللمفسرين في تسبيح الملايكة في هذه الآية قولان
احدهما انهم ينزهون تعالى لا يليق بجلاله وكبريائه من الشريك والولد وساير صفات
الاجسام وعليه الجمهور والثاني انهم يتعجبون من جراة المشركين ويعنى عطا رضه ان تسبيحهم تعجب
من يرون من خطة الله ومعنى بحمد ربهم قال السدى وليهم في استغفارهم لهم قولان ايضاً
احدهما طلب المغفرة لهم من الذنوب والخطايا وهو قول الاكثرين والثاني طلب الحلم والرزق
لهم وسعة العيش عليهم وهذا يعم المؤمن وغيره الا ان الله هو الغفور الرحيم اعلام
منه باختصاصه بكمال المغفرة والمرحمة على ابلغ وجه واكثره ولذلك ما من شيء من المخلوقات
الا وقد شملته رحمته كما قال وسعت رحمتي كل شيء علما والآية على الاول زيادة لتقرير علو
شان الله وعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه وتعاليه عما اضاف اليه الجاهلون من
الشريك والولد وان عدم معاجلتهم بالانتقام على كلمتهم الحمقاء باستغفار المعصومين وفرط
غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء اى جعلوا له شركاء واندادا الله حفيظ
عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجازيهم بها لا رقيب عليهم الا
هو وحده وما انت يا محمد عليهم بوكيل لموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا
اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر اوحى اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك
او المعنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان
هذا المعنى مكرر في خمسة مواضع فيكون الكاف مفعولا به لاوحينا وقرانا عربيا حال من مفعوله
اى اوحيناه اليك في حال كونه قرانا عربيا بينا لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا يتجاوز
حد الانذار كما قال لتنذر ام القرى لتخوف اهل القرى وهى مكة او لتعلمهم ومن حولها
من العرب وقيل يعني قرى الارض كلها وقيل من ساير الخلق وتنذر يوم الجمع يوم القيمة
لجميع الخلايق فيه من الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارض والاشباح والارواح
والاعمال والعمال وحذف ثاني مفعولي الانذار في الاول وهو يوم القيمة او العذاب
واول مفعوليه في الثاني وهو اهل مكة للاختصار لدلالة احدهما على الآخر فليتامل وقيل
للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له

ز بجده

ز بامر ربهم

بلغ

ال

اى لابد من مجيء ذكر اليوم ولا محالة وليس مرتاب فيه لانه لابد من جزاء العاملين من
المنذرين والمنذرين واهل الجنة واهل النار ولا شك في الجمع انه كاين ولابد من تحققه
ثم بعد الجمع يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير اى منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير
الضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليهم او اللام فيه لانه عوض عنهم لان المعنى لتنذر يوم جمع
الخلايق وقرئا منصوبين على الحال منهم اى ولتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين
للتفرق او متفرقين في دار البؤس والنعيم وحكى حارثة وابو هريرة قال النبي عم صلى
الله عم ان الله تعالى خلق للجنة خلقا وهم في اصلاب ابائهم وخلق للنار اهلا وهم في
اصلاب ابائهم وعنه عم ان الله خلق الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على
الماء فاهل الجنة اهلها واهل النار اهلها رواه ابو امامة رضه ولو شاء الله لجعلهم امة وا[حدة]
على دين واحد قال ابن عباس اى على ملة الاسلام كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قاله
مقاتل او لجعلهم اهل دين واحد اهل ضلالة او اهل هدى قاله الضحاك ولكن يدخل
من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للاهتداء والحمل على الايمان والعمل الصالح فانهما
سبب الدخول في الجنة التي هي محل رحمة الله كما قال في مواضع من كتابه الكريم والذين امنوا و
عملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقال انس بن مالك في رحمته
الى في الاسلام والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اى ويدخلهم في عذابه بغير ولي يدفعه
عنهم ولا نصير يمنعهم منه والمراد بالظلم ههنا الكفر والشرك كما قال ان الشرك لظلم عظيم ومن
مزيدة لاستغراق النفي كانه قيل ما لهم ولي ما ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ
الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب
جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي
بالحق لا ولي سواه اى هو وحده الذي يجب ان يتولى ويعتقد انه المولى والسيد وقال ابن
عباس اى وليك يا محمد وولي من اتبعك وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتعليل
لاختصاصه وتفرده بالولاية كلها كانه قيل فالله هو الحقيق بان يتولى ويعتقد انه المولى
لانه يحيي الموتى ويقدر على كل مقدور لا غيره ممن لا يقدر على شيء وقيل كالتقرير لكونه حقيقا
بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار من اهل الكتاب والمشركين فيه من شيء من امر من امور
الدين والدنيا فحكمه الى الله اى فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله بنصر المحق واثابته وخذ[لان]

لان المبطل معاقبة وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى
رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب
الله والظاهر من سنة رسول الله صلعم وقيل وما وقع بينكم الخلاف من العلوم التي لا تتصل
بتكليفكم ولا طريق الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال تعالى ويسالونك عن الروح قل
الروح من امر ربي ولا يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة لعدم جواز الاجتهاد
بحضرة الرسول ذلكم الحاكم بينكم هو الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور التي من جملتها رد كيد
اعداء الدين واليه انيب ارجع في المعضلات التي منها كفاية شرهم والنصر عليهم فاطر السموات
والارض خبر آخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ فاطرِ السموات بالجر بدلا من الضمير او صفة
لله من انفسكم من جنسكم ازواجا ذكورا واناثا ومن الانعام ازواجا اى وخلق للانعام
من جنسها ايضا ذكورا واناثا يذرؤكم فيه يبثكم ويكثركم ايها الناس والانعام في هذا
الجعل حيث يكون التوالد والتناسل فهو كالمنبع والمعدن للبث والتكثير في لفظ واحد
ههنا نوعان من التغليب وتقرير ذكر ان الخطاب بلفظ كم مخصوص بالعقلاء وقد
خوطب به في يذرؤكم للعقلاء المذكورين بطريق الخطاب والانعام المذكورة بلفظ
الغيبة ففيه تغليب المخاطب على الغايب حيث لم يقل يذرؤكم واياهن وتغليب العقلاء على
غيرهم حيث لم يقل يذرؤكم واياهن وقيل لتغليب المخاطبين على الغايبين جيء بالكاف لا بالهاء
وتغليب العقلاء على غيرهم جيء بالميم لا بالنون وهي بعضهم ولقائل ان يقول جعل الخطاب
شاملا للانعام تكلف لا حاجة اليه لان الغرض اظهار القدرة وبيان الالطاف في حق الكمال
والخطاب يختص بهم والمعنى يكثركم ايها الناس في هذا التدبير حيث مكنكم من التوالد والتناسل
وهيا لكم من مصالحكم ما تحتاجون اليه في ترتيب المعاش وتدبير التوالد والانعام خلقها
لكم دفء ومنافع ومنها ياكلون وجعلها ازواجا تبقى بتناكم وتروح بدوامكم وعلى هذا
هذا يكون التقدير وجعل لكم من الانعام ازواجا وهذا انسب بنظم الكلام مما قدروه
وهو جعل للانعام من انفسها ازواجا ليس كمثله شيء اى ليس كذاته شيء لان ذاته
تعالى لا يماثل ذات واحد من خلقه بوجه من الوجوه ولا من جميع الوجوه وذكر ان كل
شيء سواء العالم باجزائه ولو كان مثلا للعالم او لشيء من اجزائه بوجه من الوجوه لكان هو

محدثا

محدثا من جميع الوجوه او كان ما يماثله قديما من جميع الوجوه والقول بحدوث
القديم من وجه من الوجوه او من جميع الوجوه او قدم الحادث محال والقديم ما لا ابتداء
لوجوده والحادث ما لوجوده ابتداء فالقدم والحدوث وصفان متنافيان لا يجتمعان في
موصوف واحد فالمثل في هذه الآية عند الجمهور بمعنى الذات لا غير كما في قوله تعالى فان امنوا
بمثل ما امنتم به اي بنفس ما امنتم به وقولهم مثلك لا يبخل اى نفسك فانهم ما يريدون بنفي
البخل عن مثله الا نفيه عن ذاته قصدا الى المبالغة في نفيه عنه فانهم اذا نفوه عمن يسد مسده
وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه بطريق الاولى ونظيره قول العرب ولا يخفر الذمم
كان ابلغ من قولك انت لا تخفر وقول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب
الطاهر لذاته لان المقصود طهارته وطيبه ومن قال الكاف زايدة لعله اراد انه يعطي معنى
ليس مثله شيء غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثل صفته اى ليس كصفته صفة ونعم ما قال من
قال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ و
المحال كل المحال ان يكون الذات القديم مثلا للذات الحادثة وان يكون لها صفة حادثة
كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة ومما يجب التنبيه له ان المثل عبارة عن
المساواة في بعض الصفات لا في جميعها كما زعم كثير من المحققين فانه سهو بدليل قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي الآية فانه يثبت مماثلته بالاشتراك والمساواة في وصف
البشرية فقط لا في جميع الاوصاف كما لا يخفى للقطع بان بينه وبينهم مخالفة بوجوه كثيرة من
اختصاصه بالنبوة والرسالة والوحي الى غير ذلك الا يرى الى قوله يوحي الي كيف اشبه المخالفة
بان خصصه بالايحاء اليه ذكرا فظهر ان ما ذكره الامام الغزالي من ان المثل عبارة عن
المساوي في جميع الصفات ليس كما ينبغي وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات
والارض خزائنها وقيل مفاتيح الرزق في السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء و
يقدر يوسع ويضيق على مقتضى حكمة الربانية ومشيئة الالهية وذكرا بلفظ المضارع
دلالة على استمرار البسط والقدر منه ودوامها كقولهم فلان يعطي ويمنع انه بكل شيء عليم
بليغ العلم بكل معلوم فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي فلا يوسع الرزق الا اذا علم ان سعته
خير للعبد وكذلك التضييق شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما

وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى اى بين لكم من الدين دين نوح ومحمد عم ومن
بينهما من ارباب الشرايع واصل الشرايع فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين اى دين
الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته فى احكامه والايمان بجميع ما يجب تصديقه ولم
يرد فروع الشرايع التى هى مصالح الامم على حسب احوالهم لاختلافها وتفاوتها قال الله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحله النصب على البدل من مفعول شرع والمعطوفين
عليه او الرفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين او الجر على
البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه فى هذا الاصل الذى اجمع عليه الانبياء كلهم كبر على المشركين
عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد وترك الشرك وقال قتادة شهادة
ان لا اله الا الله وحده ضاق بها ابليس وجنوده فابى الله الا ان يظهرها على من ناواها
الله يجتبى اليه من يشاء اى يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدى اليه بالارشاد
والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا اى وما تفرق الامم الماضية فى ذلك الاصل او
اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الا من بعد ان علموا بان التفرق ضلال وفساد
متوعد عليه على السنة الانبياء او ببعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقيل او العلم ببعث الرسول او باسباب العلم
من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا وقلة انصاف منهم ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة من الله هى عدة
تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى الى وقت معلوم وهو يوم القيمة او يوم آخر اعمارهم المقدرة
لقضى بينهم لحكم بينهم باستيصال المتفرقين ساعة افترقوا لعظم افترائهم وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم هم اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله او المشركين الذين اورثوا
القرآن من بعد اهل الكتاب وقرى ورثوا لفى شك منه من كتابهم لا يعلمونه حق العلم او لا
يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب موقع فى ريبة ما وجب اليقين والايمان به او ذى
ريبة وتهمة وقيل مقلق او مدخل فى الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق الذى حدث
بسببه تشعب الكفر شعبا او الكتاب او العلم الذى اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة
الحنفية القديمة او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى الافادة الصلة
والتعليل واستقم كما امرت واستقم اى واثبت ودم عليها على الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع

اهوا



اهواءهم المختلفة الباطلة وقيل استقم على القرآن وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة
ولا تتبع اهواءهم اى ولا تنظر الى خلاف من خالفكم وقل امنت بما انزل الله من كتاب
اى بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى حكاية عنهم و
يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم فى
فصل القضايا وتبليغ الرسالات والشرايع والاول تعليم من الله لاستكمال القوة النظرية
وهذا لاستكمال القوة العملية قال ابن عباس وابو العالية وامرت لاسوى بينكم فى الدين
فاومن بكل كتاب وبكل رسول وعنه ايضا وامرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله
عليكم من الاحكام وعبارة الحنفى مما لا يعجبنى وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال وقيل فى
الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى الله ربنا وربكم الله خالق الكل وسيده الذى يربيه بنعمه الغايت
حفرها المخالق ولا سيد سواه لنا اعمالنا ولكم اعمالكم من قصر المسند على المسند اليه
اى لنا اعمالنا لا اعمال غيرنا ولكم اعمالكم لا اعمال غيركم والمعنى ان احدا منا لا ينفعه عمل
غيره فكما لا ينفعنا الا عملنا فكذلك لا ينفعكم الا عملكم او من قصر المسند اليه على المسند
اى اعمالنا مقصورة على الاتصاف بلنا لا يتجاوز الاتصاف بكم واعمالكم مقصورة على الاتصاف
بكم لا يتخطاه الى الاتصاف بلنا واعتبر هذا الوجهين فى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين فانه
يحتمل بهما تحقيقا غير توهم كما ظنه قوم بعض المناظرين والمعنى لكل واحد منا ومنكم عمله الذى
يجازى به لانه ذكر العمل مقصورا عليه لا يتعدى الى غيره فانه لزمه لزوم القلادة او الغل
العنق الا يرى الى قوله تعالى وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه لا حجة بيننا وبينكم اى لا حاجة
بمعنى لا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف متشبث سوى
المكابرة والعناد الله يجمع بيننا يوم الجمع ذلك يوم التغابن واليه المصير مرجع كل الخلايق
بفصل القضاء بينهم لا الى غيره وليس فى الآية ما يدل على متاركة الكفار بالكلية حتى تكون
منسوخة باية القتال وقال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود اى لنا ديننا ولكم دينكم ولا الكثرون
على انها ليست بمنسوخة لان البراهين الساطعة والحجج القاطعة قد ظهرت وقامت فلم يبق
لهم الا العناد والذين يحاجون فى الله يخاصمون فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فى دين الله افواجا ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا كان اليهود والنصارى

[illegible]

يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق او
من بعد ما استجاب الله رسوله بنصره يوم بدر واظهار دينه الاسلام على الدين كله او
من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند
ربهم باطلة زايلة وعليهم غضب لعنادهم ومحاجتهم في الحق ولهم عذاب شديد على كفرهم
الشديد وضلالهم البعيد الله الذى انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق في موضع
النصب على انه صفة مصدر محذوف اى انزالا كاينا بالحق او على الحال كقوله تنبت
بالدهن اى انزله ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالحكمة والغرض الصحيح
او بالواجب من العقايد والاحكام والميزان اى والشرع الذي يوزن به الاحكام و
الحقوق ويسوي بين الناس او العدل والتسوية على ان انزل العدل انزال الامر به
في كتب المنزلة او آلة الوزن وعن ابن عباس انه قال امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن
البخس يعني انه اشارة الى قوله اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
اشياءهم وزنوا بالقسطاس المستقيم وما يدريك لعل الساعة قريب واي شيء يجعلك
داريا بحال الساعة التي هي من العظم والشدة والخفاء بحيث لا يبلغه دراية احد ولا
وهمه يعني انك لا تدري ما هو متوقف من الوجل الا كاد اخفيها من نفسي وانما نودي
ذكر يوحي مما يريد انك طمعت في ان الساعة قريب وما يدريك ان ما طمعت فيه كاين
والادراء بمعنى الاعلام فيقتضى ثلثة مفاعيل اولها الكاف ولعل مع اسمه وخبره ساد مسد
المفعولين الآخرين وذكر القريب على ان الساعة بمعنى البعث او ان القريب بمعنى ذات
قريب او على حذف مضاف والمعنى لعل مجيء الساعة قريب فامرهم بالجد بان يتبعوا الكتاب
المنزل عليك ويعملون بما فيه من الاحكام المؤسسة على محض العدل والعقايد الحقة العادلة
الدالة على الصراط المستقيم قبل ان يفاجيهم يوم فيه يوزن اعمالهم ويوفي جزاؤهم وقال
مقاتل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة
فنزلت الآية يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء وانكارا والذين امنوا
بها مشفقون منها اي خايفون منها مع اعتنائهم بها واجتهادهم في الطاعة لانهم ما يدرون
ما يفعل الله بهم فيها كما قال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقال والذين ما آتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون ويعلمون انها الحق ويعلمون قطعا ويقينا انها الصدق والذي

لايجوم

فا وانعياس اما الكتاب فظاهر واما
السنة فانه قد تواتر عن نبينا وعن
ساير الانبياء الاخبار بمجيء
الساعة وحقيقة حم

لايجوم حوله كذب او الثابت الذي دل على نبوته القواطع من ادلة الكتاب والسنة
والاجماع وغيرها فاما الاجماع فظاهر ايضا وكذا العقلي لما مر ذكره في هذا الكتاب
غير مرة او واجب الوقوع الا ان الذين يمارون في الساعة اى يشكون فيها او يجادلون
فيها من المرية او من مري الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة وبها فسر قوله تعالى افتمارونه في ما يرى لفي ضلال
بعيد اى لضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل لان قيام الساعة ليس بمستبعد من قدرة
ولدلالة القران المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولاجماع الانبياء والعلماء على اتيانها و
لشهادة العقول على انه لا بد من دار جزاء ولان البعث اشبه الغايبات بالمحسوسات
فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد من الاهتداء الى ما وراءه ووصف الضلال بالبعد من
المجاز العقلي لان البعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به
فعله ويحتمل ان يكون المعنى وضلال ذي بعد وفيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق
مكانا قريبا وبعيدا او عن طريق الثواب او عن طريق الاعتبار لانهم لو تذكروا ونظروا
الى احوالهم المتنوعة نظرا صحيحا لعلموا قطعا ويقينا ان من قدر على خلقهم وانشائهم من
تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والنطفة التي هي ماء سيال وقدر على
جعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر وعلى جعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على
بعثهم باعادة ارواحهم الى ابدانهم بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس
الصحيح الله لطيف بعباده بر بليغ البر بعباده بصنوف من البر لا يبلغها العقول و
الاوهام لغطه ونكاته مفرط الكثرة من كلياته وجزئياته وقال ابن عباس حفي بهم
وقال عكرمة بار بهم وقال السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم
جوعا بمعاصيهم يرزق من يشاء يرزق لما يشاء فيخص كلا من عباده بصنف من البر كما يقتضيه
حكمته الربانية وعن جعفر الصادق يلطف بهم في الرزق بانه جعل رزقهم من الطيبات و
بانه لم يدفعه اليهم مرة واحدة كيلا يبذروه وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء
العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبه بالزرع لنوط ثمرة
وكثرة منافعه والابتهاج به كما ينمي الزرع وينتفع به الزارع من وجوه كثيرة ويبتهج به
كما نبه عليه بقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج وقيل من حيث انه فايدة تحصل بعمل الدنيا

فقط وقيل ومن كان عمله للدنيا نؤته منها نعطه شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة
من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ومن مزيد للنفي اى ماله نصيب تما في
الآخرة لانه لم يرد بعمله نصيب الآخرة واجرها ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا
نصيب على انه رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من
زكاء عمله وفوزه في المآب وعن الضحاك قال ابن عباس من كان من الابرار يريد بعمله الصالح
ثواب الآخرة نزد له في حرثه اى في حسناته ومن كان من الفجار يريد بعمله الحسن الدنيا
نؤته منها ثم نسخ بقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ورد
بان الصواب ان هذا ليس بنسخ لان هذا خبر والنسخ لا يدخل في الاخبار وقال قتادة
من عمل لآخرته زدناه في عمله واعطيناه من الدنيا ما كتبنا له ومن آثر دنياه على آخرته لم
نجعل له نصيبا في الآخرة الا النار ولم نعطه من الدنيا الا رزقا قد قسمناه وعن ابى بن كعب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن
عمل منهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون
غيرها وهو الدين الذى شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر وقيل
شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة يضاف اليهم لهذه
الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر
كما قال ابرهيم عليه السلام انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتأخير
الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة كما قال بل الساعة موعدهم لقضى بينهم
اى بين الكافر والمؤمن او بين المشركين وشركائهم اى لفرغ من عذابهم باستيصالهم
في الدنيا وان الظالمين لهم عذاب اليم نوع من العذاب متفاقم المه واقام المظهر مقام
المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ودلالة على ان العذاب الاليم الذى لا يكتنه كنهه انما يلحقهم بسبب
ظلمهم وانهماكهم فيه وقرئ ان الظالمين بفتح الالف عطفا على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة
الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب
في عذاب الآخرة ترى الظالمين مشفقين خائفين يوم القيمة مما كسبوا من السيئات
وهو واقع بهم اى وباله واقع بهم وواصل اليهم من كل بد اشفقوا او لم يشفقوا و
الذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم

ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهون ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين
من الثواب هو الفضل الكبير الذى يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ويحقر عنده الدنيا
بحذافيرها من اولها الى آخرها ذلك الثواب الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا و
عملوا الصالحات يبشر الله به عباده فحذف الجار ثم العائد الى الموصول او ذلك التبشير
الذى يبشر الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشر والباقون
بشر من التبشير قل لا اسئلكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا
منكم روى ان المشركين اجتمعوا في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسأل
على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى استثناء متصل اى الا ان تودونى
لقرابتى منكم او تودوا قرابتى ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت
صلتهم لازمة لهم في الشرع والعادة والمروة او منقطع اى لا اسئلكم اجرا قط ولكن اسئلكم
ان تودوا اقربائى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم وفي القربى حال من المودة اى الا المودة
ثابتا في ذوى القرابة متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في قوله عم والذين
هاجروا في الله وقوله عم الحب في الله والبغض في الله والقربى مصدر كالزلفى والبشرى
بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من
قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناؤهما ويدل
عليه ما روى عن على رض شكوت الى رسول الله عم حسد الناس لى فقال اما ترضى ان
تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا
وشمائلنا وذرياتنا خلف ازواجنا وعنه عم حرمت الجنة على من آذى اهل بيتى وآذانى
في عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجاوزه فانا اجازيه
عليها اذا لقينى يوم القيمة وروى ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال
عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله فاتاهم في مجالسهم فقال
يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا
ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونى قالوا ما نقول يا رسول الله
الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك اولم يكذبوك فصدقناك اولم يخذلوك فنصرناك
قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الآية

وقال رسول الله صلى الله عم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على
حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات
على حب آل محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت
بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما يزف العروس الى بيت
زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب
آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة
الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن
مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل
اتت الانصار رسول الله صلى الله عم بمال جمعوه وقال رسول الله صلعم قد هدانا بك وانت
ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت
ورده وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل رسول
الله صلعم وقال السدي هي المودة في آل رسول الله صلعم نزلت في ابي بكر الصديق رضه ومودته
فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت فتدخل فيها المودة دخولا اوليا كان سائر الحسنات
لها توابع نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب كقوله من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ يزد اي يزد الله له حسنا وقرئ حسنى
وهي مصدر كالقربى والبشرى ان الله غفور ستور على كل محسن لما كان منهم وقيل غفور
لمن اذنب شكور مجاز اي يفعل بهم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وزيادة فهو
منعم عليهم بتوفية الثواب والتفضل عليهم بالزيادة او معتد بالحسنة القليلة حتى يضاعفها
فان القليل عند الله كثير وفي الحديث ان عيسى بن مريم قال يا رب اخبرني عن هذه الامة
المرحومة فاوحى الله انها امة محمد حكماء علماء كانهم من الحكمة والعلم انبياء يرضون باليسير
من العطا وارضى منهم باليسير من العمل ادخل احدهم الجنة بان يقول لا اله الا الله ام يقولون
افترى على الله كذبا ام منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة فيه الانكار لقولهم والتوبيخ
اي بل ايقولون اختلق محمد على الله كذبا بدعوى النبوة او القرآن فان يشاء الله يختم على
قلبك استبعاد للافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم عليهم

لما فيه

لما فيه من الدلالة على انه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان مختوما على قلبه جاهلا
بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشاء الله خذلانك يختم على قلبك
لتجترئ بالافتراء عليه وعن قتادة يختم على قلبك ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى
على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل اشعار بان الفساد فضيحة وقع جواب شرط محذوف وعن
مجاهد يختم على قلبك يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر ويجوز
ان يكون المعنى فان يشاء الله افتراك عليه يجعلك من المختوم على قلوبهم ويمح الله الباطل و
يحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفي الافتراء عما يقوله لانه لو كان مفتريا
لمحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه لان من عادته تعالى محو الباطل وتثبيت الحق بكلماته
اي بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله
بمحو باطلهم الذي هم عليه من البهت والتكذيب واثبات حقه الذي هو عليه بالقرآن
او بقضائه الذي لا مرد له من نصرته عليهم وسقوط الواو من يمح في الخط مع اثباتها في
بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان بالشر دعاءه وقوله سندع الزبانية
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى المفعول تارة
بمن لتضمنه معنى الاخذ واخرى بعن لتضمنه معنى العزل والابانة وحقيقة التوبة الندم والاستغفار
لما روت عائشة رضها ان رسول الله صلى الله عم قال التوبة من الذنب الندم والاستغفار وعن
علي رضه التوبة اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة
ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها
حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته والظاهر ان الآية عامة في قبول توبة كل مذنب و
عن ابن عباس قوله عن عباده اي من اوليائه واهل طاعته وقال لما نزل قوله تعالى قل
لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال قوم ما يريد الا ان يحثنا على اقاربه من بعده فاخبر
جبرئيل بانهم قد اتهموه فانزل الله ام يقولون افترى على الله كذبا الآية فقال القوم
يا رسول الله فانا نشهد انك صادق ونتوب فنزل قوله وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفو عن السيئات اي عن صغائر الذنوب وكبائرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون
لا يخفى عليه شيء من افعالهم فلا يفعل كل ما يفعل بهم الا عن علم واتقان وقرأ حمزة والكسائي
وحفص وخلف تفعلون بالتاء على نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وقيل وجه الالتفات به

على الناس كافة ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف
في قوله واذا كالوهم والمراد بالاستجابة اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب
لما يترتب عليه ومنه قوله عم افضل الدعاء الحمد لله ويجوز ان يكون الموصول فاعل الاستجابة اي
يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا
له بالاستجابة وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه
قيل له ما بالنا ندعوا فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب
الذين امنوا وهذا الجواب مع سواله ليس بمرضي عند اهل التحقيق من علماء الاخيار بل الحق الصريح
ان الله يجيب دعاء كل عبد مؤمن بدليل قول النبي عم ان العبد لا يخطى من الدعاء احد ثلث اما
ذنب يغفر واما خير يدخر واما خير يعجل له ومانس وقوله عم ما من مسلم ينصب وجهه لله في
مسئلة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها له واما ان يدخرها له وقوله عم ان المؤمن ليوجر
في كل شيء حتى في الكظ عند الموت وقوله عم ان الله يدعوا بعبده يوم القيمة فيقول الم قلت
ادعوني استجب لكم فهل دعوتني فيقول نعم فيقول ارايت يوم نزل امر كذا مما كرهت فدعوتني
فعجلت لك في الدنيا فيقول نعم ويقول دعوتني يوم نزل بك فلم تر فرجا فقد ذخرته لك في الجنة
حتى يقول العبد ليته لم يستجب لي في الدنيا دعوة رواه جابر وبدليل قوله عم من اعطى الدعاء
لم يحرم الاجابة وقال علي رض قال رسول الله صلى الله عم اذا احب الله عبدا اصب عليه
البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعا العبد ربه قال جبرئيل اي رب اقض حاجته فيقول دعه
فاني احب ان اسمع صوته فاذا دعا يقول لبيك لبيك عبدي وعزتي لا تسألني شيئا الا اعطيتك
ولا تدعوني بشيء الا استجيب لك فاما ان اعجل لك واما ان ادخر لك افضل منه والاحاديث
في هذا الباب كثيرة وان الله يحب الدعوات كلها من عبده المؤمن ولا يخيبه في شيء من دعواته
وكيف يخيب ولا يجيب من اذا لم يسأله عبده يغضب عليه قال ابو هريرة قال النبي عم ان الله
تعالى يغضب على من لم يسأله ولا يفعل ذلك احد غيره والكافرون لهم عذاب شديد بدل
ما كان للمؤمنين من اجر كريم وفضل كبير ولو بسط الله الرزق لعباده ولو وسعه عليهم
لبغوا في الارض اي لظلم بعضهم على بعض لان الغنى مبطرة ماشرة وكفى بحال قارون و
فرعون وهامان عبرة وقوله عم ان اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها او
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا وقال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا

بعد

بعد مركب وملبسا بعد ملبس واصل البغي الطلب ومنه البغية بمعنى المطلوب وقيل اصله طلب
تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية وكيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا
قوله عم فان غم عليكم فاقدروا له الهلال والضمير ضعفاء رواته اي فقدروا عدد الشهر حتى
تكملوا ثلثين يوما ما يشاء ما يقتضيه مشيته انه بعباده خبير بصير عليم خفايا امورهم واحوالهم
وجلايا وجلايلها ودقايقها فيقدر لهم ما يناسب من الفقر والغنى والمرض والصحة حتى
انس عن النبي عم عن جبرئيل عم عن الله تعالى قال يقول الله تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل
اداء ما افترضت وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومويدا ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته وما ترددت
في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن واكره مساءته ولا بد له منه وان
من عبادي المؤمنين من لا يصلح يسألني الباب من العبادة فاكفه عنه لا يدخل عجب فيفسده
ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي
المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من
لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه
الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير وكان
يقول انس اللهم اني من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك
روي ان اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى فنزلت قالت قال خباب بن الارت فينا نزلت
وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير فتمنيناها وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا
تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك
خص بالنافع وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابو جعفر ينزل بالتشديد والباقون بالتخفيف
وهما بمعنى واحد نحو التبشير والابشار من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرى بكسر النون
وقراد الخليل وقنطوا وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وقيل
وقيل ولاه ويبسط المطر كما قال وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقيل اي بركات
الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رض انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس
فقال مطروا اذن هذه الاية وهو الولي المالك السيد الذي يتولى عباده باحسانه

الحميد المستحق للحمد على ذكر او حظم الذي حمده كل شيء على ذلك بلسان الحال والمقال

وقال مقاتل حبس الله المطر عن اهل مكة بسبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذ

كرهم نعمته عليهم ومن اياته خلق السموات والارض لانها تدل بذاتها وصفاتها على وجود

صانع واحد قادر حكيم لا شريك له فانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وما بث فيهما عطف

على الخلق او السموات من دابة من حي على اطلاق اسم السبب للمسبب او مما يدب على الارض

وما يقترن باحد الشيئين او الاشياء قد ينسب الى الجميع كقولهم خرجنا من الشام ودخلنا

الحجاز وانما الخروج من محلة من محالها بل من دار واحدة من دورها وكذا الدخول في

الحجاز ومنه قولهم وقيل يجوز ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصف بالدبيب كما يوصف

به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان

الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اي

وهو قادر بالغ القدرة على جمعهم وحشرهم في اي وقت يشاء ذكر واذا يدخل على المضارع

كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم

بسبب معاصيكم التي عملتها انفسكم واثبات الفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم

يثبتها نافع وابن عامر وابو جعفر استغناء بما في الباء من معنى السببية او لان ما مبتدأة وخبرها

بما كسبت من غير تضمين معنى الشرط ويعفو عن كثير من الذنوب ولا يعاقب عليها والاية مخصوصة

بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها التعريض للاجر العظيم بالصبر عليه ومنها

التطهير لهم وتمحيص الاوزار كما قال النبي عم ان العبد ليمرض فيرق قلبه فيذكر ذنوبه

فيسقط عنه مثل الذباب عن الدوح فيطهره الله من ذنوبه فان بعثه بعثه مطهرا وان

قبضه قبضه مطهرا ومنها البلوغ الى مرتبة لم يكن له ان يبلغها بشيء سواه من العمل

كما قال عم ان الله تعالى ليبتلي المؤمنين بالسقم وما يبتليه الا كرامة عليه فانه لعنده

منزلة لم يبلغها بشيء من عمله دون ان ينزل به من البلاء ما يبلغه تلك المنزلة رواه جبير بن

مطعم وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ما من خدش

عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر وعنه عم لا يصيب المؤمن

مصيبة ذعرة ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا نخبة نملة الا بذنب وما يعفو

الله اكثر وعن علي رضه ارجى اية في كتاب وقال الا اخبركم بافضل اية في كتاب حدثنا

بها

بها النبي عم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير يا علي ما اصابكم من

مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في

الآخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعاقب به بعد عفوه وقال عكرمة ما من

نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او درجة لم يكن الله ليبلغه الا

بها وما انتم بمعجزين في الارض بفائتين ما قضي عليكم من المصائب ان لم تفوتوه وما لكم من دون

الله من ولي يعصمكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجواري السفن الجارية وقرئ الجوار

بحذف الياء ورفع الراء في البحر كالاعلام كالجبال وقال مجاهد القصور ان يشأ يسكن

الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر لا تجري يقال ركدت

السفينة اذا سكنت وثبتت وقرأ قتادة فيظللن بكسر اللام من ظل يظل والمشهور بفتحها

من ظل يظل ان في ذلك لايات لكل صبار بليغ الصبر على احتمال البلايا في طاعة الله تعالى

شكور بليغ الشكر له على نعمائه باستعمال كل عضو من الاعضاء فيما خلق له صبارا عليه فان استعماله

في غيره كفر بنعمة الله تعالى فيه وهما صفتا المؤمن العارف بالله الذي فضله على اصناف خلقه

وكثير من عباده المؤمنين وهو الذي يكون جل همته معرفة الله بالنظر في اياته المنبثة في الافاق

والانفس والتفكر فيها اذ لا علم اجل وافضل من العلم بالله وصفاته العظمى لان جلالة

العلم وفضله بجلالة معلومه وفضله ولا معلوم اجل واشرف من الله ولا عبادة اعظم اجرا

من النظر والتفكر في اياته تحصيلا لمعرفته التي هي في الدنيا جمال لكل ناظر سعيد وكماله وصلاحه

وفخره وفي الآخرة فلاحه ونجاحه وذخره فمن هو اعرف به فهو اشكر له واقرب اليه واجل

قدرا لديه واهوى الفؤاد اليه واهيم الكبد عليه واوفق القلب بين يديه ولذلك قال النبي

صلعم انا اعلمكم بالله واخشاكم بالله لزيادة فضله وكماله في كل شيء من الفضائل والفواضل

والمناقب والمراتب وعن ابن عباس انه قال انه قال اول شيء كتب الله في اللوح المحفوظ انه

انا الله لا اله الا انا محمد رسولي فمن استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته

صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي

فليتخذ الها غيري ولا حاجة بما ذكرنا الى تفسير قوله لكل صبار شكور بقول بعضهم اي لكل

مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر لدخوله في ذلك لان العارف

بالله هو من اكمل الناس ايمانا فهو مؤمن كامل وزيادة او يوبقهن او يهلكهن

بلنصرهم من الجزى باسكان الريح او بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك او يرسلها عاصفة فيغرق ناسا وينجي ناسا عن الغرق منهم وقرئ و يعفو على الاستيناف الكلام ويعلم الذين
اهلها لقوله بما كسبوا بسبب ما كسبوا من الذنوب واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم ليسكن
بسبب عطف عليه فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير فالمعنى يجادلون في اياتنا قرأ
نافع وابن عامر وابو جعفر ويعلم بالرفع على الاستيناف وانه جملة على حدة والباقون بالنصب
عطفا على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونظيره في العطف
على علة مقدرة قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولتجزى كل نفس بما كسبت او على الجزاء ونصب
نصب ما يقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب ومنه قوله والحق بالحجاز فاستريحا وقوله
ان تاتنى آتك واكرمك وقرئ ويعلم بالجزم عطفا على يعف وهو مجزوم كقراءة الحسن في آل عمران
ويعلم الصابرين ما لهم من محيص من محيد من عذابه وقال السدى من ملجاء وقال
قطرب من فرار ومهرب من عذابه والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة
الدنيا اى فما اعطاكم الله من الغنى والسعة في الدنيا فانما هو متاع قليل تتمتعون به اياما
قلايل من مدة حيوتكم فيزول ويفنى وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى فضل في
نفسه وانفع وادوم وما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها
في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن على رض اجتمع لابى بكر مال فتصدق
بماله كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون اى للذين اخلصوا في الايمان وخصوصيتهم بالتوكل عليه لا يسندون امرا
من امورهم الى غيره ولا يعتمدون عليه والذين يجتنبون كبائر الاثم الفواحش واذا ما
غضبوا هم يغفرون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده او مدح منصوب او
مرفوع وقرأ حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك والباقون
كبائر الاثم وهي الشرك والقتل بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار من الزحف والسحر
واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم واكل الربوا والسرقة
وشرب الخمر وشهادة الزور واليمين الغموس وسوء الظن بالله وحب الدنيا وقد جعلها
النبي عم من اكبر الكبائر كما روى سعد وابن مسعود ولعن الرجل والديه سواء كان بوسط
ابن عمرو بن العاص
او بغيره وقال رسول الله عم اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قالوا كيف يسب
والديه قال يسب ابا الرجل وامه فيسب اباه وامه وسب الشيخين ابى بكر وعمر لانهما



ما فيهما من الفضايل بمنزلة الاب لكل مؤمن كمحمد عم لان الله خلق جميع المؤمنين من
نورهما قال ابن عباس قال رسول الله عم ان الله خلقني من نوره وخلق ابا بكر من نوري
وخلق عمر بن الخطاب من نور ابى بكر وخلق المؤمنين كلهم من نور عمر غير النبيين والمرسلين
وبالجملة كل شئ كان اثمه مثل اسم شئ مما تقدم فهو من الكبائر وكذا الاصرار على اى معصية
كانت والمراد بالفواحش الزنا في قول ابن عباس والسدى وقال مقاتل ما يوجب الحد وفي
تقديم الضمير مبتدأ مبنيا عليه فعل المغفرة دلالة بينة على معنى اختصاصهم بالمغفرة لعزهم
الاختصاص بالمغفرة في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس ومثله
قوله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول
الله الى الايمان والعمل فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه باقامة الصلوات الخمس وانما ذكر
اقامة ولم يذكر غيرها من العبادات كايتاء الزكاة والصوم مثلا لانه ما بين العبد والايمان
الا اقامة الصلوة كما لا بينه والكفر الا ترك الصلوة فاذا اقام الصلوة فقد آمن واقام الدين
كما اذا تركها فقد كفر وهدم الدين قال النبي عم بين العبد والكفر والشرك ترك الصلوة
فاذا ترك الصلوة فقد كفر ولانها هي التي يحاسب بها العبد اولا ويفلح وينجح ويجرى على
حسبها ساير اعماله كما قال عم اول ما يحاسب العبد يوم القيمة بصلاته فان صلحت فقد
افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر رواه ابو هريرة قال النبي عم اول ما
يحاسب الرجل صلوته فان كملت بالنافلة ثم يحذ الاعمال على قدر ذلك رواه ابو هريرة والاالتكملة
وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه
ذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد
امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور وفي تغيير النظم بالاسمية دون الفعل كما هو
هو المطابق لما قبله وفعلى الاستجابة والاقامة دلالة على استمرارهم ودوامهم على ذلك وان التشاور
في الامور من عادتهم القديمة روى ان الانصار كانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله
صلعم المدينة اذا كان بينهم اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ينتصرون في الانتصار من ظالميهم على
ما جعل الله لهم كراهة ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق وفيه تنبيه على ان حلمهم وكونهم
محمودين على الانتقام منهم لان من اخذ حقه من ظالمه غير جاهل لامر الله فهو مطيع وقيل

وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران
فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب
مذموم لانه اجراء واغراء على البغي عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي وقال ابن زيد
وبعض المالكية جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم في قوله
واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالميهم ثم بين حد الانتصار بقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلاء يا فالمعنى انه
يجب اذا قوبلت الاساءة ان يقابل بمثلها من غير زيادة واذا قال اخزاك الله يقول اخزاك
الله واذا شتمه شتمه بما شتمه قاله مجاهد والسدي وسفيان الثوري وابن عيينة وعن بعض
الفقهاء في هذه الآية وقد قيل انه الشافعي رضه ان للانسان ان ياخذ من مال من خانه
مثل ما خانه من غير علمه واستشهد في ذلك بقول النبي عم لهند زوجة ابي سفيان خذي من ماله
ما يكفيك وولدك فاجاز لها اخذ ذلك بغير اذنه كذا ذكره القرطبي في تفسيره فمن عفى عن
ظالمه واصلح بالعفو والاغضاء والحلم عنه فاجره على الله عدة مبهمة لا يعرف كنهها لعظم الموعود
قال ابن عمر رضه قال النبي عم اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين العافون عن الناس
هلموا الى ربكم وخذوا اجوركم وحق لكل مسلم اذا عفا ان يدخل الجنة وعنه عم اذا
جمع الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم قليلون
فينطلقون سراعا الى الجنة فيلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن انتم
فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون وما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا
واذا اسيء الينا اغتفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقول لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين
ذكره ابو نعيم الحافظ عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم انه لا يحب الظالمين اي المبتدئين
بالسيئة والمتجاوزين في الانتصار والانتقام وقيل فيه دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن
فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان الجازي من الظالمين
وهو لا يشعر وقال ابن حبان الظالمين اي الذين يبدؤون الظلم وقيل الذين يتعدون
في الاقتصاص ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول اي بعد ما ظلم وقرئ به
والمعنى بعد ظلم الظالم اياه فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاقبة والمعاتبة واولئك اشارة



الى معنى من دون لفظه انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤون الناس بالظلم
وقيل بالاضرار او يظلمون ما لا يستحقونه بجزاء عليهم وقال ابن جريج اي يظلمونهم
بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الارض بغير الحق اي ويتكبرون في الارض ويعلون
ويفسدون فيها اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على احتمال الاذى
وغفر فلم ينتصر وتجاوز عن ذلك ان ذلك الصبر والمغفرة لمن عزم الامور من عزومات
الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون وحذف منه لانه مفهوم
كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم اي ان ذلك منه لمن عزم الامور وقال مقاتل من
الامور التي امر الله بها ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده فليس من ناصر يتولاه من
بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرون العذاب وجاء
بلفظ الماضي على عادة الله في اخباره وان المستقبل عنده بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع
يقولون هل الى مرد من سبيل هل الى نوع رجع الى الدنيا من طريق فنسلكه وهذا القول
منهم انما هو من كمال شدة ما هم فيه وفرط يأسهم تعللا وتحيرا وتريهم يعرضون عليها
على النار يدل عليها العذاب خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل
من الهوان والخزي وقد يتعلق هو بقوله ينظرون ويوقف على خاشعين وقرأ الخليل
من الذل بكسر الذال ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم
ضعيف خفي بمسارقة كالمصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر
ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم
لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب وهو ضعيف سديد يأباه لفظ الطرف تحريك الجفن
بالنظر ولان ضمير ينظرون عائد الى الظالمين الرائين العذاب وقال الذين امنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخلد يوم القيمة
ظرف لخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا او لقال اي يقول الذين امنوا
ذلك اذا راوا الظالمين على تلك الحال والصفة الا ان الظالمين في عذاب مقيم دائم لا عزوجلهم
منه ولا خلاص عنه نعوذ بالله من ذلك وهو اما تمام كلام المؤمنين او تصديق من
الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له
من سبيل فليس له طريق مما الى الهدى او النجاة من العذاب استجيبوا لربكم بالايمان به

واطيعوه فيما امر به ونهى عنه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله من صلة مرد اى
لا يرده الله بعد ما حكم به او صلة ياتي اى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يمكن لاحد رده
ما لكم من ملجا يومئذ من مفر يلتجئون اليه وما لكم من نكير النكير الانكار والمعنى ما لكم مخلص
من العذاب وما لكم انكار لما في شئ مما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم وتشهد به
السنتكم وجوارحكم وتاكيد النفي فيهما بمن الاستغراقية يفيد ما ذكرنا من العموم وقيل
من نكير اى من منكر يغير ما بكم فان اعرضوا عن الاستجابة لربهم بالايمان والطاعة فما
ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا تراقب احوالهم او محاسبا تحاسبهم عليها ان عليك
الا البلاغ اى ما يجب عليك الا التبليغ الرسالة بحسب وقد بلغتها فلا يهمنك اعراضهم و
انا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها الانسان للجنس لما ياتي بعده من ضمير الجمع
العايد اليه والرحمة النعمة من صحة وامن وجدة اى اذا انعمنا على الانسان بنعمة
فرح بها وان تصبهم سيئة بلاء من مرض وخوف وفقر بما قدمت ايديهم بما عملت
ايديهم من كفرانهم نعم الله وعصيانهم فيها وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تباشر بها
فجعل كل عمل كالصادر بالايدي على طريق التغليب فان الانسان كفور عظيم الكفران
للنعم الواصلة اليه نساء لها ينسى ويجحد باول شدة جميع ما وصل اليه من النعم وقيل
بليغ الكفران ينسى النعمة راسا بالكلية ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا و
ان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واتصاف جميعهم فيه واقام المظهر
مقام المضمر حيث لم يقل فانه كفور تسجيلا به على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم
كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود ولما كانت نعمة الله كثيرة
لا يعد ولا يحصى محضو لها مقطوع بها والسيئة بالاضافة اليها نادرة جدا جاء في جانب
الرحمة التي هي النعمة بلفظ الماضي مع اذا وفي جانب السيئة بلفظ المضارع مع ان فان
الاصل في اذا القطع بوقوع الشرط والماضي يدل على وقوعه قطعا نظرا الى نفس اللفظ و
الاصل في ان عدم القطع بوقوع الشرط والمضارع الدال على الندرة متردد بين
الوقوع وعدمه فلا يقطع به فان الحكم النادر غير مقطوع به في الغالب ولما ذكر اذاقة
الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذكر ما يدل دلالة قاطعة بازلة الملك وانه
يقسم النعمة والبلاء ويقدرهما بين مماليكه كما تقتضيه مشية الربانية وقسمة الالهية

بلغ

يخلق

يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال
اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض
يعني يجعل احوال العباد مختلفة في الاولاد على موجب مشية فيخص بعضهم بالاناث
وبعضهم بالذكور وبعضهم بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط و
تقديم الاناث لانها من اكثر لتكثير النسل او لرعاية الترتيب الواقع اولا في الهبة لنوع
الانسان فانه تعالى وهب اولا لآدم زوجته حواء بان ولدها منه وخلقها من قصيراه او
لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق مشية الله به لا مشية الانسان والاناث
كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او
لمراعاة الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث
لانه قسم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه لانه قسيم المشترك بين الاقسام
المتقدمة وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا
ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بليغ العلم بكل شئ مما كان ويكون
قدير بليغ القدرة على كل مقدور ولا يفعل كل ما يفعله الا بحكمة بالغة واختيار تام وما
كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا وحيا الا من طريق الوحي وهو الاعلام في
خفاء وكذا الايحاء وعن الزجاج الايماء يسمى وحيا يقال اوحى اليه بمعنى اوما وقيل هو
كلام خفي يدرك بسرعة لانه تمثل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات
متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية
والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه
يخصه بالاول والآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل الالهام والالقاء
في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى
الله الزبور الى داود في صدره وقيل هو الوحي المنزل به الملك الى الرسل وعلى هذا يراد
بالرسول في قوله او يرسل رسولا النبي الذي يبلغ وحيه الى امته وعلى الوجه الثاني
يراد به الملك الموحي الى الرسول او من وراء حجاب مثل اى كما يكلم الملك المحتجب بعض
خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم
الملائكة وقرا ابن عبلة او من وراء حجب وهو عطف على وحيا فالجار والمجرور

في موضع النصب على الحال كقوله وعلى جنوبهم وكذلك قوله او يرسل رسولا تقديره
وما صح له ان يكلم الله احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا او على المصدر
لان من وراء حجاب صفة لكلام محذوف والارسال نوع من الكلام فيوحي باذنه
ما يشاء اي فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه وقرأ نافع او يرسلُ بالرفع فيوحي
بسكون الياء على تقدير او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا والباقون
بالنصب باضمار ان كانه قال او ان يرسل فيوحي بالنصب ايضا عطفا على يرسل ومن جعل
وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان
يرسل وجب عليه ان يقدر او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه مثل ان يسمع من وراء
حجاب روي ان اليهود قالت للنبي عم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى و
نظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت انه علي عن صفات
المخلوقين حكيم متقن بالغ الاتقان في كل شيء او ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله فيتكلم تارة بوسط وتارة
بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي وكما
اوحينا الى ساير رسلنا اوحينا اليك روحا من امرنا وامرنا وهو ما اوحي اليه من
القران لان الخلق يحيون به في دينهم ودنياهم لما يحيى الجسد بالروح وقيل جبرئيل والمعنى
ارسلناه اليك بالوحي وقال ابن عباس اي نبوة وقال الحسن وقتادة اي رحمة وقال
السدي ومقاتل وحيا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وقد استدل
به على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع وقال
محمد بن اسحق المراد بالايمان هنا الصلوة كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم
الى بيت المقدس وقيل قوله ولا الايمان محمول على حذف المضاف تقديره ولا اهل الايمان
اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس او غيرهما قاله الحسين بن الفضل وقال ابو العالية
ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القران ولا كيف ان تدعو الخلق الى الايمان ولكن جعلناه
اي جعلنا الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق
للايمان والنظر فيه والارشاد اليه وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي لتدعو وترشد
الى الاسلام وقرئ لتُهدى اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول
الذي له ما في السموات وما في الارض اي الذي يختص به جميع ما في السموات وجميع ما في الارض

خلقا

خلقا وملكا وعلما الا الى الله تصير الامور امور الخلايق كلها في الدنيا والاخرة فلا يدبرها
الا هو حيث لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وقيل اليه تصير الامور بارتفاع
الوسايط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عم من قرأ حم
عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف تسعة
او سبع وثمانون آية مكية وقال مقاتل الا قوله واسال من ارسلنا بسم الله الرحمن
الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالكتاب المبين وهو القران
على انه جعله قرانا عربيا وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما
من واد واحد كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ومعنى المبين الكامل في البيان او في
ابانته الحق من الباطل وما تحتاج اليه الامة من الشريعة او الظاهر امره في اعجاز العرب
وتبكيتهم او الذي يبين لمن تدبره ما فيه من العلوم والحكم والشرايع وانه من عند الله
لا من عند البشر او الواضح الذي لا يخفى على احد ان اعجازه ظاهر مكشوف واشتبه
على العرب لنزوله بلسانهم واساليبهم وجعل بمعنى صير وقال السدي اي انزلناه قرانا
عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه ووصفناه كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا وقوله وجعلوا القران عضين وقوله اجعلتم سقاية الحاج فان كلها بمعنى الوصف و
التسمية وقيل المراد بالكتاب ههنا جميع الكتب المنزلة على الانبياء لان الكتاب اسم جنس
فاقسم بجميع الكتب السماوية على انه ~~وقيل المراد بالكتاب~~ جعل القران عربيا والضمير في جعلناه
للقران وان لم يجر له ذكر كقوله انا انزلناه في ليلة القدر لعلكم تعقلون في موقع النصب
على المفعول له اي جعلناه قرانا عربيا كي تفهموه او طلبا ان يفهموه او ارادة ان تفهموه
وتحيطوا بمعانيه فلا يلتبس عليكم ولئلا تقولوا لولا فصلت اياته او على الحال اي جعلناه
عربيا غير عجمي مقدرين رجاءكم عقله وفهمه على ان التقدير من الله حال الجعل و
الرجاء من العباد او طالبين عقلكم وفهمكم اياه فان من لا يصح عنه تغير لعل
بالارادة لاستلزامها وقوع المراد ولا بالتعليل لامتناع تعليل فعل الله بالغرض
وجب ان يفسر بالطلب لانه لا استلزام وقوع المطلوب على ما بين في اصول الدين
من ان الطلب غير الارادة على ان منع التعليل بالغرض العايد الى العباد بعيد عن
الصواب جدا لمخالفته كثيرا من النصوص وانه معطوف على ان في ام الكتاب اي في اللوح

المحفوظ لانه اصل الكتب السماوية الذى منه تنقل وتستنسخ او في كتاب هو عند الله فوق العرش وهو الاصح لقوله النبى عم ان الله عز وجل كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض وهو عنده فوق العرش والخلق منتهون الى ما في ذلك الكتاب وذلك الكتاب وذلك تصديق الله تعالى في كتابه وانه في ام الكتاب لدينا لعلى حكيم رواه انس رضه وقراه حمزة والكسائى ام بكسر الهمزة اتباعا للميم لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلى رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا يتطرق اليه نسخ و لا تبديل وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده عنكم الذكر ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض اى صرفها وبعدها عن الحق قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس ومنه قول الحجاج لاضربنكم ضرب غرايب الابل والهمزة للانكار والفاء للعطف والمعطوف عليه محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر اى فنضرب عنكم القران وما فيه من الامر والنهى والوعد والوعيد صفحا اى اعراضا على انه مصدر من غير لفظ فعله فان صرف الذكر وتبعيده عنهم اعراض وتجوز ان ينتصب على المفعول له اى للاعراض او الحال بمعنى صافحين معرضين واعلم ان قولهم صفح عنه معناه الحقيقى ولاه صفحة وجهه ومعناه المجازى اعرض عنه وما قيل ان الصفح ههنا بمعنى الجانب فهو في هذا التفسير محمول على حقيقته لان صفح الشيء وصفحته وجهه وجانبه ومنه صفحتا السيف بعين اى الوجه وجانبه وعلى هذا يكون ظرفا كقولك ضعه جانبا وامش جانبا ويتضح انه قرى صفحا بضم الصاد وفي هذا القرائة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمقصود انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليعقلوه ويعملوا بموجبه ان كنتم قوما مسرفين قراه نافع وحمزة وابو جعفر والكسائى وخلف ان كنتم بكسر الهمزة توبيخا للمخاطبين على الشرط تعييرا لهم عليه وذكر ان الشرط وهو مسرفين اى مشركين متجاوزين الحد في الكفر والطغيان مقطوع به ولكن استعمل ان مع تحقق اسرافهم لقصد التوبيخ والتنبيه على ان الاسراف ينبغى ان لا يسند الى العاقل الا على سبيل الفرض والتقدير كما يفرض المحال للمبالغة والتبكيت والالزام لاشتمال المقام على الايات الدالة على ان الاسراف مما لا ينبغى ان يصدر





على العاقل اصلا فهو بمنزلة المحال والمحال وان كان مقطوعا بعدم وقوعه لكنه في هذا المقام ينزل منزلة ما لا قطع بعدمه على طريق المساهلة وارخاء العنان لقصد التبكيت والالزام فلاجل هذا يصح استعمال ان فيه كما صح في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا مع ارتيابهم في حقيقة القران وقوله ان كان هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة اى ان كان حقا فعذبنا على الكلام يريد به نفى حقيقته ولا شك ان تعليق بكونه حقا مع اعتقاد انه باطل تعليق بالمحال ومنه قوله وان كنتم في ريب من البعث وقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله ولو سمعوا ما استجابوا لكم والباقون بفتحها اى لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض قراه زيد بن على اذ كنتم بالذال وكم ارسلنا من نبى في الاولين كم مفعول ارسلنا ومن بيانية لابهامها اى كثيرا من الانبياء ارسلنا فيهم وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون حكاية حال ماضية مستمرة لان ما انما يدخل على مضارع في معنى الحال او على ماض قريب منها اى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلعم عن استهزائهم فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله مخبرا عنهم انا اهلكنا اقوى من قومك المسرفين من حيث البطش وهو الاخذ الشديد عند الغضب والتناول عند الصولة ومضى مثل الاولين اى وسلف في القران قصتهم العجيبة التى هى المثل السائر وهذا وعد لرسول الله ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى ليسندن خلقها الى الذى من صفته العزة على كل شيء وغير ذلك من اوصاف الخاصة التى لا يشاركه فيها احد كجعل الارض مهادا وخلق السبل فيها وتنزيل الماء من السماء والظاهر ان هذا من قول الله لا من قولهم وقيل يجوز ان يكون لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في موضع آخر وهو الذى من صفته ما يتفرد من الصفات وان يكون مقولهم وما بعده استيناف وبالجملة ففيه تنبيه على انهم يقرون قطعا ويقينا بان الله خالق هذه الاجسام العظام التى لا يقادر قدرها وبعزته التى هى قدرته على كل شيء وبعلمه وساير صفاته العظمى ثم ينكرون قدرته على بعث الانسان وحشره من اوان جسمه بالقياس الى تلك الاجسام قليل مهين ويجعلون له مع ذكر الاقرار من عباده جزءا هو عندهم

شبه الجزئين وابغضهما تسجيلاً على انفسهم بكمال جهلهم وفرط غيهم وضلالهم الذي جعل
لكم الارض مهاداً اي جعل الارض مسكناً لكم تتعدون عليها وتنامون وتتقلبون كما يتقلب
احدكم على مهاده وفراشه وجعل لكم فيها سبلاً طرقاً تسلكونها والموصول مع صلته اما
ان يكون في محل الرفع وصفاً للعزيز العليم او على المدح والتعظيم واما ان يكون نصباً على
المدح والتعظيم بتقدير هو الذي جعل او اعني الذي وقرأ زيد بن علي مهداً بسكون
الهاء لعلكم تهتدون علة لجعل اي لكي تهتدوا الى منافعكم او طلباً لاهتدائكم او حال
منه اي جعلها مهاداً وفيها سبلاً مقدراً رجاءكم الاهتداء او طلباً اياه فيكون التقدير
او الطلب من الله حال الجعل ورجاء الاهتداء من العباد وقال سعيد بن جبير لعلكم
تعرفون نعمة الله عليكم والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينتفع العباد والبلاد
ويسلمون به من الهلاك فانشرنا به فاحيينا بذلك الماء بلدة ميتاً ارضاً جدبة لا نماء فيها
وتذكير لان البلدة بمعنى البلد والمكان وقرأ ابو جعفر وعيسى بن عمر ميّتاً بالتشديد كذلك
تخرجون اي كما انشرنا هذه البلدة الميتة كذلك ننشركم بان نخرجكم احياء من قبوركم
والكاف في محل الرفع على الابتداء اي مثل ذلك الانشار والاحياء تنشرون من الارض والذي
خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات بأسرها لا يشذ شيء منها عن ايجاده واختراعه و
جعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي
بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر
او الحيوان على الجماد وتقديم البيان على المبين للمحافظة على الفاصلة النونية وتقديم الفلك
على الانعام لان الفلك ادل دليل على القدرة الباهرة والحكمة البالغة كما لا يخفى على من شاهد
ها والمراد بها السفن الجارية في البحر كالاعلام لتستووا على ظهوره اي على ظهور ما
تركبون وهو الفلك والانعام وجمع باعتبار المعنى والاستواء الركوب ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه ثم تذكروها في قلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه وحقيقته
وجد قرينته وما يقرن به اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف
لا تقرن به الصعبة وقرئ مقرّنين بالتشديد والمعنى واحد وقال علي بن ربيعة شهدت
علي بن ابي طالب حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى قال



الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم
حمد ثلاثاً ثم كبر ثلاثاً ثم قال لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
ثم ضحك فقلت له ما يضحكك يا امير المؤمنين قال رأيت رسول الله صلعم فعل مثل ما فعلت
وقال مثل ما قلت ثم ضحك فقلنا ما يضحكك يا نبي الله قال العبد او قال يعجب للعبد اذا
قال لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه لا يغفر الذنوب
الا هو خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وعن ابن عباس قال النبي صلعم اذا ركب العبد
الدابة فلم يذكر اسم الله عليه ردفه الشيطان وقال له تغن فان قال لا احسن قال له تمنّ
فلا يزال في امنيته حتى ينزل وانا الى ربنا لمنقلبون اي لراجعون واتصاله بذلك لان الركوب
للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله ولانه مباشرة امر مخطر واتصال سبب من اسباب
التلف فيجب على الراكب ان لا ينسى عند اتصاله به يوم هلاكه الذي يتقلب فيه الى الله لا محالة
ويستعد للقائه ولا يبرح ذكر ذلك قلبه ولسانه وجعلوا له من عباده جزءاً متصل بقوله
ولئن سألتهم من خلق السموات ليقولن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده
ولداً لانهم قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه كما يكون الولد بضعة من والده
وجزءاً له وقيل ولعله سماه جزءاً كما سماه بعضاً لان بعضه من الولد دلالة على احالته على
الواحد الحق في ذاته وقال الزجاج والمبرد الجزء ههنا البنات وقال الماوردي في تفسير الجزء
عند اهل العربية البنات يقال قد اجزأت المرأة اذا ولدت البنات قال الشاعر ان اجزأت
حرة يوماً فلا عجب قد تجزئ المذكار احياناً قال جار الله ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث
وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث
منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتاً وبيتاً ان اجزأت حرة
يوماً فلا عجب زوجتها من بنات الاوس مجزئة وقرئ جزؤاً بضم الزاء اتباعاً للجيم ان الانسان
لكفور مبين لعظيم الكفران والجحود لنعمة ربه ظاهر كفرانه وجحوده ولذلك نسب الولد اليه
او لشديد الكفر بربه كامل في بيان شدة كفره او في انهما بنسبة الجزء المستلزم للتركيب
المستلزم للجسمية والتحيز والحدوث والمجانسة والمماثلة الى الواحد الحقيقي الذي هو
منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يلزمه من الجسمية والتشبيه والتحيز
والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود وسائر الصفات المقتضية للالوهية فتبارك

فناسب الجزء اليه جمع في كفرهم ثلاث كفرات فلا يكون في الكفار ابلغ وابين كفرا منه وقيل ظاهر
الكفران ومن ذكر نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل والتحقق لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات
واصفاكم بالبنين اضراب عن جعلهم له جزءا الى جعلهم له جزءا اهون الجزئين وشرهما ومعنى
الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قال دع نسبتهم الجزء اليه وانظر الى نسبتهم المستنكرة المقتضي منها العجب
ان جعلوا له شر الجزئين وهو الاناث ولانفسهم خيرها واعلاها وهو الذكور وفيه ان نسبة الجزء
الى الله نكير وعجيب ونسبة البنات اليه انكر واعجب ومن ثمة اضرب من ذكر الى هذا واتهم فضلوا
انفسهم على ربهم بجعل الادنى له والاعلى لهم واستهانوا به حيث جعلوه والدا الزموا ان يكون شبيها
بالمخلوقات ومجانسا لها وان يكون له من شبهه وجنسه صاحبة وبالملائكة حيث انثوهم ونسبوهم
الى انقص الناس عقلا ودينا وعن الكلبي قالوا ان الله تزوج من الجن فخرج منها الملائكة سبحان
الله وتعالى عن كل ما يقول الظالمون علوا كبيرا وعن ابن عباس من الملائكة حي يقال لهم الجن
منهم ابليس قالوا هم بنات الله والاصفاء الايثار اي اثركم الله على نفسه بالبنين وترك البنات
وعرف البنين وقدمهن في الذكر عليهم لما مر في قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا واذا اخبر احدهم بالجنس الذي جعله للرحمن مثلا اي شبها
لان الولد يجانس الوالد ويماثله لا محالة يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم
اذا قيل له قد ولدت لك بنت ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لفرط الكآبة والحزن
او الكراهة فان اسوداد الوجه مما يصاحب نحو الحزن والكراهة وهو كظيم وهو مملو من الكرب
وذلك لان البنات ابغض الاشياء اليهم ولقد بلغ بهم البغض والنفرة الى ان وادوهن وعن
بعض العرب ان امراته ولدت انثى فهجرت بيتها فقالت ما لابي حمزة لا ياتينا يظل في البيت
الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شئنا وانما ناخذ ما اعطينا وقرئ
مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشا في
الحلية الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اينسب اليه جزء ومن ينشا
في الحلية وقيل المعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو
انه ينشا في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وقيل اي او جعلوا له او اتخذ من يتربى
في الزينة يعني البنات وهو في الخصام غير مبين وهو في المجادلة مع من يجادله غير موضح
للبرهان على ما يدعيه لنقصان العقل وضعف الراي وقال قتادة في هذه الآية قلما

ما تكلم

ما تكلم امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ويجوز ان يكون من مرفوعا بالا
بتداء لا بالفعل المقدر كما ذكرنا وخبره محذوف اي او من هذا حاله ولده ويجوز مجيء السنة
في تفسيره ان يكون مجرورا عاطفا على قوله مما يخلق وقوله بما ضرب وفي الخصام متعلق بمبين واضافة
غير اليه لا تمنعه وقرا حمزة والكسائي وحفص وخلف ينشا بتشديد الشين اي يربى والباقون
ينشا اي يتربى وقرئ ينشا وقرئ يناشا وكلاهما بمعنى ينشا بالتشديد ونظيره هذا
*من الانشاء ح*
الثلاثة في انحاء المعنى اعلاه وعالاه وعلاه وقرا الاعرج والزهري ينشو بفتح الياء وترك الهمزة
وفي هذه الآية دلالة بينة لكل ذي عقل سليم على تركها التشوف في الزينة والنعومة والحذر عنه لانه مما
جبله من المعايب والمذام ومن صفات الاناث ويفصل قوله النبي عم لمعاذ اياك والتنعم
فان عباد الله ليسوا بمتنعمين والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من الماكولات والملبوسات
والعجب كل العجب من علماء عصرك ومتفقهة زمانك يتلون هذه الآية ونحوها والاحاديث
المطابقة لها في المعنى ولم يتاملوها تاملا صحيحا ولم يتبعوا فيها بينهم الكلام في الترك الزينة
والتنعم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفرا آخر يتضمنه مقالهم شنع بجعلهم
وهو جعلهم اكمل عباد الله واكرم عليه واقواهم ادناهم وانقصهم وكتملهم بالمعايب والمذام
واضعفهم ونعم ما قال من قال فقد جمعوا في كفرهم ثلث كفرات نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه
اخس النوعين وجعلوا من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله فاستخفوا بهم واحتقروهم
وقرا نافع وابن عامر وابن كثير وابو جعفر ويعقوب عند الرحمن قصدا به الى رفع الدرجة
والكرامة والباقون عباد الرحمن جمع عبد ونظيره قوله بل عباد مكرمون وفي اخباره
بانهم عباده رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم الملائكة بنات الله لان البنات لا
*والولد لا يكون عبدا لابيه ح*
تكون عبادا له وروى الحلواني عن مالك بن دينار عن عكرمة انه قرا عباد الرحمن بالنصب
وكذلك ابن يعمر وقرئ عبيد وقرئ اُنُثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث اشهدوا
خلقهم اي احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا لان ذكر مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل
لهم وتهكم بهم وقرا نافع وابو جعفر اؤشهدوا بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين
بين وقالون اا شهدوا بالف بينهما وكلا القرائتين من الاشهاد بمعنى الاحضار والباقون
اشهدوا بهمزة مفتوحة هي الاستفهام وبفتح الشين من الشهادة بمعنى الحضور ونحوا على
ادعائهم ما لم يشهدوه ولم يشهدوه حتى يكون قولهم عن مشاهدة ان يتبعون الا الظن

والوهم وهوى الانفس ستكتب شهادتهم وابن ابي عبلة ستكتب شهاداتهم وقراه ابن عمر
يسألون بوزن يتفاعلون وقال الكلبي ومقاتل لما قالوا الملائكة بنات الله سالهم النبي
صلعم فقال ما يدريكم انهم اناث قالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا
فقال الله ذلك والسين لمجرد التاكيد كما في قوله سنكتب ما قالوا وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم اي لو شاء الرحمن عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشية
عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض
الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى
كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل
ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله
ام انزلنا عليهم كتابا من قبل الرسول او القران او ادعائهم يشهد بصحة ما قالوا
من عبادة غير الله وكون الملائكة بنات فهم به مستمسكون بذلك التمسك به اذا اعتصم به و
الضمير في به للكتاب بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة على دين وملة اي بل لا حجة لهم
على ذلك يحتجون بها هذه والامة الطريقة التي تؤم وتقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئت
بكسر الالف وهي الحالة التي يكون عليها الام وهو القاصد وقال مجاهد على امام وقال
الاخفش على استقامة وقيل على نعمة وحالة حسنة وانا على اثارهم مهتدون وانا نهتدي
باتباعهم والظرف صلة مهتدون قدم عليه للاختصاص وتستعمل بعلى لتضمنه معنى
الثبوت وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون اي كما لا حجة لهؤلاء على ما ادعوه من الكفر
والشرك الا قولهم بتقليد ابائهم كذلك لا حجة لمن كان قبلهم الا هذا او كما قال هؤلاء
كذلك قال من كان قبلهم من غلاة الكفرة ورؤسائهم وهم المترفون الذين اترفتهم
النعمة وسعة العيش اي ابطرتهم وقيل مترفوها اي منعموها من الملوك والجبابرة
والظاهر انهم ومن يضاهيهم من الذين يتمادون في الشهوات ويتباهون به
بزخارف الدنيا ويتبالغون في النفرة مما يلزمهم في الدين من التكاليف الصعبة
والمشاق المتعبة وقيل نزلت في الوليد بن وابي سفيان وابي جهل وعتبة وشيبة ولا

يخفى

ن الاقولهم ح

يخفى ما في ذكر من التسلية لرسول الله والاشعار بان التقليد في نحو ذلك كفر بليغ و
ضلال بعيد وان قدماءهم قالوا مثل قولهم تشابهت قلوبهم ولعل تخصيص المترفين
بالذكر اشارة الى القائلين بهذا القول من قريش ومن تقدمهم انما تفوهوا به من اثر اقبالهم
وانهماكهم في التنعم واتباع الشهوات وقيل تخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب
البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون
اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم والظاهر انه خطاب لرسول الله صلى الله
عم وقيل يجوز ان يكون حكاية امر ماض اوحي الى النذير ويؤيده انه قرا ابن عامر
وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك
عنه وان جئتنا بما هو اهدى اقناط منهم بتصميمهم على تقليد ابائهم في الكفر والضلال وافناما
للذين من ان ينظروا ويتفكروا فيه وقرا ابو جعفر قل اولو جئناكم والاخرون اولو
جئتم بآية فانتقمنا منهم بعذاب الاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين آخرهم
فلا تلتفت الى كفرهم ولا تبال بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا
ليروا كيف تبرا عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه لانه اشرف ابائهم لابيه
وقومه انني براء مما تعبدون اي بريء من عبادتكم لغير الله او معبودكم والهة تعبدونها
على ان ما مصدرية او موصولة او موصوفة وبراء مصدر نعت به ومن ثمه استوى فيه
الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث نحو الخلي البراء منك والخلاء منك وقرا براء
بضم الباء وهو مصدر ايضا كثؤراء وقرئ بريء وهو ايضا مصدر بمعنى وصف ويجوز
ان يكون وصفا والمصدر ابلغ وهو انسب بكل مؤمن سيما ابرهيم عم وقرا الاعمش
بريء بكسر الباء الا الذي فطرني منصوب على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني
او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم فانهم كانوا يعبدون الله والاوثان ويجوز ان
يكون الا صفة بمعنى غير على ان ما موصوفة تقديره انني براء من الهة تعبدونها غير الذي
فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فانه سيهدين سيرشدني لدينه
او يمدني بالهداية او يثبتني على وراء ما هداني اليه او سيهديكم بالهداية و
جعلها وجعل الله لو ابرهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون
الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى

الى توحيده وما قيل من ان عقب الرجل اولاد الذكور كما وقع في اجناس الناطقين او اولاد
البنات كما نقل عن بعض الفقهاء فكلا القولين ضعيف جدا الا ان يوجه بذلك وقرئ كلمة في عقبه
بسكون القاف وفي عقبه على التخفيف وقرئ في عاقبه اي فيمن عقبه وخلفه لعلهم يرجعون لعل
المشركين منهم يرجعون عن الاشراك الى التوحيد بدعاء من وحد منهم وقال السدي
لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله بل متعت هؤلاء واباءهم بل متعت اهل مكة الذين
هم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات
وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد وطاعة الرحمن قرأ نافع برواية ابن يعمر ويعقوب بسعيد متعت
بفتح التاء وفي حرف ابن مسعود متعنا حتى جاءهم الحق القران وقيل دعوة التوحيد وقال
الضحاك الاسلام ورسول مبين ظاهر الرسالة لما معه من المعجزات الباهرة او موضح للتوحيد
والاسلام بالحجج والايات او مبين لهم طرق الهدى من طرق الضلالة وما يحتاجون اليه وقرئ بل
متعت بفتح التاء على انه اعتراض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم لانه اذا
متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد
لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا والمراد توبيخهم على اشتغالهم بالتمتع عن التوحيد
ولما جاءهم الحق ليهديهم الى صراط مستقيم ويوقظهم عن سنة غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به
كافرون يعني كفروا به على البديهة قبل ان يتدبروا تقليدا لابائهم وازدادوا كفرا الى
كفرهم بان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف به ومن
كفرهم انهم سموه سحرا استجيلا على انفسهم بالانهماك في التمرد والعناد ولذلك اعترضوا
على حكمة الله في تخيير محمد من اهل زمانه بقولهم الذي حكى الله عنهم وقالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم اي على رجل من احدى القريتين مكة والطائف عظيم
بالجاه والمال ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما وقيل من رجلي
القريتين وهما الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف وقال مجاهد عتبة بن
ربيعة من مكة وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف وعن ابن عباس الوليد من مكة و
حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من الطائف وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل
هذا القران علي او على عروة بن مسعود الثقفي وذلك لان الرسالة منصب عظيم لا يليق
الا بعظيم وهؤلاء الغلظاء هم العظماء عندهم لترؤسهم وتقدمهم في الدنيا وذهلوا

عن

عن انها مرتبة مخصوصة بمن عظمه الله في الدنيا والاخرة وفضله على خلقه وهو محمد الذي لولاه
لما خلقت الجنة والدنيا كما قال عم اتاني جبرئيل فقال يا محمد ان الله يقرا عليك السلام
ويقول وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت الدنيا وقيل ولم يعلموا
انها رتبة روحانية تستدعي عظيم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف
بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك همزة الاستفهام للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا
من شانهم حيث لم يرضوا بمن اختاره الله لرسالته واصطفاه للنبوة التي هي رحمة الشاملة
للعالمين حتى اعترضوا وتحكموا ان يكونوا هم المدبرين لامر الرسالة والتخير لها من
يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمته التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته
ثم ضرب لهم مثلا بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اعلاما لهم بانهم عاجزون
عن تدبير معيشتهم التي هي حويصة امرهم في دنياهم فكيف يكون لهم القدرة على ان يدبروا
امر النبوة التي هي رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى ولا مرتبة اعلى منها في مراتب العباد وكلهم
ولا اشرف منها واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى قرأ ابن مسعود
وابن عباس معايشهم بالجمع ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقدرنا بينهم التفاوت
في الرزق وغيره ولم نسو بينهم في الفضائل والفواضل ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا
في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في اشغالهم ليتعايشوا ويتعاونوا ويتشاركوا
في تحصيل ما يحتاجون اليه من المنافع التي هي الغذاء والملبس والمسكن ونظيرها ولو وكلهم الى
انفسهم وولاهم تدبير امرهم لخرج نظامهم وهلكوا وبعبارة اخرى كما قيل ليستعمل
بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم الف ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع و
لا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه
وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا باموالهم بالعبودية والملك وقرأ مجاهد وابن محيصن
سخريا بكسر السين ورحمة ربك يعني وهذه الرحمة وهي النبوة وما يتبعها وقيل هي دين
الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمعون مما يجمع هؤلاء الكفار من حطام الدنيا
والعظيم من رزق من ذلك لا من هذا الحقير الدني وقيل الجنة خير للمؤمنين مما يجمع الكفار
من الاموال ولولا ان يكون الناس امة واحدة الجمهور منهم ابن عباس والحسن على ان معناه
ولولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الاخرة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن

لبيوتهم سقفا من فضة لاعطيناهم في الدنيا وصفناه في هذه الآية لحقارة الدنيا و
هوانها عند الله تعالى وقال ابن زيد ولولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا و
اختيارهم على الآخرة وقال الكسائي لولا ان يكون في الكفار غني وفقير لاعطينا الكفار من
الدنيا هذا لهوانها ولبيوتهم بدل الاشتمال من قوله لمن يكفر باعادة الجار وكلمة كما في قولك
وهبت له ثوبا لقميصه واللام الاولى للصلة في الوجهين وقراه ابن كثير وابو عمرو سقفا
بفتح السين وسكون القاف لجمع البيوت وقيل لانه مفرد اريد به الجمع والباقون سُقُفًا
بضمهما جميعا على انها جمع سقف كرُهُن جمع رهن وقيل هو جمع سقيفة وقرئ سُقْفًا
بضم السين وسكون القاف على التخفيف من سُقُف وقرئ سَقَفًا بفتحهما على انه لغة
في سقف وقرئ سُقُوفا كفُلُوس وفلوس ومعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد
الى العلالي وقرأ طلحة معاريج بزيادة الياء عليها يظهرون اي على المعارج يعلون السطوح ويرتقونها
من ظهرت على السطح اذا علوته وارتقيت اليه ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن اي ابوابا
وسررا من فضة وزخرفا وزينة من كل شيء فيكون عطفا على سقفا او ذهبا فيكون عطفا
على محل من فضة فيكون اصل الكلام سقفا من فضة وزخرف يعني بعض السقف من فضة و
بعضها من ذهب ثم نصب عطفا على محله وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرا عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه
لما بتشديد الميم بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما وقرئ لِما بكسر اللام اي للذي هو متاع
الحيوة الدنيا وحاصل الكل واحد وهو ان كل ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا يزول ويفنى
وقرا ابو رجاء وان كلا بالنصب كقوله وان كلا لما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر و
المعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بالاحلة لم يجعل ذلك
للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم في الآخرة
مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن
ذكر الرحمن يتعامى ويعرض عن ذكره فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه لفرط اشتغاله بالمحسوسات
وانهماكه في الشهوات وقرئ يعْشَ بفتح الشين اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة
وعشا اذا نظر العشا ولا آفة به كعرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجاء من
غير عرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمراد بالذكر ههنا القرآن

ومعنى

ومعنى هذه القراءة الاولى يتجاهل وهو من يتعامى عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتوقف
ويجحد به تجاهلا وتغابيا عنه كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومعنى قراءة الفتح
وهي قراءة ابن عباس وعكرمة ومن يعم قلبه من ذكره ولم يستبصر به نقيض شيطانا نقدر له
شيطانا نزين له العمى بدل الهدى والقبيح بدل الحسن كما قال عم اذا اراد الله بعبد
شرا قيض له شيطانا قبل موته بسنة فلا يرى حسنا الا قبحه عنده حتى لا يعمل به ولا يرى
قبيحا الا حسنه حتى يعمل به رواه انس رض وقيل نسبب له شيطانا ونخلقه اليه ونسلطه عليه
فهو له قرين يقارنه ولا يفارقه بالوسوسة وتزيين الضلالة وقال ابن عباس فهو له ملازم
ومصاحب ينبغي ان يكون والله اعلم هذا الشيطان غير قرينه الجني الكافر والا فكل احد له شيطان
هو قرينه لقوله عم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت قال وانا الحديث وفي رواية
ابن مسعود قال صلى الله عم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا
واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله اعانني فاسلم فلا يامرني الا بخير ذكر في صحيح مسلم
وقرئ يعقوب يقيض بالياء على ان الفعل مسند الى الرحمن ومن رفع يعشو وجب عليه ان يرفع
يقيض وقرا ابن عباس يقيض له شيطان مبنيا للمفعول وانهم ليصدونهم عن السبيل يمنعونهم
عن الطريق المستقيم الذي وجب على كل انسان ان يسلكها والضمير الاول عايد الى الشيطان
والثاني الى من يعش وقد جمع الضمير حملا على المعنى لان المراد جنس العاشي والشيطان المقيض
له وقرا الخليل ليصِدونهم بكسر الصاد ويحسبون انهم مهتدون ويحسب هؤلاء العاشون انهم
على الهدى وقيل ويحسب الكفار ان الشياطين مهتدون فيطيعونهم حتى اذا جاءنا اي العاشي
عن ذكر الرحمن وقرا نافع وابن عامر وابن كثير وابو بكر وجعفر جاءانا بلفظ التثنية اي
جاءنا العاشي والشيطان قال اي العاشي او الشيطان او كل واحد منهما الآخر يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين اي بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما
وقيل المراد بالمشرقين مشرق الصيف والمشرق الشتاء فبئس القرين انت او كل واحد منهما
للآخر لان كلا منهما قرين الاسوء وقال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه
من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير الى النار ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من التمني حكاية عن الله
اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ صح ظلمكم وتبين لكل احد انكم كنتم ظالمين ونظير هذا البدل
قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي صح نسبي في الكرامة والنفاسة وتبين اني ولد كريمة

حين نفيه انكم في العذاب مشتركون علة لعدم نفع التمني اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان
تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الظلم المراد به الشرك
والكفر ويويد قراءة من قرأ انكم بالكسر او فاعل له اي لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما
ينفع الواقعين في امر صعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه
لان بكل منكم من العذاب ما لا تسعه طاقته وقيل اخبر الله تعالى انه يمنع اهل النار التاسي كما يتاسى
اهل الشدائد والمصائب في الدنيا اذ التاسي يستروح اهل الدنيا فيقول احدهم
لي في البلاء والمصيبة اسوة فيسكن ذلك بعض حزنه ويروح وينفي بعض كربه كما قالت
الخنساء فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس
عنه بالتاسي فاذا صار هؤلاء الكفار في عذاب الآخرة لا يوسيهم اشتراكهم ولا ينفعهم التاسي
شيئا لفرط اشتغالهم بما هم فيه وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لان قرناءكم
وانتم مشتركون في العذاب كما اشتركتم في الكفر في الدنيا افانت تسمع الصم او تهدي العمي كان
رسول الله صلى الله عم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه الى الايمان والهداية للصراط
المستقيم وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وانهماكا في الضلالة فانكر عليه
بقوله افانت تسمع انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد امرارهم
على ضلالتهم كاستغراقهم فيها حيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم والمعنى لا يقدر على اسماع
الصم وهداية العمي وجعل الكافر مومنا الا الله وحده لعظم قدرته واحاطتها وتعلقها
بكل مقدور ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه دلالة
على ان المقتضي لذلك تصميمهم على الضلال البين الذي لا يخفى على احد كان الضلال احاط بجميع
جوانبهم احاطة الظرف بالمظروف فاما نذهبن بك اي فان امتناك قبل ان نعذبهم
او فان اخرجناك من اذى قريش وما مزيد للتاكيد الشرطية مشابهة للام القسم في كونها
موكدة وطالبة للنون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والآخرة او نرينك الذي
وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر
فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا لانهم تحت قهرنا وقدرتنا وصفهم بشدة الشكيمة في
الكفر والضلال عقبه بشدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة
وقال الحسن وقتادة هي في اهل الاسلام من هذه الامة وقد كان بعد النبي عم نقمة شديدة

فاكرمه

فاكرمه الله وذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وليس من نبي الا
وقد رأى النقمة في امته وروي ان رسول الله صلى الله عم اري ما يصيب امته بعده فما رئي
ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله وعن ابن مسعود انه عم قال اذا اراد الله بامة خيرا قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا واذا اراد الله بامة عذابا عذبها ونبيها حي لتقر عينه لما كذبوه
وعصوا امره فاستمسك بالذي اوحي اليك جواب محذوف تقديره ايا ما كان من الامرين
الذهاب او الاراءة او ايهما يكون فتمسك بما انزل اليك من الآيات والشرائع فاعمل
واصح به كقوله واعتصموا بحبل الله وقيل المعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرناه
الى يوم الآخرة فكن متمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه
الا ضال شقي وقرئ اوحي مبنيا للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه اي
وان الذي اوحي اليك لذكر لك لشرف لك ولقومك من قريش وقيل لبيان لك ولامتك
فيما يحتاجون اليه وقيل لتذكرة تذكرون به امور الدين والاحسن ان يراد بالذكر الشرف
وبالقوم الامة لقوله عم ان لكل شيء شرفا يباهي به وان بهاء امتي وشرفها القرآن وسوف
تسألون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به
من بين العالمين واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم
او انظر في اديان الرسل واخبر على مللهم لاستحالة السؤال من الرسل حقيقة اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون هل امرنا بعبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا
وبحثا نظره في القرآن المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وعن ابن عباس ان
النبي عم جمع له الرسل ليلة الاسرى فاذن جبرئيل ثم اقام وقال يا محمد تقدم وصل بهم فلما
فرغ من الصلوة قال جبرئيل سلهم يا محمد فلم يشكك ولم يسأل وقال لا اسأل فقد اكتفيت
والمراد التقرير لمشركي قريش ان الانبياء كلهم قد اجمعوا على توحيد الله وتخصيصه بالعبادة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد
باقتصاصه تسلية رسول الله ومناقضة قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم والاستشهاد بدعوة موسى فرعون وملائه الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم
منها يضحكون فاجاؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها وسموها سحرا او بادهوها بالنبذ

والسخرية مساخة جاءهم بها واول ما رأوها من غير احالة فكر ولا اعادة نظر ظلما او
علوا وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا هي اعلى في طبقات الاعجاز بحيث لم يكن للبشر
ان يأتي بما يقرب منه ويدانيه فضلا عما يماثله ويوازيه وقيل الا وهي بالغة اقصى درجات
الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر الذي
لا مزيد عليه وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم
كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها وبيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري وكلام الزمخشري في هذا المقام بني على ان بينها تفاوتا في
الكبر وليس بذاك بل الحق الصريح ما ذكرنا فليتأمل واخذناهم بالعذاب بالسنين والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس لعلهم يرجعون علة للاخذ بمعنى طلبا ان يرجعوا
عما هم فيه او لكي يرجعوا وتفسيره بارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان كما فسره اهل
الاعتزال خطأ محض لا ريب فيه لان الارادة يستلزم المراد كما تقرر في علم الكلام او حال
من فاعله اي واخذناهم بالعذاب مقدرين رجاءهم الرجوع عن الكفر والمعاصي الى الايمان
والطاعة على ان التقدير من الله حال الاخذ والرجاء منهم رجوعهم (او حاكمين) وقيل على وجه يرجى
رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في تلك الحالة لشدة شكيمتهم في الكفر وفرط
جهلهم بشأنه او لانهم كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر اي يا ايها
العالم الفائق في السحر وقيل اي يا ايها الذي غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم
له عندهم من التسمية بالساحر ادع لنا ربك اي تدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك
من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به
وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب حتى اهتدى وقيل اي
بما اخبرتنا عن عهده اليك انا اذا آمنا كشف عنا العذاب فاسئله يكشف عنا وقرأ ابن
عامر يا ايه الساحر بضم الهاء اتباعا للياء وانشد الفراء يا ايه القلب اللجوج النفس
افق عن البيض الحسان اللعس انا لمهتدون لمؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا
قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء وهو
الايمان اي بادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا ونادى فرعون بنفسه او
بمناديه امره بالنداء في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان

العالم

يؤمن

يؤمن بعضهم قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار اللام عوض عن المضاف اليه اي
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري
من تحتي تحت قصري او تحت سريري لارتفاعه او تحت امري او بين يدي في جناني وبساتيني
فالواو اما للعطف على ملك مصر فتجري نصب على الحال منها او واو حال و
اسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة له وتجري خبره وقيل انه ملك من مصر اربعين فرسخا
في مثلها وقيل اراد بالملك ههنا الاسكندرية افلا تبصرون ذلك قرأ يعقوب يبصرون
بالياء وقرأ الكوفيون وابن عامر وقنبل ويعقوب من تحتي بسكون الياء والباقون
بفتحها وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان
على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره
قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها
فثنى عنانه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة وام متصلة على وضع السبب موضع المسبب لان
المعنى افلا تبصرون ام تبصرون فوضع قوله انا خير موضع تبصرون دلالة على انهم اذا قالوا
له انت خير فهم عنده بصراء وقيل المعنى افلا تبصرون فتعلمون اني خير منه او منقطعة على بل
انا خير والهمزة للتقرير اذ قدم اسباب فضله وتقدمه اي احقق عندكم اني انا خير وهذه
حاله والمحققون على ان ام ههنا بمعنى بل التي يكون للانتقال من كلام الى كلام آخر من غير
اعتبار استفهام كما في قوله تعالى أماذا كنتم تعملون في سورة النمل من هذا الذي هو مهين ضعيف
حقير وقرئ اما انا خير ولا يكاد يبين الكلام ويوضحه لرتة في لسانه فكيف يصلح للنبوة و
الرسالة يريد انه ليس معه من آلات الملك والسياسة ما يعتضد به ويتقوى وهو في
نفسه مخل بما يوصف به الرجال من الفصاحة والبلاغة وكان الانبياء كلهم فصحاء بلغاء
فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لانهم كانوا
اذا سوروا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب وقرأ حفص ويعقوب
اسورة وهي جمع سوار والباقون اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من
ياء اساوير وقد قرأ به ابن مسعود وقرأ ابي اساور جمع اسورة وقرئ القي عليه اسورة
واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يشهدون
له بصدقه ويعينونه على امره من قرنته به فاقترن به او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن

يعني هلا ان كان صادقا فملكه ربه وسوّره وجعل الملائكة اقرانه واعوانه ينصرونه فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم يقال استخفه فلان اذا حمله على الخفة والجهل وازاله عن السداد فاطاعوه فيما امرهم به لفرط جهلهم وضلالهم انهم كانوا قوما فاسقين متمردين في الكفر والمعاصي ومن ثمه اطاعوا ذلك الشيطان المريد فلما اسفونا اغضبونا بالافراط في الفسوق والطاعة القايل بالكلمة العظمى منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر انتقمنا منهم اردنا ان نعجل لهم انتقامنا وعذابنا وان لا نحلم عنهم فاغرقناهم اجمعين فاهلكنا المطاع والمطيعين له اجمعين بالاغراق في اليم لم نترك منهم احدا فجعلناهم سلفا قراء حمزة والكسائي سُلُفًا بضم السين واللام جمع سلف كاسد واُسُد او سليف كرغيف ورُغُف او سالف كصابر وصُبُر والباقون سلفا بفتحهما جمع سالف كتابع وتبع او مصدر وصف به والمعنى في القراءتين واحد وهو ان جعلناهم ائمة يدعون الى النار ويقتدي بهم الكفار في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم وقرئ سُلَفًا بضم السين وفتح اللام جمع سُلفة كغرفة وغرف اي ثلة وقراء سعيد بن عياض سُلْفًا باسكان اللام تخفيفا للمضموم ومثلا للآخرين وموعظة لهم او قصة عجيبة الشان تسير مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون وقراء الخليل للآخرين بفتح الخاء ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعري لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وتقديره ذكر انه عليه السلام لما قراء على قريش امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال ابن الزبعري يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون وان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي عليه السلام فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذه الآية اي ولما ضرب ابن الزبعري عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا وجذلا وضحكا لما راوا من سكوته لجدله وقراء نافع وابن عامر والكسائي وخلف وابو جعفر بضم الصاد من الصدود اي من اجل هذا

المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان كيعرِش ويعرُش وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك لما روي انهم لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقال قتادة ومجاهد لما قال تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد الا ان نعبده كما عبدت النصارى عيسى بن مريم والمعنى آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد عليه السلام وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء وقراء الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدها والباقون بتسهيل الهمزة الثانية واجمعوا على ابدال الهمزة الثانية الفا كما اجمعوا على تحقيق الهمزة الاولى لانها همزة الاستفهام ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة والغلبة في القول لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة حراص على اللجاج فانهم قد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله وقول رسول الله هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم هؤلاء الاصنام لكن ابن الزبعري بخبثه وخداعه وخبث ظاهره وباطنه لما راى كلام الله ورسول محتملا لفظ وجه العموم وجد للخصومة مجالا في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجابه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة في الاصنام واما ما روي انه عليه السلام قال له ما اجهلك بلغة قومك اما علمت ان ما لما لا يعقل فعلى هذا يكون ان الذين سبقت لدفع احتمال المجاز لا لتخصيص العام المتاخر عن الخطاب وفي هذا الحديث تصريح بان ما موضوع لغير العقلاء لا كما يقول جمهور العلماء انه موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم ان هو الا عبد انعمنا عليه تفضلنا عليه بالنبوة والرسالة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل عبرة عجيبة لبني اسرائيل تسير مسير المثل او دلالة واضحة لهم يعرفون بها قدرة الله على ما يشاء

حيث خلقه من غير سبب وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لقدرتنا على بديع
الفطر وعجايب الامور لجعلنا منكم ملايكة لولدنا منكم يا رجال ملايكة كما ولدنا حواء
من آدم وعيسى من مريم او لجعلنا بدلكم ملايكة في الارض يخلفون يخلفونكم في الارض كما
يخلفكم اولادكم لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة وان حال عيسى وان كانت عجيبة فانا
قادرون على ما هو اعجب من ذلك ولتعلموا ان الملايكة مثلكم في الجسمية واحتمال خلقها
توكيدا كما جاز خلقها ابداعا وذات القديم الخالق لكل شيء متعالية عن مثل ذلك
فكيف يكون لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه لعلم للساعة اي وان
عيسى لشرط الساعة تعلم به لان ابتداء نزوله من اشراطها يعلم به دنوها او لان احياء الموتى على
حدوثه
يديه دليل على الساعة وبعث الموتى فسمي الشرط علما لانه سبب العلم وقرأ ابن عباس وابو هريرة
لعَلَم اي علامة وقرئ للعَلَم وقرأ أُبَي لذِكْر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما
وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى على ثنية من الارض المقدسة
يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي
بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي
خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى
الا من آمن به وفي صحيح مسلم فبينما هو يعني المسيح الدجال اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند
المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه
قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهي
الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله وعن الحسن الضمير في انه للقرآن لان فيه الاعلام
بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكون فيها واتبعون واتبعوا هداي او
شرعي او رسولي وقيل يجوز ان يكون هذا امرا للرسول ان يقوله هذا اي هذا الذي
ادعوكم اليه او هذا القرآن ان كان الضمير في انه للقرآن صراط مستقيم طريق قويم لا
يضل سالكه بل يهدي الى الحق وقرأ ابو عمرو وابو جعفر واتبعوني باثبات الياء في
الوصل دون الوقف وابن كثير ويعقوب في الحالين والباقون يحذفونها فيهما اكتفاء
بالكسرة ولا يصدنكم الشيطان ولا يمنعنكم الشيطان عن اتباعه وسلوكه انه لكم عدو
مبين قد بانت عداوته بان اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور وعرضكم

للبلاء

من اشراطها

بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامر الدين لا بامر الدنيا لان الانبياء لم يبعثوا لبيانه ومن ثم قال

للبلايا والشدايد ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات الواضحات او بآيات الانجيل
والشرايع قال قد جئتكم بالحكمة اي بالانجيل والشريعة وقيل بالنبوة روي ذلك عن
السدي ولابين لكم النبي عم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في محافظة حقوقه
وحقوق عباده الذي منهم انبياؤه واطيعون فيما ابلغكم عنه وقرأ يعقوب واطيعوني
ان الله هو ربي وربكم استيناف معناه التعليل لوجوب التقوى والطاعة فيما امرهم به
من اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع فاعبدوه وخصوه بالعبادة والتوحيد ولا تشركوا
به احدا هذا صراط مستقيم اي هذا الذي آمركم به من التقوى والطاعة واختصاص الله
بالعبادة طريق بين الاستقامة لا عوج فيه وهو تتمة كلام عيسى واستيناف من الله يدل على
ما هو الموجب لذلك وقيل هذا اشارة الى مجموع الامرين وهما اعتقاد التوحيد والتعبد
بالشرايع وقيل الى العبادة فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة وهم النصارى لتحزبهم ثلث
فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية او اليهود والنصارى او الذين تحزبوا على الانبياء لما
قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بينهم من بين النصارى فان النسطورية قالوا
عيسى ابن الله واليعقوبية قالوا هو الله هو والملكانية قالوا هو ثالث ثلثة قاتلهم الله كذا قال الكلبي
ومقاتل او من بين اليهود والنصارى او من بين الناس هذا على الوجه الثالث المذكور
في تفسير الاحزاب وقيل من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا للذين تحزبوا
لظلمهم وكفرهم بما وجب الايمان به وهو ان عيسى عبد الله ونبيه واقام المظهر مقام المضمر
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث ظلموا على رسول الله وتحزبوا
عليه بالكذب والتكذيب من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير
للذين ظلموا وهو الظاهر وقيل لقريش والنظر بمعنى الانتظار ان تأتيهم بدل من الساعة
اي هل ينتظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وانتصابها على المصدر كانه قيل تبغتهم
الساعة بغتة اي تفاجيهم فجاءة او على الحال بمعنى باغتة على غفلة منهم وهم لا يشعرون
غافلون عنها لاشتغالهم بامور دنياهم وافراطهم في انكارها ويجوز ان تأتيهم بغتة
وهم فطنون الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو وانتصب يومئذ بعدو اي
يتعادون يومئذ حين يتلاعنوا لانقطاع كل خلة كانت بينهم الا المتقين لان خلتهم لما
كانت في الله تبقى باقية ابد الابدين وقيل الا المتقين اخلاء السوء وقيل

وقال الطيبي كل خلة في غير طاعة الله فهو عدو عليه يوم القيمة

نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المؤمنون بالله ورسوله يومئذ الذين امنوا
باياتنا صفة للمنادي فيكون في محل النصب وفيه دلالة بينة على انه اراد بالمتقين المؤمنين
باياته وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين امنوا مخلصين غير ان هذه العبارة
اكد وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الكل
كلهم ثم يتبعها الذين امنوا فييأس الكل غير المسلمين وقرا ابو بكر ورويس يا عبادي
بفتح الياء بخلاف عنه ونافع وابو عمرو وابن عامر بسكونها والباقون يا عباد بحذف
الياء اكتفاء بكسر ما قبلها ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ونساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون
سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او تزينون
من الحبر وهو حسن الهيئة او التحبير وهو التزيين او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة
فيما وصف بجميل وقيل يتوجون اي تلبسون التاج على رؤوسكم وقيل هو التلذذ
بالسماع وقد مر في سورة الروم يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة
الواسعة واكواب وهو ابريق لا عروة لها جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي
الجنة ما تشتهي الانفس قرا نافع وابن عامر وحفص وابو جعفر تشتهيه على الاصل و
الباقون تشتهي وهذا حصر لانواع النعم من مشتهيات القلوب ومستلذات العيون
وتلذ الاعين لمشاهدته من لذ الشيء اذا وجده لذيذا قال سعيد بن جبير و
تلذ الاعين النظر الى الله كما جاء في الخبر اسالك لذة النظر الى وجهك وعن سليمان
بن بريدة عن ابيه ان رجلا قال يا رسول الله هل في الجنة من خيل قال ان الله ادخلك
الجنة فلا تشاء ان تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت وقال رجل
هل في الجنة من ابل قال ان ادخلك الله الجنة اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك رواه
الترمذي وانتم فيها خالدون باقون دائمون اذ لولا البقاء والدوام لتنغص العيش
ونقص السرور والاشتهاء واللذة فلم يكن التنعم كاملا والخوف والحسرة زايلا وتلك الجنة
التي اورثتموها جعلتم ورثتها قال ابن عباس خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر
يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر قرا نافع وابن كثير وعاصم وابن ذكوان وابو جعفر
وخلف اورثتموها بالاظهار والباقون بالادغام وقرا ابو البرهسم ورثتموها وقرى

ورثتموها

ورثتموها شبهت الجنة في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وبعبارة اخرى
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت
مبتدا والجنة خبرها والتي اورثتموها صفة الجنة او تلك مبتدا والجنة صفتها والتي اورثتموها
صفة الجنة والخبر قوله بما كنتم تعملون وعلى هذا يتعلق الباء بمحذوف كما في الظرف الذي
يقع اخبارا الا باورثتموها كما في الوجه الاخر لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من تبعيضية
اي لا تاكلون الا بعضها لانها متكاثرة معرضة الكثرة باقية ابدا بها في شجرها دائما نوالها
واصنافها لا ترى شجرة عدمت بانه من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل
في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها وعن ابن عباس هي الثمار كلها رطبها ويابسها
اي لكم في الجنة سوى الطعام والشراب ثمرات لا تعد ولا تحصى تاكلون وهي من انتهى
الاشياء للكمال والذها عندهم والصقها واوفقها بطبايعهم وابدانهم ولذلك افردها بالذكر
من بينها وكرر ذكرها في مواضع مع ما فيها من المنافع والخواص التي لم توجد في فواكه
الدنيا فانها لم تشبه فواكه الجنة الا بالاسم ولعل ذكر التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره
لما بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين المتمادين في الاجرام والاثام وهم الكافرون
بايات الله لانه جعله قسيم المؤمنين بها وحكى عنهم ما يختص بالكفار في عذاب جهنم خالدون
الجملة خبران او خالدين خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم ولا ينقص
من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والتركيب للوهن والضعف
وهم فيه في ذلك العذاب مبلسون ايسون من الرحمة والخلاص او ساكتون سكوت يائس
من فرح وحل ضر وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا
يرى ولا يرى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين لانفسهم بالكفر والمعاصي وهم فصل
عند البصريين وعماد عند الكوفيين وقرى الظالمون بالرفع على انه خبرهم والجملة خبر
كان ونادوا يا مالك هو اسم خازن جهنم وقرا علي وابن مسعود رضه يا مال بحذف
الكاف للترخيم كقول القايل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود
قرا ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم
انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرا ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع
كما يقال يا حار وفي الترخيم رمز الى انهم لضعفهم لا يقدرون تادية اللفظ بالتمام ولذلك

اضمر وافي قوله ليقض علينا ربك اي سل ربك ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته
ومنه فوكزه موسى فقضى عليه وندائهم لانهم في ابلاسهم لانهم في ازمنة متطاولة وتختلف
بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم بانه لا فرج ويغوثون اوقاتا
تمنيهم الموت لفرط شدة ما بهم من العذاب قال مالك جوابا لهم انكم ماكثون لابثون
خالدون فيما انتم فيه لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره وقال ابن عباس بين دعائهم و
اجابة مالك لهم الف سنة وعن النبي عم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من
العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق بالارسال
والانزال وقيل بيناكم الادلة وارسلنا اليكم الرسل وهو يحتمل ان يكون من تتمة جواب
مالك وان يكون بكلام الله ويشهد ومن قرأ قراءة لقد جئتكم وعلى هذا يكون في قال ضمير الله كانهم لما سالوا
مالكا ان يسال الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون لا تقبلونه
وتنفرون منه لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا احكموا امرا
من كيدهم ومكرهم برسول الله وفي تكذيب الحق ودفعه بعد وضوح وانتفاء الشك عنه لتماديهم
في الغي والضلال وافراطهم في كراهة الحق فانا مبرمون امرا في كيدنا ومجازاتنا اياهم وام
منقطعة ومعنى الهمزة فيه الانكار والتعجب والعناد كانه قال دع هذا وانظر الى ابرامهم المنكر المقتضي
منه العجب وذكر انهم دبروا المكر برسول الله في دار الندوة حتى استقر امرهم على
ما اشار ابو جهل ان يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه
فانزل الله هذه الاية واهلك جميعهم في قليب بدر فالاية نازلة ومتصلة اي اكرهوا
ام ابرموا امرا بمعنى اي الفعلين كان منهم على سبيل التقدير لان العلم واقع بكل واحد منهما
والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وفي انتقال الكلام من الخطاب الى الغيبة زيادة
تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ابرامهم وانه انكروا
سواء من كراهتهم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم بذلك ونجواهم
تناجيهم في امر رسول الله صلم بلى نسمعها ونطلع عليها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم
عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها
للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات
النفاق وعن محمد بن كعب القرظي نزل هذا في ثلثة نفر كانوا بين الكعبة واستارها

تعالى

تعالى احدهم ان الله يسمع كلامنا وقال الثاني اذا جهرتم سمع واذا اسررتم فلا و
قال الثالث ان كان يسمع اذا اعلنتم فهو يسمع اذا اسررتم قل ان كان للرحمن
ولد اي ان استقام ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا
اول العابدين فانا من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له فان تعظيم
الولد تعظيم والده ولا يلزم من هذا الكلام صحة كينونة الولد وعبادته
لانها محال في نفسها يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها كقوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة للدلالة على ان العلم بانتفاء الفساد دليل للعلم
بانتفاء تعدد الالهة لان انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم من غير عكس وان ههنا
تقصد التبكيت والالزام لان كون الولد للرحمن محال مقطوع بعدم وقوعه لكن يجيء الى نظران
بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير له كقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا
وقيل معناه ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين
قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان له ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون
له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقال ابن عباس ان هذه ان
نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبده ووحده من اهل مكة
وقرا اليماني العبدين وقرا حمزة والكسائي وُلد بضم الواو وسكون اللام والباقون
بفتحهما والمعنى واحد كالعرب والعُرب وقرا يحيى بن يعمر بكسر الواو وهي لغة ايضا
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي سبحوا رب هذه الاجسام
العظام التي لا يقادر قدرها لان مثل هذه الربوبية توجب التسبيح على كل مربوب
فيها وتنزه عن كل ما يصفه الكافرون به من صفات الاجسام فانه لو كان جسما لم
يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره وقيل عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام
لكونها اصولا ذات استمرار بريات مما يتصف به ساير الاجسام من توليد المثل فما
ظنك بمبدعها وخالقها وهذا سديد جيد نظرا الى تفسير العام بالخاص فذرهم فاعرض
عنهم يخوضوا في باطلهم وكذبهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون اي يوم قيامهم لرب العالمين وهو دليل على ان ما يقولونه جهل و
واتباع هوي واعلام لرسول الله انهم من المطبوع قلوبهم الذين لا يهتدون في الآخرة

ولا يرجعون البتة وان ركبت في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله وامهلهم رويدا واعملوا ما شئتم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي وهو الذي مستحق لان يعبد في السماء والارض فالظرف متعلق باله لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به اي هو جواد فيهما وكذا فيمن قرا وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومنه قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض اي وهو الواجب الوجود المعبود المستحق للعبادة فيهما والراجع الى الموصول مبتدا محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر وهو اله والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل صلة الذي وهو في السماء وقدر اله مبتدا محذوف يكون جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية والربوبية لا بمعنى الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية قال قتادة وهو الذي يعبد في السماء والارض لا اله الا هو وقيل في ههنا بمعنى على وليس بذاك وهو العليم الحكيم البليغ الحكمة والعلم يفعل كل شيء يفعله على موجب الحكمة والصواب وقد احاط به علما او الذي اتقن في احداث العالم على هذا النمط البديع والنظام المحكم العجيب والعلم به وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء و السحاب وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم فيها واليه ترجعون اي ولا ترجعون الا اليه فاهتموا بالاستعداد للقائه وقرا حمزة والكسائي وابن كثير وخلف ورويس ويعقوب بالياء حملا على ما قبله من الغيبة والباقون بالتاء للتهديد بل وقرئ الا عمش واليه تحشرون وهو في مصحف ابن مسعود رض والسلمي وابن ونافع يحشرون وتدعون بالتاء فيهما ولا يملك الذين تدعون من دونه الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق بتوحيد الله وهم يعلمون ما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وهم الذين يملكون الشفاعة والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة وعيسى وعزير فيه ومنقطع بمعنى لكن ان خص بالاصنام وقرئ تدعون ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين او المعبودين من اوجدهم من العدم الى الوجود ليقولن الله لتعذر نفي ذلك في الطباع والعقول ووجوب انتهاء كل ممكن

الا واحد

---

الا واحد واجب الوجود ولوضوح الدلايل المانعة من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى الادعائه ولتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره عن ابي عمرو والخليل تؤفكون بالتاء وقيله اي قول الرسل وقرا عاصم وحمزة وقيله بجر اللام عطفا على الساعة والباقون بنصبها عطفا على محل الساعة اي وعنده ان يعلم الساعة وقيل على سرهم و نجويهم او على مفعول يكتبون المحذوف اي يكتبون ذلك وقيله او على المصدر لفعل المحذوف اي وقال قيله وقرئ بالرفع على الابتداء خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او العطف على علم الساعة بتقدير مضاف اي وعنده علم الساعة وعلم قيله والاوجه مما ذكر ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على انه قسم مرفوع بالابتداء محذوف الخبر لقولهم ايمن الله وامانة الله ويكون ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم اي واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وذلك لوقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا مع تنافر النظم عن ابي قلابة يا رب كانه يريد الندبة مثل يا ابت وعن ابي اسحق ان هؤلاء نبح الهمزة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام تسلم منكم ومتاركة وقيل الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل محكمة لم تنسخ فسوف يعلمون تهديد من الله لهم وتسلية لرسوله وقرا نافع وابن عامر وابو جعفر بالتاء على انه مما امر النبي عم ان يخاطبهم به والباقون بالياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب سورة الدخان سبع او تسع وخمسون آية مكية الا قوله انا كاشفو العذاب الآية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين والقرآن الظاهر امره في اعجاز العرب وتبكيتهم او الذي بين لمن تدبره انه من عند الله لا من عند البشر او الواضح الذي لا يشتبه على العرب معانيه لنزوله بلغتهم واساليبهم او الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وما يحتاج اليه في الديانة والواو للعطف ان كان حم مقسما بها وللقسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على اضمار المبتدا المحذوف وجوابه

انا انزلناه في ليلة مباركة هي ليلة القدر فانه تعالى انزل القرآن في ليلة القدر
من شهر رمضان من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبرئيل على النبي عم
نجوما في عشرين سنة كما قال قتادة او ثلث وعشرين سنة كما قال بدليل
قوله عم انزل الله صحف ابرهيم في اول ليلة من رمضان وانزل التورية لست
خلون من رمضان وانزل الزبور لاثنتي عشر خلون من رمضان وانزل الانجيل
لثماني عشر خلون من رمضان وانزل الفرقان لاربع وعشرين خلون من رمضان
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا جملة واحدة رواه ابن حبان وانس و واثلة بن الاسقع
وذكره احمد بن حنبل في مسنده والطبري وصاحب الفردوس وقيل ليلة النصف
من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة
وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك ان
البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله تعالى يكتب لعباده
المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة
العبادة فيها قال رسول الله صلعم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة
ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون
عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عم ان
الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر
غنم بني كلب رواية عائشة رض وقال عم ينزل الله تعالى ليلة النصف من شعبان الى
السماء الدنيا فيغفر لكل انسان الا انسانا في قلبه شحنا او مشركا بالله وحصول
المغفرة قال عم ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر
او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا وما اعطي فيها رسول
الله عم من تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث عشر من شرد على الله
شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة
ظاهرة والقول الاول ما عليه الجمهور وهو الاصح انا كنا منذرين مخوفين من
العقاب فيها يفرق كل امر حكيم هاتان جملتان على ... جواب القسم المذكور كانه
قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار وكان انزلناه اياه في هذه الليلة

خصوصا

خصوصا لان كونها مفرق الامور الحكمية او الملتبسة بالحكمة يقتضي ان تنزل فيها القرآن
الذي هو اعظم عظائمها ويجوز ان يكون الجملة الثانية صفة ليلة وما بينهما اعتراض و
هي تدل على ان الليلة ليلة القدر لانها صفتها بقوله تنزل الملائكة والروح فيها
باذن ربهم من كل امر ومعنى يفرق كل امر حكيم يفصل ويكتب كل امر محكم من
كل ما هو كائن في السنة من الخير والشر والقول والعمل والرزق والاجل قال عم
يقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد اخرج اسمه
في الموتى وقيل يبداء في استنساخ ذكر من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ
في ليلة القدر فتدفع الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف
الى جبرئيل ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب
الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعمال ... السنة ... الخلق
وعلى قلوبهم هيبة وقرئ يفرق بالتشديد للمبالغة ويفرق على البناء للفاعل وهو الله
تعالى وقراءة زيد بن علي نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على
ما يقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف
الامر به مجازا وقال ابن عباس يقضي الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان ويسلم
الى الملائكة ليلة التاسع والعشرين من رمضان وقيل حكيم اي محكم لا ينقض ولا يبدل
امرا من عندنا نصب على انه مفعول به او مفعول له عامله انزلناه او منذرين او
يفرق او على الاختصاص اي اريد بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا
وتدبيرنا فخمه اولا حيث وصفه بالحكيم ثم زاد تفخيمه وتعظيمه او على الحال من فاعل انزلناه
اي انزلناه آمرين امرا او من مفعوله اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا
ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضمير المستتر في حكيم لانه موصوف وان يراد به
الامر الذي هو مقابل النهي وضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر و
الفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه وقال الفراء
هو منصوب بفعل المحذوف تقديره نامر ببيان ذكر او قيل اي انزلناه امرا من
عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين او رحمة مفعول له اي انا
انزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل

لاجل الرحمة عليهم او علة ليفرق او لقوله امرا من عندنا او رحمة مفعول به على انه
المراد به النبي او مطلق الرحمة اي يفصل ويكتب في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر
من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من الارزاق والاجال
والاعمال وغيرها من باب الرحمة وكذا صدور الاوامر الالهية لان المقصود في تكليف
العباد تعويضهم للمنافع ووضع الرب موضع الضمير اشعارا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين
ويجوز ان يكون مصدرا اي رحمناكم رحمة او حالا من ضمير مرسلين اي ذوي رحمة وقرأ زيد بن علي
امر من عندنا على هو امر وهذا الرفع على الاختصاص يؤيد نصبه على الاختصاص وقرأ
الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها مفعولا له لان الجملة استيناف يبين المقتضي
للخصال الثلثة المتقدمة كانها قيل لما قال شيء هذه الخصال من فرق كل امر وصدور
الاوامر وارسال الرسل وما وصفها فقيل له تلك رحمة عظيمة من الله على عباده
والمفعول له يقع جوابا لسؤال مقدر بانها وقع وكيفما وقع وقرأ زيد بن علي رحمة ربك
بالاضافة وخلوه منها انه هو السميع العليم يسمع كل شيء من شانه ان يسمع ويعلم كل شيء
من شانه ان يعلم فلا يخفى عليه شيء من اقوال العباد واحوالهم وهو بما بعد تحقيق
ربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر
آخر او استيناف او خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرأ الكوفيون
رب بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما يوقنون به لفرط ظهوره
او ان كنتم عاملين على قضية يقين المعقول وان من كان رب العالم كان رب الاشياء
كلها لا شريك له فيها وسميعا لكل مسموع وعليما بكلها او ان كان يرجى منكم الايقان الذي
يقتضيه النظر الصحيح علمتم ذلك والا لم تعلموا او قيل ان كنتم من اهل الايقان في العلوم
او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا
وان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو لا خالق سواه وهو كلام مستانف
يقرر اختصاصه بالربوبية والالهية وانه لا رب للاشياء كلها ولا اله لها الا انه وحده
الجامع لصفات الالوهية الكامل فيها يحيي ويميت يوجد الحياة في الجماد ويوجد
الموت في الحيوانات كما يشاهد ذلك ربكم ورب ابائكم الاولين اي هو ربكم او خبر اخر
او فاعل يميت وفي يحيي ضمير يعود الى ما قبله او على شريطة التفسير اي مالككم ومالك الذين.

تولدتم

تولدتم منهم وقرئتا بالجر على البدل بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين
بعدم اقرارهم بان رب العالم غير صادر عن علم وايقان ولا عن جد بل قول
مخلوط بهزؤ ولعب قال ابن عباس اي في ضلال يتمادون فارتقب فانتظر لهم
يوم تأتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة لان من ضعف بصره وبصيرته
بالجوع يرى وجه السماء مثل الدخان او يوم تجيء الدخان واختلف فيه فقال علي
والحسن انه دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون
راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام ويكون الارض كلها
كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وبه قال ابن عباس وابن عمر وعن حذيفة اليماني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول الايات الدخان ونزول عيسى
بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول
الله وما الدخان فتلا هذه الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين
يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران تخرج
من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود انه قال خمس قد مضين اللزام
والروم والبطشة والقمر والدخان وقد قيل له ان قاصا عند ابواب كندة
يقول انه دخان يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن
لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم الا وسأحدثكم
ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على
مضر واجعلها سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز
وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا
يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه
ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم او يوم القيمة
والدخان ان يحتمل المعنيين يغشى الناس صفة للدخان اي يلبسهم ويشملهم من
جميع جوانبهم هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منصوب
المحل بقول مقدر وقع حالا اي يقولون هذا الكلام المشتمل على الاتيين وانا
مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى اي من كان

الاستفهام يجي بمعنى من اين لحقيقة الاستفهام ههنا وهو ظاهر بل المراد استبعاد ان
يكون لهم الذكر بدليل قوله وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه اى كيف
يذكرون ويتعظون ويفون بالايمان وعده عند كشف العذاب عنهم وقد
جاءهم رسول الله بآيات هي اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان
فلم يذكروا واعرضوا عن ذكره وقالوا معلم مجنون وافتروا عليه بانه كان شاغلا ما
اعجمي لبعض ثقيف هو الذي تعلمه وبان نسبوه الى الجنون قوله تعالى معلم بالكسر
اللام انا كاشفوا العذاب عنهم بدعاء النبي عم فانه دعا فرفع القحط قليلا او زمانا
وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى شرككم وكفركم عقب الكشف ومن فسر الدخان بما هو
من اشراط الساعة قال اذا جاء الدخان تضور الكفار والمنافقون وكونوا بالدعاء المتقدم
وهو ربنا اكشف الآية فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم لا يلبثون
ومن فسر بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة
وقيل يوم بدر وهو عن ابن عباس والحسن لما كشف عنهم الجوع عادوا الى التكذيب
فانتقم الله منهم يوم بدر وهو بدل من يوم تأتي السماء بدخان او ظرف لفعل محذوف
وهو اذكروا العايدون او لفعل دل عليه انا منتقمون اى ننتقم منهم يوم نبطش
البطشة الكبرى ولا يصح ان يكون ظرفا لمنتقمون لان ان يحجز عن ان يعمل فيه وقرأ
ابو جعفر نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون اى نجعل البطشة الكبرى
باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو الاخذ الشديد بعنف والتناول بصولة
وقال ابو حاتم معناه نسلط عليهم من يبطش بهم ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
اى ابتلينا بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او اوقعناهم
في الفتنة بالامهال لهم وتخليتهم وتوسيع الرزق عليهم او سلبنا ملكهم واموالهم
باغراقهم وقرئ بتشديد التاء للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على
الله وعباد المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه او لمكالمته مع الله او لجمع
كلامه من خير وبسط وقيل كريم الاخلاق بالتجاوز والصفح اى حسن الاخلاق موضع الفعال
وبه قال تعالى ان ادوا الي عباد الله ان مصدرية وعباد الله ما هو واجب عليكم من
الايمان وقبول النداء اى بان ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ان ارسل معنا

بني

بني اسرائيل او بان ادوا الي عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان وقبول الدعوة
او مخففة من الثقيلة اى وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي عباد الله او
مفسرة لان مجيء الرسول برسالة ودعوة متضمنة لمعنى القول اني لكم رسول امين
غير متهم في شيء لدلالة المعجزات على امانته وصدقه او لائتمان الله اياه على وحيه ورسالته
وهو علة للامر بالتادية وان لا تعلوا على الله اى لا تتكبروا على الله بالاستهانة برسوله
ووحيه او لا تتكبروا على رسول الله وان هذه كالاولى في وجوهها اني آتيكم بسلطان
مبين بحجة واضحة وهو علة للنهي ولتحلي ما في ذكر الامين مع الاداء والسلطان مع
العلاء من التناسب والتلاوم واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت فانه هو
العاصم لي من شر الاشرار وكيد الفجار ان ترجمون ترمون بلسانكم بسب الشتم والذم
او تطردوني رميا بالحجارة او تقتلون واصل الرجم الرمي بالرجام وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم وابن كثير ويعقوب وابو جعفر عذت بالاظهار والباقون عت بادغام الذال
في التاء وقرأ ورش يرجمون باثبات الياء في الوصل دون الوقف ويعقوب في الحالين
والباقون بحذفها فيهما وكذلك فاعتزلون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون ان لم يصدقوا فكونوا
فلا صداقة بيني وبين من لا يصدق من صدقه الله بالوحي والنبوة والمعجزة فتنحوا عني
واقطعوا اسباب الوصلة عني او خلوني كفافا وكونوا بمعزل مني لا لي ولا علي ولا تتعرضوا
لي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم وقرأ ورش لي بفتح الياء لزوما للخفة
ان الفتحة اخف الحركات والباقون بسكونها على الاصل فدعا ربه بعد ما كذبوه ان
هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك
سماه دعاء وقيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه
فقال ان هؤلاء وقيل دعا عليهم قال فاسر بعبادي ليلا على اضمار القول بعد الفاء
او جواب شرط محذوف اى فقال ان كان الامر كما تقول فاسر وقرأ نافع
وابن كثير وابو جعفر فاسر بوصل الهمزة من سرى والباقون بقطعها من الخليل فاسر انكم
متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم ليلا وهو علة للامر بالسير يقال
اسرى به ليلا اذا سار معه بالليل وكذا سرى واترك البحر رهوا اى مفتوحا على حاله

منفرجا او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله
القبط فاذا دخلوا فيه اطبقه الله عليهم وقال قتادة طريقا يابسا روي ان موسى
عم لما جاوز البحر اراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق مخافة ان يتبعه فرعون
وجنوده ويدركوه فامره الله بذلك ليظهر سلطانه وقضاؤه انهم جند مغرقون
علة للامر بترك البحر وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا من جنات كم في محل النصب
على انه مفعول تركوا ومن بيان لابهامه اي كثيرا من الجنات والعيون وغير ذكر تركوا
او عيون وانهار جارية وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي وابو بكر وابن ذكوان بكسر العين
وزروع وهو مكان مثبت بالبذر تسمية بالمصدر من زرع الله الحرث اذا انبته

جمع زرع

وانماه ومقام كريم ومجلس حسن بمعنى وعن الضحاك المنابر وقيل السرير في الجمال قراءة
قتادة والحارث والخليل ومقام بضم الميم الاول ونعمة النعمة بفتح النون التنعم وبكسرها
واحدة النعم يقال كم ذي نعمة لا نعمة له اي كم ذي مال لا تنعم له كانوا فيها فاكهين متنعمين
متلذذين ومنه الفاكهة وهي ما يتفكه به اي يتنعم او يتلذذ باكله وقرئ فكهين و
المعنى واحد كذلك الكاف في محل الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك او
النصب اي مثل ذلك ذلك الترك الذي وصفناه تركوا وقال الزمخشري مثل ذلك
الاخراج اخرجناهم منها وهذا منه غلط فاحش لا شبهة فيه وقد تبعه القاضي البيضاوي
في هذا الغلط وذكر ان لفظ الاخراج لم يتقدم في هذه السورة حتى يكون ذلك
اشارة اليه كما في سورة الشعراء وانما تقدم لفظ الترك ومنشأ هذا الغلط الغفلة
وعدم امعان النظر في متشابه الآيتين او الجر على انه صفة نعمة اي ونعم عظيم مثل
ذلك التنعم الذي ذكرناه وبيناه واورثناها عطف على تركوا او ابدلناها تمليكها مخالفة
عليهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه قوما آخرين قوما
ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستخدمين
مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم
واموالهم فما بكت عليهم السماء والارض البكاء ههنا مجاز عن عدم المبالاة
بفنائهم والاعتداد بوجودهم او على الحقيقة ويؤيده ما روي عن انس قال
النبي عم ما من مؤمن الا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه

عمله



عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا فما بكت عليهم السماء والارض وعن ابن
عمر قال رسول الله عم تفرحوا او بكوا فان السموات والارض والشمس والقمر و
النجوم يبكون من خشية الله عز وجل او فما بكت عليهم اهل السماء والارض و
بنصره قوله عم اذا ولد مولود من امتي تباشرت الملائكة بعضهم من الفرح و
اذا مات من امتي صغيرا او كبيرا بكت عليه الملائكة وقال عطاء والسدي بكاؤها حمرة
اطرافها وعنه لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وعن زيد
بن ابي زياد لما قتل الحسين احمر له افاق السماء اربعة اشهر واحمرارها بكاؤها
وعن ابن سيرين اخبرونا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين يعني انها
ازدادت زيادة ظاهرة والا فانها قد كانت قبل قتله قال رسول الله عم الشفق
الحمرة رواه ابن عمر وعن عبادة بن صامت وشداد بن اوس انهما قالا الشفق
شفقان الحمرة والبياض فاذا غاب الحمرة حلت الصلوة وعنه عم اذا غاب
القمر في الحمرة فهو لليلة واذا غاب في البياض فهو لليلتين وما كانوا منظرين لم ينظروا
الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل من
العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم واستخدامه نساءهم وتكليفه
اياهم الاعمال الشاقة من فرعون بدل من العذاب المهين على حذف المضاف او جعله
عذابا للافراط في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهة فرعون وقرئ
من عذاب المهين على ان قوله من فرعون في تقدير من عذاب فرعون فيكون
المهين هو فرعون وقرأ ابن عباس من فرعون على الاستفهام والجواب على ان
حقيقة غير مرادة وانما المراد انه لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة
زادهم تهويلا بقوله من فرعون اي هل تعرفون فرعون من هو في فرط عتوه
وشدة شكيمته وشيطنته فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله ولهذا قال انه
كان عاليا من المسرفين زيادة لتعريف حاله وتهويل عذابه اي كان كبيرا رفيع
الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف ومتكبرا مسرفا فهذا على تقدير
كون الجار والمجرور خبرا ثانيا وعلى الآخر يكون حالا والمراد بالاسراف ههنا تجاوز
الحد في الكفر والمعاصي وقد كان فرعون اكبر الكفار واطغاهم واعتاهم و

مطلب هلال

ولقد اخترناهم اى فضلنا بنى اسرائيل كما صرح به فى سورة الجاثية على علم فى
فى محل النصب على الحال اى عالمين بانهم احقاء بان يختاروا وقيل على علم آتيناهم
واوحينا اليهم خيرهم وهذا الاختيار خاص لمن اختاره الله بالنبوة منهم او علم
لهم وبان كانوا مع موسى اخترناهم باختصاصهم على العالمين على عالم زمانهم
وهو قول الاكثرين وقيل على جميع الناس لكثرة الانبياء منهم وآتيناهم من الآيات مثل
فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام لم يظهر
الله فى غيرهم مثلها ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالخير والشر او اختبار
ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ان هؤلاء اشارة الى كفار قريش
لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى
التصميم على الكفر والاصرار والانذار عن مثل ما حاق بهم من نكال الله ونقمته
ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى اى ما عاقبة الامر ونهايته الا الموتة الاولى المزيلة
للحيوة الدنيوية او موتة الا هذه الموتة التى نموت فى الدنيا ثم لا بعث بعدها
الثانية وهو قولهم وما نحن بمنشرين بمبعوثين من انشر الله الموتى اذا بعثهم وغرضهم
من هذا القول المبالغة فى انكار حشر الموتى ونشرهم من القبور فأتوا بآبائنا خطاب
للذين وعدوهم النشور من رسول الله والمؤمنين اى فاحضروهم عندنا لتصحيح
دعواكم وتثبت صدقكم ان كنتم صادقين فيما تقولون ليدل على ذلك وان قيام الساعة
وبعث الموتى حق فان صدقتم وعدكم فعجلوا احياء من مات من ابائنا بسؤالكم
ربكم ذلك ليدل عليه وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصى
بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعاظم الشؤن
اهم خير فى القوة والمنعة والشدة والهمزة للانكار والمعنى كفار قريش خير قوة
وآلة ومكانة فى الدنيا واقل كفرا وعنادا ام قوم تبع ام معادلة للهمزة يعنى
اى هذين الفريقين من الكفرة خير على سبيل التقرير لان العلم واقع بان احدهما
خير يعنى ان كفار قريش ليسوا خيرا اى اقوى واشد واكثر من قوم تبع وعاد و
ثمود وغيرهم من كفار الاولين ويجوز ان يكون منقطعا بمعنى بل اهم خير ام قوم
تبع والاستفهام فيهما للانكار ايضا وفى قوم تبع للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت
ام

او بمعنى

او بمعنى حمل المخاطب على الاقرار لانتفاء حقيقة الاستفهام اعنى استواء الفريقين من كفار
الاولين فى علم المستفهم وكون السؤال عن التعيين وذلك لان علم المستفهم و
هو الله او النبى حاصل بان قوم تبع وعاد وثمود خير من كفرة قريش قوة ومكانة
وكثرة والذين من قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود اهلكناهم حال باضمار قد
او خبر عن الموصول ان استونف او استيناف بالقوم تبع والذين من قبلهم تهدد
به كفار قريش فان من قدر على اهلاك كفار الاولين مع عظم اجرامهم وقوتهم و
افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كان على اهلاك كفار قريش مع قلتهم
وسهانتهم اقدر وهو ابلغ من الاستدلال باهلاك مثلهم كما لا يخفى انهم كانوا مجرمين
كاملين فى الاجرام والآثام وهو علة للاهلاك والاستيصال جامعة لفرق الكفرة كلهم
وقد اكثروا الكلام فى تبع فقال ابن عباس كان تبع نبيا وقال كعب كان ملكا من
الملوك وكان قومه كهانا واهل الكتاب فامر الفريقين ان يقرب كل منهما قربانا
ففعلوا فتقبل قربان اهل الكتاب فاسلم وقال ايضا ذم الله قومه ولم يذمه وضرب
لهم بقريش مثلا لقربهم من دارهم وكانت عائشة رض تقول لا تسبوا تبعا
فانه كان رجلا صالحا وعن النبى عم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم رواه سهل
بن سعد وعنه عم ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى رواه ابو هريرة وقال قتادة
هو تبع الحميرى سار بالجيوش وحيز الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب
بسم الله الذى ملك برا وبحرا آمن بمحمد عم قبل ان يبعث بسبعماية سنة وقيل كان من يوم مات
فيه تبع الى يوم بعث فيه رسول الله صلى الله عم الف سنة لا يزيد ولا ينقص وقال ابن
عباس هو ابو كرب الذى كسا البيت بعدما اراد غزوه وبعدما اخذ المدينة و
واراد اخرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها دار هجرة نبى من قريش اسمه محمد واحمد و
قال شعرا واودعه عند اهلها فتوارثوه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبى عم وكان عند
ابو ايوب خالد بن زيد وفيه شهدت على احمد انه رسول الله بارى النسم فلو مد
عمرى الى عمره لكنت وزيرا له وابن عمه وروى محمد بن اسحق كان فى الكتاب الذى
كتبه اما بعد فانى آمنت بك وبكتابك الذى انزل عليك وانا على دينك وسنتك و
آمنت بربك ورب كل شىء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرايع الاسلام فان ادركتك

وهو [illegible] تبع الاكبر [illegible] بن [illegible] الذى كسا البيت [illegible]

فيها ونعمت والا فاشفعوا ولا تنسني يوم القيمة فلما من اهلك الاولين وما يفتك
قبل بحيشك وانا على ملتك وملة ابيك ابرهيم عم ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر
من قبل ومن بعد وكتب اليه عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين
صلى الله عليه وسلم من تبع الاكبر وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال
لانهم يتقيلون وقيل حفر بئر بناحية حمير في الاسلام فوجد فيه امراتان صحيحتان وعند
رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب حبا ولميس او حبا وتماضر وهذا قبر رضوى
وقبر حبا بنتي تبع على اختلاف الروايات وهما تشهدان لا اله الا الله ولا تشركان به شيئا
وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين
الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة البعث كما مر تحقيقه ما
خلقناهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق متعززا به بعيدا من الباطل واللعب والعبث
او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال او بالغرض الصحيح الذي اقتضته الحكمة
وهو الجزاء لكل نفس بما كسبت فان الجزاء هو الذي سبقت اليه الحكمة في خلق العالم من اربابها
اذ لو لم يكن الجزاء كما يقول الكافرون لاستوى عند الله المؤمن والكافر وهو
محال ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك لانكارهم الثواب والعقاب ولفرط جهلهم و
غفلتهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل
بعض الخلائق عن بعض ميقاتهم حدهم الذي يوقتون به وينتهون اليه ومنه
مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما فان
الميقات ما وقت به الشيء اي حد وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل
خبرها اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل اجمعين تاكيد لضمير الجمع يوم لا يغني بدل
من يوم الفصل او عطف بيان له او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له
لوجود الفاصل مولى عن مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان
اي يوم لا ينفع بعضهم بعضا في دفع العذاب شيئا في موضع المصدر اي شيئا من
الاغناء وهو القليل منه او المفعول به اي يوم لا يدفع مولى عن مولى شيئا من عذاب
الله ولا يبعد فان الاغناء بمعنى الدفع وابعاد المكروه من قولهم اغن عني وجهك
ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول لانه نكرة وقعت في سياق النفي

فافادت

فافادت العموم الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومن في محل
الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي ولا يمنع من العذاب الا من رحم الله او
النصب على الاستثناء انه هو العزيز اي الغالب القادر على الانتقام من اعدائه فلا ينصر
من اراد تعذيبه الرحيم البليغ الرحمة والانعام على اوليائه المؤمنين ان شجرة الزقوم
المشهور شجرة بفتح الشين وقرئ بكسرها وقرئ شيرة بالياء وقد مر بيان شجرة الزقوم
في سورة الصافات وان حاصلها الالم والتعب وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام
شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا
ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة
الزقوم طعام الاثيم اي طعام الفاجر الكثير الاثام والمراد به الكافر بدليل سباقه و
سياقه وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل
طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت
مؤدية معناه كالمهل بالضم الصديد والقيح وكذا المهلة بالفتح والكسر وبه فسر قول ابي
بكر الصديق رض ادفنوني في ثوبي هذين فانهما للمهل والتراب وقيل المهل النحاس
المذاب وقيل ذائب الفضة والنحاس وقيل دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم
يكون السماء كالمهل مع قوله تع فكانت وردة كالدهان وعن ابي سعيد عن النبي عم
في قوله تع كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه وجهه سقط فروة وجهه رواه احمد و
غيره والكاف في محل الرفع على انه خبر ثان لان وكذلك تغلي في البطون قرأ ابن كثير
وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل لانه الاظهر ان الجملة من
احدهما والباقون بالتاء على ان الضمير للشجرة كغلي الحميم غليا مثل غلي الماء الحار
الذي انتهى غليانه وعن النبي عم ايها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو ان قطرة من
الزقوم قطرت على الارض لامرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه
وليس لهم طعام غيره رواه ابن عباس رض خذوه على ارادة القول اي يقال للزبانية
خذوا الاثيم فلا يأخذونه الا بالنواصي والاقدام فاعتلوه اي جروه بعنف وغلظة
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وابو جعفر بضم التاء والباقون بكسرها وهما لغتان
من عتله يعتله ويعتله عتلا اذا قاده بعنف وغلظة ومنه العتل وهو الغليظ الجافي

الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصل هذا الكلام يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع وعن ابي هريرة قال النبي عم ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر الذي اخبر الله تعالى عنه ثم يعاد كما كان رواه الترمذي وغيره وقال مقاتل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب راسه عن دماغه ثم يصب ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق هذا العذاب انك انت العزيز الكريم استهزاء وتهكما به وتوبيخا على ما كان يزعمه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبلي مكة اعز واكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرا الكسائي انك بالفتح اي لانك او عذاب انك وقرا به حسن بن علي رض ان هذا اي هذا العذاب او هذا الامر ما كنتم به تمترون تشكون او تتمارون وتتلاجون فيه ان المتقين اي المؤمنين بما جاء من عند الله في مقام امين في مكان يامن صاحبه عن كل اذى ومكروه وقرا نافع وابن عامر وابو جعفر مقام بضم الميم هو موضع الاقامة والباقون بفتحها هو موضع القيام والمراد بالضم والفتح المكان وهو من الخاص المستعمل في العام والامين ضد الخاين من امن الرجل امانة فهو امين فهو في الحقيقة صفة صاحب المكان لكن وصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كان كانما يخون صاحبه بما يلقى به من المكاره او كناية على ان الوصف اذا اثبت في مكان الرجل فقد اثبت له كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه فجعل الامانة في مقام المتقين ليفيد اثباتها لهم كما كنى عن ثبوت المجد والكرم له بجعلهما بين ثوبيه وبرديه فيكون من الكناية المطلوب بها نسبة في جنات وعيون بدل من مقام وفايدته التوكيد لما فيه من التكرير والايذان بان المقام الامين بيانه وتفسيره جنات تجري تحتها العيون اي الانهار ونكرهما لتعظيمها وابهام امرهما كانه قيل في اية جنات واية عيون بمعنى الكامل في الصفة او لان المراد في جنات وعيون مخصوصتين بالمتقين خلقتا لهم خاصة يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار

في

او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب وقيل مشتق من البراقة وقيل هو مسمى باستفعل من البريق وكلا القولين غير صحيح لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره والتعريب جعل العجمي بحيث يوافق اللفظ العربي بتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب وقرا الخليل واستبرق بوصل الهمزة متقابلين في مجالسهم ليتانس بعضهم ببعض وهو حال مترادف او متداخل على انه حال من الضمير في يلبسون كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن فيتمتعون تارة بمؤانسة الاخوان ومقابلتهم وتارة بملاعبة النسوان من الحور العين ومزاوجتهن وقيل الحور النساء النقيات البياض وقال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال ابو عبيدة الحور الشديدات بياض الاعين والشديدات سوادها واحدها احور والمراة حوراء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها وقرا عكرمة بحور عين بالاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين حور وغير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفي مصحف عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان حال من مفعول زوجناهم او استيناف آمنين من كل نقص وآفة وضرر لا يذوقون فيها الموت وقرا عبد الله بن عمير لا يذاقون الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل وهو للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت والمعنى لا يذوقون فيها الجنة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذكر لان ذوق الموتة الاولى في المستقبل محال لا سيما في الجنة التي هي دار الحيوة وقيل الا بمعنى بعد فكل بمعنى سوى وضمير فيها عايد الى الجنات ثم الموت والموتة مصدران من فعل واحد كالنفخ من نفي الجنس فكانت اقوى وانفى في نفي الموت عن انفسهم كانه قال لا يذوقون فيها شيئا من الموت يعني اقل ما ينطلق عليه اسم الموت ووقيهم عذاب الجحيم وقرى ووقاهم بالتشديد للمبالغة فضلا من ربك اعطى المتقين ما ذكر من نعيم الجنة والنجاة من عذاب الجحيم عطاء وتفضلا منه وقرى فضل بالرفع اي ذلك فضل

ذلك هو الفوز العظيم لانه فوز بجميع السعادات ونجاة من كل البليات والآفات
فانما يسرناه بلسانك اي سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم
يتذكرون طلبا لان يفهمه قومك فيتذكروا به ولكن لما لم يتذكروا به فيفعلوا ما وجد ومن
الايمان خذ كشفوا العذاب عنهم او طالبين او مقدرين رجاءهم التذكر به
فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك متربصو
بك ريب المنون والذي يروى عن رسول الله صلعم من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة
اصبح مغفورا له وعنه عم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله
له بيتا في الجنة سورة الجاثية سبع او ست وثلثون آية مكية بسم الله
الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب حم مبتداء خبره تنزيل الكتاب على اضمار
مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب او تعديد للحروف على سبيل التحدي
وتنزيل الكتاب مبتداء خبره الظرف وهو من الله العزيز الحكيم ويجوز ان يكون
حم مقسما به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله ان في السموات والارض لآيات
للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله
وفي خلقكم وما يبث من دابة وما يبث عطف على الخلق لا على الضمير لان العطف على الضمير
المجرور ليس بسديد لانه عطف على بعض الكلمة لان المضاف والمضاف اليه كشيء واحد
كالجار والمجرور فانهم لم يفرقوا بين المجرور بحرف الجر والمجرور بالمضاف فلم يجوزوا ان
يقال مررت به وزيد وهذا غلامه وعمرو وقيل انما يحسن عطف على المضاف اليه
باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلايل
على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون يتيقنون العلم بنفي الشك عنه وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب آيات بالنصب حملا على اسم ان والباقون بالرفع حملا على
محل ان واسمها ونظيرهما قولك ان زيدا في الدار وعمرا في المسجد وعمرو في
واختلاف الليل والنهار واعتقابهما اذ كل واحد منهما يعقب الآخر ويخلف
عليه وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به
الارض بعد موتها بعد يبوستها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ينظرون
بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل واضحة على وجود صانعها وعظيم قدرته

وبالغ



وبالغ حكمته وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب على الاختصاص او على اضمار ان
وفي تقدير وان في اختلاف الليل والنهار وما عطف عليه آيات لهم والباقون
آيات بالرفع على هي آيات قالوا ويلزم التوزيع العطف على عاملين هما ان او في
النصب والابتداء وفي حالة الرفع وكان اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف
الآيات في الدقة والظهور وقرأ زيد بن علي وابن عمير من دابة آية وتصريف الرياح آية
بالتوحيد فيهما تلك آيات الله اي تلك الآيات آيات الله ودلايله الواضحة على
وجوده ووحدته وقدرته وعلمه وحكمته نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة
كانه قيل نشير اليها متلوة عليك بالحق تلاوة ملتبسة بالحق مقترنة بعيدة من الباطل
واللعب والهزل كما قال وما هو بالهزل وقرأ الخليل يتلوها بالياء فباي حديث
بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في
قولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد او بعد حديث الله وهو القرآن
كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلايله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير
الوصفين والمعنى ان القرآن من بين الكتب السماوية المنزلة على الانبياء آية ظاهرة
ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقرأ حمزة والكسائي
وابن عامر وابو بكر وخلف وروح تؤمنون بالتاء نقلا من الغيبة الى الخطاب والباقون
بالياء ليوافق ما قبله وفي تفسير القاضي بالعكس وهو غلط ويل لكل افاك اي كذاب
اثيم مبالغ في ارتكاب الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره
واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحى عليها صارا اذنيه مستكبرا عن
الايمان بالآيات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده وثم
لاستبعاد الاصرار على الكفر بالآيات بعد سماعها كقوله يرى غمرات الموت ثم
يزورها قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم
ويشغل بها الناس عن استماع القرآن وعن ابن عباس انه الحارث بن كلدة و
عن الثعلبي انه ابو جهل واصحابه والظاهر ان الآية عامة في كل كذاب مضار لدين
الله على ما يدل عليه صريح كلمة الاحاطة والشمول كان لم يسمعها اي كانه فخفف و
حذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال من المستكن في يصر اي يصر مثل غير السامع

او بما تلا حاله من لم يسمعها فبشره بعذاب اليم اى فانذره به وتنكير العذاب
قرينة على ان بشره استعارة تبعية تهكمية استعيرت البشارة التي هي الاخبار بما
يظهر سرورا في المخبر به للانذار الذي هو ضده بادخال الانذار في جنس البشارة
على سبيل التهكم والاستهزاء وتنكير العذاب ووصفه بالاليم قصدا به الى تعظيمه وابهام
امره كانه قال فانذره بعذاب لا يعرف كنهه ولا يحيط به الوصف لعظمه وفرط
الم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا
لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير عائد الى شيء لانه في معنى الآية
كقول ابي العتاهية نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث
اراد عتبة او الى آياتنا وفيه نكتة الاشعار بانه اذا سمع شيئا من الكلام وعلم انه من جملة
الآيات التي انزلها الله على رسوله سارع الى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء
بما سمعه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له
محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اعتراض
ابن الزبعرى في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته
رسول الله وقوله خصمتك قرأ قتادة واذا علم مبنيا للمفعول اولئك اشارة الى كل افاك
اثيم لشمول الافاكين لهم عذاب مهين يذلهم ويذهب بعزهم وكبرهم
من ورائهم جهنم من قدامهم جهنم لانهم صائرون اليها وبئس المصير او
من خلفهم لانه بعد آجالهم في الدنيا ولا يغني عنهم ولا ينفعهم ما كسبوا من
الاولاد والاموال في رحلهم ومتاجرهم شيئا في موضع المصدر اي شيئا من الا
غناء والنفع قليلا كان او كثيرا او المفعول به اي ولا يدفع عنهم ما كسبوا شيئا من عذاب
الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولا ما عبدوه من دون الله من الآلهة
والاوثان ولهم عذاب عظيم نوع من العذاب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره
ولا يتخلى هذا هدى اي هذا القرآن كامل في الهداية كقوله زيد عدل وهو
ورجل تدبيد كامل في العدل مبالغ فيه كامل في الرجولية وايما رجل والذين
كفروا ثمو على الكفر واستمروا على الجحود بآيات ربهم اي بالقرآن الذي انزل
اليهم من ربهم لهم عذاب من رجز اليم الرجز اشد العذاب وقرأ

تقديره لهم عذاب اليم ... عذابهم من رجز اليم ... ابن كثير

ابن كثير وحفص ويعقوب اليم بالرفع صفة لعذاب والباقون بالجر نعتا
لرجز الله الذي سخر لكم البحر جعله لكم املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب
ولا يمنع الغوص فيه او جعل البحار نافعة لكم وذللها لكم فاللام في البحر للجنس
اشارة الى البحور التي ينتفع بها الناس لتجري الفلك فيه بامره باذنه وتسخيره وفيه
بتسخيره وانتم راكبون ولتبتغوا من فضله ولتطلبوا من تفضله وانعامه او من
نعمه بالتجارة والغوص على اللؤلؤ والمرجان والصيد وغير ذلك من منافع البحر
ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا هذه النعم وشكرها الاقرار بوحدانية المنعم بها
وان لا يجعل له ند وشريك ولا يكفر المقر بآياته وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا جعلها منافع لكم ومعادن النفع ومصاره وهذا معنى ما قيل من ان معنى تسخيرها
ان سهل الانتفاع بها بما شاء من الاسباب منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء
كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها الى الوجود ثم
مسخرها لكم لاتيها العباد او خبر لمبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه او لما في
السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقال ابن عباس كل ذلك رحمة منه
وقال الزجاج كل ذلك تفضل منه واحسان وقرأ ابن عباس منة على المفعول له وقرأ
سلمة بن محارب منة على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي نحو جد جده او خبر
مبتدا اي ذلك او هو منة اي انعام وتفضل وقرأ عكرمة منه بفتح الميم وضم
النون المشددة ان في ذلك لآيات لدلائل واضحة على وجود صانعها ووحدانيته
وباهر قدرته وبالغ حكمته لقوم يتفكرون ينظرون ويتاملون فيما يدل عليه
انشاء هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما سخر فيها ودبر مما حارت
العقول وكلت الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبريائه
سلطانه وعزة قدرته ولطف صنعه وحكمته قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول
لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايع الله باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعهم
او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها
او لا يخشون مثل عذاب الامم الخالية نزلت في عمر رض شتمه رجل من غفار فهم

ان يبطش به فامر الله من الصحابة بمكة كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا ليوفيهم الله جزاء مغفرتهم يوم القيمة والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون على طريقة الالتفات وقرأ ابو جعفر والاعرج ليجزى مبنيا للمفعول قوما بالنصب اي ليجزى الجزاء قوما اعني ما يجزى به لا المصدر لان اسناد الفعل اليه مع المفعول به ضعيف كقوله ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا اي لسب السب وقرئ ليجزى قوم من عمل صالحا فلنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر ثم الى ربكم ترجعون اي لا ترجعون الا الى ربكم فاستعدوا للقائه وفيه ترغيب وبعث على اكتساب العمل الصالح وترهيب و زجر عن ارتكاب العمل السيء لانه يجازي عباده على حسب اعمالهم يوم القيمة قرأ يعقوب يرجعون بفتح الياء ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات ما احل الله واطاب لهم من اللذائذ والارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات من الامر ادلة لاجل امر الدين ويندرج فيه المعجزات وقيل آيات من امر النبي عليه السلام مبينة لصدقه فما اختلفوا فما وقع بينهم الخلاف في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة ذلك الامر او من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم بغيا بينهم لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة من الامر على طريقة واضحة من امر الدين والشريعة والشرع ما شرع الله لعباده من الدين اي بين واظهر فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ما الحجة عليه من آراء الجهال التابعة للشهوات ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش قالوا له عليه السلام ارجع الى دين

اياكل

ايا كل انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا لن يدفعوا عنك شيئا من عذاب الله او لن ينفعوك نفعا قليلا من الله لانهم اعداؤه وهو تعليل للنهي عن اتباع اهوائهم وذكر ان نقول لما نهى المخاطب عن اتباع اهواء الجهلة صار المقام مقام ان يتردد المخاطب في انهم هل صاروا محكوما عليهم بالاغناء عنه اولا ويطلبه فنزل منزلة الطالب وقيل انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مؤكدا اي حكم الحكم عليهم بنفي الاغناء ومثله وان الظالمين بعضهم اولياء بعض وسلوك هذه الطريقة يشبعه من البلاغة فيها دقة وغموض وان الظالمين بعضهم اولياء بعض فلا توالهم باتباع اهوائهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم لان الجنسية علة الانضمام والله ولي المتقين ناصر الذين اتقوا الشرك والمعاصي التي من جملتها موالاة الظالمين ومعينهم ومظهرهم عليهم فهو الحقيق بان تتخذوه وليا وتواليه بالتقوى واتباع وحيه وشريعته قرأ زيد بن علي والله بالنصب عطفا على الظالمين هذا بصائر للناس اي هذا القرآن حجج بينة بجعل المتقين بقلبه وبصيرته وصار كالميت والجماد الذي لا حس له ولا حيوة ولذلك قال تعالى في الكفار العادين عنه صم بكم عمي فهم لا يعقلون قرأ اليماني هذه بصيرة وهدى اي وبالغ في الهداية من الضلالة ورحمة لا يدرك كنهها وغايتها ورحمة ونعمة كاملة من الله حيث يحيي ويخصهم بعد سخطه وعذابه ويغاثه بجميع السعادات الدنيوية والاخروية لقوم يوقنون يؤمنون به كما قال في الاعراف هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقيل يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح الا عضاء الكاسبة والمراد بالسيئات ههنا الكفر والمعاصي ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات اي مثلهم وهو مفعول نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل من المفعول الثاني ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حيوتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعول به والكاف حال وان كان للموصول الثاني

في الدنيا استيناف يبين المقتضى للانكار وان كان لها محل فبدل او حال من الثاني وضمير
الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المواخذة كما استووا
في الرزق والصحة في الحياة او استيناف مقرر للتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى
والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج و
خفوق النجم اى سواء في محياهم وفي مماتهم وعن تميم الدارى رضي الله عنه انه كان يصلى ذات
ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون
ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها
ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اى الفريقين انت وخلق الله السموات و
الارض بالحق عطف على احدى الجمل السابقة مما توافقه او استيناف يقرر عدم الاستواء
للفريقين في الممات وبعده وقيل كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان
خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصاف المظلوم من الظالم والتفاوت
بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس
بما كسبت عطف على بالحق لافادة التعليل لان معناه بالغرض الصحيح والحكمة
البالغة او بسبب العدل والانصاف او على تعليل محذوف مثل ليدل بها على وحدته
وقدرته او لتكون آية نيرة للناظرين ومطارح افكار واعتبار واستدلال ونظر للمتفكرين
ومما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تحصى والمرافق التي لا تعد او ليفيد الفوائد الدينية
والدنيوية والحكم الربانية او ليبين قدرته او ليعدل ولتجزى والعطف على تعليل
محذوف ليس بعزيز في القرآن كما مر عليك بيانه في مواضع منه وهم لا يظلمون
بان لا ينقص من اجرها وثوابها ولا يزيد في عقابها بناء على وعد المختوم فان
الخلف فيه منه ممتنع لانه نقص مناف للالوهية وكمال الغنى وبهذا الاعتبار يصح ان
يسمى ظلما وان كان لا يتصور حقيقة الظلم من الله تعالى لكونه المالك على الاطلاق فله
ان يتصرف في ملكه كيف يشاء فهذه الآية اجيب بان التسوية في الجزاء حكم
شيء وهو سفه والله خلق العالم بالحق لا بالسفه وذكر الحق في الجاز
على وقوع الاجمال بين عدل وفضل بلا ظلم وجهل افرأيت من اتخذ الهه هواه
ارايت بمعنى اخبرني فان رؤية الشيء طريق الى الاخبار عنه والفاء للتعقيب والمعنى اخبر

بقية

بقية هذا الكافر الذي جعل الهه هواه وهو ما تهوى به نفسه الخبيثة واذكر
حديثه عقيب حديث هؤلاء الظالمين قال مقاتل نزلت في الحرث قيل احد المستهز
ئين لانه كان يعبد ما تهواه نفسه قال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ
دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرمه
وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه
رفضه اليه فكان اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها وقال سعيد بن
جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا احسن من
الاول رموه وكسروه وعبدوا الآخر وقال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوى
صاحبه في النار واضله الله وخلق فيه الضلالة عن الهدى على علم في موضع النصب
على الحال اى عالما بضلاله واستحقاقه اياه لفرط خبثه وفساد جوهر روحه او مع علمه
بوجوه الهداية واحاطته باسبابها وختم على سمعه وقلبه وطبع عليهما فلم يسمع الهدى
سمع قبول ولا يعقل فلا يتعظ بالمواعظ ولا يتدبر في قوارع الآيات وزواجرها
ولا يتخشع عند تلاوتها عليه وهو ما عطف عليه تقرير لاضلال الله اياه وجعل
على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار قرأ حمزة والكسائي وخلف
غشوة والباقون غشاوة وهما بمعنى واحد وهو ما يغطى العين ويغطيها
عن الابصار والادراك وتنكيرها للتنويع او للتعظيم وقرأ الحسن غشاوة بضم
الغين وابن مسعود برواية الاعمش غشاوة بفتحها وطلحة غشوة بكسر الغين
فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلال الله ومعنى الاستفهام في من الانكار اى لا يهدى
احد سوى الله اى فلا يقدر احد ان يهديه من بعد اضلاله افلا تذكرون افلا
تتفكرون في ذلك فتعلموا ان الهداية بالله لا يملكها احد سواه او فلا تتعظون
فتعرفوا انه قادر على ما يشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف تذكرون
بتخفيف الذال والباقون بتشديدها وقرئ تتذكرون بتائين على الاصل وقالوا
ما هي اى الحيوة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اى نكون امواتا
نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت
بعضنا ونحيا بعضا او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حال وكينونة لهم

يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها

مطلب الدهر

ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وعلى هذه العقيدة من اهل ما اراد
ان نوح هذا الزمان وقرئ نحيا بضم النون وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان
من الليالي والايام والدهر في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه و
جمهور ائمة اللغة على ان الدهر والزمان واحد وقيل الدهر الزمان الطويل
وانما قالت الكفرة ذلك على سبيل النطق والتخمين دون العلم كانوا يزعمون
ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه
الارواح بامر الله وكانوا يعتقدون في الدهر والزمان انه الطارق بالنوائب
والحوادث ويضيفون اليه كل نائبة وحادثة وما زالوا يسبونه ويذمونه ويشكون
منه كما نطقت بذلك اشعارهم فنهى رسول الله عم عن ذلك بقوله لا تسبوا الدهر
هو الله ويروى فان الله هو الدهر ويبين ان الطوارق التي ينزل والحوادث
التي تحدث منزلها ومحدثها هو الله دون غيره اي فان الله هو المنزل للطوارق
والنوائب والحوادث لا الدهر وقرا ابي الا دهر بالتنكير وما لهم بذلك من
علم من زائدة لتاكيد النفي اي ليس لهم بذلك القول الذي قالوه علم ما وقيل
يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار
البعث او كلاهما ان هم الا يظنون اذ ليس لهم على ذلك دليل عقلي او ضروري
وانما قالوا تقليدا لآبائهم الجهلة وانكارا لما لم يشعروا به واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم
ما كان لهم متمسك يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
وانما سمي قولهم هذا حجة مع انه ليس بحجة لانهم ساقوه مساقها او لانه في حسبانهم
وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما
كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي من ان يكون لهم حجة البتة وقرا ... حجتهم
بالرفع على اسم كان بخلاف حينه واما انتصابها فعلى تقدير حذف له قل الله
يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه لان من كان
قادرا على الابتداء كان على الاعادة اقدر والوعد بالاتيان بآبائهم من اهون الاشياء
عليه لكن الحكمة الالهية اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون

ذلك

ذلك لفرط جهلهم وتمادي غفلتهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك
السموات والارض اي يختص بالله بانه ملك العالم لانه هو الصانع له والموجد
العالم الى الوجود فلما قدر على ايجاد هذه الاجرام العظام وايجاد اهلها قدر على
ايجادهم مرة اخرى لان ايجاد الجزء اهون وايسر من ايجاد الكل وهو
كما تسمع وترى تعميم للقدرة بعد تخصيصها وتقرير لقوله وهو اهون عليه ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يوم منصوب بيخسر ويومئذ بدل منه وترى
كل امة جاثية مجتمعة من الجثو وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم
او باركة مستوفزة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء
وعن سلمان الفارسي انه في القيمة ساعة هي عشر سنين تجثو الناس فيها جثاة
على ركبهم حتى ابراهيم عم ينادي ربه لا اسالك الا نفسي وكذلك الملائكة على ما قال كعب
لعمر امير المؤمنين ان تزفر زفرة يوم القيمة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى
على ركبتيه حتى يقول خليل الرحمن يا رب لا اسألك اليوم الا نفسي وقرئ جاذية اي جالسة
على اطراف اصابعهم لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرأ
يعقوب كل امة بالنصب بدلا من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون
ما كنتم تعملون على ارادة القول اي يقال لهم اليوم تجزون فمن كان من عمله الايمان
جزاهم الله تعالى بالجنة ومن كان في عمله الشرك والكفر جزاه بالنار كما قال النبي عم
اذا كان يوم القيمة جاء الايمان والشرك فيجثوان بين يدي الرب تبارك وتعالى
فيقول الله للايمان انطلق انت واهلك الى الجنة ويقول للشرك انطلق انت
واهلك الى النار هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه مالكها والآمر
ملائكته بان يكتبوا فيها اعمالهم فهو من قبيل الاضافة بادنى ملابسة واما
ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيها ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم
شهادة ملتبسة بالصدق مقترنة به بعيدة من الكذب والزيادة والنقصان
انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون انا امرنا الملائكة بنسخ جميع اعمالهم من الصغائر
والكبائر بدليل قوله ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل
نستنسخ اي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه

ثواب او عقاب وفي نحو منه اللغو كقولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ
من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل ما يكون من اعمال بني آدم فان الاستنساخ انما
يكون من اصل فينسخ كتاب من كتاب وقال السدي نستنسخ اي نكتب وقال الحسن
نحفظ وقال الكلبي نثبت فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات تفصيل وتوضيح للجزاء
المجمل المبهم فيدخلهم ربهم في رحمته في جناته التي كل منها رحمته فهو من المجاز
المرسل لكونه من تسمية الشيء باسم حاله وقيل في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو
هو الفوز المبين الظفر الظاهر بكل ما ارادوا اما الذين كفروا افلم تكن آياتي
تتلى عليكم فاستكبرتم جواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم
الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف الجواب والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود
واستغناء بالقرينة وقوله فاستكبرتم اي فتعظمتم عن الايمان بها وقبولها وهو اعظم الكبر
ان يتهاون العبيد بآيات ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها فان قلت هذه
الآية تشمل الذين في اقاصي الروم والترك والهند من الذين لم يبلغهم الدعوة
ولم يتل عليهم شيء من آيات الله وهم اكثر عددا من رمال الدهناء وما قولك
فيهم قلت لا بل الظاهر عندي بحكم الآية ان هؤلاء معذورون مغفورون
يشملهم رحمة الله الواسعة بل اقول يشمل كل من مات في الفترة وكل احمق وهرم
وكل اصم ابكم معتوه قال ابو هريرة قال رسول الله عم اربعة كلهم يدلي على الله
بحجة وعذر رجل مات في الفترة ورجل ادرك الاسلام هرما ورجل اصم ابكم
معتوه ورجل احمق الحديث فاستوسع ايها السائل رحمة الله فان صاحب الشرع
هو الذي استوسع رحمة الله تعالى قبلنا ولم يضيقها جبارين ولا تشتغل بالتكفير والتضليل
لسانك وقلبك كطائفة يفاخرون بمجرد الفقه يخوضون في تكفير الناس وتضليلهم و
كطائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين ونحوهم وقد كذبوا في زعمهم عموما ان
من لم يعرف العقائد الشرعية بادلتنا المحررة في كتبنا فهو كافر فاولئك عليهم
العويل والنياحة ايام حيوتهم ومماتهم حيث ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده
وجعلوا الجنة حجرا ووقفا على طائفة الفقراء وشرذمة من المتكلمين وكفروا وضللوا
الذين هم برآء من الكفر والضلالة وقد ذهلوا وجهلوا بقول النبي عم امتي كلها

في الجنة

في الجنة الا الزنادقة وقد روي ايضا انه كل منها واحد ويقول عبد الله بن مسعود
وابو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم زمان ليس فيها
احد بعد ما يلبثون فيها احقابا قال الشيخ قال النبي عم اذا كان يوم القيمة يغفر الله لاهل
الاهواء اهواءهم وحوسب الناس باعمالهم الا الزنادقة وكنتم قوما مجرمين كاملين
في الاجرام والآثام اي كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبرتم عنها واجترأتم على جحودها
وانكارها واذا قيل لكم ان وعد الله حق اي وعد الله بالحشر والجزاء وما وعده
على تقدير ان يراد بالوعد الموعود
الله حق صدق لا كذب فيه لتعاليه عن عيب ونقص وقيل كائن هو ومتعلق لا
محالة والساعة لا ريب فيها لا بد من اتيانها ولا محالة وليس يرتاب فيها قرأ
حمزة والساعة بالنصب عطفا على اسم ان والباقون بالرفع عطفا على محل ان و
اسمها قلتم ما ندري ما الساعة اي اي شيء الساعة استغرابا لها واستنكارا ان
نظن الا ظنا تنكير المصدر لقصد التحقير والمعنى لا نظن بالساعة الا ظنا ضعيفا مستحقر
بالعد لان الظن مما يقبل الشدة والضعف والمفعول المطلق ههنا للنوعية لا للتأكيد
وهذا يحمل التنكير على ما يفيد التنوع كالتعظيم والتحقير والتكثير ونحوها في كل مفعول
مطلق وقع بعد الا وبهذا الاعتبار يصح الاستثناء المفرغ ويظهر كونه بعضا من المستثنى
منه الاعم المحذوف اي لا نظن شيئا من الظن الا هذا النوع ويندفع الاشكال الذي
يورد على مثل هذا التركيب ما قرب الا قربا بان المستثنى المفرغ يجب ان يستثنى من
متعدد مستغرق حتى يدخل المستثنى بيقين فيخرج بالاستثناء وليس مصدر نظن
محتملا غير الظن حتى يخرج الظن من بينه ولا يحتاج الى التحمل ذكره الزمخشري وغيره
المستثنى المفرغ الذي حذف منه المستثنى منه واعرب ما بعد الا بحسب العوامل
من ان اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما سواه
كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله
وما نحن بمستيقنين لامكانها واعلم ان هذا قول فريق منهم فانهم كانوا في
اي الساعة
الساعة مختلفين بدليل قوله تعالى عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه
مختلفون فمنهم من يقطع بانكارها المستلزم لانكار البعث والجزاء ومنهم
من يظن ظنا ويشك شكا لتحيرهم بين ما سمعوا من آبائهم واخوانهم
الشياطين وما تلي عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم وظهر لهم

سيئات ما عملوا قبائح اعمالهم او جزاء اعمالهم السيئات وحاق بهم
ونزل بهم ما كانوا يستهزئون جزاء جهلهم واستهزائهم وقيل اليوم ننسيكم كما
نسيتم لقاء يومكم هذا اى نترككم فى العذاب كما تركتم عُدّة لقاء يومكم هذا وهى
الايمان والعمل الصالح او نجعلكم كالشئ المنسى الذى لا يبالى به كما لم تبالوا بلقاء يومكم
ولم تخطروه ببال كالشئ الذى يطرح نسيًا منسيًا واضافة اللقاء الى اليوم اضافة
المصدر الى ظرفه كقوله مكر الليل والنهار اى كما نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ومأويكم
النار ومرجعكم النار ومكانكم وما لكم من ناصرين يدفعونها عنكم ويخرجونكم منها
ذلكم اشارة الى ما ذكر من العذاب وعدم انصار ينصرونهم بانكم اتخذتم آيات الله
هزوًا اى جعلتم آيات الله مكان هزؤ ومهزوًّا بها والهزء بمعنى لفرط استهزائهم
بها وغرتكم الحيوة الدنيا وخدعتكم الدنيا باباطيلها وزخارفها حتى حسبتم ان لا حيوة
سواها ولا بعث ولا جزاء فاليوم لا يخرجون منها قرأ حمزة والكسائى وخلف يخرجون
بفتح الياء وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء ولا هم يستعتبون اى ولا يطلب
منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب
الارض رب العالمين اذ كل نعمة منه الدال على كمال فضله وقدرته وقرى برفع
الرب فى الثلث وله الكبرياء فى السموات والارض قدم الظرف فى الجليلين
قصدًا به الى الاختصاص اى يختص به الحمد والعظمة فى السموات والارض لان اصول
النعم وفروعها منه فقد تفضل على كل شئ من الموجودات باصل النعم الذى
هو الخلق والايجاد من العدم الى الوجود وظهر فيه اثر قدرته الباهرة وحكمته
البالغة فوجب على اهل السموات واهل الارض ان ينظروا النظر الصحيح ويكونوا
باسرهم عبادًا حامدين لصانعهم على نعمائه شاكرين له على الآية معظمين له عن
الانداد والشركاء ولا يتشعبوا شعبًا ولا يتفرقوا اممًا وهو العزيز الغالب القادر
الذى لا يُغلب او البليغ العزة الذى غلب على كل موجود وعن ابى هريرة قال
عم ان الله تعالى ثلثة انواع اتزر بالعزة وارتدى بالكبرياء وتسربل بالرحمة فمن تعزز
بغير الله اذله الله فذلك الذى يقول الله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ومن
تكبر فقد نازع الله ان الله تعالى يقول لا ينبغى لمن نازعنى ان ادخله الجنة ومن ترحم

الناس



الناس يرحمه الله فذلك الذى تسربل الله سربالا الذى ينبغى له وعنه قال رسول
الله عم يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ادخلته
النار الحكيم المتقن البالغ فى الكلام وما يعطيه الاتقان فى جميع افعاله الابرى الى العالم
كيف خلقه وانشاءه وابدعه على هذا النمط البديع والنظام العام العجيب مشتملا على الكونين
البهيجة والافعال المتقنة او البليغ الحكمة فى كل ما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه عن
النبى عم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب سورة الاحقاف
اربع او خمس وثلثون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز الحكيم البليغ العزة والحكمة ما خلقنا السموات والارض التفات
من الغيبة الى التكلم على عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الروعة والاستحسان
مع ما فيه من التفخيم والتعظيم دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها واتساع
جرمها وتباعد اطرافها وبعد مرتقيها وما بينهما من السحاب والرياح والجبال
والحيوانات والاشجار والليل والنهار الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق اى بالغرض
الصحيح والحكمة البالغة وان جعلها مقارا للمكلفين ليعملوا فيجازيهم او بسبب العدل
والانصاف يوم الجزاء على الاعمال واجل مسمى وبتقدير العالم والذين كفروا عما
انذروا معرضون عما انذروه من هول ذلك الوقت الذى لا بد لكل خلق من
انتهائه اليه او عن انذارهم او عن وقت انذروه على ان ما موصولة او مصدرية
او موصوفة معرضون لا يؤمنون ولا يتفكرون فيه تفكر من يستعد لحلوله وقيل
وقيل عما انذروا اى خوفوا به من البعث والحساب قل أرأيتم ما تدعون من دون
الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات اروني بدل من أرأيتم
بدل الاشتمال اى قل اخبرونى عن آلهتكم الذين تعبدونهم من دون الله جزء من
اجزاء الارض تفردوا واختصوا بخلقه دون الله ام لهم شركة مع الله فى خلق
السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية فاذا لم يكن لهم مدخل فى خلق شئ
من اجزاء العالم كان حالهم حال ساير الخلايق فى عدم استحقاق العبادة وفى لزوم
العبودية فلا يصح لهم العبادة بوجه من الوجوه وهذا الزام للذين عبدوا الاوثان
وسموها آلهة وتجهيل لهم واثبات لغاية جهلهم حيث جعلوا غير الخالق مثل الخالق

في تسميته باسمه والعبادة له تصريح وذكر الشرك في الجهات العلوية دون السفلية لان الاثار العلوية اظهر دلالة على اختصاص الله بخلقها وايجادها وابين شهادة وادل على تعاليه وتقدسه عن الشركة فيها فقطع لها لعلوها وبعدها وتعاليها وكونها موثرة بالتحيز وارادة وقيل تخصيص الشرك في السموات احتراز عما يتوهم ان للوسايط شركة في ايجاد الحوادث فوائد البيان من تدعون ايتوني هاتوا واحضر واعتدي بكتاب من قبل هذا اي بكتاب يشهد بصحة عبادة غير الله من قبل انزال الناطق بالتوحيد يعني جميع الكتب السماوية المنزلة من قبل القران ينطق بمثل ما ينطق به القران من التوحيد وابطال الشرك فاتوا بكتاب من قبله ناطق بصحة ما انتم عليه من الشرك او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرى اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني وقرى اثرة اي شيء اوثرتم به وقرى اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمضمومة اسم ما يوثر كالخطبة اسم ما يخطب به والمكسورة بمعنى الاثرة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا الزام بعدم دليل نقلي على صحة ما هم عليه من الشرك بعد الزامهم بعدم دليل عقلي على ذلك ومن اضل ممن تدعوا من لا يستجيب له معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة القادر على تحصيل كل المراد السميع المجيب وعبدوا من دونه جمادا لا يقدر على استجابة احد منهم فراد البيان ما لا يستجيب الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم وهم عن عبادتهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشغولون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين جاحدين مكذبين بلسان الحال او المقال او بهما جميعا وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات وانتصابها على انها حال موكدة لان ايات الله لا تكون الا حججا وبراهين قال الذين كفروا للحق لاجل الحق وهو الايات ولم يقل قالوا لها بل وضع الظاهر موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وعليها بالحق

لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل يعني بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر اي جحدوه على البديهة قبل اجالة الفكر واعادة النظر هذا سحر مبين ظاهر بطلانه واذا جعلوه سحرا وبينوا القول به فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث والحساب والجزاء فقد صار واكفر من الحمار يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الحق سحرا الى ما ذكرهو اشنع منه من قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب اي دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب ولك ان تقول معناه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان افتريته فرضا وتقديرا فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجتري عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في اياته والطعن فيها وتسميتها سحرا وفرية كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والكفر وفي ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب عن الكفر وامن وايذان بحلم الله عنهم مع عظم ذنوبهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه واقدر على ما لم يقدروا عليه من الاتيان بالمقترحات والاخبار بالمغيبات كلها فان الرسل لم ياتوا الا بما اتاهم الله من اياته ولم يخبروا الا بما اوحى اليهم ونظير البدع بمعنى البديع الخف بمعنى الخفيف وقرى بدعا بفتح الدال على انه صفة بوزن فعل كقيم في قولهم دين قيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وقيل اي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الازمنة الاتية في الدنيا والاخرة اذ لا علم لي بالغيب وما الاولى نافية ولا تاكيد لها والثانية موصولة منصوبة بادري او استفهامية مرفوعة بالابتداء خبره يفعل وقرى في الشاذ يفعل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة او اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي و

ورأيتها في المنام ذات نخل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي
منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ان اتبع الا ما يوحى الي
لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال
المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وقرأ زيد بن علي يوحي بكسر الحاء وما انا الا نذير
عن عقاب الله مبين ظاهر الانذار بالشواهد البينة والمعجزات المصدقة قل ارأيتم
اخبروني ان كان من عند الله وكفرتم به الواو للحال باضمار قد اي وكفرتم به او للعطف
على الشرط وكذا الواو في وشهد شاهد من بني اسرائيل لكنها تعطفه بما عطف عليه على
جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله ان الله
لا يهدي القوم الظالمين كانه قيل ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين
واختلفوا في الشاهد فقيل هو نبي من بني اسرائيل وقيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلعم
المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي صلعم المنتظر فقال
له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام
يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلعم اخبرني بهن جبرئيل انفا قال
جبرئيل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من
المشرق الى المغرب واما طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا
سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد ان لا اله الا الله
واشهد انك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل
ان تسألهم بهتوا عندك فجاء اليهود فقال لهم النبي صلعم اي رجل عبد الله فيكم
قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله
قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف
يا رسول الله واحذر وقال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله يقول لاحد
يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني
اسرائيل وقيل هو موسى لا ابن سلام لانه اسلم بالمدينة والآية مكية قال الشعبي ومسروق

بلغ

والله ما نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة وانما اسلم
عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله لقومه
واما شهادته فما في التورية من نعت رسول الله صلعم على مثله اي مثل القرآن وما
هو في التورية من المعاني المطابقة القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير
ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى او
مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن لما علم انه مثل ما نزل على موسى
وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي
القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لافراطهم في ظلمهم وانتظامهم في
سلك المتمادين في الظلم الكاملين في الغي والضلال وقال الذين كفروا من قريش
او اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه او بني عامر وغطفان واسد و
اشجع حين اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان
الايمان او ما جاء به محمد او يدعوا اليه خيرا حقا ما سبقونا اليه وهم سقاط لان
عامتهم فقراء وموال ورعاة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف تقديره واذ لم
يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب عنه هذا افك قديم هو كقولهم
اساطير الاولين فقد جهلوا محنة وقابلوه فعلوا وعادوه لان الناس اعداء
ما جهلوا كما قال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فلا ينبغي
لاحد ان يستهين بشيء من الحق اذا لم يهتد عقله به ولم يدركه فهمه فان ذلك
من محض الضلالة والجهالة بل ينبغي ان يطلب الاهتداء من الهادي ويجد
فيه ومن قبله ومن قبل القرآن وهو ظرف وقع خبرا لقوله كتاب موسى ناصب
لقوله اماما ورحمة على الحال وقال ابو عبيدة منصوبان باضمار جعلناه اماما
ورحمة وقيل في الكلام محذوف آخر تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما
ورحمة فلم يهتدوا به كما قال في الآية السابقة واذ لم يهتدوا به وقرأ ابن عباس
كتاب موسى بالنصب باضمار جعلنا وقرأ الكلبي ومن قبله بفتح الميم واللام و
هذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب السماوية
وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه

لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفايدتها التوكيد والتقدير او منه او مصدق اى يصدق ذا لسانا عربيا باعجازه وهو الرسول لينذر الذين

ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه وابو جعفر ويعقوب بالتاء على الخطاب و

بشرى للمحسنين عطف على محل لينذر وقرئ لينذر من نذر ينذر نذرا اذا حذر وقال البغوي في تفسيره وبشرى في محل الرفع عطفا على مصدق وهو

بعيد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة

على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب

...

الاعمال الصالحة واساسها والاستقامة التي هي منتهاها وثم للتصريح بتاخير الاستقامة وتراخيها عن الاقرار بربوبية الله ووحدانيته وقيل جمعوا بين التوحيد الذي

هو خلاصة العلم والايمان والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة

على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم حالا واماله

من الموت والسوال وغيرهما ولا هم يحزنون على ما عملوا من الذنوب فان الله

يغفرها لهم وما خلفوا من الاولاد فان الله خليفتهم عليهم والفاء لتضمن

الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها حال من اولئك كقولهم

هذا بعلي شيخا وقيل حال من المستكن في اصحاب جزاء بما كانوا يعملون مصدر

لفعل دل عليه الكلام اى جوزي جزاء بما عملوا من صرف القوى النظرية والعملية

في طاعة الله وما يرضيه ووصينا الانسان بوالديه حسنا اى وامرناه بان يوتيهما فعلا

ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه او وقلنا له احسن بهما حسنا

او قلنا اولهما او افعل بهما احسانا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا بفتح

الحاء والسين اى ايصاء حسنا وقرئ بفتحهما حملته امه كرها ووضعته كرها

قرا الكوفيون وابن ذكوان ويعقوب كرها بضم الكاف والباقون بفتحها وهما

لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وانتصابه على الحال

اى ذات كره او على انه صفة مصدر محذوف اى حملا ذا كره ووضعا ذا كره وحمله

وفصاله اى ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب

وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد

عن المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امره وقرا الحسن

والجحدري من طريق عبد الوهاب وفصله والاعمش والحسن برواية الحلواني

وفصاله بفتح الفاء ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد

مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما مدة الرضاع

اذا كان حولين لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل

ستة اشهر وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق

ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكمل واستحكم قوته وعقله

وتمييزه وبلوغ الاشد بالادراك الى الاربعين وقيل ملابس ثماني وعشرين الى الاربعين سنة

وقيل ذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة

وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قط الا بعد الاربعين سنة وهو ضعيف

جدا يدل على ضعفه ان عيسى ويحيى بعثا قبل الاربعين قال رب اوزعني الهمني وقيل

اصله اولعني من وزعته بكذا وقرا ورش والبزي اوزعني بفتح الياء ان اشكر نعمتك

التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الاسلام فانها النعمة كل النعمة او ما يعمها و

غيرها وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليه وان اعمل صالحا

ترضيه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله تعالى وقيل المرضي الصلوات

الخمس وقيل اعتاق الرقاب واصلح لي في ذريتي واجعل ذريتي موقعا للصلاح ومظنة

له يعني هب لي الصلاح في ذريتي وارقه فيهم قرا الخليل ذريتي بكسر الذال

اني تبت اليك عما لا ترضى او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين اى المخصصين لك الطاعة

من كل شائبة كدر اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعتهم فان المباح

حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي وحفص

بالنون والباقون بالياء والبناء للمفعول وقرا ابن يعمر يتقبل الله ويتجاوز احسن

وقرا سعيد بن جبير واليماني يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز بفتح الياء فيهما

ونصب احسن في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم

وعد الصدق مصدر موكد لنفسه لان يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل

والتجاوز وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد سلفنا القصة

والجمهور على انها نزلت في ابي بكر الصديق وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير
بنت صخر بن عمرو وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم قال علي بن ابي طالب رض نزلت
في ابي بكر رض اسلم ابواه جميعا ولم يكن ذلك من المهاجرين واوصاه الله بهما ولزم ذلك
من بعده وكان ابو بكر صحب النبي عم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي عم ابن عشرين
سنة في تجارته الى الشام فلما بلغ اربعين سنة ونبئ النبي عم آمن به ودعا ربه بان
يلهمه الشكر والعمل الصالح المرضي قال ابن عباس رض اجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين
يعذبون في الله ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا باصلاح ذريته فاجابه
فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابو قحافة النبي عم
وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق ولم يكن ذلك لاحد
من الصحابة الذين كانوا يوعدون في الدنيا وقال الحسن ان هذه الآية مرسلة نزلت
على العموم والذي قال لوالديه اف لكما مبتداء خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح
نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص
وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقال الزمخشري قيل نزلت في
عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام
فافف بهما وقال ابعث الى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى
اسالهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي قال جنس القائلين
ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان
من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رض انكار نزولها فيه وحين
كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية
اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف
لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله
لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرأ نافع وحفص وابو جعفر بالجر و
التنوين للتنكير وابن عامر ويعقوب اف بالفتح للتخفيف والباقون اف بالكسر على اصل التقاء
الساكنين وقرئ بالفتح مع التنوين وبالضم مع التنوين وهو صوت اذا صوت به
الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام لبيان المتأفف به اي هذا

لكما

لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما اتعدانني ان اخرج ان ابعث قرأ نافع وابن كثير
وابو جعفر اتعدانني بفتح الياء وهشام اتعداني بنون واحدة مشددة وسكون الياء
والباقون اتعدانني بنونين وسكون الياء على الاصل وقرئ اتعدانني بفتح النون
كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه
من ادغم ومن حذف احدهما وقرئ أَخرُج وقد خلت القرون من قبلي وقد مضت
القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله اي يقولان الغياث بالله
منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء
عليه بالهلاك والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك وويلك من المصادر
التي لا فعل لها نحو ويحك وويسك وذفرا وقولها آمن اي صدق بالبعث والاخراج
من الارض ان وعد الله حق نجلة للامر بالايمان والوعد يحتمل الموعود والمصدر
حق اي كاين لا محالة لان الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه فيقول ما هذا الذي
تدعون اليه الا اساطير الاولين اي الاسطر المتقدمين مما لا حقيقة له من احاديث
رستم وبهرام واسفنديار جمع اسطار جمع سطر او جمع اسطورة كاحدوثة وهو افوق
من سطر الحديث اذا كتبه اولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم القول
بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه من اهلها كذلك وقد
جب عنه ان كان لاسلامه وقيل اي وجب عليهم العذاب وهو كلمة الله هولاء في
الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي في امم في محل النصب على الحال من المجرور
كقوله في اصحاب الجنة قد خلت من قبلهم تقدمت ومضت من الجن والانس
بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم ولكل
من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من
الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب
وليوفيهم اعمالهم وليعطيهم جزاء اعمالهم وافيا تاما من وفاه حقه اذا اعطاه
وافيا تاما وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون والباقون
بالياء وهم لا يظلمون ولا يظلمهم حقوقهم بنقص ثوابهم وزيادة عقابهم فانه
لما قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات

يدل على انه

ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى يعذبون بالنار من عرض فلان على السيف اذا
قتل به او يعرض النار عليهم فقلب الكلام مبالغة من قولهم عرضت الناقة على
الحوض ويعضده تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم اى يقال لهم
اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو جعفر ويعقوب ااذهبتم بالاستفهام
ثم ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهم يقرؤن بها وبهمزتين محققتين والباقون
بلا استفهام على الخبر طيباتكم لذاتكم فى حيوتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها وتنعمتم
بها فما بقى لكم منها شئ والآية منادية بان استيفاء الحظ من الدنيا ولذاتها من
صفات اهل النار فعلى كل مؤمن ذي عقل وتمييز ان يجتنب ذلك اقتداء بسيد الانبياء و
واصحابه الصالحين حيث اثروا اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة
قال عمر رض دخلت على النبى عم فاذا هو مضطجع على رمال حصير قد اثر الرمال
بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على امتك فان فارس والروم قد وسع
عليهم وهم لا يعبدون الله فقال اولئك قوم عجلوا طيباتهم فى الحيوة الدنيا و
قال ابن عباس كان رسول الله عم يبيت الليالى المتتابعة طاويا واهله لا يجدون
عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير وقالت عائشة ما شبع آل محمد صلى الله عم
من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلعم وقالت ايضا لقد
كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ما هو الا الماء والتمر وعن عمر رض لو شئت
لدعوت بصلايق وصناب وكراكر واسنمة ولكنى رايت الله يعيب على قوم طيباتهم
فقال اذهبتم طيباتكم فى الحيوة الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم
لباسا ولكنى استبقى طيباتى وروى ان عمر رض لما قدم الشام صنع له طعام لم
ير قط قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير
فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال لئن كان
حظنا من الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم فى حظهم بالجنة فلقد باينونا بعيدا
وقال ابو هريرة لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما
ازار واما كساء قد ربطوا فى اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين
فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وروى ان عبد الرحمن بن عوف اتى بطعام

وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى بها
راسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا راسه وقتل حمزة وهو خير منى
ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط واعطينا منها ما اعطينا وقد خشينا ان تكون حسناتنا
عجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام فلم يذقه وقال جابر راى عمر لحما معلقا فى يدى
فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر او كلما اشتهيت
يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الآية اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم الدنيا فاليوم
تجزون عذاب الهون اى العذاب الذى فيه ذل وخزى وقرئ
عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب
استكباركم الباطل وتعظمكم فيها على اهلها بغير استحقاق وبسبب فسوقكم عن طاعة الله
كانوا مضيعين حقوق الله وعبادته وفيه بيان لتماديهم فى اتباع الشهوات
وافراطهم فى الفسوق والمعاصى وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اخا عاد
يعنى هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل معوج ومنه ظبى حاقف
اى منطو منعطف وقال الكسائى رمل مستدير وقيل رمل مستطيل مرتفع فيه
انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وقال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان
ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن وحضرموت بموضع يقال له مهرة
اليها تنسب الابل المهرية وكانوا اهل عمد سيارة فى الربيع فاذا هاج العود
رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا
احياء باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر يقال لها الشحر وقد خلت
النذر اى الرسل المنذرون او الانذارات لانها جمع نذير بمعنى المنذر و
الانذار من بين يديه ومن خلفه اى من قبله ومن بعده وقرئ
من بين يديه ومن بعده والمعنى اذكر لهم اذ هودا قد انذرهم و
قال لهم لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل
الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره
وعن ابن عباس يعنى ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا
فى زمانه وعلى هذا التفسير يكون معنى ومن خلفه ومن بعد انذاره وقوله

وقد خلت النذر حال من فاعل انذر او اعتراض بين انذر قومه
تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم وان في قوله
ان لا تعبدوا الا الله مخففة من الثقيلة اى انه يعني ان الشان والقصة
لا تعبدوا الا الله او مفسرة بمعنى اي اى لا تعبدوا الا الله او مصدرية
بحذف الباء تقديره بان لا تعبدوا الا الله والنهى عن الشيء انذار عن
مضرته انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم واعراضكم عن
التوحيد واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو
ريح عقيم والجملة استيناف وقع موقع التعليل والبيان لاختصاص بالعبادة
والداعي اليها لانه هو المخوف عقابه بما يعبدونه من الاوثان قالوا اجئتنا دون
لتأفكنا همزة الاستفهام للانكار والاستبعاد والمجى محمول على حقيقته او ارادوا
به الاستهزاء والتهكم لاعتقادهم ان الله لا يرسل الا الملائكة للتنافي بين الرسالة
والبشرية عندهم فكأنهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك او التوطن والقصد
كقولهم جاء بشتمه ولا يريدون حقيقة المجى كأنهم قالوا افصدتنا لتصرفنا عن
الهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك وهذا منهم استعجال
للعذاب ان كنت من الصادقين في وعدك او في دعوى الرسالة والنبوة او تخويف
العذاب العظيم علينا او في جميع ذكر وفي هذا التعليق دلالة على انهم كانوا
يعتقدون كاذبا فيما يقول لهم من الامر والنهي والوعد والوعيد قال انما العلم
عند الله اى لا علم لي بوقت عذابكم وانما علمه عند الله فهو يأتيكم به ان شاء وما انتم
بمعجزين وابلغكم ما ارسلت به وانما شاني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به اليكم من الامر
بعبادته وتوحيده والنهي عن عبادة غيره والانذار والتخويف بعذابه لكم لغضب الله
وعذابه ولكني اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين مبلغين لا الات
الله لا معذبين ولا مقترحين غيرهما اذن لهم فيه فلما راوه عارضا الضمير عايد الى
ما تعدنا او مبهم بينه قوله عارضا على انه تمييز او حال والعارض السحاب الذي
يعرض في افق من السماء ومثله الجبى والعنان من حبا وعن اذا عرض مستقبل اف
اودنيتهم متوجه اودينهم واضافة مستقبل لفظيه وكذا عطفه قوله قالوا هذا



عارض ممطرنا اى هذا سحاب يأتينا بالمطر روي انه خرجت عليهم سحابة
سوداء من واد لهم يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر فلما شاهدوها
فلما شاهدوها قالوا مستبشرين بها مسرورين هذا عارض ممطرنا قال الله تعالى
او هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قال هود بل هو وقرئ بل ما استعجلتم
به هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء
اتت عليه جعلته كالرميم فكيف بعاد او كل شيء من نفوس عاد واموالهم الجم الغفير
فعبر عن الكثرة بالكلية والمعنى هو الاحسن لانه اوفق بما جاء في القرآن بجواز وابعد
عن التأويل والتكلف بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيته
وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العايد محذوفا او الهاء في ربها يجوز
ان يكون استينافا لتقرير ان لكل ممكن فناء بقضاء الله وقدرته ويكون الهاء لكل شيء
يراد به الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث
لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائي من كان وقرأ عاصم وحمزة وخلف
ويعقوب لا يرى الا مساكنهم بضم الياء ورفع المساكن والباقون بالتاء المفتوحة
ونصب المساكن وهو في القراءتين من رؤية البصر وقرأ الحسن لا ترى الا مساكنهم
له بضم التاء ورفع المساكن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم وقرئ لا ترى الا مسكنهم
ولا يرى الا مسكنهم روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط او الظعينة وترفع في الخلق
كأنها جرادة واول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب
النار وروي اول من عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان في الصحراء من رجالهم
ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم
فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامرها الله فامالت عليهم الاحقاف والرمال
فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امرها فكشفت عنهم الرمل فاحتملتهم
وطرحتهم في البحر لما احس هود بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين
تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما
يلين على الجلود وتلذه الانفس وانه لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض و
تدمغهم بالحجارة وعن النبي عليه السلام انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسألك خيرها

وضير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا رأى مخيلة
قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول
اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد قالوا هذا عارض ممطرنا واضافة الرب الى الريح
لتعظيم شان المضاف اليه وانه من اعظم جنود الله واشرفها واليه الاشارة بقوله
صلعم لا تسبوا الريح فانه من نفس الرحمن ونظيره قولهم رب البيت تعظيما لشان البيت
واظهارا لشرفه فقيل للدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته
لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مامورة من جهته عز وعلا يعضد
ذكره ويقويه كذلك نجزي القوم المجرمين الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الجزاء الفظيع
يعني الاهلاك بعذاب الاستئصال نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب
رسول الله صلعم ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما ههنا
لان ما التكرير المستبشع لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما واستكرها ابو الطيب
في قوله ما ما بان منك لضارب حيث لم يتقذ بعذوبة لفظه افصح الكلام وابلغه او شرطية
محذوف الجواب تقديره ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم
اكثر او صلة كما في قوله يرجّي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب اي
ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه والاول ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار
واوفق لقوله هم احسن اثاثا ورئيا وقوله كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
والمعنى في الوجوه كلها ولقد جعلنا لهم مكانا وقرارا فيما ان جعلنا لكم فيه مكانا وقرارا
او ولقد ملكناهم واقدرناهم على التصرف فيما ان ملكناكم فيه واقدرناكم على التصرف
فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مخيلها و
يواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من
الاغناء وهو القليل منه ومن مزيدة لاستغراق النفي وتاكيده اي فما نفعهم تلك الالات
والحواس نفعا ما اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل
من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
ونزل بهم واحاط جزاء استهزائهم وسخريتهم وهو العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم
يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وغيرهما من القرى المهلكة المذكورة

في

في سورة سبأ قوله وجعلنا بينهم وبين القرى الى قوله ومزقناهم كل ممزق وصرفنا
الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة اي فلا منعتهم من الهلاك آلهتهم واصنامهم الذين يتقربون
بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول
المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل منه او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول
له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرهم وامتنع
ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال ذلك افكهم اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم
وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة او وذلك اتخاذ
الذي هو اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افّكهم بتشديد الفاء للمبالغة وقرئ
آفكهم اي جعلهم آفكين وقرئ افكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك كما تقول قول
كاذب وقرئ أفكُهم والإفكِ والأفَكُ كالحِذْر والحَذَر وقيل اي وذلك كذبهم
الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم وما كانوا يفترون وذلك افك
مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون
العشرة وجمعه انفار وفي حديث ابي ذر رضه لو كان ههنا احد من انفارنا يستمعون
القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي حضروا القرآن او الرسول قالوا انصتوا
اي قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ قضى مبنيا
للفاعل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوا الى قومهم توجهوا او انصرفوا الى قومهم
منذرين اي مخوفين اياهم بما سمعوا روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما
حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفر او
تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى بالموصل قاله قتادة او من جزيرة الموصل
قاله عكرمة او من اهل حران قاله مجاهد واسماؤهم شاصر وماصر ومنشى
وماشى والاحقب وزوبعة وعمرو بن جابر وسرق وهامة بن الهيم وقيل
صاوسا ومنشى وشاصر وماصر والاردوانيان والاحقب فضربوا حتى
بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلعم وهو قائم

في جوف الليل يصلي او في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وذكر عند منصرفه من الطائف
حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن
جبير ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم وانما يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين
وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ
عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها
ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره ليلة الجن احد غيري فانطلقنا حتى
اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح
القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله وغشيته اسودة كثيرة حالت
بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كتقطع السحاب فقال رسول الله عم هل
رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين
وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها اقرأ باسم ربك وعن علقمة قلت لابن مسعود
هل شهد منكم احد مع رسول الله صلعم ليلة الجن قال لا ولكنا كنا معه ذات ليلة
ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة
بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك
فلم نجدك فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق
بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في
ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال عم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم
وعن رويفع بن ثابت قال قال النبي عم اخبره انه من استنجى بعظم او رجيع فهو بريء
من محمد عم وما انزل على محمد والرجيع الروث والعذرة قالوا يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى انما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا يهودا فاسلموا و
عن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى مصدقا
لما بين يديه من الكتب المنزلة على الانبياء عم يهدي الى الحق من العقائد والى طريق
مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض
ذنوبكم وهو ما يكون خالص حق الله لان المظالم ونحوها لا تغفر بالايمان ونحوه
قوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم

هو

هو يعد للكفار قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم سبعون رجلا من الجن فرجعوا
الى رسول الله عم فوافوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم وفيه دليل
بين على انه عم كان مبعوثا الى الجن والانس جميعا وقال مقاتل لم يبعث قبله نبي الى
الانس والجن جميعا واختلف في حكم مؤمني الجن فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله
يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم حيث صرح باقتصارهم على المغفرة والاجارة
وبه قال الحسن حيث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل
البهائم واليه كان يذهب ابو حنيفة رض والصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون
مثلهم قال رسول الله عم ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة
مع امة محمد عم هم على الاعراف حائط الجنة تجري فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار
ذكره صاحب الفردوس الكبير وقال عم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنفا حيات وصنفا كالبهائم
ثم قال لهم قلوب لا يفقهون بها الى قوله اولئك كالانعام بل هم اضل وصنفا اجسادهم
كاجساد بني آدم وارواحهم كارواح الشياطين وصنفا في ظل الله يوم لا ظل الا ظله رواه
ابو الدرداء رض ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق
قضاؤه سابق وقيل لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اولياء انصار يمنعونه
من الله اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي النظر وعن عبد الرحمن بن سمرة قال
النبي عم الا اخبركم عني وعن ملائكة ربي البارحة حفوا بي عند راسي وعند رجلي وعن
يميني وعن يساري فقالوا يا محمد تنام عينك ولا ينام قلبك فليعقل ما نقول فقال
بعضهم لبعض اضربوا لمحمد مثلا قال قال مثله رجل بنى دارا ثم بعث داعيا يدعو
فمن اجاب الداعي الدار واكل مما فيها ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل مما
فيها وسخط السيد عليه والله السيد ومحمد الداعي فمن اجاب محمدا دخل الجنة ومن
لم يجب محمدا لم يدخل الجنة ولم ياكل مما فيها وسخط السيد اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض اي قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز فان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقص
ولا تنقطع بالخلق والانشاء بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر على احياء الموتى ويدل
عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لاستغراق النفي وتاكيده لاشتماله على ان في حيزها

كالريح في الهواء وصنفا عليهم الثواب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنفا ...

ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يشمل البعث
وغيره فيكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات
المعاد وقرا ابن مسعود الم تر ان الله خالق السموات والارض قادر وقرا الحسن
في رواية يقدر ولم يعي بكسر العين واسكان الياء تحيي الموتى بتشديد الياء ويوم يعرض
الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب
وهذا تهكم بهم من الله على التكذيب به وعلى قولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث
والثواب والعقاب ما هو بحق وانما هو باطل قالوا بلى وربنا اقرار بحقيته وثبوته اكدوه
باليمين للمبالغة اي بلى وربنا انه لحق قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بلقاء
الله وجزائه ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتهكم والتوبيخ لهم على استهزائهم و
تكذيبهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل اولوا الجد والثبات لانك من جملتهم ومن للتبيين او للتبعيض واختلفوا فيهم
فقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة مع اعداء الدين وقال قوم الانبياء
كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل للنبي عم ولا تكن كصاحب الحوت
وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله بعد
ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل هم ستة نوح وهود وصالح
ولوط وشعيب وموسى المذكورون في سورة الاعراف والشعراء وقيل اولوا العزم اصحاب
الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاغين
ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على
اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح
ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر و
موسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود على خطيئته اربعين
سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابرهيم وموسى
واصحاب الشرايع فهم مع محمد عم خمسة وقد خصصهم الله بالذكر في سورة الاحزاب
وسورة عسق وعن مسروق قالت لي عائشة قال لي رسول الله عم يا عائشة ان
الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من اولوا العزم الا بالصبر على

مكروها

مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل واني والله لابد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم وقال ابو العالية اولوا العزم نوح وهود وابراهيم فامر الله
محمدا ان يكون رابعهم وقال ابن عباس في رواية كل الرسل كانوا اولي العزم
واختاره علي بن مهدي الطبري وقيل اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل
بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبياء اني مرسل عذابي الى عصاة بني اسرائيل فشق ذلك
على الانبياء فاوحى الله اليهم اختاروا لانفسكم ان شئتم انزلت بكم العذاب وانجيت بني
اسرائيل وان شئتم نجيتكم وانزلت العذاب ببني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع
رأيهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي بني اسرائيل فسلط الله عليهم ملوك الارض فمنهم
من نشر بالمنشار ومنهم من سلخ جلدة راسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات
ومنهم من حرق بالنار والله اعلم واحكم وقيل هذه الآية نسخت باية السيف وقيل محكمة
غير منسوخة وقيل الاظهر انها منسوخة لان السورة مكية وقال مقاتل نزلت على رسول
الله عم يوم احد فامره ان يصبر على ما اصابه كما صبر اولوا العزم من الرسل تثبيتا له وتسرية
عنه ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا
محالة وان تاخر كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا
من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار بلاغ خبر مبتدا محذوف
اي هذا الذي وعظتم او هذه السورة بلاغ اي كفاية في الموعظة او تبليغ من
الرسول ويعضده قراءة من قرا بلغ او مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم
وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوا وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بلاغا اي
بلغوا بلاغا وقرئ بلاغ بالجر على الاتباع لنهار كقوله جحر ضب خرب فهل
يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون من الاتعاظ به والعمل بموجبه وقرئ يهلك بفتح
اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم وفي الفردوس قال
ابن عباس قال اذا عسر على المراة ولادتها اخذ اناء نظيف وكتب عليه كانهم
يوم يرون ما يوعدون الى آخر الاية وكانهم يوم يرونها الى آخر الاية ولقد كان
في قصصهم عبرة لاولي الالباب الى آخر الاية ثم يغسل وتسقى منه المراة وينضح على بطنها

وفي جامع عن رسول الله من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل
رملة في الدنيا سورة محمد صلى الله عليه وسلم سبع او ثمان وثلثون آية مدنية وقيل مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله واعرضوا
وامتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم
بدر او شياطين قريش واهل الكتاب فان الظاهر انه عام في كل من كفر وصد
اضل اعمالهم اي جعل اعمالهم من صلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة
اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث
لم يقصدوا بذلك وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيله
بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم
كل من امن وعمل صالحا من المهاجرين والانصار واهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل
على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه
لشانه واشعارا بان الايمان لا يصح ولا يتم الا به وكذلك اكده بالجملة الاعتراضية التي هي قوله
وهو الحق من ربهم وحقيته بكونه هاديا الى الحق من العقايد والشرايع وناسخا لا
ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البناء [illegible] ونزل بالتخفيف كفر
عنهم سيئاتهم سترها بايمانهم وعملهم الصالح واصلح بالهم واحسن حالهم في
في الدين والدنيا بالتوفيق والنصرة وقال ابن عباس عصمهم ايام حيوتهم ذلك
اشارة الى الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع
هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسميه علماء البيان التفسير ويجوز
ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور
منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل
الشيطان كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم يبين للناس احوال
الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل
الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين وتكفير السيئات
مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب اي فاذا حاربتموهم

فضرب

فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
فانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير بضرب الرقاب عن
القتل اعلاما بانه يجب ان يكون بحز الرقبة وتصويرا له باشنع صورة وهو حز العنق
واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه حتى اذا اثخنتموهم اي
اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم
والوثاق بفتح الواو وكسرها ما يوثق به من القيد قوله للتحليل فاذا الاقيتم فشدوا كقوله ولو
ردوا فاما منا بعد واما فداء مصدران منصوبان باضمار فعلهما وتفصيل لان مضمون جملة
تقدمت عليه وهي فشدوا الوثاق ومضمونها شد الوثاق ولهذا المضمون انواع
فايدة وغرض وهو المن او الفداء او الاسترقاق او غير ذكر فالمراد بمضمون جملة نسبة المسند
الى المسند اليه اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن
والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو منسوخ عند ابي حنيفة واصحابه او مخصوص بحرب بدر
لانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق ايهما راى الامام واليه ذهب قتادة والضحاك
والسدي وابن جريج والاوزاعي ومجاهد قالوا ناسخها قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم وقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويجوز ان يراد بالمن
ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم ليخلوا لقبولهم الجزية وكونهم
من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باسارى المشركين فقد رواه الطحاوي
مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا
حربا للمسلمين وثابت عند الثوري والشافعي واحمد واسحق فان الذكر الحر المكلف اذا
اسر يخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق واحتجوا بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى ثمامة بن اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا
كله منسوخ عند اصحاب الراي وقرئ فدا بفتح الفاء والقصر كعصا حتى تضع الحرب
اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي حتى ينقضي الحرب
ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم
ومعاصيهم بان يتوبوا منها ويسلموا او هو غاية للضرب والشد او المن والفداء او
للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين

بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عم وعند ابي حنيفة اذا كان غاية للضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا كان غاية للمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بالتاويل المذكور وهو ان يراد بالمن استرقاقهم او تخليتهم لقبولهم الجزية وبالفداء ان يفادي باسارهم اسارى المشركين ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلك والاهلاك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله قرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن كثير وخلف وابو بكر وابو جعفر قاتلوا اي جاهدوا والباقون قتلوا اي استشهدوا وقرئ قتلوا بالتشديد وقتلوا فلن يضل اعمالهم فلن يجعلها ضائعة محبطة وقرئ يضل من ضل ويضل مبنيا للمفعول وقال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم ايام حيوتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم قيل يرضي خصماءهم ويتقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او علمها وبينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود وقرا الخليل عرفها اي اثابها قال النبي عم ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والارض فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه وسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة الحديث يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا لهم ونقيضه لعا

وقال

وقال ابو الحبلى بعدا لهم وابو العالية سقوطا لهم والضحاك خيبة لهم وابن زيد شقاء لهم وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه كانه قال اتعس الذين كفروا واضل اعمالهم عطف على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وعن ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار وقيل في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه وضده لعا اذا ارادوا قيامه وثبوته ذلك اشارة الى التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله بسبب انهم كرهوا القران لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقران ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اشرها دخليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الذين كفروا بالله وبانه قبلهم كعاد وثمود واهل سبا استاصل الله واهلك عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وكل ما كان لهم يقال دمره اذا اهلكه ودمر عليه اذا اهلك عليه ما يختص به وللكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يناقض قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى ربهم ومالك امرهم ثم صرح بحال الفريقين فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما قلائل ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة او يأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم كاين بمعنى كم الجزئية وقعت مفعولا اهلكنا ومن الاولى

بيان لابهامها والقرية على حذف المضاف اى وكثير من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك التى اخرجوك منها اهلكناهم بانواع العذاب ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فلا ناصر لهم يدفع عنهم الهلاك والعذاب وهو كالحال المحكية وقال ابن عباس وقتادة لما خرج رسول الله عم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب البلاد الى الله والى ولولا ان المشركين اخرجونى ما خرجت منك فانزل الله هذه الآية وفى رواية نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكى حزنا عليه ولا دلالة فى هذه الرواية على انها مدنية غير مكية كما توهم بعض الناس افمن كان على بينة من ربه اى على حجة وبرهان من عنده وهو القرآن وما يعمه والحجج العقلية هو رسول الله عم والمؤمنون دخلت همزة الانكار على الفاء لانكار ان يقع شبهة بعد ما بين اوصاف الفريقين وما لهما فان حال من كان على حجة من الله بمعزل من حال من لا حجة له اصلا وهو فى الجهل يتيههم قوله تعالى كمن كان بغير فاء كمن زين له سوء عمله هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله والمؤمنين قوله تعالى زين له سوء عمله كالفاعل واتبعوا اهواءهم فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا من حجة وانما جمع هذا الضمير وتوحيده فى سوء عمله فللحمل على لفظ من تارة وعلى معناه اخرى مثل الجنة التى وعد المتقون مبتدا خبره محذوف اى فيما قصصنا عليك مثل الجنة اى صفتها العجيبة فى غرابة المثل او مذكور وهو قوله كمن هو خالد على انه داخل فى خبر كلام مجرد عن حرف الانكار ومنخرط فى سلكه كانه قيل امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل اهل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فحذف ما حذف استغناء بجرى مثله وتعرى من حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه بمكابرة من يسوى بين الجنة العجيبة الشان والنار التى يسقى اهلها الحميم وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به على بينة فى الآخرة تقريرا لانكار المساواة وفى قراءة على رضى الله عنه امثال الجنة اى ما صفاتها كصفات النار وقرئ ابن كثير غير آسن استئناف لشرح المثل كانه قائلا قال ما مثلها فقيل فيها انهار او حال من العائد

بلغ

المحذوف

المحذوف اى مستقرة فيها انهار او خبر لمثل وقرا ابن كثير أسن والباقون آسن من اسن بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وفى مصحف ابى عن ابن عباس عن اليمانى فيها انهارا بالنصب على اضمار فعل دل عليه المذكور تقديره وعد فيها انهارا وعن النبى عم انه قال فى الجنة بحر الماء وبحر اللبن وبحر الخمر وبحر العسل ثم يتشقق الانهار منها قالوا وهى الانهار المذكورة فى هذه الآية وقيل النهر واحد تجرى فيه الماء واللبن والخمر والعسل لا يخالط بعضها بعضا كما لا يخالط الماء العذب الماء المالح فى الدنيا كما قال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وجعل بين البحرين وذكر الانهار بلفظ الجمع وتكريرها يخالف هذا القول ويرده وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة خالصة ليس فيها كراهة ريح ولا ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات خمر الدنيا تانيث لذ بمعنى لذيذ او وصف بالمصدر للمبالغة وهو ابلغ من اضمار مضاف اى ذات لذة وقرئ بالرفع على صفة الانهار وبالنصب على العلة اى لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلة النحل وغير ذلك قيل وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنة بانواع ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها وعن ابى هريرة قال رسول الله صلعم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم وسيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدا خبره محذوف اى لهم مغفرة كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما حارا شديد الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت اذا ادنى منهم شوى وجوههم وانماز فروة رؤسهم فقطع امعاءهم اى فاذا شربوه قطع امعاءهم من فرط الحرارة والامعاء جمع معى وهو ما فى البطن من الحوايا ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ويسمعون كلامه ولا يعونه فاذا خرجوا قالوا للذين

اتوا العلم اى العلماء الصحابة لعبد الله بن مسعود وابن عباس وابى الدرداء رضهم ماذا
قال انفا ما الذى قال الساعة استهزاء واستعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تهاونا به
وقال مقاتل كان النبى عم يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا من المسجد قالوا
ذلك لابن مسعود وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن سئل وآنفا من قولهم
انف الشىء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف وائتنف فهو ظرف بمعنى وقتا
مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ انفا فعل قال الزجاج هو من استانفت
الشىء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال فى اول وقت يقرب منا وقال يحيى السنة هو
من الاستيناف يقال ايتنفت الامر اذا ابتدأته وانف الشىء اوله اولئك الذين طبع
الله على قلوبهم ختم عليها ومنه الطابع للخاتم واتبعوا اهواءهم فى الكفر والنفاق فلذلك
استهزءوا بكلامه وتهاونوا به والذين اهتدوا والايمان زادهم هدى زادهم
الله هدى بالتوفيق والالهام او قول رسول وقال الفراء زادهم اعراض المنافقين
واستهزاؤهم هدى واتاهم تقويهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم
او اعطاهم ثوابها فوله الاخفش برواية ابى حاتم وانطاهم وقراء واعطاهم فهل
ينظرون الا الساعة فهل ينظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة
وقوله فقد جاء اشراطها علة لاتيانه وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه
فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم اى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعثه رسول
وانشقاق القمر والدخان فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم
الساعة وحين لا ينفع ولا ينتفع قال الفراء سمعت ابا جعفر الرواسى يقول قلت لابى
عمرو وما هذه الفاء فى قوله فقد جاء فقال جواب للجزاء فقلت انها ان تاتيهم
فقال معاذ الله انما هو ان تاتيهم بكسر الهمزة على الجزاء فظننت انه اخذ ذلك عن
اهل مكة قال ابو معاذ قرات فى بعض المصاحف فهل ينظرون الا ان تاتيهم الساعة
بغتة وقال الكلبى اشراط الساعة كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام
وقلة الكرام وكثرة اللئام وعن انس سمعت رسول الله صلعم يقول من اشراط الساعة
ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون
لخمسين امراة القيم الواحد فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك والخطاب فيهما للنبى عم

وهو

وهو الظاهر او لكل من يتاتى منه العلم والاستغفار من اهل الايمان ويتصرف الخطاب
بلفظ الجمع فى قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم وعن ابى بكر الصديق رض قال النبى عم
استكثروا من قول لا اله الا الله والاستغفار فان الشيطان قال اهلكت الناس بالذنوب
واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رايت ذلك اهلكتهم بالاهواء حتى يحسبون
انهم مهتدون فلا يستغفرون ويجوز ان يكون الفاء جواب شرط محذوف اى اذا
علمت ما ذكرنا لك من سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت ودم على
ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وهضم النفس باستغفار ذنبك ولذنوب من
آمن بك بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف
فى قوله وللمؤمنين والمؤمنات اشعار بفرط احتياجهم الى الغفران وكثرة ذنوبهم
وانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى امر الله تعالى بطلب المغفرة للمؤمنين
والمؤمنات تحصيلا لزيادة الحسنة لقوله عم من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله
له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة والاية منبئة عن اجل اسباب المغفرة واشرفها قال النبى
قال رسول الله صلى الله عم اذا قال العبد المسلم لا اله الا الله خرقت السموات حتى تقف
بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى اسكنى اسكنى فيقول كيف اسكن ولم تغفر لقائلى فيقول
ما اجريتك على لسانه الا وقد غفرت له والله يعلم متقلبكم مكانكم الذى تتقلبون عليه فى
معايشكم ومتاجركم فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم ومنزلكم الذى تقيمون به
فى الآخرة من ثوى بالمكان اذا اقام به وقال عكرمة متقلبكم من اصلاب الآباء الى الارحام
الامهات ومثواكم مقامكم فى الارض وقيل متقلبكم متصرفكم لاشتغالكم بالنهار ومثواكم
ماواكم اى مضاجعكم بالليل وقيل متقلبكم من ظهر الى بطن ومثواكم مقامكم فى القبور فهو
حقيق بان يتقى ويحذر وان يستغفر ويسترحم وقدم العلم على العمل تنبيها على فضله
واستبداده بالمزية عليه لا سيما العلم بوحدانية الله تعالى فانه اول ما يجب على كل واحد
ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اى هلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد
فاذا انزلت سورة محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال فرائه
اليمانى فاذا انزلت بفتح النون مخففا وذكر فيها القتال اى الامر بالقتال فى كل سورة
ذكر فيها القتال اى ذكر الله رايت الذين فى قلوبهم مرض ضعف فى الدين وقيل

شك ونفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم
جبنا ومخافة كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت وقيل ينظرون اليك شزرا
بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو كما ينظر الشاخص
بصره عند الموت قراءة الخليل نظر المغشي عليه فاولى لهم ويجب بمعنى فويل لهم
وهو افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم وقيل معناه قاربهم ما يهلكهم وهو مما يروى عن الاصمعي طاعة وقول
معروف كلام مستانف اي طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم اي قالوا طاعة
وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف بشهادة قراءة ابي يقولون طاعة وقول
معروف فاذا عزم الامر اي جد امر القتال على الاسناد المجازي لان العزم والجد
صفة لصاحب الامر صنعوه ونظيره جد جده وجواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم
الامر كرهوه او خالفوا او كذبوا فيما وعدوا او قيل قوله فلو صدقوا الله اي فيما
زعموا من الحرص على الجهاد والايمان لكان الصدق خيرا لهم من الكذب في القعود
عن الجهاد والكفر ومخالفة الامر فهل عسيتم فهل يتوقع منكم وقيل فلعلكم ان توليتم
امور الناس وتامرتم عليهم اي ان جرتم متولي امور الناس وولاة عليهم وامراء
متسلطين وقيل ان توليتم اي ان اعرضتم عن الدين وقيل ان اعرضتم عن القرآن
وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتكالبا
على الدنيا او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور والتناهب
وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات والمعنى انهم لفرط
ضعفهم في الدين وشدة حرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف
حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير
بعسى وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض بين الاسم والخبر وقرأ رويس
توليتم اي تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطع الارحام
ذكره في صرف ابي عمرو ان النبي عم قرأ ان توليتم وقرأ يعقوب وتقطعوا من
القطع وقرئ تقطعوا اصله تتقطعوا من التقطع وقرأ نافع عسيتم بكسر السين
اولئك اشارة الى المذكورين الذين تولوا لعنهم الله لافسادهم وقطعهم

الارحام



الارحام فاصمهم فجعلهم صما عن استماع الحق واعمى ابصارهم وجعلهم عميا عن
ابصار سبيل الهدى فلا يهتدون اليه افلا يتدبرون القرآن افلا يتصفحون
القرآن وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد الكفرة والعصاة حتى لا يجسروا
على الكفر والمعاصي ام على قلوب اقفالها بمعنى بل ومعنى الهمزة التقرير للتسجيل عليهم
بان قلوبهم مقفلة لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر ويجوز ان تكون ام متصلة
للهمزة في افلا يتدبرون بمعنى اي الامرين يفعلون عدم تدبر القرآن ام ادعاء
الاقفال في قلوبهم كقوله تع قالوا قلوبنا في اكنة والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما
معا وانهما منكرين من عظائم المنكرات لان العلم واقع بكونهما معا وتنكير القلوب
قصدا الى بعض القلوب وهي قلوب المنافقين او الى قلوب منكرة مجهولة بعيدة
عند تقبل الحق واعتقاده ولتوغلها في الجهالة وابهام امرها في القساوة وانهماكها
في الغواية واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا
تجانس الاقفال المعهودة اذ هي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ
اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم رجعوا الى ما كانوا
عليه من الكفر والضلالة من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما ظهر لهم الهدى
بالدلايل الواضحة والمعجزات الظاهرة ظهورا اضمحل به الشك وانزاح عنه
الشبهة الشيطان سول لهم سهل لهم ارتكاب الكباير من السول وهو
الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني واعترض عليه بان
السول مهموز قلبت همزته بالواو لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل فيكون ويمكن
رده بقولهم هما يتساولان وقد قرئ سول لهم حملا على تقدير حذف المضاف
اي كيد الشيطان زين لهم واختلف فيهم فقيل هم اليهود كفروا بمحمد عم
بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وهو الهدى وقيل هم المنافقون
واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لقراءة يعقوب واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا امهلهم فيكون
الواو للحال او الاستيناف وقرأ ابو عمرو واملي لهم على البناء للمفعول وهو
ضمير للشيطان او لهم اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا

في بعض الامور

ما نزل الله اى قال اليهود للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين
للمشركين سنطيعكم في بعض امركم او في بعض ما تامرون به كالتعاون لتظافر
على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد معه والموافقة في الخروج معهم ان
اخرجوا والله يعلم اسرارهم قراء حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر
والباقون اسرارهم بالجمع منها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم فانهم
قالوه سرا فيما بينهم فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يكون حالهم اذا تو
فتهم الملائكة او كيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو اما ماض
او مضارع حذف احدى تائيه كقوله ان الذين توفاهم الملائكة يضربون
وجوههم وادبارهم اذ لا يتوفى احد على معصية سيما الكفر الا يضرب من الملائكة
في وجهه ودبره وفيه تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له
ذلك اشارة الى التوفي الموصوف او الى الضرب بانهم اتبعوا ما اسخط الله
من الكفر وكتمان نعت رسول الله ومخالفة الامر وكرهوا رضوانه ما يرضيه
من الايمان والجهاد وساير الطاعات وقيل رضوان الله الايمان برسول الله
فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعنى المنافقين
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان ان لن يخرج الله ان لن
يبرز الله لرسوله وللمؤمنين اضغانهم احقادهم واحسادهم ولو نشاء
لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم
بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام جواب لو كررت للمعطوف
وعن انس ما خفى على رسول الله بعد نزول هذه الاية شئ من المنافقين
كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين
يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب
هذا منافق ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وكناية ومنه قيل للمخطئ اللحن
لانه يعدل الكلام عن الصواب وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا
من الثواب ولا يقولون ما علينا من العقاب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على

حسب

حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم ولنفعلن بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم
بان نامركم بالجهاد وساير التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على احتمال مشاقها ونبلو اخباركم اى ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها
اذ الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرأ ابو بكر الافعال
الثلثة بالياء لتوافق ما قبلها والباقون بالنون التفاتا من الغيبة الى التكلم دلالة
على زيادة الاختصاص لله بالعلم والبلوى ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان
هو المبتلى لم يكن ابتلاؤه على اى وجه ابتلاء الا حكمة وصوابا لكانه قيل ما ابتلاهم بالامر
بالجهاد وساير الطاعات الا انا لا غيرى وقرأ يعقوب في رواية رويس
عنه ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو وقرأ الاعمش ويبلو بالياء وسكون
الواو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله هم قريظة والنضير او رؤساء
قريش والمطعمون يوم بدر وشاقوا الرسول وخالفوه والمخالفة اصل
كل شر الى يوم القيمة بين الله وليس كالمعاينة كالخبر فليتأمل من بعد ما تبين
لهم الهدى بعد ما علموا نعته في التورية قطعا ويقينا لن يضروا الله شيئا
بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقتهم اياه وحذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم وسيبطل ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكايدهم التى نصبوها ومشاقته فلا يصلون بها الى اغراضهم بل سيفرون
ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول في العقايد والشرايع كلها فلا تشاقوا الله ورسوله في شئ منها
ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء من الكفر والنفاق والعجب والرياء والحسد
والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكباير وقال
عطا لا تبطلوا اعمالكم بالشك والنفاق وقال الكلبى بالرياء والسمعة وقال
الحسن بالمعاصى والكباير وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلم فتبطلوا اعمالكم
نزلت في بنى اسد كما يجئ تقديره في سورة الحجرات ان شاء الله تعالى وقال ابو
العالية كان الصحابة يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك
عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير بعد بان تحبط الاعمال ان الذين

كفروا وصدوا عن سبيل الله واعرضوا عن دين الاسلام او منعوا الناس عن
الدخول فيه ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هي في اصحاب القليب والظاهر انه عام في كل من مات
من الكفار ولن يمحى وقيل هم اصحاب القليب والظاهر انه عام في كل من مات
على الكفر ويدل من طريق المقابلة على انه يغفر لمن لم يمت على الكفر جميع ذنوبه وان عذب
بسبب بعضها لانه ليس من اهل الخلود في العذاب بعيد بن عمير لن يغفر بترك
الفاء فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى
الصلح خوار او تذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقيل اي لا تدعوا الى الصلح ابتداء
منع المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم وقتالهم حتى يسلموا
وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وعن الخليل ويدعوا بالياء وقرأ ابو بكر و
حمزة وخلف بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون وقال الكلبي آخر الامر لكم وان
غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم اي ناصركم في الدنيا والآخرة ولن يتركم اعمالكم
لن ينقص اجور اعمالكم من وترت حقه اذا نقصه قيل ومنه من فاتته صلوة العصر فكانما
وتر اهله وماله بالنصب او لن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت
حميمه وافردته منه من الوتر وهو الفرد شبه به اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه
قال الزمخشري ومنه قوله عم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله
اي افردهما قتلا ونهبا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو باطل وغرور لا اعتبار
لها ولا ثبات الا اياما قلايل وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم
وتقواكم ولا يسئلكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر منكم على ربع العشر ولا يسئلكم
اموالكم لايتاء الاجر بل يامركم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة وقيل لا يسئلكم
اموالكم وانما يسئلكم امواله لانه هو خالقها ومالكها الذي انعم بها عليكم وقيل
لا يسئلكم محمد على تبليغ الرسالة اموالكم كقوله قل ما اسئلكم عليه من اجر ان يسئلكموها
فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفى
شاربه اذا استاصله واحفاه في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح تبخلوا فلا
تعطوا ويخرج اضغانكم ويخرج بغضكم على رسول الله صلعم والضمير في يخرج لله تعالى
ويعضده القراءة بالنون او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج بالتاء و

الياء

الياء ورفع اضغانكم وقرأ الحسن وقتادة ونخرج اضغانكم مبنيا للمفعول وابو
عمرو وعيسى بن عمرو ويخرج بالرفع ونخرج بالرفع والنون والرفع وعن اليماني
ويخرج الله بزيادة الله ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ خبره هؤلاء اي
انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله جملة
مستانفة مبينة لما تضمنته الجملة الاولى من الوصف كانهم قالوا وما وصفنا وقيل
تدعون لتنفقوا في سبيل الله صلة لهؤلاء كانه على انه موصول بمعنى الذين وهو
يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الشرطية
الثانية كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون
الى اداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفرايض
فانما يبخل عن نفسه لان نفع الانفاق وضرر البخل عايدان اليه والبخل يعدى بعن
وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن المستحق ثم اخبر انه لا يامر بالانفاق
ولا يدعوا اليه لحاجته اليه لكمال غناه عن كل ما سواه بل لحاجتكم الى الثواب فقال والله
الغني وانتم الفقراء اليه والى ما عنده من الخير وفيما يامركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم
فاذخرتم فلكم وان ابيتم وخالفتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا اي وان
تعرضوا عن الايمان والتقوى وتمادكم اليه ورغبكم فيه من الجهاد والانفاق
في سبيله يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين
في محافظة حدوده واحكامه وحقوقه غير متولين عنها كقوله ويات بقوم آخرين
ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا امثل منكم واطوع لله ورسول الله منكم قيل هم الملائكة
وقيل الانصار وقيل اليمن وعن ابن عباس كندة والنخع وعنه هم التابعون وعن
الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وعن ابي هريرة تلا هذه الآية قالوا
يا رسول الله من هؤلاء ان تولينا يستبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا فضرب
على فخذ سلمان ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من
الفرس وقال ابو موسى الاشعري لما نزلت هذه فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال هي احب الي من الدنيا عن رسول الله عم من قرأ سورة محمد كان
حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة سورة الفتح سبع وعشرون آية مدنية

نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية وقال الزهري
نزلت سورة الفتح من اولها الى آخرها بين مكة والمدينة في شان الحديبية
وقال ابن مسعود بلغني انه من قرأ سورة الفتح في اول ليلة من رمضان في صلوة
التطوع حفظه الله ذلك العام بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا
مبينا وعد له بفتح مكة وعبر عنه بالماضي اشعارا بتحققه وثبوته وانه كاين لا محالة
واقع على اهل مكة اذ الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا وقيل لتحققه او
ما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانه سماه
فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به
رسول الله لساير العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما و
ظهر له في الحديبية آية عظيمة وانه نزح ماؤها لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم لانهم غلبوا على الفرس
في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عم في سورة الروم وقيل فتح الله له بالاسلام
والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه
وقال مقاتل بن سليمان لما نزلت في قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فرح المشركين
والمنافقون وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به ولا باصحابه فنزلت بعدما
رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا لك قضاء بينا ان ندخل مكة من
قابل فنسخت هذه الآية تلك فقال عم لقد انزلت علي سورة ما يسرني بها حمر النعم
وفي رواية سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه
سبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وتخليص الضعفاء عن ايدي الظالمين
وقيل فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو وسبب للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد
عنوة او صلحا بحرب او بغيره والمغفرة ستر الذنوب ومحوها بان يعفو الله
عنها ويعطي صاحبها بكل ذنب منها مثوبة كما ورد في الحديث انه يقول يوم القيمة
لعبد بكل حسنة بكل سيئة عملتها ولقوله عم ان المؤمن ليوجر في كل شي حتى الشوكة
ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما صدر منك قبل النبوة وبعدها مما يطلق
عليه الذنب واعلم ان الانبياء معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده باجماع العلماء

ومن

ومن ساير الكباير عمدا بعد الوحي خلافا للحشوية واما سهوا فجوزه الاكثرون
واما الصغاير فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي واتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق
واما قبل الوحي فلا دليل بحسب السمع او العقل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة
الى امتناعها لانها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم فتفوت مصلحة البعثة واجيبوا
بمنع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغاير الدالة على الخسة ولم تجوز الشيعة
صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحي وبعده لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية وهي ان يتقي
نفس من الائمة او من العقوبة بما يظهر وان كان على خلاف ما يضمر ومن الحسن التقية
جايزة الى يوم القيمة وهي اسم من الاتقاء وتاؤها بدل من الواو لانها فعيلة من وقيت
وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك اي ذنب ابويك آدم وحوا ببركتك وما تاخر من
ذنوب امتك بدعوتك وقال سفيان الثوري ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تاخر
لم تعمله وقال مجاهد ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر بعدها وقيل ما تقدم
من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما
تاخر من ذنب يوم حنين حيث قال يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض ابدا وكرره مرارا فاوحى الله اليه من اين تعلم اني لو اهلكتها لا اعبد ابدا فكان
هذا الذنب المتقدم وقال يوم حنين بعد ان هزم الناس ورجعوا اليه لو لم ارمهم
لم يهزموا فانزل الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو الذنب المتاخر وابعد
من هذا قول ابي علي الروذباري لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ويتم
نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما اي
ويزيدك هدايتك الى الطريق غير معوج في تبليغ الرسالة ورفع قواعد الديانة واقامة
مراسم الشريعة والرياسة او ويثبتك على الهدى او يهدي بك وينصرك الله نصرا عزيزا
فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بصفته اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه
هو الذي انزل السكينة السكون والطمانينة والثبات والسكينة للسكون كالبهتة
للبهتان في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا في مواطن تقلق فيها النفوس وتزل الاقدام
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم بزيادة ما يجب اليقين به مما يقبل
الزيادة والنقصان قال عم لو وزن ايمان ابي بكر مع الثقلين لرجح وانزل

السكينة في القلب بما يزيد به اليقين كانزال السورة والآيات كما نطق به التنزيل
كثيرا وقيل يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل في قلوبهم
السكون الى ما جاء به محمد صلعم من الشرايع ليزدادوا ايمانا بالشرايع مقرونا الى
ايمانهم وهو التوحيد وعن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبي عم التوحيد فلما
امنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الصيام ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم
فلما امروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وهذا ما قال ابو حنيفة
من ان المراد بزيادة الايمان المذكورة في نحو قوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا انهم كانوا امنوا في الجملة ثم يأتي فرض بعد فرض كانوا يؤمنون بكل فرض خاص
وهذا يمكن في الاعصار كلها لانضباط الفرايض ولله جنود السموات والارض اي يختص
به جنود العالم فهو يملكها ويدبر امرها فيسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن
تدبيره ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وكان الله
عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها مع ما بعده علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها
فيدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل
او جميع ما ذكر وليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
ويسترها ولا يظهرها وكان ذلك الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه ظفر
بكل ما اراد او قيل لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع ودفع ضر وعند حال من
الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل
الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر
السوء وهو ان الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها
عنوة وقهرا عليهم دايرة السوء اي دايرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين
فهو حايق بهم ودائر عليهم لا يتجاوزهم الى غيرهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء
بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان كالضعف والضعف والكره والكره لكن
المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء والمضموم جرى مجرى الشر



المنافقين للخير ومن ثم اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدايرة محمودة
فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التأويل المذكور واما دايرة السوء بالضم
فلان الذي اصابهم مكروه وشدة يصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان اراد
بكم سوءا او اراد بكم رحمة والمضموم والمفتوح كلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو
في الاخريين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب الاعداد والغضب سبب له لاستقلال
الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وللغضب صورة ونتيجة اما صورته فتغير في النفسان
يتأذى به ويتألم واما نتيجته فاهلاك المغضوب عليه وايلامه فعبر عن نتيجة الغضب
بالغضب على الكناية بالسبب عن المسبب وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض
وكان الله عزيزا بليغ العزة والقدرة على كل شيء حكيما بليغ الحكمة فيه فلا يفعل
كل ما يفعل الا على مقتضى الحكمة والصواب فلا يفوته شيء مما يريد انا ارسلناك شاهدا على
امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا لاهل الايمان والطاعة منهم
بالجنة والثواب ونذيرا لاهل الكفر والعصيان بالنار والعذاب فان ذلك
مما لا يتطرق اليه العقل بنفسه كما لا يتطرق الى كثير من امور الدنيا والاخرة فكان
من لطف الله وفضله ارسال الرسول لبيان ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب
لرسول ولامته او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه
تقووه بتقوية دينه ورسوله وذلك بالنصرة والاعانة لهما وتوقروه وتعظموه
وتسبحوه وتنزهوه مما لا يليق به ولا يجوز اطلاقه عليه من الشريك والولد وساير
صفات المخلوقين او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دايما وعن ابن عباس
صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة
بالياء والباقون بالتاء وقرئ تعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وبكسر التاء
(بسكون العين وتعزروه)
وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وقال خارجة في حرف ابن مسعود لتؤمنوا بالله
ورسوله وتوقروه وتنصروا او تعزروا وتسبحوا الله بكرة واصيلا وفي بعض الى
وعن سعيد بن جبير وطلحة ويسبحوا الله وقرأ جعفر بن محمد واليماني وتعززوه
بالزاءين كقوله فعززنا بثالث ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لان

لان المراد ببيعته بيعة الرضوان وقرئ انما يبايعون الله اى لاجل الله
ولوجهه وقرأ ابن حنبل انما بايعوا الله يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على
طريق التخييل يريد ان يد رسول الله التى تعلو ايدى المؤمنين المبايعين هى يد الله
والله منزه عن الجوارح وعن سائر صفات الاجسام وانما المقصود تقرير ان عقد
الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما ويجوز ان يكون المعنى تصرف
الله فوق تصرفاتهم فان من قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى جارحة محسوسة
او متخيلة يثبت له يدا روحانيا عقليا اى يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها
اذ روح اليد ومعناها انها تتصرف بان يعطى ويمنع وياخذ ويبطش ويفعل ما يريد
والله تعالى يفعل ويعطى ويمنع بواسطة بنى ادم والملائكة والعقل كما قال عم اول ما
خلق الله العقل فقال بك اعطى وبك امنع وفى رواية الفردوس بك آخذ وبك
اعطى فالله تعالى هو المتصرف فى كل شىء ذاتا وصفاتا بواسطة وبغيرها فلا يكون يد
الا فوق ايدى الكل فمن نكث نقض العهد والبيعة فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر
نكثه الا عليه وقال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان
لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط
بعيره ولم يسر مع القوم وقال السدى كانوا ياخذون بيد رسول الله صلم ويبايعونه
وقرئ ينكث بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله اى ومن وفى ببيعته بان
يثبت عليها ولم ينكثها فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وما فيها من رضوان الله
والنظر الى ذاته وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء لانه الاصل افرادا وجمعا لان الهاء
كانت ضعيفة لخفائها شبيهة بالالف فى الخفاء اعطيت اقوى الحركات وهى الضمة
والدليل على ان الهاء الضم انها تضم مبتدأة وبعد الفتحة والضمة والالف والواو وسكون
غير الياء نحو هو وله وكله واتاه ونصروه ومنه وهو الوجه فى قراءة حمزة عليهم
واليهم ولديهم بضم الهاء وكلهم الهاء وحدها ويتصل به من الميم وغيرها
والباقون بكسرها وانما كسروا الهاء بعد الكسرة او الياء الساكنة روما للخفة
والمشاكلة لانها لما اشبهت الالف فى الضعف والخفاء وكانت الالف تمال لمجاورتها
كسرت الهاء بعدها لشبه الكسر بالامالة وقرئ عهد وقرأ نافع وابن كثير وابن



عامر وابو جعفر وروح فسنؤتيه بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن مسعود فسيؤتيه
الله اجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب هم الذين تخلفوا عن الحديبية
وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك ان رسول الله
صلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب
واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت
واحرم هو صلى الله عم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب
وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم
فظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم
وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقابلة قريش ان صدوهم شغلتنا
اموالنا واهلونا فلم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ شغّلتنا بالتشديد للتكثير
فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى اعتذار
هم وطلب استغفارهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه
ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة او خلل فى المال والاهل او عقوبة على التخلف
وقرأ حمزة والكسائى وخلف بضم الضاد والباقون بفتحها او اراد بكم نفعا
ما ينفعكم من ظفر وغنيمة وغير ذلك بل كان الله بما تعملون خبيرا بكل اى عالما من السر
والعلانية فكيف يخفى عليه تخلفكم وقصدكم فيه وكذبكم وسائر احوالكم وان كنتم تجهدون
فى سترها واخفائها بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنهم
ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وهو كل من فى عيال الرجل ونفقته من المرأة
والولد والاخ والعم وابنه والخادم وقد يجمع على اهالى على غير قياس وعلى اهال كارض
وارضين على ان اصله اهلة وقرئ الى اهلهم وزين ذلك فى قلوبكم فتمكن ذلك
الظن فى قلوبكم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله لقوله زينا لهم اعمالهم
او الشيطان لقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم وظننتم ظن السوء هو الظن المذكور
والمراد التسجيل عليهم بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور
الزائغة وكنتم قوما بورا البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ ومعنى

وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين
لسخطه وعقابه عليكم لفسادكم ظاهرا وباطنا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع لهم تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بان من
لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستحق للسعير بكفره ونكر
سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض
ان يختص به ملك العالم فهو يملك امور اهله ويدبرها ويجريها على فوق مشيته وحكمته
الالهية فهو اعلم بهم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء جزاء بما كانوا يعملون وليس
وليس بواجب عليه شيء مما هو اصلح لهم وكان الله غفورا رحيما بليغ المغفرة والرحمة التي
شملت الخلائق كلها وسبقت غضبه ولذلك يمحو بتوبة واحدة ذنوب العمر كله ويعطي
بكل واحدة منها حسنة وثوابا قال ابو هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
افرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ومن الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد
ومن تاب الى الله توبة نصوحا انسى الله حافظيه وبقاع الارض خطاياه وذنوبه وقيل فان
الغفران والرحمة ذاتية والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث
الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية اذا
انطلقتم الى مغانم لتاخذوها اي الى مغانم خيبر فان رسول الله واصحابه لما انصرفوا
من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنايمها خالصة لمن شهد الحديبية عوضا
عن غنايم اهل مكة اذ انصرفوا عنها على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا نتبعكم
الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها قراه زيد بن علي نتبعكم بالرفع على الحال كقوله تطهرهم
يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية فهو وعدهم
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل هو قول الله لن تخرجوا معي ابدا
والظاهر انه في تبوك وقراه حمزة والكسائي وخلف كلم الله جمع كلمة واكثرها قول كلام الله
وهو اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقيل والمراد بكليهما قوله تعالى فقل لن تخرجوا
معي ابدا الى آخر الآية ومجموع ذلك كلام وكلم فالقراتان يرجعان الى معنى واحد
وكان طلبهم للخروج ارادة تبديل ذلك وقراه الخليل ان يبدلوا قل لن تتبعونا
نفي في معنى النهي كقوله لن تخرجوا معي ابدا كذلكم قال الله من قبل من ان تتبعهم

للخروج

للخروج الى خيبر وقيل اي من قبل مرجعنا من الحديبية اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد
الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنايم
وقرئ بكسر السين بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم
لامور الدنيا دون امور الدين كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ومعنى الاضراب
الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله
لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب هم الذين تخلفوا
عن الحديبية وكرر ذكرهم بهذا الاسم للتاكيد المفيد للتقدير والتحقيق وقيل مبالغة
في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد هم اهل فارس
قال ابن عباس وعطاء ومجاهد او الروم قال كعب او فارس والروم قال الحسن
او هوازن وثقيف قال سعيد بن جبير او هوازن وغطفان يوم حنين قال قتادة
او بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب قال جماعة منهم مقاتل والزهري
قال رافع بن خديج كنا نقرا هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال
بني حنيفة فعلمنا انهم هؤلاء وقال ابن جريج دعاهم عمر الى قتال فارس تقاتلونهم
او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير لان مشركي العرب والمرتدين
لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل
الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب و
المجوس دون مشركي العجم والعرب وفي اهل الكتاب والمجوس وهو يدل على امامة ابي بكر رض
فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلعم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول
الله عم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا واما من قال هم فارس
والروم فمعنى يسلمون عنده ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية ومن قال انهم
ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله عم فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا
ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد
كان الوعد انهم لا يتبعون رسول الله الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم قراه
زيد بن علي وابن عمير او يسلموا بغير نون اي حتى يسلموا فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا هو الغنيمة والجنة في الدنيا والآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن

عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين في
التخلف عن الغزو واستثناهم من الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك
بالتكرير على سبيل الوعيد فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من
الترغيب وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هي بيعة الرضوان سميت بهذه
الآية وقصتها ان النبي عم لما نزل بالحديبية بعث خواش بن امية الخزاعي الى اهل
مكة فهموا بقتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى رجع الى رسول الله عم فدعا رسول
الله عمر ليبعثه الى مكة فقال اني اخاف قريشا على نفسي لما عرفوا من عداوتي اياهم
وغلظتي عليهم وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد يمنعني ولكني ادلك على رجل
هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه يخبرهم انه لم يات لحرب
وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف
بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف حتى يطوف رسول الله ... القوم ودعا اصحابه الى البيعة و
كانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة فبايعوه تحت الشجرة على الموت وعلى
ان لا يفروا فقال لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل الارض وقال عم لا يدخل
النار احد ممن بايع تحت الشجرة وكانت سمرة او سدرة وقال جابر بن عبد الله
لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره
غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن
من الشجرة اذب فرفعت الغصن عن ظهره وكان اول من بايع بيعة الرضوان
ابو سنان بن وهب الاسدي فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمير والوفاء
فانزل السكينة عليهم اي الطمانينة والثبات وسكون القلب بالتشجيع والصلح و
اثابهم فتحا قريبا اي جازاهم وعوضهم فتح خيبر عقب انصرافهم وقيل الحسن فتح
هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا قرأ الحسن واتاهم فتحا قريبا اي اعطاهم
ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم

ثم

ثم اتاه عثمان بالصلح وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق قرأ الزهري تاخذونها
بالتاء وكان الله عزيزا حكيما بليغ العزة في الانتقام من اعدائه والحكمة في افعاله وقيل
غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها هي الفتوح التي تفتح للمؤمنين
الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر
وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم
الرعب فنكصوا او هموا ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف
الله عنهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل ايدي اهل قريش بالصلح ولتكون آية للمؤمنين
اي ولتكون هذه الكفة امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم
والفتح عليهم او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر حين رجوعه من الحديبية او وعد
المغانم او عنوانا لفتح مكة فانه عم راى في منامه فتح مكة ورؤيا الانبياء وحي فتاخر
ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ولتكون عطف على
محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او علة لمحذوف مثل فعل ذلك
ويهديكم صراطا مستقيما يثبتكم على الاسلام ويزيدكم نصرة ويقينا وثقة بفضل الله
بصلح الحديبية وفتح خيبر وقصته ان رسول الله لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة
بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع الى خيبر قال انس كان رسول
الله اذا اغزا قوما لم يكن يغير حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم والا اغار عليهم
فخرجنا الى خيبر وانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة
وان قدمي لتمس قدم النبي عم فخرج الينا اهل خيبر بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا قالوا
والله محمد والخميس فلما راهم رسول الله قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وقال سلمة خرجنا الى خيبر مع رسول الله عم فجعل عمي عامر
يرتجز بالقوم بالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن عن فضلك ما
استغنينا فثبت الاقدام ان لاقينا وانزلن سكينة علينا فقال رسول الله من هذا
فقال انا عامر فقال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله لاحد الا استشهد فنادى
عمر وهو على جمل له يا نبي الله لولا امتعتنا بعامر فلما قدمنا خيبر ملكهم مرحب يخطر
بسيفه ويقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذ الحروب

اقبلت تلتهب وبرز عمي عامر فقال قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل
مغامر فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب يسفل له فرجع
سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول
الله عم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت النبي صلى الله عم وانا ابكي فقلت يا رسول
الله بطل عمل عامر قال من قال قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل
له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلعم
فبصق في عينيه فبرأ واعطاه الراية وخرج مرحب فقال قد علمت خيبر اني مرحب الى قوله
الحروب تلتهب فقال علي رض انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات كريه المنظره اوفيهم
بالصاع كيل السندره فضرب راس مرحب فقتله فكان الفتح على يديه وفي
رواية اخرى قال عم بعدما قاتل ابو بكر وعمر قتالا شديدا ورجعا لاعطين الراية
غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه
الراية وقال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن و
عليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على راسه وهو يرتجز فبرز اليه الزبير بن العوام
فقالت امه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء
الله تعالى ثم التقيا فقتله الزبير ثم انه عم لم يزل يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي
الذرية ويحوز الاموال واخرى عطف على هذا اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم
اخرى لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة وهي مغانم هوازن في حنين او
فارس قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى فاظفركم بها وغنمتموها ويجوز
ان يكون قوله اخرى منصوبا بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله
اخرى قد احاط الله بها وقوله لم تقدروا عليها صفة لاخرى وان يكون مرفوعا
بالابتداء لانها موصوفة بلم تقدروا عليها وقد احاط الله بها خبرها وان يكون مجرورا
باضمار رب وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء
ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا او من حلفاء خيبر لولوا الادبار
لانهزموا وانصرفوا هاربين ثم لا يجدون وليا يتولى امرهم ويحفظهم ولا

نصيرا

ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل في موقع المصدر المؤكد اي
سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم وهو قوله لاغلبن انا ورسلي
ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
كف ايدي كفار مكة عنكم اي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة ببطن مكة داخل
من بعد ان اظفركم عليهم ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذكر يوم الفتح وبه
استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل ذكر في غزوة الحديبية
لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله خالد بن الوليد على
جند فهزمهم وادخلهم حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين عليهم
بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وعن انس انه قال ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا
على رسول الله صلعم من جبل التنعيم متسلحين وعن عبد الله بن مغفل كنا مع النبي عم بالحديبية
في ظل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج
علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلعم
فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله هل جئتم
في عهد ام هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله هذه الآية فالرواية
الاولى دالة على ان هذه الآية نزلت بمكة وهذه الرواية تدل على انها نزلت بين مكة
والمدينة وهو الحديبية وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله و
كفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو عمرو بالياء التفاتا من الخطاب الى الغيبة والباقون
بالتاء ليوافق ما قبله بصيرا عالما لا يخفى عليه شيء فيجازيهم على ذلك الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله قيل هذا يدل على
ذلك يعني الظفر المذكور عام الحديبية قلت والذي يدل عليه الاخبار وصريح القرآن
ان مكة انما فتحت عنوة ويدل عليه قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا لان لفظ الفتح اذا
ورد مطلقا لا يقع الا على ما فتح عنوة والهدي ما يهدى الى الحرم من شاة او بقر او بعير
والواحدة هدية كما يقال جدي في جدية السرج وقرئ والهدي بتشديد الياء و
هو جمع هدية كمطية ومطي هذا هو المشهور وقيل هو فعيل بمعنى مفعول ولم اجده
في كتب القوم ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة على ان

بلغ

الحق محل هدية الحرم وكان رسول الله صلعم قد ذبح هديته في موضع آخر وهو
الحديبية وهي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وعن الزهري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وروي ان مضارب رسول الله كانت في الحل ومصلاه
في الحرم فالمراد بمحله في الآية محل المعهود وهو منى وقوله معكوفا ان يبلغ محله معناه
محبوسا عن ان يبلغ وكان الهدي سبعين بدنة عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله
قال نحرنا مع رسول الله صلعم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وعنه
قال اشتركنا مع النبي عم في الحج والعمرة كل سبعة في بدنة فقال رجل لجابر اشترك في
البدنة ما يشترك في الجزور فقال ما هي الا من البدن وحضر جابر الحديبية قال ونحرنا يومئذ
سبعين بدنة اشتركنا كل سبعة في بدنة ذكره مسلم في صحيحه وعن ابن عمر خرجنا
مع النبي عم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلعم بدنه وحلق راسه
وامر اصحابه ان ينحروا وينحروا ويحلقوا ثلث مرات فلما لم يقم احد قام ودخل على
ام سلمة فذكر لها ما لقي منهم فقالت له لو خرجت نحروا فنحر ونحروا بنحره وحلقوا
بحلقه ودعا للمحلقين ثلثا وللمقصرين مرة ورأى كعب بن عجرة والقمل يسقط على
وجهه فقال ايؤذيك هوامك قال نعم فامره ان يحلق وهو بالحديبية خرجه البخاري
والدارقطني ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين وهو صفة للرجال والنساء جميعا ان تطؤهم
بدل اشتمال من رجال ونساء او من هم في تعلمون والوطء عبارة عن الاهلاك في
البعير المقيد ومنه قوله عم اللهم اشدد وطأتك على مضر اي خذهم اخذا شديدا وقوله
عم ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة النبي عم
بها فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف
عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في التفتيش عنهم مفعلة من عره اذا عراه
ما يكره ويشق عليه بغير علم حال من فاعل تطؤهم بمعنى غير عالمين بهم وجواب
لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين
اظهر المشركين والحال انكم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف
ايديكم عنهم وقيل لاذن لكم في دخول مكة ولكنه بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته

كراهة ما

تعليل



بطن الآية من ... الا ... اهل
... والبيع من ... صحابه الى ...
... المؤمنين ... ولد ...
ومنع ... بيد ...

تعليل لما دلت رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم
او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ
تزايلوا وجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما
الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب له وهو وجه حسن صحيح لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي وقال الضحاك لو زال المؤمنين من بين
اظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار وعن علي رضي
انه قال سالت النبي عم عن قوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا فقال هم المشركون
من اجداد نبي الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم كان في اصلابهم قوم مؤمنون
فلو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا اليما اذ
جعل الذين كفروا اذ منصوب باضمار اذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم
الحمية الحمية فعيلة من حمى من كذا حمية ومحمية اذا انف منه فالحمية الانفة قال الزهري
حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي عم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم
من دخول مكة وقال مقاتل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون
علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا
يدخلونها علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم حمية الجاهلية التي تمنع
اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اي فانزل الله عليهم
الوقار والثبات وذلك ما روي ان رسول الله عم لما نزل بالحديبية وهم
بقتال قريش بعثوا سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن
حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة
ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال
سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال عم اكتب هذا ما صالح
رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت
ولا قاتلناك هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عم اكتب ما يريدون
فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك
ويبطشوا فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى

كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه والمؤمنين معه او الوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى او كلمة اهلها وكانوا احق بها واهلها والمستاهل لها والمختص بها من اهل الرجل وهو الذي يختص به وينسب اليه وكان الله بكل شيء عليما بليغ العلم بكل شيء من شانه ان يعلم به العلم فيعلم اهل كل شيء وييسره له وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه في ايام الحجاج لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله صلعم انه واصحابه دخلوا مكة آمنين محلقين وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك قال بعضهم وقد حلقوا وقصروا وذلك قبل خروجه الى الحديبية فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلعم فلما تاخر ذلك قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت وهو دليل قاطع على ان الرؤيا صدق وليس بباطل كما زعم جمهور المتكلمين والمعتزلة فتبا لهم ثم تبا لهم وقيل القايل عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والمعنى صدقه في رؤياه ولم يكذبه الله تعالى عن الكذب وهو ابو النقايض فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه بالحق ملتبسا بالحق متعريا به بعيدا من الباطل والكذب فان ما اراه صدق لا محالة كاين في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا به وهو القصد الى التمييز بين المؤمن المخلص والذي في قلبه مرض وان يكون قسما اما بالحق صفة الذي هو اسم من اسمائه تعالى او بالحق الذي هو نقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاول جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للوعد بالمشية تعليما للعباد ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متقدين بسنة الله متادبين بادبه او اشعار بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا والنبي عم لاصحابه وقيل هو استثناء من قوله آمنين لا من الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ كما في قوله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين آمنين حال من الداخلين والشرط معترض بينهما محلقين

رؤسكم

٢٢

رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا بعضكم وقدم الحلق على التقصير وهو قطع اطراف الشعر لان الحلق افضل منه لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فراء البيان محلقون رؤسكم ومقصرون اي فبعضكم محلقون وبعضكم مقصرون فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل وقيل فعلم ما لم تعلموا ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وهو قوله ولولا رجال مؤمنون الآية فجعل من دون ذلك من دون فتح مكة او دخولكم المسجد فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله من الاديان الباطلة بنسخ ما كان حقا فيها واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهلها اذ ما من اهل دين الا وقد غلب عليهم المسلمون واذلوهم وقيل هو عند نزول عيسى عم حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كاين او على نبوته باظهار المعجزات وعن الحسن شهيد على نفسه انه سيظهر دينك وعن ابن عباس شهد له بالرسالة وهو قوله محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر مبتدا محذوف اي هو محمد اشارة الى قوله رسوله بالهدى او مبتدا ورسول الله عطف بيان وقوله والذين معه عطف عليه وخبره اشداء على الكفار رحماء بينهم اشداء جمع شديد ومنه صفة عمر في التورية قرن من حديد امين شديد وكذا ابو بكر الصديق رض بل هو اشد الا ترى الى قول ابي هريرة رض والذي لا اله الا هو لولا ان ابا بكر استخلف ما عبد الله تعالى وعن ابي رجا دخلت المدينة فرايت الناس مجتمعين وعمر يقبل راس ابي بكر ويقول انا فداك فلولا انت لهلكنا وينصره ما قالت عايشة رض خرج ابي يوم الردة شاهرا سيفه راكبا راحلته فجاء علي رض فاخذ بزمام راحلته وقال اقول لك ما قال لك رسول الله صلعم يوم احد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك والله لان اصبنا بك لا يكون للاسلام بعدك نظام ابدا ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على الكفار ويتراحمون

فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين
رؤفهم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان
تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان
لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لا خلاف فيها واما المعانقة فلم يجوزها
ابو حنيفة رض وكذا التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل شيئا من جسد رجل آخر وقد
جوز ابو يوسف المعانقة عن انس كان اصحاب النبي عم اذا تلاقوا تصافحوا واذا قدموا
من سفر تعانقوا رواه الطبراني وعن تميم الداري قال النبي عم اول من عانق خليل الله ابرهيم
وكان قبل ذلك السجود فهذا يسجد لهذا وهذا يسجد لهذا فجاء الاسلام بالمصافحة و
عنه عم تقبيل المسلم يد اخيه المصافحة وعن عائشة رض قال رسول الله صلعم ايما مسلم قبل يد
مسلم فهو احد السبع تبين له لك وقرأ ابن عباس بالنصب على المدح وقرأ الحسن اشداء
رحماء بالنصب فيهما على المدح او الحال بالمقدرة في معه ويجعل تراهم الخبر كانه قيل
هم في الحالين تراهم ركعا سجدا لانها فطنتهم على الصلوة ومداومتهم عليها كما قال الذين
هم على صلوتهم دائمون يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضاء والجملة
في موضع النصب على الحال سيماهم في وجوههم من اثر السجود السيماء العلامة و
المراد بها السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه
وقرئ سيماؤهم بالمد وقوله من اثر السجود بيانها وتغيرها او حال من المستكن في
الحال وقال عكرمة وسعيد بن جبير هو اثر التراب على الجباه وقال الضحاك هو صفرة
الوجه من السهر وعن ابن عباس والحسن هو بياض يكون في وجوههم يوم القيمة
وعنه السمت الحسن والخشوع والتواضع وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور
وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله عم من
كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار رواه جابر وخرجه ابن ماجه في سننه وقرأ الاعرج
من اثر باسكان الثاء وابو ابرهيم من آثار بالجمع ذلك اشارة الى الوصف المذكور
او اشارة مبهمة يوضحها قوله كزرع مثلهم في التورية اي وصفهم العجيب الشان
المذكور في التورية ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي مثلهم في الكتابين جميعا
وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او ايضاح او خبر لقوله ومثلهم في الانجيل اخرج

شطاه

شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية
ابن ذكوان شطأه بفتح الطاء والباقون بسكونها وهما لغتان وقرئ شطاه
بابدال الهمزة الفا وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الطاء و
شطوه بقلب الهمزة واوا فآزره من الموازرة وهي المعاونة او من الايزار وهو
الاعانة وقرأ ابن ذكوان فأزره بقصر الهمزة كاجر في آجر وقال ابو عبيدة
فآزره اي فساوى الشطاء الزرع في الطول والقوة وقرئ فازره بتشديد الزاء
فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه اي فاستقام على قصبه
جمع سوق وقرأ ابن كثير برواية قنبل سؤقه بالهمزة المضمومة مكان الواو الساكنة
يعجب الزراع بنمائه وكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهذا مثل ضربه الله
للصحابة قلوا وضعفوا في اول الاسلام ثم كثروا وقووا اعجبت الناس كثرتهم
او لبداء امر الاسلام لترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي عم قام وحده
ثم قواه بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها
حتى يعجب الزراع وقيل الشطاء في الآية كناية عمن دخل في الاسلام فقوى الاسلام
وهو مثل ضربه الله لنبيه واصحابه لانه بعث وحده كما يخرج السنبلة مفردة
ثم قواه باصحابه كما تقوى السنبلة بفراخها وقال قتادة مكتوب في الانجيل يخرج
قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن الحسن
قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن
الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب
يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية العشرة المبشرة بالجنة كمثل زرع
الزرع محمد صلى الله عم اخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى
على سوقه علي استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع المؤمنون ليغيظ بهم
الكفار قول عمر لاهل مكة بعد ما اسلم لا نعبد الله سرا بعد اليوم وعن عكرمة
اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه
بعلي ليغيظ بهم الكفار تعليل لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه وقوته او
لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان

لان الكفار اذا سمعوا ما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم في الدنيا غاظهم
ذلك ومن بيانية كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة سورة
الحجرات ثماني عشرة آية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب
الوهم الى كل ممكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا اي لا تقدموا على
التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم سبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت اولا تتقدموا
ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه ويتضمنه قراءة يعقوب لا تقدموا
بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا
الى امر من امور الدين قبل قدوم الله ورسوله ولا تعجلوا عليهما قال ابو حاتم
سمعت بمكة من قارئ لهم لا تقدموا بالفتح والتشديد ووجد لارادة لا تتقدموا
وهو مذهب ابن كثير واهل مكة يعني تشديد التاء في مثل هذا بين يدي الله
ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تصوير
للهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر دون الاهتداء على امثلة
الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ان يحكما به ويأذنا فيه فتعملوا
بكتاب الله او بسنة رسول الله وعن ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يدي
كلامه وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقضيه على لسان رسوله ويجوز
ان يكون المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من
الله بمكان يوجب اجلاله وعن الشعبي قال جابر نزلت الآية في الذبح يوم الاضحى
وبه قال الحسن اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي عم وذكر ان ناسا ذبحوا
يوم الاضحى قبل صلوة النبي عم فنزلت فامرهم ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا
مذهب ابي حنيفة الا ان بزوال الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى
من الوقت قدر الصلوة وعن الشعبي ايضا قال البراء خطبنا النبي عم يوم
النحر فقال ان اول ما نبدأ به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد
اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان نصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في

شيء

شيء وعن مسروق دخلت على عائشة رض في يوم الشك فقالت للجارية اسقيه عسلا
فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت اي لا تصوموا
قبل ان يصوم نبيكم وهذه الرواية الثالث تؤيد الوجه الاخير كما لا يخفى واتقوا الله
في التقدم ومخالفة حكمه وتضييع حقه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم ظاهرها وباطنها
فيجازيكم على ذلك من التحذير والتهديد ما لا يخفى وقيل بعث رسول الله صلعم
الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي
فقتلهم بنو عامر الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فسألوهما
عن نسبهما فقالا من بني عامر لانهم اعز من سليم فقتلوهما وسلبوهما
ثم اتوا رسول الله صلعم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما
فجاء نفر من بني سليم الى رسول الله فقالوا ان بيننا وبينك عهدا وقد قتل منا
رجلان فوداهما رسول الله صلى الله عم بمائة بعير ونزلت اي لا تعملوا شيئا من
ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله وقال قتادة كان ناسا كانوا يقولون
لو انزل في كذا او صنع في كذا وكذا فكره الله ذلك فنزلت وعن الحسن لما استقر
رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان
يبتدؤا بالمسئلة حتى يكون هو المبتدي وقيل هي عامة في كل قول وفعل و
يدخل فيها انه اذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله لم يسبقوه بالجواب وان
لا يمشى بين يديه الا للحاجة وان يستأني في الافتتاح بالطعام يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي عم لا يبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل
اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته تعظيما لشانه واظهارا لتقدمه وفضله وعن
عبد الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس قدم على النبي عم فقال ابو بكر يا رسول الله
استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي عم حتى ارتفعت
اصواتهما فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي فقال ما اردت خلافك
فنزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي عم
فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي عم صلعم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه
وتكرير النداء لزيادة الاهتمام والاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة

في الانعاظ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي ولا تجهروا له جهرا مثل
جهر بعضكم لبعض فنهوا عن جهر مخصوص مقيد وهو الجهر المماثل لجهر اعتادوه
فيما بينهم لا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يتكلموا بالهمس والمخافتة ان تحبط
اعمالكم علة للنهي بمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها
على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او لنفس الفعل
كانه قيل انهاكم عن ان تجهروا له بالقول لاجل حبوط اعمالكم وقيل المعنى انهم نهوا
عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط كانه فعله
لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا
وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي
والرسول قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رض يا رسول الله
والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وقرا زيد بن علي وابن حمير
فحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون لا تحسون انها محبطة وقرا عبد الله لا ترفعوا
باصواتكم والباء مزيدة دخلت في الحال كقوله وامسحوا برؤسكم فلا يتناول
كل الحال بان نهوا عن رفع مطلق الصوت وكله فانهم لم ينهوا عن ذلك وانما نهوا
عن رفع صوت مخصوص وهو رفع صوت فوق صوت النبي عم ويتاذى به
ومن ثمه قال بعضهم ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتاذى به رسول
الله صلى الله عم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو
وما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عم للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس
يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة
اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وعن
ابن عباس نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر و
كان جهوري الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله
فيتاذى بصوته وعن انس لما نزلت الآية تخلف ثابت عن رسول الله
فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية
واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عم لست

هنالك

هنالك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن
الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول
الله فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون
تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم
ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين ان الذين يغضون اصواتهم
يخفضونها عند رسول الله توقيرا له ورعاية للادب او خشية حبوط
الاعمال او الكل وقيل كان ثابت بن قيس يبكي بعد نزول الآية فقال له رسول الله
ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان يكون هذه الآية نزلت في فقال عم
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى
الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله فانزل الله قوله ان الذين
يغضون اصواتهم الآية فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة
الكذاب فلما استقر راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم
فقال اف لهؤلاء ثم قال لمولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله
مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة
في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في
ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فات
خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله وقل
له ان علي دينا حتى يقضى وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا
والفرس على ما وصفه واخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال
انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة
لها لان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او
ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى لتثبت وتظهر
تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى انما تعلم عند المحن والشدائد
والاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه فخلص ابريزه

من حبّه ونقاه وعن عمر رض اذهب الشهوات عنها اى نزع عنها محبة الشهوات
والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد لهم مغفرة
لذنوبهم واجر عظيم وثواب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره لغضهم وانه
تنكير منوط الكثرة وذلك لتوقيرهم رسول الله وغضهم وسائر طاعاتهم
وقيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به
اخا السرار والتنكير للتعظيم كما بيناه والجملة خبر ثان لان او استئناف يبين ما هو
جزاء الغاضين اصواتهم احماداً لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مركبة من معرفتين و
المبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنواناً لهم والخبر الموصول بصلة دلت على
بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء لنحو ما في ذلك
من الاعلام ببلوغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته والتعريض بهجنة الرفع
وشناعة الجهر وان حال المرتكب لهما مضاد لحال هؤلاء ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها فان الوراء من ظروف المكان بمعنى خلف
وقدام ومن ابتدائية لان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على
ان المنادى داخل الحجرة ضرورة ان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرأ ابو جعفر الحجرات
بفتح الجيم والباقون بضمها وقرئ بسكونها وثلثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض
المحجورة بحائط يحوط عليها ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عم وكانت لكل واحدة منهن حجرة
وقيل فيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم تفرقوا على الحجرات
متطلبين له او بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم نادوه من وراء الحجرة
التي كانت فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله ولمكان حرمته فاسند فعل بعضهم
الى جميعهم لرضائهم بفعله واتصالهم به نسباً ودينا فاذا ناداه فكانهم نادوه وكلهم
فقد ذكر الاصمعي ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول
الله وسبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا
اكثرهم لا يعقلون يقتضي توقير سيد القوم وكبيرهم واحتشامه وحسن الادب
معه اظهارا للتقدمة واعتبارا للتوقير سيما من كان سيد الانبياء وصفوة المرسلين

وفي

وفي قوله اكثرهم دلالة على انه كان فيهم من قصد بالمحاشاة وعلى قلة العقلاء فيهم
قصداً الى الغفران يكون فيهم من يعقل اذ القلة تجري مجرى النفي في كلامهم و
يؤيده قوله عم لما سئل عنهم هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا
للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان دلت بما في حيزها على المصدر دلت
بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى لغاية الشيء المضروب فتفيد ان
يكون الصبر مُغَيّاً بخروجه تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او
صدرها لم يجز بخلاف الى فانها عامة في كل غاية وفي اليهم اشعار بانه لو خرج
لا لاجلهم لزمهم ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم والصبر حبس النفس
على الطاعات وعن المعاصي ولو حبسوا انفسهم في مجالسهم [illegible] حتى تخرج
اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من تعظيم رسول
الله وحسن الادب وحفظ الحشمة المقتضية للمدح والثواب والاسعاف بالمسئول اذ
روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق نصفهم وفادى نصفهم
وقال مقاتل لكان خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا او تطلقهم بلا فداء والله غفور
رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما حيث اقتصر على النصح والتوبيخ لهؤلاء المسيئين
الادب التاركين تعظيم الرسول عم وفي هذه الآية من الارشاد للعباد الى مكارم
الاخلاق ما لا يخفى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا قرأ حمزة والكسائي
وخلف فتثبتوا والباقون فتبينوا وهما ان التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان
النبأ وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير بينة وروية يقال تبينته اذا عرفته بيناً مكشوفاً
من غير شك واشتباه روي ان رسول الله صلى الله عم بعث وليد بن عقبة اخا عثمان
لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو
سكران صلوة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني
المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه ركبانا فحسبهم مقاتليه
فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله
من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي

المسيئين

كنفسه يقاتل مقاتلكم وبسبب ذلك يسبكم ثم ضرب بيده على كتف علي رض وقيل بعث
اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه
الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم كانه قال اى فاسق باى نبأ فتطلبوا
فيه بيان الحال وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحرز جنس الفسوق
لا يتحرز الكذب هو نوع منه وقيل في تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز
قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر العدل
الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل
وما بالذات لا يعلل بالغير ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة الجار والمجرور في
موقع النصب على الحال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم اى جاهلين بحالهم
وكنه قصتهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم
يقع وهذا التركيب يدل على اللزام والدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان مع اسمها
والخبر ساد مسد مفعولي العلم باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من
الامر لعنتم لانه حال من احد ضميري فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور فلو جعل
استينافا وكلاما مبتداء براسه لتنافر النظم ولم يظهر للامر فايدة والمعنى ان فيكم
رسول الله على حال او انتم على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون منه استمراره على
رايكم ولو فعل ذلك لوقعتم في الهلاك وفيه دلالة على ان بعض المؤمنين اشاروا
رسول الله بالايقاع ببني المصطلق وانما ذكرت لفظ الاستمرار لان دخول لو على
المضارع فيه لقصد الاستمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا وانه كان في قصدهم وارادتهم
ان يستمر عمل رسول الله على ما يستصوبون وهو انه كلما عن لهم راى في امر كان
عمله معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر بعض ان امتناع عنتكم بسبب امتناع انتفاء
استمراره على اطاعتكم لان المضارع يفيد الاستمرار ودخول لو عليه يفيد امتناع
الاستمرار والعنت المشقة والشدة ومنه الاسير من المرسلين في دار الحرب اذا خشي
العنت على نفسه والفجور لا باس بان يتزوج امراة منهم وقد يطلق على الهلاك
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم

على

على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم
وتعريضا بذم من فعل وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى ويبصر الوجه الاخير قوله اولئك هم الراشدون خطابا لرسول الله اى اولئك
المستثنون بقوله ولكن الله هم الذين اصابوا الطريق السوي او هم المتمادون
في الرشاد الكاملون في السداد والتكريه ههنا بمعنى التبغيض والكفر ستر نعم الله
بالجحود والفسوق الخروج عن حدود الشريعة والعصيان ترك الانقياد لما
امر به الشارع ونهى عنه فراءة طلحة اولئك يرشدون فضلا من الله ونعمة مفعول
له لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين لان الفضل فعل الله والرشد
وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فلا التحبيب والرشد
فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز و
التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طايفتان من المؤمنين
اقتتلوا اى تقاتلوا او لم يقل اقتتلا بالتثنية بل اقتتلوا بالجمع حملا على المعنى فان
كل طايفة جمع وقراءة ابن ابي عبلة اقتتلتا بالتثنية والتانيث وقراءة زيد بن علي
وعبيد بن عمير بالتثنية والتذكير اى اقتتلا على تاويل النفرين او رهطين وينصر
ما روي قتادة انها نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة في حق بينهما
فقال احدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته ودعاه الآخر ليحاكمه الى النبي صلعم
فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا وتناولا بالايدي والنعال دون السيوف
ويعضد الاخيرين ما روي السدي ان امراة من الانصار يقال لها ام زيد كانت بينها و
وبين زوجها شيء فرقى بها الى علية فحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه
فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله وان طايفتان الاية وروي ابن عباس ان رسول
الله صلعم وقف على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله ابن
ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان
بول حماره لاطيب من مسكك وروي حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك
ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما
الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي او بالايدي والنعال والسعف ورجع اليهم

رسول الله فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا فاصلحوا
بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما تعدت احديهما بالاستطالة
والظلم واباء الصلح على الاخرى فقاتلوا التي تبغي فقاتلوا الباغية حتى تفيء الى امر الله
حتى ترجع الى حكم الله وما امر به وقد سمي بالفيء الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد
نسخ الشمس والغنيمة ترجع من الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز و
وجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين المتفقتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة
فظنه قد طرحها فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد
الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا
في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء وقرأ عبد الله حتى تفيئوا
الى امر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وفي الآية دلالة على ان حكم الفئة الباغية
وجوب قتالها ما قاتلت وان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب يديه ترك كما جاء
في الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي
في المصالحة بما يصلح خلاف البغي انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى
اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح
ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع المظهر موضع
المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر
لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين
الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم وعن سالم عن ابيه قال رسول
الله صلعم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته
ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيمة ومن ستر مسلما
ستره الله يوم القيمة واتقوا الله في محافظة حقوقه وحقوق عباده وما امركم به ونهاكم
عنه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا
خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر لزيادة خلوص

ضمير

موكل

ضميره وتقوى قلبه وعن عبد الله ابن مسعود البلاء بالقول لو سخرت من كلب
لخشيت ان احول كلبا والقوم مختص بالرجال لانه مصدر سمي به الجمع او جمع قايم كصوم و
زور في جمع صايم وزاير والقيام بامور النساء وظيفة الرجال قال الله تعالى الرجال قوامون
على النساء وقال النبي صلعم النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وحيث
فسر بالقبيلتين كقوم عاد وقوم فرعون فاما على التغليب للرجال على النساء او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع لهم واختيار الجمع على التوحيد لان السخرية تغلب
في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي عن السخرية ولا خبر لها للاغناء
الاسم عنه وقرأ عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذه القراءة ذات
خبر كالتي في قوله فهل عسيتم ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين
كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن فكانما عاب نفسه ولا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل
ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة وقيل المعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء
عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي
الحديث عن رسول الله صلى الله عم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر
الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قل ما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات
له ويقول يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش
اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي
فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلاة ايها الرجل هيهات دونه
ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يلعن بعضكم بعضا واللمز الطعن والضرب باللسان
واللعن نوع منه وقرأ الحسن والاعرج وابو حيوة ولا تلمزوا بضم الميم وقرأ يعقوب
ولا تلمزوا بضم التاء ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعوا بعضكم بعضا بلقب السوء لان
النبز يختص بلقب السوء عرفا وقرأ طلحة ولا تنابزوا بالتاء بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان الاسم ههنا بمعنى الذكر من طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم وحقيقته ما سما من
ذكره وارتفع بين الناس اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم
الايمان واشتهارهم بالفسق به والمراد به الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه
وبين الايمان مستقبح او التقدير والبيان لهجنة ان يذكر المؤمن بالفسق وتنال

له یا فاسق یا یهودی یا نصرانی مثلا قال رسول الله صلعم من عیّر مؤمنا بذنب تاب
منه کان حقا علی الله ان یبتلیه به ویفضحه فیه فی الدنیا والآخرة وذلک انه کان فی نسائهم
لمن اسلم من الیهود یا یهودی یا فاسق فنهوا عن ذلک وقیل لهم بئس الذکر ان تذکروا
الرجل بالفسق والیهودیة بعد ایمانه وعن ابن عباس ان صفیة بنت حیی بن اخطب
اتت رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت ان النساء یعیّرننی ویقلن یا یهودیة بنت یهودیین
فقال رسول الله هلا قلت ان ابی هرون وعمی موسی وزوجی محمد وعن الضحاک ان
قوما من بنی تمیم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهیب وابی ذر وسالم مولی
حذیفة فنزلت وعن عائشة رض انها تسخر من زینب بنت خزیمة الهلالیة وکانت وعن
انس نزلت فی نساء رسول الله صلعم عیّرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس نزلت
فی ثابت بن قیس وکان فی اذنه وقر وکانوا یوسعون فی مجلس رسول الله لیسمع
فاتی یوما وهو یقول تفسحوا حتی انتهی الی رسول الله فقال لرجل تنح فلم یفعل فقال
من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة وذکر اما له یعیّر بها فی الجاهلیة
فخجل الرجل ونکس راسه فانزل الله هذه الآیة فقال لا افخر علی احد فی الحسب بعدها
ابدا ومن لم یتب عما نهی عنه فاولئک هم الظالمون العادون المجاوزون حد
الظلم حیث وضعوا العصیان موضع الطاعة ولم ینتهوا بنهی الله ولم یتعظوا بوعظه
ونصحه فعرضوا للعذاب المعدّ للظالمین وفیه دلالة بینة علی ان الرجل بترک التوبة
یدخل مدخل الظلمة ویلذّ فی قرنهم یا ایها الذین آمنوا اجتنبوا کثیرا من الظن
ای کونوا من الظن علی جانب وابعدوا عنه ونکر الکثیر للتبعیض والابهام وان فی
الظنون ما یجب ان یجتنب من غیر تبیین ولا تعیین لیحتاط فی کل ظن ویتأمل
حتی یعلم انه من ای القبیل لان من الظن ما یجب اتباعه کالظن بالله حسنا
وظن المجتهد فیما لا قطع فیه من العملیات وظن الحسن بالمؤمنین وباطل یحرم
علی کل احد کالظن فی الالهیات والنبوات وحیث یخالفه قاطع وظن السوء
بالمؤمنین قال النبی عم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان یظن به ظن السوء
ومباح کالظن فی الامور المعاشیة وعن الحسن کنا فی زمان الظن بالناس حرام
وانت الیوم فی زمان اعمل واسکت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة

بناء

بناء علی ان بعض الظن اثم استیناف معناه التعلیل لوجوب الاجتناب عن بعض
الظن والاثم الذنب الذی یستحق العقاب علیه ومنه قیل لعقوبته الاثام والهمزة
فیه بدل من الواو وکانه یثم الاعمال ای یکسرها وعن سفیان الثوری الظن ظنان
احدهما اثم وهو ان یظن ویتکلم به والآخر لیس باثم وهو ان یظن ولا یتکلم به ولا
تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمین تفعل من الجس لما فیه من الطلب کما ان
التلمس بمعنی التطلب من اللمس لما فی اللمس من الطلب وقد جاء بمعنی الطلب فی قوله
تع وانا لمسنا السماء وقرأ البزی بالحاء المهملة من الحس الذی هو اثر الجس و
غایته ولذلک قیل للحواس حواس حکی یعقوب قال النجم من فی فقد سمعت الهذلیین
یقولون التحسس للبصر والتجسس للسمع وقال ابو عمرو بروایة الکلبی التحسس من
وراء والتجسس هو البحث والالتماس والمراد النهی عن تتبع عورات
المسلمین ومعایبهم والاستکشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا
ما ستره الله تعالی وعن ابن عمر قال النبی عم یا معاشر من آمن بلسانه ولم یفض
الایمان الی قلبه لا تغتابوا المسلمین ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات
المسلمین تتبع الله عورته ومن یتبع الله عورته یفضحه ولو فی جوف رحله وعن
ابن عمر ایضا انه نظر یوما الی الکعبة فقال ما اعظمک وما اعظم حرمتک والمؤمن
عند الله حرمة منک وعن زید بن وهب قلنا لابن مسعود هل لک فی الولید بن
عقبة بن ابی معیط تقطر لحیته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهینا عن التجسس
فان یظهر لنا شیئا ناخذه ولا یغتب بعضکم بعضا ای ولا یذکر بعضکم بعضا
بالسوء فی غیبته فان الاغتیاب ذکر السوء فی الغیبة قال ابو هریرة قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم تدرون ما الغیبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذکرک اخاک بما
یکره قیل ارایت ان کان فی اخی ما اقول قال ان کان فیه ما تقول فقد اغتبته وان
لم یکن فیه ما تقول فقد بهته وروی ان الصحابة ذکروا عند رسول الله صلعم
رجلا فقالوا لا یاکل حتی یطعم ولا یدخل حتی یدخل فقال النبی عم اغتبتموه فقالوا
انما حدثنا بما فیه قال حسبک اذا ذکرت اخاک بما فیه وعن جابر وابی سعید
قال النبی عم التوبة من الزنا ایسر من التوبة من الغیبة لان صاحب الزنا اذا تاب

تاب الله عليه وصاحب الغيبة لا توبة له حتى يأتي صاحبه فيستغفر له وعن الحسن كفارة
الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وهذا القول مخالف للحديث فلا ينبغي ان يُعمل
به فكيف وقد قال النبي عم صلى الله من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحلله
منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته خرجه البخاري من حديث
ابي هريرة وقال صلى الله عم اقلّوا من غيبة الناس والوقوع في اعراضهم فما من
عبد مسلم يغتاب رجلا مسلما الا اعرض الله عز وجل يوم القيمة ووكله الى غيره رواه
انس وقال لرجل قال ما اسمن هذا وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على
افظع وجه وافحشه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احدكم للتعميم
وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول
اخا وميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تأكل منها كذلك
فاكره لحم اخيك وهو حي وقد ورد الخبر ان امرأتين صامتا فاجهدهما الجوع
والعطش من آخر النهار فاستاذنا رسول الله في الافطار فارسل اليهما قدحا و
قال لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما غبيطا ولحما عبيطا وقاءت
الاخرى مثل ذلك ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عم هاتان صامتا عما احل الله
لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما فقعدت احديهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان
الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم وقال النبي عم خمس يفطرن الصائم الكذب
والغيبة والنميمة واليمين الكاذب والنظر بشهوة رواه انس وانتصاب ميتا
على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع وابو جعفر ورويس ولما قررهم الله تعالى
احدا منهما يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه زيادة تقرير
وتحقيق لذلك اي اذا تحققت وجوب الاقرار عليكم وبانكم لا يمكنكم انكار كراهتكم
له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن
في اعراض المسلمين وعن انس قال رسول الله صلعم لما عرج بي مررت بقوم لهم
اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل

بلغ

فقال

فقال هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وقيل المعنى ان صح
ذكر او عرض عليكم هذا فكرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وقرئ فكُرِّهتموه اي جُبلتم
على كراهته وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد واذا شدد الراء استدعى مفعولا
آخر بحرف الجر وهو الى لان كرّه ما قيل ببغض وهو منقول من بُغِّض اليه الشيء
فهو بغيض اليه كقولك حُبب اليه فهو حبيب اليه واتقوا الله في مخالفة ما امرتم به ونهيتم
عنه وقيل بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه ان الله تواب رحيم لمن اتقى
في محافظة حدوده واحكامه وتاب مما فرط منه من المخالفة فيها والمبالغة في التواب
لمبالغة في قبول التوبة حيث يجعل صاحبها كمن لم يذنب قط لسعة كرمه او لكثرة من
يتوب عليه من عباده او لكثرة ذنوبهم وعن ابن عباس ان سلمان وكان رجلين
من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثناه الى رسول الله صلى الله عم
يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو
بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في
افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما وقال ظللتم تأكلون لحم سلمان واسامة
فانزل الله هذه الآية مما يجب التنبيه له ان مستمع الغيبة كقائلها فوجب على من
سمعها ان يردها وكيف وقد قال النبي عم من رد عن عرض اخيه رد الله عن
وجهه النار يوم القيمة وقال عم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم فوجب كف
الاذى عنها وما اشبهها من المكروه واللهو لقوله عم استماع الملاهي معصية والجلوس
عليها فسق والتلذذ بها كفر وفي فتاوى العصر للامام على السعدي نقلا عن بعض
المتكلمين ذكره بما يستحق به انما يكون غيبة اذا قصد الاضرار والشماتة به اما اذا ذكره
تأسفا لا يكون غيبة وقال بعضهم رجل ذكر مساوي اخيه المسلم على وجه الاهتمام فلا
بأس به ومثله في الواقعات وعلل بانه انما يكون ان لو اراد به السب والنقص قلت
فيما قالوه خطر عظيم لانه مظنة ان يجترئ الى ما هو محض غيبة فلا يؤمن فتركها رأسا اقرب
الى التقوى واحوط يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل
واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب والتفاضل فيه ويجوز
ان يكون تقريرا للاخوة المانعة من الاغتياب وتفصيل ما رواه مقاتل انه كان يوم

يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب
بن اسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما
وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره
وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر به رب السموات فاتى جبرئيل فاخبر
رسول الله بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية
وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء وعن
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة
فقال النبي عم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه
القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم
الا بالدين والتقوى فانزل هذه الآية في ثابت وقوله يا ايها الذين امنوا اذا قيل
لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا في الذي لم يتفسح وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب
الجمع العظيم المنسوب الى اصل واحد وهو الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها
العرب وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ
والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم
فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقيل الشعوب ولذلك
التفاوت والتفاضل في الانساب وقراءة البزي لتعارفوا بالادغام وقرئ لتتعارفوا
بالتائين ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتعرفوا ثم ذكر الخصلة التي بها يفضل
الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم لان
التقوى هي سبب الفضل والكرم فمن اراد فضلا يفوق به الناس فليتصف بها كما قال عم
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عم ان ربكم واحد وابوكم واحد لا فضل
لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على اسود ولا لاسود على احمر الا بالتقوى وعلى
هذا اجماع العلماء والعقلاء وعنه عم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال
الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن
تقي كريم على الله وفاجر شقي هين ثم قرا الآية وفي رواية ابن عمر وابو هريرة ان الله تعالى
قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي الناس بنو آدم وآدم

خلق

خلق من تراب لينتهين اقوام عن فخرهم برجال او ليكونن اهون على الله من
الجعلان التي ترفع النتن بانفها وعن سمرة بن جندب قال عم الحسب المال والكرم
التقوى وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن
شجرة مر رسول الله في سوق المدينة فراى غلاما اسود يقول من اشتراني
فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول
الله صلعم يراه عند كل صلوة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم
سال عنه بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه
فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت الآية ان الله عليم بكم بسرائركم
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا لان الايمان تصديق اي اذعان ما جاء من
عند الله وقبوله ولم يحصل لكم والا لما مننتم على رسول الله بالاسلام وترك المقاتلة
فالايمان في هذه الآية بمعنى الانقياد الظاهر بلا انقياد الباطن والا لم يكن للاستدراك
معنى بقوله ولكن قولوا اسلمنا لان الايمان والاسلام واحد لا تغاير بينهما اذ
الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى اذعان حكم الخبر وقبوله فذكر حقيقة التصديق
كما تراه وتسمعه فمن اثبت التغاير بينهما فقد وقع دون السداد بمراحل وقيل
كان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن
اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم بالاسلام
وقد فقد شرط اعتباره شرعا فنزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدبة واظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر وكانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك
بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يمنون على رسول
الله ويريدون الصدقة فانزل الله فيهم هذه الآية وعن السدي نزلت
في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم اعراب جهينة ومزينة واسلم
واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا
الى الحديبية تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
انقدنا واستسلمنا مخافة والسبي ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به
العمل

ان يقولوا فانه حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حين لم تواطئ قلوبكم السنتكم
وفيه ايذان واعلام بان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار
شرايعه بالابدان ليس بايمان وفي كلمة التوقع دلالة على ان هؤلاء قد امنوا فيما بعد
وان تطيعوا الله ورسوله بالتصديق والاخلاص وترك النفاق لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم
من اعمالكم من جزاء اعمالكم وثوابها شيئا من الالت وهو النقصان او من جزائكم و
اجوركم وعلى الاول في موضع المصدر وعلى الثاني واقع موقع المفعول وقرا ابو عمرو ويعقوب
لا يالتكم وهو لغة غطفان والباقون لا يلتكم من لات يليت ليتا وهو لغة اسد واهل
الحجاز ومنه قول ام هشام السلولية الحمد لله الذي لا يفات ولا تخيبه الاصوات
ان الله غفور ستور على المطيعين تجاوز لما صدر منهم رحيم منعم عليهم باجر
عظيم وهو الجنة انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ثم لم يشكوا
من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم امنوا ثم لم يقع في نفوسهم
شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه وفيه اشارة الى ما اوجب نفي
الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال
الايمان فقط بل وفيما يستقبل ونظيره قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله قاتلوا المشركين وخرجوا بهم باموالهم وانفسهم من اجل الله وبسببه وقيل في
طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادة المالية والبدنية باسرها اولئك
هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني
اسد وهم الذين ايمانهم صميم القلب وخلوص الاعتقاد بشهادة تعريف الطرفين
وضمير الفصل كانهم هم اهل الصدق دون غيرهم واعلم ان الآية الكريمة شاملة
لجامع القوى التي وجب على كل احد تهذيبها واصلاحها تطهيرا للنفس لحاصل به
الفوز بالفلاح والسعادة كلها كما قال تعالى قد افلح من زكيها وهي قوة التفكر الشهوي
وقوة الغضب اللاتي اذا اصلحت كلها وضبطت حصل العدل الذي قامت
السموات والارض فانها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود
والاصالة الاولى وجلالتها قدمت على الاخريين فذكر بالايمان بالله ورسوله مع نفي
الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها الا باصلاح قوة التفكر

ودل

ودل بالمجاهدة بالاموال على العفة والجود التابعان بالضرورة لاصلاح قوة الشهوة
وبالمجاهدة بالانفس على الشجاعة والحلم التابعان لاصلاح القوة الحمية الغضبية
وقهرها واسلاسها للدين وعليه دل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين فان العفو عن ظالم هو كمال الحلم والشجاعة واعطاء من حرم كمال العفة
والجود ووصل من قطع كمال الفضل والاحسان واعلم ايضا ان جميع كمالات النفس
الانسانية مخصورة في القوى الثلث وفضايلها الاربع اذ العقل كماله العلم والعفة كمالها
الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كمالها الانصاف وهي اصول الدين على
التحقيق قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه بقولكم امنا وفيه تجهيل لهم وتوبيخ لانه
محال ان يخبر بشيء من لا يخفى عليه شيء مما في العالم كما قال والله يعلم ما في السموات وما في
الارض والله بكل شيء عليم بليغ العلم بكل شيء من الكلي والجزئي فكيف يخفى عليه احوال
الاعراب والمنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها روي
انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا فحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت
هذه الآية قوله اتعلمون من الاعلام يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم
منة وهي النعمة التي لا يستثيب مولها من يسديها اليه مشتقة من المن الذي هو القطع
لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعمل لطلب مثوبة وقيل النعمة
الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او
تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم
انكم ارشدتم اليه مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر وفي
حرف ابن مسعود اذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان وجواب الشرط
محذوف يدل عليه ما قبله تقديره فلله المنة عليكم وفي سياق هذه الآية لطف وهو
انهم لما سموا ما صدر منهم ايمانا ومنوا به نفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون
عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان
فلله المنة عليهم بالهداية له والارشاد اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض
ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يطلع على صدقكم وكذبكم وذكر ان حاله مع كل معلوم

أي بنوا الخبر من انه بالدين الذي هو الايمان عالم بذكر الاخفاء والاظهار [illegible]

واحدة لاختلف وقرا ابن كثير يعملون بالياء لما في الآية من الغيبة والباقون بالتاء ليوافق ما قبله من الخطاب عن رسول الله عم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه.

سورة ق خمس واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما ذكر في ص والقرآن ذي الذكر بل عجبوا قرا الحسن وابن ابي اسحق قاف بالجر وعيسى بن عمر قاف بالنصب على القسم والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس واختلفوا في ق فقال ابن عباس هو قسم وقيل اسم السورة وقيل اسم من اسماء القرآن وقال عكرمة والضحاك هو جبل بالارض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء عليه وعليه كنفاها و يقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بخمسين سنة وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض وقيل معناه قضي الامر وما هو كائن كما قالوا في حم واختلفوا ايضا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره و القرآن المجيد لتبعثن وقيل جوابه قوله ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا وجوابات القسم سبعة ان المثقلة وهو كثير وان المخففة كقوله تالله ان كنا لفي ضلال مبين وما النفي كقوله والضحى وما ودعك ربك ولا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت واللام المفتوحة وهو كثير الوقوع ايضا وقد كقوله والشمس وضحيها قد افلح من زكيها وبل كقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا امانته فيهم وشرفه وعدالته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه و اذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذر وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق العالم وايجاد كل موجود واقرارهم بالنشاة الاولى ومع شهادة العقل بلزوم الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار والتعجب اذا العجب كل العجب قولهم ائذا متنا وكنا ترابا ووضع الكافرون موضع الضمير اظهارا للغضب عليهم

ودلالة

ودلالة على ان قولهم هذا من اقدامهم على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع او الى كون المنذر منهم او الى اختيار الله محمدا للرسالة فيكون الفاء للدلالة على ان تعجبهم من البعثة وعقيبه واذا منصوب بمضمر دل عليه الرجع المذكور بعده اي احين متنا وصرنا ترابا نرجع والهمزة للانكار بمعنى لا نرجع اذا متنا وكنا ترابا وقوله ذلك رجع بعيد استئناف معناه التعليل لانكار الرجع ونفيه كانهم قالوا لا نرجع حينئذ لان ذلك الرجع رجع بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع والناصب للظرف ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث وقرئ اذا متنا بلفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل الارض من اجساد موتاهم وهو رد لانكارهم الرجع واستبعادهم اياه لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تأكله الارض من لحوم الموتى ودمائهم وعظامهم وعرفهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا عن النبي عم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن ابي هريرة قال رسول الله صلم كل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقال السدي قد علمنا من يموت منهم وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لكل ما كتب فيه او محفوظ من الشياطين من التغيير وهو اللوح المحفوظ والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء وجعلها بعلم من عنده كتاب محفوظ ينظر فيه ويطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاءوا بما هو افظع واعجب من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات على البداهة قيل التدبر تقليدا للآباء وبعده تمردا وعنادا او النبي او القرآن اي بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في اول وهلة وبديهة استماع قبل ان يعلموا كنه امره وقيل التدبر فيه والوقوف على تاويله ومعانيه لما جاءهم جاء بكلمة التوقع اشعارا بانهم علموا بعد بيانه واعجازه الشاهد على حقيته فكذبوا به بغيا وحسدا وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا جرج اي قلق واضطرب من سعته وذلك قولهم تارة شاعر

وتارة ساحر وتارة كاهن وتارة مفترى لا يثبتون على شيء واحد وقيل الحق
ما تدرك قوم الحق الا مرج امرهم وقال قتادة من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه
دينه أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق
العالم وايجاده من العدم الى الوجود كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها بزينة
الكواكب وما لها من فروج من فتوق لان خلقها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها
ولا صدع ولا خلل كما قال هل ترى من فطور والارض مددناها فرشناها على
وجه الماء والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت ارسيت بها الارض اذ لو لم يكن لكانت
مضطربة مائلة الى الجهات المختلفة كما كانت قبل اى كما روى ان الله لما خلق الارض جعلت
تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة
مم خلقت وانبتنا فيها واخرجنا فيها من كل زوج بهيج من كل صنف يبتهج به لحسنه
اى يسر تبصرة وذكرى لكل عبد لتبصر بذلك وتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه
متفكر في بدائع خلقه وصنعه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اى خلقها تبصرة ومن مزيدة
للتاكيد كما في قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله اسس على التقوى
من اول يوم ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع حيوة الاناسي والدواب والارض
الميتة فزاد زيد بن علي وانزلنا فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا فذكر المحل واراد
الحال كما قال فاخرجنا به ثمرات وحب الحصيد اى وحب الزرع الذي من شانه
ان يحصد كالبر والشعير وغيرهما بقات به والنخل باسقات طوالا في السماء من
بسقت الشجرة بسوقا اذا طالت او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من
افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لبيان فضلها واستبدادها بالمزية على غيرها
من الاشجار فقيل لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات
بابدال السين صادا لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه على بعض بكثرة الطلع
وتراكمه او بكثرة ما فيه من الثمر والطلع ما يطلع من النخلة وهو الكم قبل ان ينشق
ويقال لما يظهر من الكم طلع ايضا وهو شيء ابيض يشبه بلونه الاسنان وبرائحته
المني رزقا للعباد علة لانبتناها او مصدر بغير لفظ فعله لان الانبات
في معنى الرزق واحيينا به بلدة ميتا احيينا بذلك الماء ارضا يابسة لا نماء فيها

كذلك

كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم فالكاف
في محل الرفع على الابتداء وقرأ ابو جعفر ميتا بالتشديد كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليوافق ما قبله وما بعده
من الجماعة واصحاب الرس قوم حبيب النجار او قوم حنظلة بن صفوان او اصحاب الاخدود
فان الرس هو الاخدود وبقية ثمود وقوم صالح او قوم كذبوا نبيهم ورسوه في بئر دسوه
فيها واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع مر تفسيرهما في الحجر
والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه
فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم
افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الخلق الاول وهو الابداء حتى نعجز عن الخلق الثاني وهو
الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار وعن ابي جعفر افعينا بادغام
الياء في الياء بل هم في لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول
بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وقيل اى في خلط وشبهة
قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رض يا جار انه لملبوس عليك اعرف
الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى خارج عن
العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر و
تنكير الجديد لتعظيم شانه والابهام امره لانه غير متعارف فلا معتاد والحق على كل من
سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقتصر على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان كانت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او
للانسان ان كانت مصدرية والباء للتعدية اى ما يجعله موسوسا ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد فالمراد
بقرب الذات قرب العلم مجازا اطلاقا للملزوم على اللازم وحبل الوريد مثل في فرط
القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومقعد الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من
الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال واضافته للبيان مثل شجر الاراك او يراد
بكون المراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في

في عضو واحد كما قيل حبل العلباء مثلا والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في
مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لأن الروح يرده
اذ يتلقى المتلقيان منصوب باذكر او باقرب اي هو اعلم بحال الانسان من كل قريب
حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ ايذانا بانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكن الحفظ
الملكين حكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد في
اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم تقوم الاشهاد وعن رسول الله صلعم ان مقعد
ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك
لا تستحي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون
منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي
التلقن بالحفظ والكتبة عن اليمين وعن الشمال قعيد القعيد المقاعد كالجليس
بمعنى المجالس اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله
والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يتكلم من قول فيلفظه اي يرميه من
فيه والقول اعم من الكلمة والكلام كما تقرر في موضعه الا لديه رقيب ملك يرقب
عمله عتيد حاضر اينما كان واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه
في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه ويوزر به ويدل عليه قوله صلعم كاتب الحسنات
على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب
السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وعنه عم ان الحافظين
اذا نزلا على عبد او امة معهما كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ العبد والامة فاذا
ارادا ان ينهضا قال احدهما للآخر فك الكتاب المختوم الذي معك فاذا فيه
ما كتب سواء فذلك قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعن الحسن
والضحاك انهما قالا ان مجلس ملكين تحت الشعر على الحنك وكان الحسن يعجبه ان ينظف
عنفقته وعن الحسن ايضا ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه
وقرأ الخليل ما يلفظ بفتح الفاء ذكره صاحب غرائب القرآن وقرئ ما يلفظ على البناء

للمفعول

للمفعول وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر انكارهم البعث للجزاء وازاح ذلك
بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه واستبعدوه يلاقونه عن قريب عند موتهم
وعند قيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو جاءت ونفخ و
سكرة الموت شدته التي تذهب بالعقول والباء في بالحق للتعدية كما في قولك جاء زيد
بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او كوعود الحق الذي وجب ان يكون
من الموت او الجزاء لان الانسان خلق لذلك او للملابسة كما في قوله تنبت بالدهن اي
وجاءت ملتبسة بالحق او مقترنة به اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح او بالعدل
والانصاف كقوله خلق السموات والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود سكرة الحق
بالموت باضافة السكرة الى الحق دلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجب له وانها
حكمة والباء للتعدية على انها لشدتها اقتضت زهوق الروح او لاستعقابها له كأنها
جاءت به ويجوز ان يكون الباء بمعنى مع اي جاءت ومعها الموت وان يكون سكرة الحق سكرة
الله اضيفت اليه تهويلا لشانها وتفظيعا وقرئ سكرات الموت وعن النبي عم انه قال يا علي
احذر على ثوبك بالنجاسة فمنها شدة السكرات واحذر الحرام فانه شدة عذاب القبر ذلك
اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان المتقدم ذكره على طريق
الالتفات ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى الحق والخطاب للفاجر سئل زيد بن اسلم عن ذلك
فقال الخطاب لرسول الله عم وحكي هذا لابن كيسان فقال والله ما سنّ عالية ولا لسان
فصيح ولا معرفة بكلام هو للكافر ثم حكي القولان للحسين بن عبد الله بن عبد الله بن عباس فقال
اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ويعضده ما روي عن عائشة رضها انها قالت احضرت
ابا بكر خشية من الموت فبكت عليه فقالت من لا يزال دمعه مقنعا لا بد يوما انه
مهراق فافاق ابو بكر فقال بل جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وما روي
انها قالت ان من نعم الله علي ان رسول الله توفي في بيتي وبين سحري ونحري وان الله
جمع بين ريقي وريقه عند موته ودخل عبد الرحمن بن ابي بكر علي وبيده سواك
وانا مسندة رسول الله فرأيته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه
لك فاشار برأسه ان نعم فتناوله فاشتد عليه وقلت الينه لك فاشار برأسه ان نعم
فلينته فامره وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول

لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت
يده ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد محمول على تقدير حذف المضاف
اي وقت ذلك يوم الوعيد اي يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ
قال مقاتل يريد بالوعيد العذاب اي يوم وقوع الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد معها ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد بعمله او ملك واحد جامع للوصفين
وقال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم وهو الايدي والارجل وقيل السائق
كانت السيئات والشهيد كانت الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد
جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة
لقد كنت في غفلة من هذا على ارادة القول والخطاب لكل نفس لان كل احد لا يغفل
ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور الآخرة وهو الغفلة
والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر
ما كنت تنكره وتستبعده في الدنيا لزوال المانع للابصار وعن مجاهد يريد نظرك
الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك وقيل الخطاب للنبي عم والمعنى لقد كنت
في غفلة من امر الربانية فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك
اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء
والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد
هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي
في ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغواي واضلالي وما موصوفة وعتيد صفتها او موصولة

اوخبر ثان

فيكون بدلا او بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله
للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او للواحد وتثنية الفاعل نزلت
منزلة تثنية الفعل وتكريره كانه قيل الق الق للتاكيد ووجه آخر وهو ان العرب
اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا
واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي
اضربا عنقه او الالف بدل من نون التاكيد اجراء للوصل مجرى الوقف ويعضده
قراءة الحسن القين بالنون الخفيفة فانه اذا وقف على النون تنقلب الفا فكتبت

بالالف

بالالف على الوقف عنيد معاند للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوق
المفروضة او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم وقيل المراد بالخير
الاسلام لان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عن الاسلام وكان يقول من
دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متجاوز للحق مريب شاك في الله وفي دينه او
موقع في الريبة الذي جعل مع الله الها آخر يحتمل ان يكون الذي مبتدأ متضمنا معنى الشرط
وخبره فالقياه في العذاب الشديد وان يكون بدلا من كل كفار فيكون فالقياه تكرير
التاكيد وان يكون مفعولا لمضمر يفسره فالقياه والمراد بالعذاب الشديد ههنا ما رواه
في قوله عم بينما الناس ينتظرون الحساب اذ بعث الله عنقا من النار تكلم فيقول امرت
بثلثة بمن دعا مع الله الها آخر وبمن قتل بغير حق وبمن جبار عنيد فيلتقطهم من الناس
كما يلتقط الطير الحب ثم يسير بهم في نار جهنم قال قرينه هو الشيطان المقيض لهذا الكافر وانما
استونفت هذه الجملة كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول لانها جواب لمحذوف دل
عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته اي ما جعلته
طاغيا وما اوقعته في الطغيان بخلاف الجملة الاولى لانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة
على الجمع بين مفهوميهما في الحصول من مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في
ضلال بعيد اي ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى فاعنته عليه ذلك لان اضلال
الشيطان انما يوثر فيمن ضل عن طريق الحق ووقع دونه بمراحل كقوله وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل قال قرينه اي الملك وهو قول ابن عباس
وسعيد بن جبير يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته
اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد طويل لا يرجع
عنه قال اي الله لا تختصموا لدي هو استيناف مثل قوله قال قرينه كان سائلا سال فما
ذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي اي لا تختصموا في موقف الحساب اذ لا فائدة في اختصامكم
وقد قدمت اليكم بالوعيد وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي على السنة
رسلي فما تركت لكم حجة علي وهو حال فيه تعليل لمعنى النهي وهو الانتهاء اي انتهوا عن
الاختصام ههنا والحال اني اوعدتكم او للنهي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم و
الباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا و

والفعل واقع على قوله ما يبدل القول لدي بان يقع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل لان دلايل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه وقيل انما قال بظلام بلفظ المبالغة لوجهين ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك وهذا بيان لعدل الله تعالى وانه لا يعاقب بغير جرم وذنب يوم نقول لجهنم يوم منصوب باضمار اذكر او انذر مثلا او بظلام او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى حذف المضاف هل امتلات وتقول هل من مزيد سوال وجواب على التخييل الذي يراد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اطرافها تمتلئ بالجنة والناس حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله لاملان جهنم او انها من سعتها بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ وموضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة وعن النبي صلعم يلقى في النار اهلها وتقول هل من مزيد حتى ياتيها ربنا تعالى فيضع قدمه عليها فتنزوي وتقول قط قط اي ياتيها امر الله فيكف من طلب المزيد فتنزوي فان وضع القدم على الشيء مثل للردع والكف والمزيد مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع وقرا نافع وابو بكر يوم يقول بالياء اي يقول الله والباقون بالنون وقرا الحسن واليماني نقال وهو في حرف عبد الله وقرا ابن عباس يقول الله بزيادة الله فيتقوى بالنفاق وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت للذين اتقوا ربهم في محافظة حدوده واحكامه او للمتقين الشرك غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او الحال وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل او على زنة المصدر كالزبير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على ارادة القول اي يقال لهم هذا ما توعدون وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت وقرا ابن كثير

يوعدون

يوعدون بالياء لكل اواب رجاع الى ذكر الله وهو بدل من المتقين باعادة الجار وقال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقال الضحاك هو التواب وقال ابن عباس وعطا هو المسبح من قوله يا جبال اوبي وقال قتادة المصلي حفيظ حافظ لحدوده وعن ابن عباس حافظ لامر الله وعنه ايضا هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه وعن الضحاك الحافظ على نفسه المتعهد لها وقال الشعبي الحفيظ هو المراقب وعن سهل الحافظ على الطاعات والاوامر من خشي الرحمن بالغيب بدل بعد بدل تابع لكل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وصلة او مبتدا خبره

او من غير اعادة الجار تقديره ازلفت الجنة لمن خشي الرحمن بالغيب

الامر الاتي بعد من غير تقدير شيء فان وقوع الانشا خبرا من الامر وغيره غير عزيز في الكلام العرب الا يرى الى قولهم زيدا ضربه وعمرو لا تضربه واين ابوك وكيف حالك ومتى لكم ومنه الدعاء في قوله تعالى بل انتم لا مرحبا بكم والتاويل بتقدير القول كما ذكر الزمخشري وغيره تمامه الغنية في اكثر المواضع وبالغيب حال من الفاعل او من خشية غايبا عنه او المفعول اي غايبا عنه لم يره ببصره او صفة لمصدر محذوف اي خشية خشية ملتبسة بالغيب مقترنة به حيث خشي عذابه وهو غايب او خشية بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة لا يراه احد وقال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب وقيل من خاف الرحمن فاطاعه بالغيب ولم يره وتخصيص الرحمن بالذكر من بين الصفات للايذان بانهم يخشون خشية مع علمهم بانه الواسع الرحمة او بانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه قبل حلوله ومعاينة اهواله ولا يغترون برحمته الواسعة التي سبقت غضبه ونظيره قوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب تايب راجع الى الله بما يحب ويرضى والانابة هو الرجوع الى الله وقيل مخلص مقبل الى طاعة الله ادخلوها بسلام اي ادخلوا الجنة سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملايكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤن فيها وذكر انهم يسالون الله حتى تنتهي مسالتهم فيعطيهم ما شاؤا ثم يزيدهم من عنده

ما لم يبالوا وهو قوله ولدينا مزيد يعني زيادة لهم في النعيم بما لم يخطر ببالهم و
لم يبلغه امانيهم وهو النظر الى وجه الله الكريم قاله جابر بن عبد الله وانس بن مالك رض
وهو المختار عندنا وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد
الذي قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم للتكثير ههنا وقعت مفعول اهلكنا
ومن قرن مميزها ومبين لابهامها اي وكثيرا من القرون اهلكنا قبل قومك وقوله هم اشد
منهم بطشا في محل النصب على النصب على انه صفة لكم اي اشد منهم قوة كعاد وثمود وفرعون
فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت والفاء
على الاول للتسبيب عن قوله اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب
وقوتهم عليه وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث والطلب
وقيل اصله من النقب وهو الطريق كانهم سلكوا كل طريق وقيل الضمير في نقبوا لاهل
مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا محيصا حتى يؤملوا مثله
لانفسهم ويعضدها قراءة من قرأ فنقبوا بلفظ الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر
القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى
اكثروا السير في البلاد حتى نقب اقدامهم واخفاف مراكبهم هل من محيص اي هل لهم
من الله او من الموت مفر ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة من العبر والاخبار واهلاك
القرون لذكرى لتذكرة وموعظة لمن كان له قلب اي قلب ناظر فيما ينبغي ان ينظر فيه
حافظ لما يجب حفظه لان من لا يعي قلبه ولا يحفظ فكانه قد عدم عدم القلب جملة وفيه
تخييل ان من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة وقال ابن عباس لمن كان له قلب
اي عقل وهو ضعيف جدا لانه اذا اراد ان المعنى لمن كان له عقل مطلقا فهو
ظاهر وان اراد ان المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من
النظر فهو مما لا طائل تحته فان تغير القلب بالعقل ثم تشديد العقل بما قيل تحري
عن الفائدة لصحة وصف القلب بذلك بدليل قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
وكان يحتمل اربعة اوجه ناقصة اسمها قلب وخبرها له او تامة فاعلها قلب
وله متعلق او زائدة وله قلب مبتدا وخبر والمعنى لمن له قلب او التي فيها ضمير الشان
في كان ضمير الحديث وهو اسمها وله قلب مبتدا وخبر في موقع الخبر فيكون اسمها

على هذا

على هذا الوجه ضمير اسمها وخبرها جملة ليس فيها ضمير يعود الى اسمها جعلت قسما على حالها مزيد
والا في الناقصة او القى السمع او اصغى لاستماعه وهو شهيد اي حاضر بذهنه وفطنته
ليفهم معانيه فان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب او شاهد بصحته وصدقه وانه وحي من الله
فيلين قلبه ويخشع عند تلاوته ويتفكر في عبره وقوارعه وزواجره فيعتبر بها ويتعظ
فان المراد بهذه الاية الحث على التفكر والتوبيخ على تركه وقيل هو بمعنى الشهداء في قوله
لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود
نعته عنده وفي تنكير القلب تعظيم لشانه وابهام لامره ودلالة على ان كل قلب لا يتفكر
ولا يتيقظ وقراءة السدي وجملة القى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القي غيره
السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل القى
سمعه او السمع منه ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام سبق تفسيره
غير مرة وما مسنا من لغوب من اعياء وتعب وهو رد وتكذيب لما زعمت اليهود
من انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت و
استلقى على العرش وروي انهم قالوا يا محمد اخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه
الايام الستة فقال خلق الله الارض يوم الاحد ويوم الاثنين والجبال يوم
الثلثاء والمداين والانهار والاقوات يوم الاربعاء والسموات والملائكة يوم
الخميس الى ثلث ساعات من يوم الجمعة وخلق في اول الثلث ساعات الاجال وفي الثانية
الافة وفي الثالثة آدم قالوا صدقت ان اتممت قال وما ذاك قالوا ثم استراح يوم
السبت واستلقى على العرش فنزلت الاية ردا عليهم وتكذيبا لهم قال العلماء ان الذي
وقع من التشبيه لهذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ وقرئ لغوب بفتح اللام بوزن
القبول والولوع فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون واليهود من انكار البعث والشرك
والتشبيه لان من قدر على خلق العالم بلا تعب قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي
منسوخة باية السيف وقيل الصبر مامور به في كل حال وسبح بحمد ربك التسبيح ههنا يحتمل
ان يراد ظاهره بمعنى قول سبحان الله حامدا له اي ونزهه عن العجز عن كل ممكن والوصف
بما فيه شائبة التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من النعماء والالاء التي من جملتها النبوة و
اصابة الحق او واذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة

انعامه عليك وان يراد الصلوة اى وصل حامدا لربك قبل طلوع الشمس يعنى
صلوة الفجر وقبل الغروب يعنى صلوة العصر وعن ابن عباس الظهر والعصر فانهما
قبل غروب الشمس وفى ذكر هذين الوقتين من بين الاوقات ابانة لتقدمهما
وفضلهما على غيرهما وان التسبيح فيهما بمكان ومن الليل فسبحه اى وبعض الليل فصل
يريد صلوة المغرب والعشاء فادخل من التبعيضية على الظرف كما دخلت على المفعول
فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح فى ادبار الصلوات
واعقابها جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت والسجود والركوع يعبر بهما
عن الصلوة وعن عمر وعلى رضه ادبار السجود الركعتان بعد صلوة المغرب وادبار
النجوم الركعتان قبل صلوة الفجر وعليه جمهور المفسرين وعن النبى عم من صلى بعد المغرب
قبل ان يتكلم كتب صلوته فى عليين وقال ابن مسعود ما احصى ما سمعت رسول الله
صلى الله عم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلوة الفجر قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء وعن مجاهد وادبار السجود
هو التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبة قال ابو هريرة قال رسول الله صلعم
من سبح فى دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وكبر الله ثلثا وثلثين وحمد الله ثلثا وثلثين
فذلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقرأ نافع وابن
كثير وحمزة وخلف وابو جعفر وادبار بالكسر الهمزة مصدر من ادبرت الصلوة اذا انقضت
وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك طلوع الشمس او خفوق النجم واستمع والباقون
بفتحها كاستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفيه تهويل وتعظيم المخبر به كما روى عن النبى
صلى الله عم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ استمع ما اقول لك ثم حدثه بعد
ذلك يوم ينادى المنادى يريد بالمنادى اسرافيل فانه ينفخ فى الصور وينادى
ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله
يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادى بالحشر من
مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى وسط الارض واقربها الى السماء بثمانية عشر
ميلا قاله الكلبى وقيل باثنى عشر ميلا من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم



يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية وقيل بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء و
لعله فى الاعادة نظير كن فى الابداء ويوم نصب بما دل عليه ويوم يخرجون بما دل عليه
يوم الخروج اى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور سراعا يوم يسمعون الصيحة
بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء
ذلك يوم الخروج من الاجداث وهو من اسماء يوم القيمة وقد نيال للعبيد انا نحن نحيى
ونميت فى الدنيا وتكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله
وتفرد بالاحياء والاماتة ليتقرر فى انفس عباده انه اذا كان هو المحيى والمميت لم يكن
احياؤه واماتته على اى وجه كان الا على وجه الحق والصواب للعموم حولى ذكر الباطل
والخطاء والينا المصير اى لا يصيرون فى العاقبة للجزاء الا الينا فليستعدوا للقائنا
يوم تشقق الارض عنهم سراعا قرأ نافع وابن عامر وابن كثير وابو جعفر ويعقوب
تشقق بتشديد الشين والباقون بفتحها وقرئ تُشَقَّقُ مبنيا للمفعول وتنشق
وسراعا حال من المجرور اى مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وقدم الظرف
للاختصاص اى لا يتيسر ذلك الحشر الا على بليغ العلم والقدرة الذى لا يشغله شان
عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون بما يقول
هؤلاء المشركين واليهود من الكفر والتكذيب والتشبيه وانكار الحشر والنشر وهذا
تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلعم وما انت عليهم بجبار بمسلط تجبرهم على
الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع ومنذر ومذكر فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد من يخاف ما اوعدت العصاة من العذاب فلا ينتفع به غيره
وقال ابن عباس يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت الآية عن النبى عم من قرأ
سورة ق هون الله تارات الموت وسكراته سورة الذاريات ستون
آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا والذاريات
الرياح لانها تذرو التراب وغيره كما قال تذروه الرياح اى تفرقه وقيل
تسفه وقيل هى النساء الولود فانهن يذرين الاولاد وكالاسباب التى تذرو
الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال والباقون
بالاظهار فالحاملات وقرا اى فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب

او النساء الحوامل او السحاب ذكر وقرئ بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او
على ايقاعه موضع حملا فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر جريا يسرا اى ذا يسر
وسهولة على انه صفة مصدر محذوف او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب
الجارية في منازلها وقرا ابو عمرو فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا بادغام
التاء في الواو والياء ولم يسم من احد غيره فالمقسمات امرا الملائكة لانها
تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة وعن مجاهد يتولى
تقسيم امر العباد جبرئيل للغلظة وميكائيل للرحمة وعزرائيل لقبض الارواح و
واسرافيل للنفخ او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب او السحب يقسم الله بها
ارزاق العباد او الكواكب السبعة من الكواكب وغيرها فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء
لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة فكانه
قيل اقسم بالرياح فبالسحب الذى تسوقها فبالسفن التى تجريها بهبوبها فبالملائكة
التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار ومنافع البحر وان لم تحمل عليها فالفاء لترتيب
الافعال لان الريح تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة
له الى حيث امرت به فتقسم المطر والمعنى بالرياح الذارية للتراب والحصباء والا
بخرة الحاملة للوقر وهو السحاب الجارية به المقسمة للامر وهو الرزق من
المطر وغيره انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب القسم كانه استدل
باقتداره على هذه الاشياء المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث
الموعود وما موصولة اى ان الذى وعدكم الله اياه من البعث والحشر او
من الثواب والعقاب لصادق او مصدرية اى ان وعدكم لصادق ووعد
صادق كعيشة راضية في اسناد الفعل الى المفعول اذ الوعد مصدوق
والعيشة مرضية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات
الطرق وهى الطرائق المحسوسة التى هى مسائر الكواكب او المعقولة التى يسلكها
النظار ويتوصل بها الى المعارف وقال الحسن حبكت بالنجوم لان لها طرائق
او لانها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وقال ابن عباس وقتادة
وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقيل

بلغ

حبكها

حبكها صنعتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المفاصل اى محكمها واذا اجاد
الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال
ومثل وقرئ الحبك بسكون الباء والحبك بوزن الابل والحبك بوزن السلك والحبك
بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم قال عكرمة هو البنيان
الحسن الا يرى ان الحائك اذا اجاد الثوب يقال ما اجوده ما احسن حبكه انكم لفى قول
مختلف في القرآن وهو قولهم انه شعر وسحر وافتراء واساطير الاولين وفي الرسول
شاعر وساحر ومفتر ومجنون وغير ذلك وفي القيمة فان من الناس من يقطع القول باقرار
ومنهم من يقطع القول بانكار ومنهم من يقول ان نظن الا ظنا وعن الضحاك قول
الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف ولعل النكتة في القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها
يؤفك عنه من افك الضمير في عنه للقرآن او الرسول او الايمان او ما توعدون
او الدين اى يصرف عنه من صرف اذ لا صرف اشد منه واعظم فكانه لا صرف بالنسبة
اليه او يصرف عنه من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يرجع الضمير الى قول مختلف
على معنى يصدر افك من القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب
اى يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن
عنهما وبسببهما وقرئ من افك مبنيا للفاعل اى من افك الناس وهم قريش كانوا
يصدون الناس عن الايمان وذلك ان الحى كانوا يبعثون الرجل ذا العقل و
الراى يسال عن رسول الله صلم فيقولون احذره ويقولون انه ساحر وكاهن
ومجنون فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن على يافك عنه من افك اى يصرف الناس
عنه افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن اى يحرمه من حرم من افن الضرع اذا
نهكه حلبا قتل الخراصون قتل الكذابون من اصحاب القول المختلف وهو دعاء عليهم
كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن
وقبح واللام للعهد اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين
اى قتل الله وعن مجاهد هم الكهنة الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون
غافلون عما امروا به وقيل عن امر الآخرة يسالون فيقولون ايان يوم الدين اى متى

وعنه ايضا يافك عنه من افك اى يصرف الناس خ

في يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ إيان بكسر الهمزة وهي لغة يوم هم على النار
يفتنون يحرقون ويعذبون جواب للسؤال وانتصب يوم بفعل مضمر دل
عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته
الى غير متمكن وهو الجملة ومحله اما نصب بالمضمر الذي هو يقع او رفع هو يوم هم
على النار يفتنون ويدل عليه قراءة ابن ابي عبلة بالرفع وقرئ يُفتَنون ذوقوا
فتنتكم على ارادة القول اي تقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم وعذابكم بشارة
لهم به او يقال لهم يوم القيمة ذوقوا وهو في محل النصب على الحال اي مقولا لهم هذا
القول هذا الذي كنتم به تستعجلون كلام الاشارة مبتدا خبره الموصول بصلته اي هذا العذاب
هو الذي استعجلتم به في حيوتكم الدنيا او بدل من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب فيكون
في محل النصب والموصول صفته ان المتقين في جنات وعيون نكرهما تعظيما لهما
او تكثيرا لهما كقوله ان له لابلا وان له لغنما والمراد بالمتقين هم الذين امنوا بالله
ورسوله اخذين ما اتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به ومعناه ان
جميع ما اتاهم مقبول مرضي غير مردود ولا مسخوط لان كله حسن طيب ومنه قوله تعالى
ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضيها واخذين حال من الضمير في الجار قراءة اليماني
اخذون خبر بعد خبر لان او على انه خبر ان والظرف لغو انهم كانوا قبل ذلك
محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو علة لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما
يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا على ان قليلا
نصب على الظرف او صفة مصدر محذوف او مصدرية اي كانوا في قليل من الليل هجوعهم
او موصولة اي ما يهجعون فيه وليست نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات
لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع
الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما المؤكدة لذلك وعن ابن عباس يعني كانوا
اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا من اولها او من اوسطها وعن انس كانوا يصلون
ما بين المغرب الى العشاء وعن محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة
وبالاسحار هم يستغفرون يعني انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا
في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلتهم الجرائم وعن الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله

وربما

وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار وقال الكلبي ومجاهد
ومقاتل وبالاسحار هم يصلون وذلك ان صلوتهم بالاسحار لطلب المغفرة وعن
النبي عم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلوته وفي بناء
الفعل على الضمير دلالة على انهم احقاء بالاستغفار لكمال عرفانهم وفرط تقواهم
وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة وفي اموالهم حق نصيب يلزمونه على
انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس وانما خصصه بالسائل والمحروم ولم يذكر
سائر المستحقين لان ذلك حق سوى الصدقة المفروضة بدليل قوله عم ان في المال
حقا سوى الزكوة للسائل الذي يسأل الناس وقيل للذي يستجدي اي يطلب العطا
والمحروم اي والذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم الصدقة وقال ابن
عباس وسعيد بن المسيب المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم وقال قتادة
والزهري المتعفف الذي لا يسأل الناس وقيل صاحب الحاجة وعن النبي عم ليس
المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال
الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل الحارف الذي لا يكاد
يكتسب وفي الارض ايات للموقنين اي وفيها دلائل من انواع الحيوان والاشجار
والجبال والانهار او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن
الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع
ووحدته وقدرته وحكمته ومشيته وتدبيره وكمال رحمته ورأفته وفي انفسكم
ايات لهم من عجائب الصنع الدالة على كمال الحكمة والقدرة والتدبير والارادة
وهو تخصيص بعد تعميم لان انفس الناس مما في الارض كما بينا والوجه الاقرب كانه قيل
وفي الارض ايات للموحدين العاقلين وفي انفسكم خصوصا ايات لهم لان اقرب المنظور
فيه من كل عاقل نفسه ومن ولد منها وفي بواطنها وظواهرها من الدلائل الواضحة على الصانع
والناقل من هيئة الى هيئة ومن حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته وقيل اي
وفي انفسكم ايات اذ ما من شيء في العالم الا وله نظير في الانسان يدل دلالته مع

ما انفرد به من الهيئات النافعة المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر اعتبار لهذا الدلال
وان من قدر عليها كان قادرا على ما سواها من الممكنات لتعلق قدرته على جميع
الممكنات على السواء وعدم اختصاصها بمقدور دون مقدور وفي السماء رزقكم
يحمل على حذف مضاف كانه قيل اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب
وبالرزق المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير رزقكم هو الثلج وكل عين دائمة
منه وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم
وما توعدون من الثواب لان الجنة على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان
كل ما توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب وغيرها مكتوب مقدر في السماء
وقيل انه مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا يرجع الضمير في انه اما
ما وعلى الاول يحتمل ان يرجع اليه والى ما ذكر من امر الايات والرزق وامر النبي عم
والوعيد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم يعني انكم كما لا تشكون في نطقكم كذلك
لا تشكوا في ثبوت ذلك ووجوده وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وخلف مثل بالرفع صفة لحق
وان كان التقدير مثل نطقكم لان مثلا لا يتعرف بالاضافة لشدة ابهامه والباقون بالنصب
صفة لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم او على الحال من الضمير في لحق والعامل
حق ويجوز ان يكون مبنيا على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء
وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع او النصب كما بينا وعن الاصمعي اقبلت
من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني اصمع قال من اين
اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما
بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل
وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرها وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا
انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر
فسلم واستقرا السورة فلما بلغت الاية صاح فقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا ثم قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا
سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاؤه الى
اليمين قالها ثلثا وخرجت معه نفسه هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشان





الحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله وانما عرفه بالوحي والضيف في الاصل
مصدر كالزور والصوم من ضافه اذا نزل به ضيفا ولذلك يطلق على الواحد
والجماعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال السدي احد عشر على صور الغلمان
الوضاء وجوههم وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وقال الضحاك تسعة وقال محمد
بن كعب سبعة ثامنهم جبرئيل وقال ابن عباس جبرئيل وملكين معه وقيل جبرئيل
وميكائيل واسرافيل دخلوا عليه وسماهم ضيفا لكونهم في صورة الضيف او ضيفا
في حسبان ابرهيم عم المكرمين يعني المكرمين على الله او عند ابرهيم حيث خدمهم
بنفسه واخدمهم امراته وقال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤا غير مدعوين
قال النبي عم من آمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه منصوب باضمار
اذكر او بالمكرمين او بالحديث او بما في الضيف من معنى الفعل فقالوا سلاما اي نسلم
عليكم سلاما وهو من المصادر التي لم تستعمل العرب افعالها قال سلام مبتدا خبره
محذوف تقديره عليكم سلام وترك العطف قصدا الى الاستيناف فكان قائلا قال
ماذا قال ابرهيم في جواب سلامهم فقيل قال سلام اي حياهم بتحية احسن من
تحيتهم لان تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث كما ذكرنا وتحيته بالاسمية
الدالة على دوام السلام وثباته لهم وقرئ بالرفع مرفوعين وقرا حمزة والكسائي وخلف
قال سلم والسلم السلام وقرئ قال سلما بالنصب وهو ليس بوجه قوي كما لا يخفى قوم
منكرون لم يعرفوا من معارفه او من جنس الناس المعهودين او لانه راى لهم حالا
وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او لانه دخلوا عليه من غير استيذان وقال
ابن عباس قال ابرهيم في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم فراغ الى اهله اي فذهب الى اهله
في خفية من ضيوفه لان من ادب المضيف ان يبادر للقرى من غير ان يشعر به الضيف
مخافة ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا ولذلك قد قيل ان التعجل في الضيافة محمود
الا انه مذموم فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين
ايديهم ليأكلوا فلم ياكلوا و[illegible] حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل
على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما راى اعراضهم
فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا وانما خافهم لظنه انهم يريدون به سوءا ولانه

منهم ترك الاكل قال الا تاكلون للانكار عليهم ترك الاكل والحث عليه وقيل الا تاكلون منه وهو مشعر بكونه

ووقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله وروي
ان جبريل مسح بجناحه العجل فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم
وقيل انما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه وعرفوه بتعريف
الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب
وبشروه بغلام هو اسحق وعليه الجمهور وعن مجاهد هو اسمعيل عليم يبلغ اذا
بلغ وعن الحسن عليم اي نبي فاقبلت امراته في صرة اي فاقبلت الى بيتها وكانت
في زاوية تنظر اليهم وقيل فاخذت في صرة في صيحة من صر الجندب والقلم اذا اخذ
والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت امراته صارة او على المفعول ان فسر
فاقبلت باخذت كقولك اقبل فلان يشتمني اذا اخذ في شتمك فصكت وجهها فلطمت
ببسط يديها او باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض
فلطمت وجهها من الحياء وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنتها
وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي قلناه واخبرنا به
او الحال او الامر كما قلت تصديق لها قال ربك اي انما نخبرك عن ربك وهو قادر
على ما تستبعدين به انه هو الحكيم العليم هو البليغ الحكمة بكل شيء من الكلي والجزئي فلا
يقول كلما يقول ولا يفعل كلما يفعل الا على وجه الحكمة والصواب وروي ان جبريل
ع م قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مثمرة مورقة ولما علم
ابرهيم ع م انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور
قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم وما طلبكم قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين متمادين في اجرامهم واناهم مصممين عليها وهم قوم لوط
لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين طبخ كالاجر حتى صار في
صلابة الحجارة مسومة اي معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم
من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على
انها ليست من حجارة الدنيا او مرسلة من اسمت الماشية عند ربك للمسرفين
المجاوزين الحد في الفجور والمعاصي وعن ابن عباس للمشركين والشرك اسرف الذنوب
واعظمها فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر لها ذكر لكونها

معلومة

معلومة من المؤمنين من الذين امنوا بلوط فما وجدنا فيها غير اهل بيت
من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الايمان التصديق
بالقلب والاذعان لحكم الخبر وقبوله وجعله صادقا والاسلام هو الخضوع والانقياد
بمعنى قبول الاحكام والاذعان لها وهذا حقيقة التصديق كما لا يخفى على من له ادنى
عقل وتامل وانكار ذلك مكابرة وبهذا ظهر فساد ما قيل من ان الاستدلال به
على اتحادهما ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك
لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة
واختلفوا فيهم فقيل هم قوم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا
ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ
لا ضيعة على اهله عند الله وتركنا فيها في مدينة قوم لوط اية حجة بينة وبرهانا نيرا
يستدل بذلك المستدلون على كمال قدرتنا على الانتقام من الكافرين والمشركين
او عبرة يعتبر بها الخائفون بعدهم فلا يجترؤن على مثل ما اجترا هؤلاء عليه
اذا سمعوا بحالهم وبعذابهم عند الله وهوانهم عليه للذين يخافون العذاب
الاليم لاعتبارهم بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود او ماء اسود منتن وفي موسى عطف
على وفي الارض ايات او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله
علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين بحجة ظاهرة تظهر بها صدقه
وحقيقة نبوته او موضحة يوضح الحق ويميزه عن الباطل وتطلع عليه وهي معجزاته او عصاه
لانها كانت ام اياته واكبرها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية عظيمة
وابتلاعها ما افكته السحرة وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة الى غير ذلك
كما ذكرنا فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان
يتقوى به من جنوده وملكه والركن اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم
الكاف وقيل الباء بمعنى مع فاعرض مع جمعه وجنوده الذين يتقوى بهم وقال ساحر
اي هو ساحر او مجنون كمجنون وهو زوال العقل او فساده وقيل او على اصله كانه جعل
ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او
بغيرهما وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فطرحناهم

في البحر مع كثرتهم كما يطرح احدكم فيه حصيات اخذهن في كفه لا يبالي بها ونبذ وانما
عنه وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والتكذيب والعناد والجملة حال من الضمير
في فاخذناه واصحاب اللوم مختلفة فكل من صاحب الكبيرة وصاحب الصغيرة ملوم
على قدر ذنبه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا خير فيها ولا
بركة من انشاء مطر او القاح شجر ولعل تسميتها عقيما لانها كانت سبب قطع الارحام من الولادة
باهلاكها اياهم وقطعها دابرهم وهي من رياح العذاب والهلاك واختلف فيها فعن
علي رض هي النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من شيء
اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالتراب المدقوق من الرم وهو البلي و
التفتت وقال مجاهد كالتبن اليابس وقال قتادة كرميم الشجر وقيل كنبات الارض
اذا يبس وديس وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين الى وقت نزول العذاب
وهو آخر ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة فانهم عقروا الناقة يوم الاربعاء
وهلكوا بالصيحة يوم السبت وقد فسر بقوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن
امر ربهم وتولوا واستكبروا عن امتثاله حائبين وامر ربهم ما امر به على لسان
صالح عم من قوله اعبدوا الله وقوله فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم
وهو دينه او صدر عتوهم عن امر ربهم وبسببه كان امر ربهم بعبادته و
بترك الناقة كان هو السبب في عتوهم فاخذتهم الصاعقة هي الصيحة صيحة جبرئيل عم كما
صرح بها في قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وقيل انتهم صيحة من السماء فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وقرأ الكسائي
الصعقة وهي المرة من الصعق والباقون الصاعقة وهي نفس النازلة من السماء
وعن ابن عباس الصاعقة الموت وعن مقاتل كل عذاب مهلك وهم ينظرون
بعيونهم اليها لانها جاءتهم معاينة بالنهار وروي ان العمالقة كانوا في الوادي
ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام فما قدروا ان يقوموا من تلك الصاعقة
بل صاروا في ديارهم ميتين هالكين كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وان يدفعوا
عن انفسهم من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه فراد البمائي من اقامة وما كانوا منتصرين
ممتنعين من العذاب وقوم نوح قرأ حمزة والكسائي وابو عمرو بالجر عطفا على قوله وفي ثمود

باضمار

باضمار صنف الجزاي وفي قوم نوح وبه قرأ ابن مسعود رض والباقون بالنصب على
معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح من قبل هؤلاء
المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين متمردين من الكفر خارجين عن الايمان
والطاعة بالكفر والمعاصي وهو علة لاهلاكهم والسماء بنيناها بقوة والايد والآد و
قد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع
القادر على الانفاق او لموسعون السماء وما بينها وبين الارض او الرزق بالمطر
على خلقنا والارض فرشناها مهدناها لتكون مكانهم الذي يستقرون ويتقلبون
عليه كما يتقلب احدهم على فراشه ومهاده فنعم الماهدون نحن وهو المخصوص بالمدح
المحذوف اي هم نحن فحذف المبتدأ والخبر من غير ان يقوم شيء مقامهما وقرأ الخليل
فنعم بفتح النون وكسر العين ومن كل شيء من الاجناس وقيل من الحيوان زوجين
صنفين ونوعين مختلفين كالذكر والانثى والارض والسماء والليل والنهار والشمس
والقمر والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والنور والظلمة
والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والموت والحيوة
قال الحسن كل اثنين من هذا المذكورات زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون
اي فعلنا ذلك من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لكي تتذكروا فتعرفوا ان
خالقها فرد لا شريك له ولا شبيه له وتعبدوه وحده فان الشركة والشبه والزوجية
والتعدد من خواص المخلوقات وخالقها الذي هو الواجب بالذات تعالى عن كل
ذلك علوا كبيرا ففروا الى الله فالتجأوا الى الله بالايمان والعمل الصالح فارين اليه من الكفر
والكفر والمعاصي وعن ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقيل ففروا مما سوى
الله الى الله وقيل فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه بالايمان والطاعة وقيل ففروا الى
طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به ونعم ما قال من قال ان من
صح فراره الى الله صح قراره مع الله اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن كفر وعصى نذير
مبين ظاهر كونه منذرا من الله بالمعجزات الواضحات او مظهر ما يجب ان يحذر
عنه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد الا وهو مرتب على ترك الايمان والطاعة و
الثاني على الاشراك كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر مثل ذلك اشارة الى تكذيبهم

الرسول وتسميتهم اياه ساحرا ومجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون تفسير كذلك ولا يصح ان يكون الكاف منصوبا باتى لان ما بعد
ما النافية لا تعمل فيما قبلها اتواصوا به الضمير للقول اى اوصى الاولون الآخرين وبعضهم
بعضا بهذا القول حتى قالوا جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اضراب عن التواصي
المنفى فان الهمزة للانكار بمعنى النفى اى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد
بل جمعتهم العلة الواحدة وهى مشاركتهم فى الطغيان الحامل على هذا القول وقال ابن عباس
حملهم على الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك فتول عنهم فاعرض
عن مجادلتهم بعد ما كررت الدعوة وعرفت منهم الاعراض والعناد واللجاج فما انت
بملوم على الاعراض بعد ما بلغت الرسالة وبذلت جهدك فى البلاغ والدعوة وذكر ودم
واثبت على التذكير والموعظة بايام الله وآياته فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله
ايمانه ومن آمن فانه يزداد بها بصيرة وقال ابن عباس قال النبى عم ما من مؤمن الا وله
ذنب قد اعتاده الغينة بعد الغينة ان المؤمن خلق مفتونا ناسيا فاذا ذكر ذكر وقيل اى
يؤثر فى الذين عرف الله منهم انهم يدخلون فى الايمان او تزيد الداخلين فيه ايمانا
وروى ان الآية المتقدمة وهى قوله فتول عنهم لما نزلت حزن رسول الله واشتد ذلك
على اصحابه ورأوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر فان الذكرى
الآية فطابت انفسهم وقال مقاتل عظ بالقرآن كفار مكة فان الموعظة تنفع فى علم الله
المؤمن منهم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى لطلب العبادة اى وما خلقت هذين
الفريقين الا لاجل العبادة وهى قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الاوامر والنواهى
او الا لطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين العبادة فى كتبه المنزلة على انبيائه وهذا
التقدير صحيح لا تقدير الارادة فخص باهل طاعته من الفريقين بدليل قراءة ابن عباس
وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون واليه ذهب من قال معناه وما
خلقت السعداء من الفريقين الا لعبادتى وقال على رض معناه الا لآمرهم ان يعبدونى
وادعوهم الى عبادتى وقال مجاهد الا ليعرفونى وقيل الا ليخضعوا لى وقيل الا
ليوحدونى فان المؤمن يوحده فى الاحوال كلها واما الكافر فيوحده فى الضراء دون
السراء بدليل قوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر

اذاهم

اذاهم يشركون قرأ الحسن ويعقوب ليعبدونى بالياء وما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون اى ما اريد صرفكم فى تحصيل رزقى ولا رزقكم فانى غنى عن العالمين
فاشتغلوا بما يسعدكم فى الدارين من عبادتى فالمراد ان شأنه مع عباده ليس كشأن
السادة مع عبيدهم لانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وارزاقهم
ويجوز ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق من قصر الصفة
على الموصوف اى لا رازق الا الله الذى يرزق كل احد من شأنه الحاجة الى الرزق وفيه
اشعار باستغنائه عنه قال عبد الله اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى انا الرزاق ذو القوة المتين
شديد القوة اى القدرة لما مر فى سورة البقرة من ان القوة تمام القدرة والمتانة شدتها
وقرى المتين بالجر صفة للقوة والمشهور الرفع على انه صفة لذو والمعنى فى وصفه بالقوة و
المتانة انه القادر البليغ القدرة على كل قراءة ابن عباس والاعمش المتين بالجر صفة للقوة
وبهذا تبين ضعف ما قال ابو حاتم لا وجه لهذه القراءة الا على الجر والجوار كما قيل جحر
ضب خرب فان للذين ظلموا ذنوبا اى الذين ظلموا رسول الله بالكفر والتكذيب نصيبا
من عذاب الله مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب اصحابهم ونظائرهم من الامم المتقدمة المكذبة
لانبيائهم وهو تمثيل اخذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء لان الذنوب هو الدلو العظيم
المملوء قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب فلا يستعجلون جواب لقولهم
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اى فلا تستعجلونى بما وعدوا من العذاب فان له
اجلا معلوما قرأ يعقوب فلا تستعجلونى بالياء فويل للذين كفروا ثمة على كفرهم ولم يتوبوا
عنه ووضع المظهر موضع المضمر ايضاحا لظلمهم بالكفر واشعارا بان العذاب انما لحقهم
لكفرهم واصرارهم عليه من يومهم الذى يوعدون من يوم القيمة او من يوم بدر
عن رسول الله من قرأ سورة الذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت
وجرت سورة الطور تسع او ثمان واربعون آية مكية بسم الله الرحمن
الرحيم والطور اقسم الله بطور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى
كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من
عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر الكتابة من سطر
اذا كتبه وقيل ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله بيده لموسى

وهو يسمع صرير القلم او اللوح المحفوظ او ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الصحيفة
او الجلد الذي يكتب فيه وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين
الناس والبيت المعمور هو الضراح في السماء السابعة حذاء العرش وعمرانه كثرة غاشية
من الملائكة وفي رواية يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه
ثم لا يعودون اليه ابدا او الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين او قلب
المؤمن المخلص لكونه معمورا بالايمان والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء قال الله تعالى
وجعلنا السماء سقفا محفوظا والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا
البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم و
عن ابن عمر قال رسول الله عم لا يركبن رجل بحرا الا غازيا او معتمرا او حاجا فان في تحت
البحر نارا وتحت النار بحرا او اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب وعن علي رض وتعالى انهما
قالا ان البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه
ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر على العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون من
قبورهم وقيل المختلط العذب بالملح من السجر وهو الخلط ان عذاب ربك لواقع
لنازل لا محالة قرأ زيد بن علي وابن جبير واقع بغير اللام ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة
هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره
وضبط اعمال العباد للمجازات وقال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله في اسارى
بدر فالفيته في صلوة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا
من ان ينزل العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب
ثم بين وقت وقوع العذاب بقوله يوم تمور السماء مورا اي تضطرب وتجيء وتذهب
وقيل تدور كدوران الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقال قتادة تتحرك
وقال عطاء الخراساني تختلف اجزاؤها بعضها في بعض وقيل المور تحرك في تموج وهو
الشيء الذي يتردد في عرض كالداغصة في الركبة وتسير الجبال سيرا اي تسير وجه الارض
وتزول عن اماكنها فتصير هباء منثورا كما قال هباء منبثا فويل يومئذ للمكذبين اي
اذا وقع ذلك فويل لهم اي فهلاك لهم وقيل فشدة عذاب يومئذ لهم الذين
هم في خوض يلعبون الخوض في الاصل الشروع في الشيء ثم غلب استعماله في الشروع في الباطل

والكذب

والكذب ومنه قوله وخضتم كالذي خاضوا وكنا نخوض مع الخائضين يوم يدعون الى نار جهنم
دعا اي يدفعون اليها بعنف وذلك بان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم و
يجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم
حتى يردوها وقرأ زيد بن علي يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا
النار فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر
محكية هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقول لهم خزنة النار هذه النار التي
كنتم بها تكذبون في الدنيا افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر
هذا اي اهذا المصداق ايضا سحر والفاء للعطف على محذوف والهمزة للانكار و
التوبيخ وتقديم الخبر للاهتمام لانه المقصود بهما ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم
لا تبصرون في الدنيا ما يخبر عنه يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهو
تقريع وتهكم وقيل ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما
سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوا النار على اي
وجه اردتم من الصبر وعدمه فانه لا خلاص لكم عنها ولا مدفع وقيل اصلوها اي قاسوا
شدتها سواء عليكم مبتدأ خبره محذوف او على العكس تقديره سواء عليكم الامران
الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل لاستواء الصبر وعدمه لان الجزاء لما كان
واجب الوقوع كان الصبر وعدمه النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات
واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم
خاصة فاكهين حال من الضمير في الجار والظرف مستقر وقرئ فكهين وفاكهون
بالرفع على انه خبر والظرف لغو اي متلذذين بما اتيهم ربهم مما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتيهم ان كانت
ما مصدرية اي فاكهين باتيانهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم او على قوله في جنات
او الواو للحال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال من فاعل اتى او مفعوله او
منهما كلوا واشربوا هنيئا على ارادة القول اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا و
انتصابه على انه صفة مصدر محذوف او مفعول محذوف اي كلوا واشربوا هنيئا او طعاما
وشرابا هنيئا اي سائغا طيبا لا اذى فيه ولا تنغيص بما كنتم تعملون بسببه او بدله

ويجوز ان يكون الباء مزيدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه
ويجوز ان يكون معنى هنيئا ههنا هنأكم الاكل والشرب فيكون الباء متعلقة بكلوا و
واشربوا او الفاعل الاكل والشرب متكئين على سرر مصفوفة مصطفة يكون بعضها
بجنب بعض وقرأ ابو السمال سرر بفتح الراء وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج
من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن والذين
آمنوا عطف على حور اى او هللناهم او قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اى بازواج
حور وبرفقاء مؤمنين كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور
وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره الحقناهم وقوله واتبعنا
هم ذرياتهم بايمان اعتراض للتعليل او للترغيب في الايمان قرأ الكوفيون
وابن كثير واتبعتهم ذريتهم وابن عامر ويعقوب واتبعتهم ذرياتهم بالجمع للمبالغة
في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم
اى جعلناهم تابعين لهم في الايمان والاجله وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية
او منهما وتنكيره للتعظيم وانه ايمان خاص عظيم المنزلة او للاشعار بانه يكفي للالحاق
المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذرياتهم اولادهم الصغار والكبار في دخول الجنة
او الدرجة لما روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عم قال ان الله ليرفع ذرية
المؤمن اليه في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ هذه الآية
وفيها دلالة بينة على ان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لاحد ابويه وتحقيقا للحوقه به
فانه تعالى اذا جعلهم تابعين لابائهم ولاحقين بهم في احكام الآخرة فينبغي
ان يكونوا تابعين لهم ولاحقين بهم في احكام الدنيا ايضا وعنه في حديث
آخر قال النبي عم اذا دخل الرجل الجنة سأل عن ابويه وزوجته وولده فيقال
له انهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول يا رب اني قد عملت لي ولهم فيؤمر
بالحاقهم وعن علي رض سألت خديجة النبي عم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية
فقال عم هما في النار فلما رأى الكراهية في وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما
قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال عم ان المؤمنين واولادهم في
الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرأ الآية قرأ الكوفيون ونافع وابن كثير ذريتهم

بالافراد

بالافراد والباقون بالجمع وقرئ ذرياتهم بكسر الذال للاتباع وما ألتناهم وما
نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة
الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق
بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت والباقون بفتحها من ألت يألت
كفرح يفرح او من آلت يليت وقرئ آلتناهم من آلت يؤلت وقرئ ولتناهم
من ولت يلت ولتناهم من لات يليت والمعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين
بعمله مرهون عند الله فكها واخلصها والا اهلكها وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من
الشرك مرتهن في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب
اليمين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى وزدناهم في وقت بعد وقت ما يشتهون
من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون ويتداولون هم وجلساؤهم من اقربائهم
واخوانهم كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اى
لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله من الكذب والسب
والفواحش كما هو عادة الشاربين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن
متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرأ الكوفيون ونافع
وابن عامر وابو جعفر لا لغو فيها ولا تأثيم بالرفع والتنوين فيهما والباقون بفتحهما
وهو ابلغ لانه يوجب الاستغراق بخلاف الرفع فانه يجوزه ويطوف عليهم غلمان لهم اى
مملوكون لهم مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ
مكنون مستور في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا
الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال ذكر لنا ان
رجلا قال يا رسول الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عم ان ادنى اهل الجنة منزلة
من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله
قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله او خائفين من
عذاب او وجلين من ان لا يقبل منا عمل صالح كقوله وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم

راجعون فمنّ الله علينا بقبول الدعا او بالامن والنجاة ووقانا عذاب
السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهي الريح الحارة التي تدخل المسام وقيل
السموم اسم من اسماء جهنم وقرئ ووقّانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل لقاء
الله والمصير اليه نعبده في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن
قال ابن عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد الرحيم البليغ الرحمة والانعام
او العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرأ نافع والكسائي وابو جعفر انه
بالفتح بمعنى لانه فذكّر فاثبت على التذكير والموعظة ولا يثبطنك قولهم كاهن او
مجنون ولا تكترث به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة
ودقة نظر والمجنون فاسد عقله فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه عليك بصدق
النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يزعمون والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن
في المستقبل الزمان من غير وحي ويدعي معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب والمجنون
من له جنون وهو زوال العقل او فساده ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما
يقلق النفوس من حوادث وقيل المنون الموت فعول من منّه اذا قطعه لان الموت
قطوع ولذلك سميت شعوب قالت الكفار ننتظر به نوائب المنون على البناء للمفعول
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم
عقولهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت
قريش يدعون اهل الاحلام والنهى والشاعر ذو شعر وهو كلام متسق موزون
مخيل ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم والاحلام
بذلك التناقض مجاز عن ادائها اليه كقوله اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
وقرئ بل هم قوم طاغون ام يقولون تقوّله اختلقه من تلقاء نفسه ام منقطعة
بمعنى بل ايقولون ومعنى الهمزة فيه الانكار والتعجب وقد مر بيانه غير مرة
بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون هذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم
وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب ان كان الامر
كما يزعمون فليأتوا بحديث مثله مثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وقرئ
بحديث مثله بالاضافة والضمير لرسول الله ومعناه ان مثل محمد في فصاحته وبلاغته

ليس

ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث
ذلك المثل ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن تحدوا فهو رد للاقوال
المذكورة بالتحدي او للتقول لان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء
ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير محدث ومقدر فلذلك
لا يعبدون الخالق او من اجل لا شيء من عبادة وجزاء ام هم الخالقون الذين
خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون خالقهم وهو يقوي الوجه الاول ومن ثم عقبه بقوله
ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآية منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون
فيما يقولون لا يوقنون اذ لو ايقنوا لما تركوا عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن
رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة
ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء حتى يدبروها كيف شاؤوا وقرأ حفص وهشام
وقنبل بالسين بخلاف عن حفص وقرأ حمزة بين الصاد والزاي والباقون بالصاد
ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى
اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة
دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم
ام له البنات ولكم البنون هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون وقيل فيه
تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه
الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة او على ما يدعوهم
اليه من الدين والتوحيد فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك
لزمهم موجب ثقيل اثقلهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ
المثبت فيه الغيبيات فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب
وقال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول ام عندهم علم الغيب
علم ما غاب عنهم حتى علموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين فالذين كفروا التعريف
في الذين يحتمل ان يكون للجنس اشارة الى كل من كفر بالله وان يكون للعهد اشارة الى هؤلاء

الكافرين المعهودين من اهل مكة فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم هو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يعني لو اسقطنا عليهم من السماء بعض العذاب لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا لفرط طغيانهم وعنادهم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى نفخة الصعق وقرا ابو جعفر يلقوا وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب يصعقون مبنيا للمفعول من صعق فهو مصعوق قال الاخفش او من اصعق فهو مصعق وقال ابو علي والباقون يصعقون بفتح الياء اي يموتون من صعق اذا مات يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا لا يدفع عنهم مكرهم شيئا من عذاب الله ولا ينفعهم شيئا من النفع في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من العذاب وان للذين ظلموا اي يحتمل الجنس والعهد عذابا دون ذلك دون عذاب يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وهو وعيد عظيم وتهديد بليغ لاهل مكة على ظلمهم وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك لفرط جهلهم وغفلتهم واصبر لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من الكلفة والمشقة فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك اي بمرأى منا وقال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج فانك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى مكروهك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وقرا ابو السمال وابان بن تغلب باعينا بالادغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه لان العبادة فيه اشق واوفق بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلايق وابعد من الذلل واغلظ على النفس واوفق لما يراد من الخضوع والاخلاص ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين

وادبار

وادبار النجوم صلوة الفجر قاله الضحاك وعن مقاتل وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلوة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح وهو قول اكثر المفسرين وعن جبير بن مطعم انه قال سمعت رسول الله قرا في المغرب بالطور وقرا سالم بن ابي الجعد وادبار بفتح الهمزة اي في اعقاب النجوم واثارها اذا غربت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم احدى او اثنان وستون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او بالثريا ومنه قوله عليه السلام ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع يريد الا رفع بالنجم الثريا باتفاق العلماء اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض او طلع لانه يقال هوى هويا بفتح الهاء اذا سقط وغرب وهويا بضمها اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا هوى اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض وقال الامام جعفر الصادق اراد بالنجم محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل ليلة المعراج والهوي النزول وعن عروة بن الزبير ان عتبة ابن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجهه ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه واخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا اجمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع وجواب القسم قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي نسبتهم اياه الى الضلال والغي اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نقيض ذلك وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن هواه ورايه والهوى مصدر هويه اذا احبه واشتهاه ثم غلب على الميل الى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لانه مايل الى ما يهويه

في امر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله انبياءه فقال لداود
ولا تتبع الهوى وقال لنبينا عليه السلام ولا تتبع اهواءهم ومن ثم لم يمل احد من الانبياء اليه بل كبير
قوله عم ما ظلمت قط تعالى الله الرجل اذا مال الى هواه ان هو اي ما القرآن او الذي
نطق به الا وحي يوحى الا وحي من عند الله يوحيه اليه واحتج بهذه الآية من لم ير الاجتهاد
للانبياء واجيب بان الله تعالى اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه كله وحيا
لا نطقا عن الهوى ورُدّ بان ذلك حينئذ بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه
والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبرئيل لانه الواسطة في ابداء
الخوارق ومن قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء حتى سمع
اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على
بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه فالقاه جبل بالهند والقوى جمع قوة فتتناول
القوى الظاهرة والباطنة ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه وعن ابن
عباس اي ذو منظر حسن وقال مقاتل ذو خلق طويل حسن لانه له ستمائة جناح مرصعا
بالجواهر وقال ابن المسيب ذو حكمة والمرة في الاصل القوة والشدة ومنها الحديث ولا
لذي مرة سوي اي مستوي الخلق فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها
دون الصورة التي يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي خلق عليها فاستوى في الافق الاعلى وهو
افق الشمس من جانب المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله عم مغشيا عليه
فتمثل جبرئيل بشرا فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وما رآه احد من الانبياء في
صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى
بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير عائد الى جبرئيل
وقيل الى محمد عم والمعنى كاستوى جبرئيل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى وهو اقصى
الدنيا عند مطلع الشمس ثم دنا فتدلى ثم قرب من النبي عم فتعلق به في الهواء وهو
تمثيل وتصوير لعروجه بالرسول او ثم تدلى من الاعلى فدنا من النبي عم وهو يشعر
بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته لان التدلي استرسال مع تعلق

بلغ

كتدلي

كتدلي الثمرة فكان جبرئيل كقولك هو مني معقد الازار والمسافة بينهما قاب قوسين
اي مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال
وتحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبرئيل الى عبد الله
وان لم يجر لاسمه تعالى ذكر لانه معلوم غير خاف على احد كقوله على ظهرها ما اوحى
جبرئيل او الله اليه والنكتة في ابهام المفعول ههنا اسم موصول التفخيم المراد به التعظيم
والتهويل كانه قيل فاوحى اليه ما لا يعلم كنهه الا الله لعظمه وجمهور المفسرين على
ان الضماير كلها لله تعالى وهو المراد بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة
المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس القوس وعن
انس وابن عباس برواية ابي سلمة عنه دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب
قوسين او ادنى والتدلي النزول الى الشيء حتى يقرب منه وقال مجاهد دنا جبرئيل
من ربه والضحاك دنا محمد من ربه فتدلى اي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين
او ادنى وقرأ زيد بن علي قاد قوسين والقاد والقيد والقاب والقيب والقيس
المقدار وقرى قيد وقدر وقال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى
قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها
انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك وعن عائشة رض قالت سألت النبي عم عن ذلك فقال
اوحى اليه اني لولا العتاب لما كان مع امتك الحساب وروي انه تعالى قال له قل لامتك
ان احببتم احدا لاحسانه اليكم فانا اولى به لكثرة نعمي عليكم وان انتم رجوتم احدا
فانا اولى بذلك لانكم احب عبادي وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه اولى
بذلك لان منكم الجفاء ومني الوفاء وان انتم آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك
لاني معبودكم وان صدقتم احدا في وعده فانا اولى بذلك لاني انا الصادق ما كذب
الفؤاد ما رأى ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبرئيل او الله تعالى اي
ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر
او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه
بعينه او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه قوله عم رأيته بفؤادي
لمن قال له هل رأيت ربك واعلم انهم اختلفوا في الذي رآه فقال قوم هو جبرئيل

وبه قال ابن مسعود وعائشة ومعاوية قالوا رأى جبرائيل له ستمائة جناح وقال الزجاج
هو الله تعالى واختلفوا في معنى الرؤية فقال ابن عباس جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده
بفؤاده وقد روى ابو العالية عنه انه قال ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة
اخرى رآه بفؤاده مرتين وقال انس والحسن وعكرمة وجماعة رأى محمد ربه بعينه
وبه قال ابن عباس في رواية ويدل عليه قوله عم ان الله تعالى اعطى موسى الكلام
واعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود رواه جابر رض وعنه عم
رأيت ربي تعالى في احسن صورة الحديث قيل اراد بالصورة الصفة وقرأ هشام و
ابو جعفر ما كذب بتشديد الذال اي صدقه ولم يشك انه جبرئيل بصورته او الله تعالى
افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة
كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف
افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى
تعديتها افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى التضمين الفعل معنى الغلبة لان الممارى
والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول و
دنو وهو مبني على قول ابن عباس وانس والحسن وذلك انه كانت للنبي عم عرجات
في ليلة المعراج لمسألة التخفيف في اعداد الصلوات فتكون لكل عرجة نزلة فرأى
ربه في بعضها وقد روينا عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه
رآه بعينه وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد
به نفي الريبة عن المرة الآخرة عند سدرة المنتهى قيل سدرة المنتهى هي شجرة نبق
في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول
تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما
لا يقطعها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى و
انا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي
علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها
في منتهى الجنة وآخرها صب للجنة اي جانبها ينتهي اليها ما يعرج به من الارض فيقبض منها



يهبط به من فوقها فيقبض منها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقال مقاتل
هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو ان ورقة منها وضعت في الارض
لاضاءت لاهلها وهي طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة المأوى
الجنة التي يأوي اليها المتقون وارواح الشهداء وعن ابن عباس يأوي
اليها جبرئيل والملائكة وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله و
دخل فيه وعن عائشة انكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى
وتكثير لما يغشاها مما لا يكتنهه ولا يقادر قدره من الخلائق الدالة على عظمة الله وكبريائه
وجلاله وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت وقيل يغشيها الجم الغفير
من الملائكة يعبدون الله عندها وعن ابي هريرة وابي العالية ومقاتل غشيها
نور الخلائق والملائكة من حب الله امثال الغربان حين يقعن على الشجر فكلم عند ذلك
فقال له سل وفي الحديث رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله وفيه ايضا
يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب
ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عم عما رآه يمينا ولا شمالا وما طغى وما جاوزه
بل اثبته اثباتا صحيحا وما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها
لقد رأى والله رأى من آيات ربه الكبرى اي لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه
الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى
صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة او تبعيضية
اي لقد رأى بعض آيات ربه الكبرى وهو احسن لحصول الاستغناء به عن تقدير
المفعول الذي هو خلاف الظاهر وصح عليه عن ابن مسعود لقد رأى رفرفا
اخضر سد افق السماء وعنه ايضا لقد رأى جبرئيل في صورته وله ستمائة جناح
افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى اي بعد ما رأيتم وعقيبه
اخبروني عن هذه الاصنام التي تعبدونها وهي مؤنثات ومن حالكم انكم تحقرون
الاناث غاية التحقير وقد بلغ من تحقيركم اياها ان تستنكفوا من ان يولدن لكم
وينسبن اليكم فكيف تجعلونهن شركاء لله وتسمونهن آلهة اما تستحيون من
ذلك فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم

كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اى يطوفون وقرأ رويس
اللات بالتشديد وفسرها الكسائى بالهاء وزعموا انه سمى به رجل يلت السويق بالسمن
ويطعم الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على
قبره فجعلوه وثنا والعزى سمرة لغطفان يعبدونها واصلها تانيث الاعز فبعث
اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت شيطانة ناشرة شعرها
داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز
كفرانك لا سبحانك انى رايت الله قد اهانك فرجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك
العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهى فعلة
من مناه اذا قطعه لانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة
مفعلة من النوء كانهم يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والثالثة الاخرى صفتان
للتاكيد كقوله يطير بجناحيه والاخرى ذم وهى المتاخرة الوضيعة المقدار وقالت
اخراهم لاولاهم اى وضعاؤهم لرؤسائهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم
للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله ويعبدونهم
ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وادهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله
الانثى انكارا لقولهم وهو المفعول الثانى لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث
جعلتم له ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه كما فعل فى بيض لان
فعلى بكسر الفاء لم يات صفة عند سيبويه الا مع التاء كعزهاة وسعلاة وحكى ثعلب وغيره حجلى
كيقظى وميتة حيكى وامراة عزهى وسعلى وقال ابو على كان الكسائى فى ضيزى لانه قد تعد
من الطرف بحرف التانيث فلم يكن مثل بيض وعين وكانهم اثروا الكسرة والياء لخفتهما
ولم يخافوا التباسا حيث لم يكن فى الصفات فعلى وقرأ ابن كثير ضئزى بالهمز من
ضازه اذا ظلمه اى قسمة ذات ظلم وجور او وصف بالمصدر للمبالغة وقرئ ضيزى بفتح
الضاد وسكون ان هى الا اسماء اى ما هذه الاصنام الا اسماء ليس تحتها فى الحقيقة مسميات
لانكم تدعون الالهية لها وليس فيها شىء من معنى الالهية ويحتمل ان يكون الضمير للصفة
التى تصفونها بها من كونها الهة وبناتا وشفعاء وان يكون للاسماء المذكورة لانهم
كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها

ومنات



ومنات لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين اى ماهذه الاسماء
الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم بهواكم وشهوتكم ما انزل الله بها من سلطان ما انزل
الله بصحة تسميتها برهانا تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا و
سميته بزيد وقرئ سلطان بضم اللام ان يتبعون الا الظن الا توهم ان ما هم
عليه حق تقليدا او توهما باطلا وقرئ ان تتبعون وما تهوى الانفس وما تشتهيه
انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول او الكتاب فتركوه وقيل البيان
بالكتاب والرسول انها ليست الهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار
قرئ جاءكم بالكاف ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ليس
للانسان ما يتمناه من طمعهم فى شفاعة الالهة لانه تمنى على الله فى غاية التبجح والتعدى و
من قولهم لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وقول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا ونحوها من
تمنياتهم الباطلة فلله الآخرة والاولى يعنى ان الدارين مختصان بالله لا يملكها احد سواه
فهو يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه فى شىء منهما وكم من ملك فى
السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا من كثير من الملائكة لا تنفع شفاعتهم شيئا اى احدا او
شيئا من النفع وهو القليل منه فرار بدن على شفاعته بالتوحيد اشارة الى ملك الا من
بعد ان ياذن الله فى الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع
له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف يشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم قالوا الملائكة بنات الله
فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى وما لهم به من علم اى بما يقولون
وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من
الحق شيئا فان الحق هو حقيقة الشىء انما يدرك بالعلم والتيقن دون الظن والتوهم
الذى لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية انما العبرة به فى العمليات وما هو وصلة اليها لا
غير وقيل الحق بمعنى العلم اى لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اى ان
ظنهم لا ينقذهم من العذاب فى مصحف ابن مسعود وما لهم به من علم الا اتباع الظن
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوة من كان

بعلم

وهذا قبل الامر بالجهاد صلوا الرب

معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة مستمرا على ذكره ولم يرد الا الحيوة الدنيا ولا تهتم بكفره
على اسلامه لان الدعوة لا تزيد الا عنادا او اصرارا على الاعراض والباطل ذكره
الى ارادة الدنيا وايثارها على الآخرة وقيل اى امر الدنيا وكونها شهية
مبلغهم من العلم نهاية علمهم واقصاه لا يتجاوزه والجملة اعتراض مقرر لقصور
همهم بالدنيا التي هي ابغض الخلق الى الله بشهادة حبيب الله وهو قوله عم ان الله تعالى
لم يخلق خلقا هو ابغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها رواه
ابو هريرة وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى علة
للامر بالاعراض اى فاعرض عن دعوتهم انما يعلم الله من يجيب دعوتكم ممن لا يجيبها
فلا تتعب نفسك في دعوتهم لانه ليس عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في
السموات وما في الارض اى جميع ما في هذين الجنسين مختص بالله خلقا وملكا وعلما
فكيف يخفى عليه احوال الناس لا سيما احوال هؤلاء الكفرة وان اخفوها فهو مجازيهم
بما يستحقون من الجزاء فانه انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت ليجزي الذين
اساءوا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او مثله او بسبب ما عملوا من السوء
ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان
نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة
وهي الجنة او بالحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى قرأه عبد الله بن عمير
ليجزي الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من ذنوب وهو ما رتب عليه
الوعيد بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ الكسائي وحمزة وخلف كبير الاثم
على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم
الا ما قل وصغر لانه مغفور عن مجتنبي الكبائر وهو استثناء منقطع او صفة كقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله كانه كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد
الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن ابن المسيب والسدي ما
خطر من الذنب على القلب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا
وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين وعن ابن عباس فيه قال رسول
الله صلى الله عم ان تغفر جما واي عبد لك لا الما ومحل الذين نصب على البدل

او الصفة او المدح او رفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث
يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته
[illegible] ولا يتوهم وجوب على الله تعالى هو اعلم بكم اى اعلم منكم باحوالكم
ومآلكم الذي يؤول اليه آخر امركم اذ انشأكم من الارض حين ابتداء خلقكم من التراب
بخلق آدم عم واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم وحين صوركم في الارحام و
الاجنة جمع الجنين وهو الولد ما دام في الرحم وسمي جنينا لاجتنانه في البطن
وهو فعيل من جنه اذا ستره فلا تزكوا انفسكم فلا تمدحوها بزكاء العمل وزيادة
الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل واهضموا او قوا واحلبها بالذنوب بالتقصير
هو اعلم بمن اتقى لانه يعلم التقي وغيره منكم اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم
وقيل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقال الكلبي ومقاتل كان ناس يعملون اعمالا
حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الآية افرأيت
الذي تولى اعرض عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع
عطيته وامسك من اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فيمسك عن
الحفر ويتركه ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم واختلف
المفسرون رحمهم الله فيمن نزلت هذه الآية فيه وقال مقاتل نزلت في الوليد
بن المغيرة كان قد اتبع النبي عم على دينه فعيره بعض المشركين وقال تركت دين
الاشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط وبخل بالباقي قال السدي نزلت في
العاص بن وائل السهمي كان ربما يوافق النبي عم في بعض الامور وقال القرظي
نزلت في ابي جهل كان يقول والله ما يأمر محمد الا بمكارم الاخلاق واعطى قليلا و
اكدى اى لم يؤمن به وقيل في عثمان وعبد الله سعد بن ابي سرح وذكر ان عثمان
كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله وهو اخوه من الرضاعة ما هذا الذي تصنع
يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضاء
الله وارجو عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك

كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطا فنزلت ومعنى تولى ترك المركز
يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل اعنده علم الغيب
فهو يرى اعنده علم ما غاب عنه وخفي عليه فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه
عذابه وان ما قال له من احتمال اوزاره حق ام لم ينبأ لم يخبر بما في صحف موسى
يعني اسفار التورية وابرهيم الذي وفى وفر اي بالغ
في الوفاء بما التزمه او وفر واتم ما ابتلي به كقوله فاتمهن وتخصيصه بذلك لاحتماله
ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود وذبح ولده وقيامه باضيافه وخدمته
اياهم بنفسه وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى
الصوم وعن الحسن ما امر الله بشئ الا وفى به وعن الهذيل كان بين نوح و
ابرهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج
بامرأته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم عم وعن عطاء بن السايب عهد
ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا وعن
ابي العالية وفى بسهام الاسلام المذكورة في قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون عشرة في التوبة
التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة قد افلح المؤمنون وعن
النبي عم وفى عمله كل يوم باربع ركعات وهي صلوة الضحى وروي الا اخبركم
لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون حتى يختم الايتين ذكره احمد في مسنده والطبراني و[illegible]
وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم وقرأ زيد بن
علي واليماني وفى من الوفاء الا تزر وازرة وزر اخرى ان مخففة من الثقيلة
اي انه لا تزر وازرة والضمير ضمير الشان والجملة في محل الجر بدلا من ما في صحف
موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قايلا قال وما في صحف موسى وابرهيم
فقيل الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يؤخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك
قوله كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا وقوله عم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة

فان

فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اي
كما لا يؤخذ احد بذنب الغير كذلك لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج
ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنايب عنه والوكيل القايم مقامه وعن ابن عباس
انه قال هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة لقوله الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء
الجنة بصلاح الاباء وقال عكرمة ذلك لقوم ابرهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم
ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول
الله الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل ان امي افتلتت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت
عنها قال نعم وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان يعني الكافر فاما المؤمن فله
ما سعى وما سعي له وان سعيه سوف يرى سوف يبصره في ميزانه يوم القيمة او سوف
نريه اياه وقرئ في الخليل يرى اي يريه كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم
يجزاه ثم يجزى العبد سعيه الجزاء الاوفى اي بالجزاء الاوفر الاكمل فانتصابه بنزع الخافض
ويجوز ان يكون مصدرا او الضمير للجزاء الدال عليه يجزى ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى
او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق
ورجوعهم كقوله والى الله ترجعون واجمع القراء العشرة ورواتهم على فتح ان
هذه الكلمة في الصحف وقرئ بكسرها على انها منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده
والكسر ضعيف خارق للاجماع لفظا ومعنى وهو في حرف اليماني وابن ابي عبلة و
ابي السمال وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا خلق الضحك والبكاء والموت
والحيوة وفي ضمير الفصل وتكريره دلالة على ان ذلك مختص به لا يقدر عليه غيره
فان كلا منها لا يحصل عند حصول متعلقه الا بفعل الله على سبيل العادة وقال الضحاك
اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال مني وامنى او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا
قدر وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقيل اي
الخلق الثاني للبعث يوم القيمة والنشاة الاولى هي الابداء والنشاة الاخرى هي
الاعادة وهي ابين من الاولى واحق وقرأ ابو عمرو وابن كثير النشاءة بالمد وهو
مصدر نشأ وانه هو اغنى بما يحصل به الغنى من الاموال وغيرها واقنى واعطى القنية

وهو المال الذي تأثلته وعوضت ان لا تخرجه من يدك وافرادها لانهما اشرف الاموال
وقال مجاهد واقنى ارضى بما اعطى وقنع وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل و
قال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان اولد وانه هو رب الشعرى مرزم الجوزاء
وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان يقال لاحديهما العبور
والاخرى الغميصاء وهو المجرة بينهما واراد بالشعرى ههنا العبور وكانت خزاعة
تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة احد اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالف
قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانت قريش تقول لرسول الله ابن ابي كبشة ولعل
تخصيصها للاشعار بانه عم وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالف ايضا في عبادتها
يريد انه رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى
الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف او قوم هود وعاد
الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرئ
وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وقرأه قنبل وابو جعفر على الاول بجعل الواو
همزة وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب
وثمود بترك التنوين لمنع الصرف بتأويل القبيلة والباقون وثمودا بالتنوين
بالصرف على انه اسم للحي او اسم ابيهم الاكبر فما ابقى الفريقين وقوم نوح هو ايضا
عطف عليه من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم
كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون
صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة
اي والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط يقال افكه فائتفك و
قرئ والمؤتفكات اهوى اسقطها بعد ان رفعها الى السماء على جناح جبريل فغشاها
ما غشى فالبسها الله ما البس من العذاب باسقاطها من السماء الى الارض وامطار
الصخر المنضود عليها وايراد المفعول بلفظ الموصول تفخيما لما اصابها كانه
قيل فغشاها ما لا يعلم كنهه الا الله فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب
للرسول او لكل احد على الاطلاق وقيل للوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى
اي تكذب وقد عدد نعما ونقما وسماها الآء لان التحذير من نقماته وعنا به

لطف

لطف والانتقام من الاعداء المستلزم لنصر الاولياء من اجل الالاء لحصول النجاة
من صحبتهم ورؤيتهم والعصمة من شرهم ومكرهم ولذلك امر بالحمد نوحا
على ذلك في قوله فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقد حمد هو
بنفسه على ذلك في موضع آخر تعليما للعباد حيث قال فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين فهلاك اعداء الله من اعظم الآلاء الواصلة الى المؤمنين
هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات
التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين وقال
الاولى على تأويل الجماعة ازفت الآزفة قربت الساعة الموصوفة بالقرب في نحو قوله
اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها
اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير الا الله او
ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف
على انها مصدر كالخائنة والعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة
افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا
من ما فيه من الوعيد ولكي تستفيق ما فرطتم فان البكاء حق عليكم وعن رسول الله لم ير
ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون لاهون
ولاعبون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون
من السمود وهو الغناء كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا او لعبوا ليشغلوا الناس
من استماعه فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه اي وخصوه بالعبادة
ولا تعبدوا الخيرة من ملك او بشر فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع وعن ابي هريرة
قال النبي عم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله
امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
صدق بمحمد وجحد به بمكة

## سورة القمر وهي خمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة دنت القيمة
لانه ما بقي من الدنيا الا قليل قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى

جعل الدنيا كلها قليلا فما بقي منها قليل ومثل ما بقي مثل الثغب شرب صفوها وبقي
كدرها وانشق القمر روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق
القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة
ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وقالت قريش
سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفار فسألوهم قالوا نعم قد رأينا وقيل معناه سينشق
يوم القيمة ويبطل الأول أنه قرئ وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل
من آيات اقترابها انشقاق القمر وهي قراءة حذيفة وعنه خطب بالمدائن ثم قال ألا
ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم وان يروا آية يعرضوا
عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر دائم مطرد وهو يدل على انهم
رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك أو قوي محكم
من المرة يقال أمررته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم أو مستبشع من استمر الشيء إذا
اشتدت مرارته أو مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وقرئ
وان يُرَوا وقرأ سعيد بن جبير وإذا رأوا آية أعرضوا وكذبوا واتبعوا
أهواءهم وتواطئوا على التكذيب للحق وعلى اتباع أهوائهم وهو تصديقهم الشيطان
فيما زين لهم من دفع الحق ورده بعد ظهوره وانتفاء الخفاء والشك عنه
وكل أمر مستقر صائر إلى غاية يستقر عليها من صدق وكذب حتى يتبين أهل
كل واحد منهما أتباعا بنزاع عند الشك والشبهة وذلك بالثواب والعقاب
وقيل منتهي إلى غاية من خذلان أو نصر وشقاوة أو سعادة في الآخرة فان
الشيء إذا انتهى إلى غاية ثبت واستقر وقال الكلبي لكل أمر حقيقة ما كان منه
في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقرئ بفتح القاف أي ذو مستقر
بمعنى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار وقرأ أبو جعفر بكسر القاف
والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب كل أمر
مستقر يستقر ويتبين حاله ولقد جاءهم في القرآن من الأنباء اللام
عوض عن المضاف إليه أي أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من
عذاب الكفار ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار

والمعنى

والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله في رسول الله أسوة حسنة أي
هو أسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزّجر
بقلبها زايا وادغامها وقيل مزدجر هنا مصدر بمعنى الازدجار أي نهي وعظة
يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء وقرأ زيد بن علي وابن جبير مزجر بالادغام
حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها أو قد بلغت الغاية في الانذار والنهي والموعظة
وهي بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما لأنها موصولة أو موصوفة
خصصت بالصفة فيجيء نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي أو استفهام انكار وما منصوبة
أي فأي غناء تغني النذر وهي جمع نذير والمنذر منه أو المصدر بمعنى الانذار أي
فما تنفعهم الانذارات فتول عنهم فأعرض عنهم لعلمك بأن الانذار لا ينفعهم
وقيل نسختها آية القتال يوم يدع الداع الداعي إسرافيل أو جبرئيل كقوله يوم
ينادي المنادي ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في قوله كن فيكون وقرأ
أبو عمرو وورش وأبو جعفر الداعي بإثبات الياء وصلا ووقفا والبزي ويعقوب
في الحالين والباقون بإسقاطها اكتفاء بالكسرة للتخفيف ويوم منصوب بيخرجون
أو بإضمار اذكر أو بنزع الخافض أي إلى يوم يدع الداعي إلى شيء نكر منكر فظيع تنكره
النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف
وقرئ نُكِرَ بمعنى أنكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث أي يخرجون من
قبورهم خاشعا ذليلا أبصارهم من الهول فهو حال من الخارجين وافراده
وتذكيره لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على طرق الأصل و
قرأ نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وأبو جعفر خشعا أبصارهم على لغة من
يقول يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث وهم طيء و
يجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا منه وقرئ خشع
أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه
الجود والكرم كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة مهطعين
إلى الداع مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم
وقرأ الخليل مهطَعين بفتح الطاء يقول الكافرون هذا يوم عسر يوم صعب

شديد كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا يعني نوحا وهو تفصيل
بعد اجمال ويجوز ان يكون معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون
هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بالشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم
ويجوز ان يكون من جملة قيلهم وقالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته
وذهبت بلبه وطارت بقلبه فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول فدعا
ربه فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم فانتصر فانتقم
لي منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ياسه منهم فقد روي ان الواحد منهم
يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما
وقرأ ابن عامر وابو جعفر ورويس ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض
عيونا وجعلنا الارض كلها كأنها عيون تتفجر واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة
ونظيره واشتعل الرأس شيبا وعن عبد الله واصحابه وابي حيوة وفجرنا بالتخفيف
فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين وقرأ الحسن
الماوان بقلب الهمزة واوا كعلباوان على امر قد قدر على حال قدرها
الله كيف شاء في الازل من غير تفاوت او حال قدرت وسويت وهي ان قدر ما
انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء او على امر قد قدر في اللوح
انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وقرأ ابو البرهسم وابو حيوة قد قدر و
حملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار وهو
المسمار فعال من الدسر وهو الدفع الشديد لانه يدسر به منفذه وهي صفة اقيمت
مقام موصوفها من حيث انها شرح لها تؤدي مؤداها ولا يفصل بينهما وعن الحسن
الدسر صدر السفينة سميت بذلك لانها تدسر الماء بجؤجؤها وقيل اضلاعها
وقال الضحاك اصلها وطرفاها وقال مجاهد عوارضها والقول الجدلي هو الاظهر
تجري باعيننا بمرأى منا اي بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقيل
بامرنا وقرأ زيد بن علي وابو عمرو برواية العباس باعينا بالادغام جزاء
لمن

لمن كان كفر مفعول له لما ذكر من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك
جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته فكان
نوح نعمة كفروها ومن هذا المعنى ما حكي ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما
معنى هذا الكلام فقال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير
حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير كانك قلت كفر به ثم حذف الجار فبقي
الضمير ثم لما بني للمفعول انقلب الضمير المجرور مرفوعا والبارز مستكنا وقرأ قتادة
كفر اي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء اي مجازاة ولقد تركناها اي السفينة
او الفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر وعن قتادة ابقاها
الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه
الامة فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا و
ادغام الذال فيها وهذا مثل مزدجر وعن عبد الله سمعت النبي عم يقرؤها بالدال
فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد وهو تقرير فيه تعجب والنذر اما
مصدر او جمع نذير بمعنى الانذار كاليقين بمعنى الايقان ومنه قولهم ايقنت يقينا
ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ
والعبر والوعيد او للحفظ بالاختصار وعذوبة النظم او هيأناه للذكر من يسر
ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه وعن سعيد بن جبير
ليس شيء من كتب الله يقرؤه اهله ظاهرا الا القرآن فهل من مدكر متعظ وطالب لحفظه
ليعان عليه كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل
نزوله او انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
باردا او شديد الصوت والهبوب في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه ودام
او استمر عليهم حتى اهلكهم او استمر على جميعهم كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم
احد او كان يوم الاربعاء آخر الشهر لا تدور ويجوز ان يراد بالمستمر الشديد المرارة
والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم
بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم
الريح وتكبهم وتدق رقابهم وقرأ الحسن في يوم نحس اي يوم هو نحس بكر لغة

كأنهم أعجاز نخل منقعر أي كأنهم أصول نخل منقلع من مغارسه ساقط على
وجه الأرض وقيل شبهوا بالأعجاز لأن الريح قطعت رؤوسهم فبقيت
أجسادًا بلا رؤوس والأعجاز جمع عجز وهو الأصل كأعضاد وعضد ونخل اسم
الجنس الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد لكنه كثيرًا يسمى جمعًا
نظرًا إلى المعنى الجنسي فتذكير منقعر لاعتبار جانب اللفظ والتأنيث في قوله
أعجاز نخل خاوية لاعتبار جانب المعنى فكيف كان عذابي ونذر تكرير للتأكيد أو
لتكرير العذاب حيث قطعتهم الريح عضوًا عضوًا فإنه قد روينا أن الله تعالى
بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم
فتقطعهم عضوًا عضوًا أو أراد بالأول عذاب العذاب الآخرة كما صرح
بذلك في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالإنذارات
والمواعظ والرسل فقالوا أبشرًا منا من جنسنا أو جملتنا لا فضل له علينا و
انتصابه بفعل يفسره أي نتبعه وقرئ أبشر منا واحد بالرفع على الابتداء وخبره
نتبعه والأول أوجه للاستفهام والثاني أو وقف بقوله فقالوا أبشر يهدوننا
واحدًا منفردًا لا تبع له أو من آحادهم دون أشرافهم نتبعه أنكروا أن
يتبعوا بشرًا مثلهم لما في اعتقاد الكفرة من التنافي بين الرسالة والبشرية
إنا إذا لفي ضلال وسعر كأن بينهم بقول إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن
الحق وسعر أي نيران جمع سعير وهو النار الشديد الاشتعال فعكسوا
عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذًا كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد عن
الصواب والسعر الجنون أألقي الذكر الكتاب أو الوحي عليه من بيننا وفينا
من هو أحق به بذلك بل هو كذاب أشر متكبر حمله بطره وكبره وطلبه الترفع
علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدًا عند نزول العذاب بهم أو يوم القيمة
من الكذاب الأشر من الكذاب الذي حمله أشره على التكبر عن الحق وطلب الباطل
أصالح أم كذب به وقرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء على الالتفات أو
حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الأشر بضم الشين وقرئ الأشر أي الأبلغ في

الشرارة

في الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير وقد حكى ابن الأنباري أن العرب تقول
هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره إنا مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها
من الهضبة كما سألوا وذلك أنهم اقترحوا على صالح تعنتًا أن يخرج لهم من صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة حمراء وعشراء جوفاء وبراء فأخرجها
الله على ذلك فتنة لهم امتحانًا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما
يصنعون فاصطبر واصبر على أذاهم صبرًا بليغًا وقيل على ارتقابهم ونبئهم أن الماء
قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبًا
للعقلاء كل شرب محتضر يحضره لهم أو للناقة أو يحضره صاحبه في نوبته أو يحضر
عنه غيره أو يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها وحضر واحتضر بمعنى واحد
لكن غلب استعمال الاحتضار فيما فيه شائبة الهلاك فنادوا صاحبهم قدار بن
سالف أحيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي قتلها غير مكترث له فعقر فأحدث
العقر بالناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي لتناول الشيء بتكلف
فكيف كان عذابي ونذر ثم بين عذابهم بقوله إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة
صيحة جبرائيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المكسر الذي يتخذه من يعمل
الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء
وقال قتادة كالعظام النخرة المحترقة وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار
أي الحظيرة ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
بالإنذارات والمواعظ والمواعيد والأنبياء وقرأ الخليل بالنذر بإسكان الذال
إنا أرسلنا عليهم حاصبًا ريحًا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم بها إلا آل لوط وهم
أهل بيته الذين نجوا من العذاب ثلاثة عشر وقيل يعني لوط وابنتيه نجيناهم
بسحر هو آخر الليل قالوا هو السدس الأخير منه وقيل هما سحران السحر الأعلى
قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه أو مسحرين نعمة من عندنا إنعامًا منا
مفعول له كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة يعني كذلك
نجي المؤمنين وقال مقاتل من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ولقد أنذرهم
خوفهم قوم لوط بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فشكوا بالنذر بتكذيب

او فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بضيفه وقيل
طلبوا ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا اعينهم فمسخناها وجعلناها كسائر الوجه
لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة له خلهم
يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبرئيل بجناحه صفقة
فتركهم عميا فيترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط وقال الضحاك طمس
الله ابصارهم فلم يروا الرسل قالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم
يروهم فرجعوا والفصل الاول ما عليه الجمهور فذوقوا عذابي ونذر اراده القول
اي فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال قوله ونذري وما انذركم به
لوط من البطشة ولقد صبحهم بكرة جاءهم وقت الصبح الذي هو اول النهار
كقوله مشرقين ومصبحين وقراءة زيد بن علي بكرة غير منصرفة على ان المقصود بها اول نهار
معين عذاب مستقر دائم استقر عليهم حتى يفضي بهم الى العذاب الآخرة فذوقوا عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ذكر في كل قصة ليستيقن الناس
ان تكذيب كل رسول لازم للعذاب ويجددوا عند استماع كل قصة من قصص
الاولين اذكارا واتعاظا وينتبهوا تنبيها وانتفاعا لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي
عليهم الغفلة وهكذا التكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله ويل يومئذ
للمكذبين ونحوهما من الانباء والقصص والمواعيد والزواجر والقوارع فان
في التكرير تقريرا للمعاني في الاسماع والقلوب وتثبيتا لها في الصدور وكلما زاد تكرير
وترديد كان اقر له في القلب وامكن في الصدر وارسخ في الفهم واثبت للذكر و
ابعد من النسيان ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه
اولى بذلك والنذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما
انذر به المرسلون او جمع نذير بمعنى المنذر منه او الانذار كذبوا باياتنا كلها اي بالايات
التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا اهل مكة
او يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط
وال فرعون اي اهم خير قوة وعدة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان
كفارهم مثل اولئك بل شر منهم ام لكم براءة في الزبر ام نزل في الكتب المتقدمة
ان من


ان من كفر منكم وكذب كان آمنا من عذاب الله فانتم بتلك البراءة قراءة الخليل في
الزبر باسكان ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع قراءة ابو حيوة ام تقولون
بالتاء كقوله ام لكم براءة ممتنع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او
متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع وعن ابي جهل انه ضرب فرسه
يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم
الجمع ويولون الدبر اي الادبار كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وافراده لارادة
الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة
وعن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع وهو يقول سيهزم الجمع فعلمتها ويليها قراءة ابي حيوة
وابن يعمر سنهزم بالنون وابي حيوة سيهزم الجمع مبنيا للفاعل وهو الله وقراءة
اليماني يولون وقرا الخليل وتولون الدبر باسكان وقرئ الادبار بل الساعة
موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة
ادهى اشد وافظع والداهية امر منكر لا يهتدي لدوائه وامر مذا فامن الهزيمة
والقتل والاسر ان المجرمين في ضلال في بعد من الحق وقيل في هلاك وقيل في ذهاب
عن طريق الجنة في الآخرة وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم
يجرون عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم اول الناس يقضى فيه يوم القيمة رجل استشهد اتى به
فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت في سبيلك حتى استشهدت
قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جرئ فقد قيل فامر فسحب على وجهه حتى
القي في النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال
ما عملت فيها فقال تعلمت العلم وقرات القرآن وعملت قال كذبت انما اردت
ان يقال فلان عالم وفلان قارئ فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القي
في النار ورجل اتاه الله من انواع المال فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما
عملت فيها قال ما تركت من شيء تحب ان ينفق فيه الا انفقت فيه لك قال كذبت انما
اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القي في النار
وقراءة ابن ابي عبلة الى النار مكان في ذوقوا مس سقر يحمل على اضمار القول

اي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها لان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته وقيل سقر اسم لطبقها الخامسة وعدم صرفها للتعريف والتانيث انا كل شيء خلقناه بقدر كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الفعل المظهر والقدر والقدر التقدير اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وقرئ بالرفع على الابتداء فيكون خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر وقيل لعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وعن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء وعنه عم كل شيء بقدر الله حتى العجز والكيس قراه زيد بن علي بقدر ساكنة الدال وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهي كن او الا فعلة واحدة وهي الايجاد بلا معالجة ومعاناة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر وعن ابن عباس يريد ان قضائي في خلقي اسرع من لمح البصر وعنه ايضا وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم المتقدمة فهل من مدكر متعظ بذلك ويعتبر وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة ودواوينهم وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كاين مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر في بساتين وانهار واكتفى باسم الجنس وقال الضحاك ونهر اي ضياء وسعة ومنه النهار وقرئ بسكون الهاء وقرأ الاعرج نهر جمع نهر كاسد واسد وقيل جمع نهار بعضي نهارا لا ليل لهم في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر عند مليك منهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن ست وسبعون آية مكية او مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن قيل نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر

ولما عدد الله في هذه السورة النعم الدينية والدنيوية صدرها بالرحمن اشعارا بانه المنعم بها في الدارين ومزيدها بانعامها على عباده فان الرحمن رحمن الدنيا والآخرة ومعناه العطوف على الخلق بالايجاد والهداية الى اسباب السعادات الدنيوية والاخروية ثم ذكر تعليم القرآن الذي يغاث به تلك السعادات كلها لا يشذ منها شيء ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا حملة القرآن ومن اكرمهم فقد اكرم الله الا لا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم فانهم من الله بمكان كادت حملة القرآن ان يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم رواه عمر رض وقال عم افضل عبادة امتي تلاوة القرآن وقال عم اشراف امتي حملة القرآن واصحاب الليل وقيل لما قصدت السورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن فقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصته مصدق لنفسه ومصداق لها والمعنى علم القرآن عباده كما قال وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وعلم الانسان ما لم يعلم وقال الكلبي علم القرآن محمدا عم وقيل اي يسره للذكر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية خلق الانسان علمه البيان اي خلق آدم وعلمه الاسماء واللغات كلها وكان آدم عم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية او محمدا عم او خلق جنس الانسان وعلمهم ما يميزون به عن ساير الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وقيل هو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به والافعال الثلثة اخبار مترادفة وردت على نمط التعديد ثم لم يتوسط بينها العاطف وجوز ان يكون كل من الاخيرين مستانفا وان يكون الثالث حالا مقدرة باضمار قد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وفيه فوايد لا تحصى كانتظام امور الكواين الماضية والحالية والمستقبلة الموقوفة على ذكر في كمالها وادراكها ونضجها ولونها والانتفاع بهما واختلاف الفصول والاوقات وعلم السنين والحساب والحسبان اما مصدر كالغفران والرجحان او جمع حساب

كالشهبان والركبان هكذا قيل والاحسن ان يقال انه بمعنى الحاجة ههنا كما ذكر اولًا
وعليه المحققون والنجم والشجر يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجدين
من المكلفين طوعًا والنجم النبات الذي لا ساق له والشجر الذي له ساق عود صلبه وفي
المنتقى كل نابت اذا ترك حتى يبذر انقطع فليس بشجر وكل شيء يبذر ولا ينقطع من سنته
فهو شجر وقال مجاهد النجم هو الكواكب وسجوده طلوعه ولما كانت هذه الاربعة مغايرة
لجنس الانسان في ذاته وصفاته تغير النظم بايرادها في صورة الاسمية تحقيقًا للتغاير بينهما
وضعًا وطبعًا صورةً ومعنى وقيل كان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس
والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابق
ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارًا
بان وضوحه يغنيه عن البيان وتوسيط العاطف بينهما لتناسبهما من حيث التقابل
والانقياد اما التقابل فلان الشمس والقمر جاريان والنجم والشجر نباتيان
ارضيان واما الانقياد فظاهر والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلًا ومرتبة
لانها منشاء قضاياه ومتنزل احكامه ومسكن ملائكته الهابطين بالوحي
على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه وانتصابه بمحذوف
يفسره المذكور وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي خلق كل ما يوزن
به الاشياء ويعرف مقاديرها من ميزان ومكيال ونحوهما موضوعًا مخفوضًا
على الارض حيث علق احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية
والتعديل في اخذهم واعطائهم وقال مجاهد وغيره اراد بالميزان
العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى
انتظم امر العالم واستقام كما قال عم بالعدل قامت السموات والارض
وقرا ابن مسعود وخفض الميزان وهو يعضد المعنى الاول وقال الغزالي
في القسطاس المستقيم هو الميزان المعرفة بما ذكره عبارته في سورة الحديد
الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه لا تجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل وقال ابو الدرداء وعطاء اقيموا لسان الميزان
بالعدل وقال ابن عيينة الاقامة بالعدل والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان

ولا

ولا تنقصوه لان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكرير مبالغة
في التوصية به وزيادة حث على استعماله وفي ايراد الامر بالتسوية في الوزن
بين النهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة والنهي عن الخسران الذي هو
تطفيف ونقصان ما لا يخفى من الارشاد الى الحق وتعليم وان العدل في الوزن
لا يحصل لاحد الا بان يكون بينهما منتهيا عنهما بتركهما وقرئ ولا تخسروا بفتح
وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح
فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وما على الارض من دابة وقيل الحيوان الانس
والجن فهي كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها فينصرفون فوقها فيها فاكهة
الوان مما يتفكه به ويتلذذ والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم وهو الغلاف
الذي يكون فيه التمر اول ظهورها او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف و
كفرى فان الكل ينتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب و
الثمرة ذو العصف كالحنطة والشعير وساير ما يقتات به ويتغذى والعصف ورق
الزرع وقيل التبن والريحان هو الرزق وهو اللب اراد في الارض ما يتلذذ به
من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو
الحب وعن الحسن والريحان هو ريحانكم هو الذي يشم وعن الضحاك العصف
هو التبن والريحان ثمره وقرا ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بنصب الثلثة
اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد و
ذا الريحان على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرا حمزة والكسائي و
خلف والريحان بالجر عطفا على العصف اي والحب ذو العصف الذي هو علف
الانعام الحيوان والريحان الذي يشم ويطعم والريحان كل ما طاب رائحته من
النبات او الناس هو من وعند الفقهاء الريحان ما لساقه رائحة طيبة كما لورقه كالآس
والورد ما لورقه رائحة طيبة فحسب كالياسمين كذا في المغرب واصله روحان من
روح فقلب واوه ياء كما في اخواته وهي الريح والرائحة واريا فان الياء في الكل
بدل من الواو بدلًا لازمًا وقيل هو فيعلان من روح فقلب الواو ياء وادغم ثم خفف

ذكر الله تعالى اولاً ما هو اصل الآلاء واشرفها وهو انعامه بالقرآن العظيم الذي
هو اجل كتبه السماوية واجلها ثم قفى على اثره بخلق الانسان ليعلم انه انما خلقه
ليشكر على آلائه ونعمائه بايثار دينه الاسلام واتباع وحيه وكتابه ليخصه بالعبادة
فانه المقصود الاصلي من اخراجه من العدم الى الوجود كما صرح به فيه حيث قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم اتبعه ما تميز به من ساير الحيوان من البيان
ثم ذكر ما سخر له ثم ذكر قوته مع قوة ما يركبه مبالغة في اتمام ما انعم عليه من الآلاء
ثم خاطبه مع الجن بقوله فباي آلاء ربكما تكذبان لان الخطاب فيه للتغليب الدال عليهما
قوله للانام وقوله ايها الثقلان والآلاء جمع الى كاعناب وجنب واضلاع وضلع
وانا والى والمراد بها الظاهرة والباطنة الواصلة الى الفريقين وبهذا يظهر
فساد ما قيل من ان الآلاء هي النعم الظاهرة والنعماء هي النعم الباطنة والصواب
انهما من الالفاظ المترادفة كالاسود والليوث والفلك والسفن خلق الانسان من
صلصال كالفخار الصلصال كالطين اليابس الذي له صلصلة اي صوت والفخار
الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طيناً ثم حماً
مسنوناً ثم صلصالاً فلا يخالف ذكر قوله خلقه من تراب ونحو كقوله انا خلقناه من طين
لازب وخلق الجان الجان الجن او ابليس وبه قال الضحاك من مارج من لهب صاف
من الدخان من قال مجاهد المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر و
الاصفر والاخضر الذي يعلو النار وقد يستعمل مرج امر القوم اذا اختلط واضطرب
من نار بيان لمارج كانه قيل من مارج او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة
كقوله فانذرتكم ناراً تلظى وفي ذكر الفريقين اشعار بان الخطاب في ربكما
تكذبان لهما جميعاً ويعضده ما روي عن جابر انه قال قرأ علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتاً للجن كانوا احسن
منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فباي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا و
لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وفيه دلالة بينة على ان الآلاء اراد بها النعم
المطلقة الشاملة للظاهرة والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق الى بعض الاوهام
وقيل خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب يخاطب الواحد بلفظ التثنية كقوله

القيا

القيا في جهنم فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما
افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين يعني مشرقي
الصيف والشتاء ومغربيهما وارتفع على انه خبر مبتدا محذوف او مبتداء
خبره مرج ويلتقيان حال وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلاً من
ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان بما في ذكر من المنافع الغاية للبشر كالدلالة على الصانع
ووحدته وقدرته وحكمته فان شروق الشمس من احد الخافقين وغروبها
في الآخر كتاب الكريم وقرآنه الحكيم واعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسل البحر الملح والبحر العذب
من مرج الدابة اذا ارسلها وخلاها يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما
او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه وقال
مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام بينهما برزخ حال من
البحرين او من ضمير يلتقيان اي حاجز من قدرة الله او من الجزاير وعن الحسن
بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما لا يبغيان من الاحوال المترادفة او المتداخلة
اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما
وعن قتادة لا يطغيان على الناس بالغرق فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من
الفوايد والعبر يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان بيان لبعض فوايدهما واللؤلؤ
كبار الدر والمرجان صغاره او اللؤلؤ مطلق الدر والمرجان الخرز الاحمر
وهو البسذ وفيه دلالة بينة على ان المراد بالبحرين بحر فارس وبحر روم للقطع بان
اللؤلؤ من بحر فارس والمرجان من بحر الروم وهذا مما لا ينبغي ان يشك فيه وبهذا
يظهر ضعف ما قيل من انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وقرأ نافع
وابو عمرو ويعقوب يخرج مبنياً للمفعول والباقون يخرج من الخروج وقرئ
يخرج بالبناء للفاعل وهو الله من الاخراج ونصب اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء
ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء
المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي
الرافعات الشرع واللاتي ينشئن الامواج بجريهن او اللاتي في البحر متعلق

بالمنشآت كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل وهو حال من ضمير المنشآت
فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها
واجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها فان من على الارض
من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين ويبقى وجه ربك ذاته
والوجه يعبر به عن الذات عن الجملة والذات ومنه قول القايل اين وجه عربي كريم ينقذني
من الهوان ذو الجلال والاكرام صفة الوجه اي ذو العظمة في ذاته وصفاته وشأنه
وملكه وسلطانه والفضل والجلال اشارة الى السلوب والاكرام الى الاضافات قراءة
ابن مسعود وابن عمير ذي الجلال بالجر صفة الرب وهو في مصحف ابي فبأي آلاء ربكما تكذبان
مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا ومما ترتب على افناء
الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض لافتقارهم
اليه في ذواتهم وصفاتهم ودينهم ودنياهم فيسألونه ما يحتاجون اليه من
الرزق والمغفرة وعن ابن عباس فاهل السماء يسألونه المغفرة واهل الارض يسألونه
الرزق والمغفرة وعن مقاتل كل من الاهلين يسأله الرزق والمغفرة وذلك السؤال
بلسان المقال والحال ولسان الحال انطق من لسان المقال كل يوم ظرف لما دل
عليه هو في شأن اي تقلب الامور كل يوم او يجددها كل يوم او نحوه هو في شأن
قيل اي كل وقت هو في احداث امور وتجديد احوال مطابق لسابق قضائه
كما روي عن النبي صلعم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا
ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عباس انه قال ان مما خلق الله تعالى
لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلثمائة
وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك
قوله كل يوم هو في شأن وهو ماخوذ من قوله صلعم ان الرب لينظر الى عباده كل يوم
ثلثمائة وستين نظرة يبدئ ويعيد وذلك من حبه خلقه وعن عيينة الدهر
كله عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي
والاماتة والاحياء والعطاء والمنع والآخر يوم القيمة فشأنه فيه الجزاء والحساب
وقيل شأنه انه يخرج كل يوم وليلة ثلثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء الى

ارحام

ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور
ثم يرحلون جميعا الى الله وقال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله
لا يقضي يوم السبت شيئا وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له
اشكلت علي ثلث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح
ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم
القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز
ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة بهذه الامة لان الله خص هذه
الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل
ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى
عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون
يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه فبأي آلاء ربكما
تكذبان مما يسعف سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ
لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا
يفعل فيه غيره او تهديد من قول القايل لمن يهدده سافرغ لك اي ساتجرد
لك من كل شغل فلا اشتغل الا بالايقاع بك وقرأ حمزة والكسائي وخلف سيفرغ
بالياء اي الله تعالى وقرأ ابي سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم وقرئ سافرغ لكم وسيفرغ
بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا مع فتح الراء
والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة اخبار عنه
يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض
هاربين من قضائي وقرأ زيد بن علي ان استطعتما ذهابا الى انهما جنسان
كقوله رب السموات والارض وما بينهما ولقوله يرسل عليكما فانفذوا فاخرجوا
لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وغلبة وانى ذلك
ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا
ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة

الا ببينة نصبها الله من مصاعد عقلية فتعرجون عليها بافكاركم وفي الخبر يحاط على الخلق
بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس الآية فباي الاء ربكما
تكذبان من التنبيه والتخويف والامهال والحلم مع كمال القدرة على المواخذة
والانتقام او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى
ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب خالص لا دخان فيه من نار بيان
لشواظ او اريد من نار مخصوصة ونحاس ودخان انشد يضئ كضوء السراج
السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا
خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرا ابن كثير شواظ بكسر الشين
والباقون بضمها وهما لغتان ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو
ويعقوب في رواية وقرى ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقراه
النعمان بن مرة الانصاري ونحس بضم النون والسين ومجاهد بكسرهما وحنظلة
بن النعمان بفتح النون والحاء وجر السين ومسلم بن جندب بفتح النون وسكون
الحاء ورفع السين وقرى ونحس اي ونقتل بالعذاب وقرى نرسل عليكما شواظا
من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكما ناصر منه فباي
الاء ربكما تكذبان من التحذير وتعريف الجزاء والاعلام بعدم الانتصار
وقيل فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار
من اعداد الالاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اي حمراء كالدهان كدهن
الزيت وهو جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقال الكلبي كالدهان
كالاديم الاحمر وقال مقاتل كدهن الورد الصافي وقال ابن جريج تصير السماء
كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقرا عبيد بن عمير بالرفع على كانت
التامة اي حصلت سماء وردة ويكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت
لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم فباي الاء ربكما تكذبان
مما يكون بعد ذلك فيومئذ فيوم تنشق السماء لا يسال عن ذنبه انس ولا جان
لا يسال بعض من الانس ولا بعض من الجن لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين
ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف فوجا فوجا على اختلاف مراتبهم

واما

واما قوله فوربك لنسالنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والضمير في ذنبه للانس
باعتبار اللفظ فانه وان تاخر لفظا تقدم رتبة وتوصيلا لكونه في معنى البعض
واراد بالجان الجن كما يقال تميم ويراد ولده وعن ابن عباس لا يسالهم هل
عملتم كذا وكذا فانه اعلم بذلك منهم ولكن يسالهم لم عملتم كذا وكذا وقال قتادة
قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
وابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وعن عكرمة ان القيمة يوم طويل
وفيها مواطن يسال في بعضها ولا يسال في بعضها قيل ولا يسال عن ذنبه ليعلم من
جهته ولكن يسال سوال توبيخ وقرا الحسن ولا جأن هربا من اجتماع الساكنين
وان كان على حده فباي الاء ربكما تكذبان مما انعم الله على عباده المؤمنين
في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم لعلامتهم التي تظهر في وجوههم
من السواد والغبرة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام يجمع بين ناصيته وقدمه
في سلسلة من خلفه ويلقى في النار او تسحبهم الملائكة تارة بالنواصي وتارة
بالاقدام وعن ابن عباس يجمع بين راسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب
فباي الاء ربكما تكذبان من التنبيه على ذلك والتخويف به والترهيب عما يلزمه
ويقتضيه من الاجرام والاثام هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار ان بلغ النهاية في الحرارة
يصب وسيقون منه من انى يانى فهو ان اذا انتهى في الحر والنضج وقيل اذا
استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم كما قال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
قال كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق
بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله
لهم خلقا جديدا فيلقون في النار وقرى يطوفون من التطويف ويطوفون
اي يتطوفون ويطافون وقرا عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان
لا تموتان فيها ولا تحييان تطوفون بينها وهو حال او استيناف فباي الاء ربكما
تكذبان لان التهديد لطف ونجاة الناجي من ذلك العذاب وانتقام المشركين
به من اعظم الالاء ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم

الغيبة او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخايف عند ربه للحساب
باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقولك اخاف
جانب فلان وفعلت هذا لمكانك ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين
يعني ونفيت عنه الذيب وعن ابرهيم ومجاهد هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله
فيدعها من مخافة الله جنتان جنة عدن وجنة نعيم قاله مقاتل او جنة لفعل الطاعات
وجنة لترك المنكرات او جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية او جنة
في اعلى الجنات وجنة في وسطها وقيل جنة للخايف الانسي وجنة للخايف الجني لان الخطاب
للثقلين وفيه نظر لقوله عم ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من
اهل الجنة مع امة محمد هم على الاعراف حايط الجنة تجري فيها الانهار وتنبت فيه
الاشجار والثمار فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان بدل من جنتان او خبر
مبتدا محذوف او صفة لهما وافنان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فروع
الشجرة تنوعت لانواع الثمار والوان النعم وقال الحسن ذواتا اظلال وابن عباس
ذواتا الوان وابن جبير والضحاك الوان الفاكهة وعطا ذواتا اغصان في كل غصن
فنون من الفاكهة وقتادة ذواتا فضل وسعة على ما سواهما وقيل ذواتا انواع
من الاشجار والثمار جمع فن وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل
وتجتنى منها الثمار فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في
الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال
احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وعن عطية احديهما من ماء غير آسن والاخرى
من خمر لذة للشاربين فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان
غريب ومعروف او رطب ويابس وعن ابن عباس ما في الدنيا حلوة ولا مرة الا وهي
في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها
من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطاين من الاستبرق فما ظنك بالظواهر
وعن ابن عباس وصف البطاين وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف بالظواهر
وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فالظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي من قرة اعين وعنه ايضا بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد

ومتكئين

ومتكئين نصب على الحال للخايفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وقرأ
اليماني وابو حيوة فرش بسكان الراء وجنى الجنتين وان قريب يناله القاعد و
المضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ جنى بكسر الجيم فباي الاء ربكما تكذبان فيهن
في الجنان فان جنتين تدل على جنان هي للخايفين او فيهما فيهما من الاماكن و
القصور والمجالس او في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش والجنى قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان نساء قصرت
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرون الى غيرهم يقال طمث المراة اذا افتضها
بالتدمية اي اخذ بكارتها ومنه قول المجوع لم تطمث اي عذراء والمعنى لم يطمث
الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات من الجن احد وفيه دليل على ان الجن
يطمثون كما يطمث الانس والجمهور على ان هؤلاء من حور الجنة وقال الشعبي و
الكلبي من نساء الدنيا اي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن انس فيه ولا
جان وقرا الجحدري واليماني لم يطمثهن بفتح الميم وقراة طلحة بن مصرف لم يطمثهن بضم الميم
فيهما وقراة الكسائي احديهما بالكسر فان كسر الاولى ضم الثانية وبالعكس جمعا
بين الاثنين فان اصحابه على يقرون واصحاب بن مسعود بالكسر فباي الاء ربكما
تكذبان كانهن الياقوت والمرجان في حمرة الوجه وبياض البشرة وصفائهما
وقال قتادة صفاء الياقوت في بياض المرجان وعن النبي عم ان المراة من اهل
الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها رواه ابن مسعود
فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب
وعن ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عم الا
الجنة وعن انس قرا رسول الله صلى الله عم هل جزاء الاحسان الا الاحسان
ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من
انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي
مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه فباي
الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان اي ومن دون تينك الجنتين الموعودين
للخايفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين وقال ابن عباس

ومن دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين
وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هي اربع جنتان للمقربين السابقين
فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين التابعين فيهما فاكهة و
نخل ورمان وقال الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت
فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان مخضرتان يضربان الى السواد لشدة الخضرة
وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على
وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دالة على ما بينهما من التفاوت كذا
قيل وقال بعضهم المدهام في الاصل الشديد السواد يوصف به الخضرة لانها كمالها
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء لا ينقطعان
والنضخ اكثر من النضح لانه مثل الرش وقال ابن عباس تنضخان بالخير والبركة
على اهل الجنة وقال ابن مسعود تنضخان بالمسك والكافور على اولياء الله تعالى وقال
انس تنضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش المطر فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما
واستبدادهما بالمزية على غيرهما كما عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة لذلك او
لان النخل ثمرة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وكذا
العنب عند ابي حنيفة والمذكور في كتب الحنفية ان في كل منها معنى زايدا على التفكه
وهو الغذائية وقوام البدن فبهذه الزيادة يخرج عن مطلق الفاكهة فلو حلف
لا ياكل فاكهة ولا نية له لم يحنث باكل الرطب والرمان والعنب عنده لما فيها
من المعنى الزايد على التفكه خلافا لصاحبيه فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات
اي خيرات بالتخفيف مخفف لان الخير الذي بمعنى اخير لا يجمع فلا يقال فيه خيرون
ولا اخيرات وقرئ خيرات بالتشديد على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان
حسان الخلق او الوجوه وعن ام سلمة قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني
عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه فباي الاء ربكما
تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي قبل اصحاب الجنتين دل عليه حور
مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة اي مخدرة



مستورة لا تخرج او مقصورات الطرف على ازواجهن لا يبغين بهم بدلا والخيام
جمع الخيمة وهي القبة المضروبة على الاعواد هكذا جمع خيام الدنيا وهي لا تشبه خيام
الجنة الا بالاسم فانه قد قيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة وعن النبي عليه السلام ان في
الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في زاوية منها اهلون ما يرون الاخرين
يطوف عليهم المؤمنون وحور بدل من خيرات او مبتداء خبره محذوف اي فيهن
حور فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي قبل اصحاب
الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف
على وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل
كل ثوب عريض وقد يقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف وفرقها سعيد
جبير برياض الجنة ورفوف السحاب هيدبه ومتكئين نصب على الاختصاص او حال وصاحبه
محذوف يدل عليه الضمير في قبلهم خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر
تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان
حملا على المعنى وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدايني نسبة الى عباقر في اسم
البلد وروي ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته وقال
القتبي كل ثوب موشى عند العرب عبقري وعن ابي عبيدة هو منسوب الى ارض يعمل
بها الوشي وقيل هي الزرابي والطنافس الثخان جمع عبقرية وعن قتادة العبقري عتاق
الزرابي فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته
فما ظنك بذاته ويجوز ان يكون الاسم بمعنى الصفة او مقحما كما في قول الجواد ثم اسم
السلام عليكما ذي الجلال والاكرام قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع صفة للاسم والباقون
بالجر صفة للرب ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن صفاتهم
وافعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين
من عباده او ذو الاستغناء المطلق والفضل العام او ذو العظمة في ذاته وصفاته
وافعاله والاكرام لانبيائه واوليائه وقيل ذي الجلال معنا الجليل فانه الذي له الجلال
وهو يفيد كمال الصفات السلبية والثبوتية فاما السلبية فهو انه منزه عن الند و
الضد والمكان والزمان واما الثبوتية فهي العلم المحيط والقدرة الشاملة وكما

الاكرام فاضافة ولابد فيها من المضافين وقدم السلب على الاضافة لان ما فيه
بكفي الشي وهو متقدم بالرتبة على ما لا بد له في تحققه من غيره ولهذا الاعتبار
قدم ذكر الجلال على ذكر الاكرام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن
ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة سبع وتسعون اية مكية بسم الله
الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة وقيل اذا نزل
صيحة القيمة وهي النفخة الاخرة وسماها واقعة لتحقق وقوعها واذا منصوب
بمذكور وهو ليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف مثل اذكر او كان
كيت وكيت وقيل ظرف لفعل يدل عليه كاذبة اي اذا وقعت لم يكذب او
ظرف لخافضة او رافعة اي اذا وقعت خفضت ورفعت او ظرف لرجت ليس لوقعتها
كاذبة نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها
كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحيوتي او ليس لاجل وقعتها
كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة
شدتها واحتمالها وتغويه عليها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل من قولهم
كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وسولت له انه
يطيقه وما فوقه وقيل ليس لمجيئها كاذب كقوله لا يسمع فيها لاغية اي لغو يعني
انها تقع صدقا وحقا وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك
حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته
به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا
اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد وقيل التقدير ليس لوقعتها حالة كاذبة
او مكذوب فيها خافضة رافعة تخفض اقواما الى النار وترفع اخرين الى الجنة
وعن ابن عباس تخفض اقواما كانوا مرتفعين في الدنيا وترفع اقواما كانوا متضعين
فيها وهو اعلام بفرط شدتها وعظمتها لان الوقايع العظام كذلك يرتفع فيها
اناس الى مراتب ويتضع ناس او اخبار عما يكون حينئذ من خفض الاشياء
ورفع البعداء وازالة الاجرام عن مقارها بسقوط السماء كسفا وانتثار
الكواكب ومرور الجبال في الجو مر السحاب وارتفاعها على هي خافضة رافعة

وقرئتا

وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث يهدم
كل شيء فوقها من بناء وجبال واذا رجت بدل من اذا وقعت او ظرف لخافضة
رافعة كانه قيل تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه يخفض ما هو
مرتفع ويرفع ما هو منخفض وبست الجبال بسا وفتتت حتى يصير كالسويق الملتوت
من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها وقال الحسن
قلعت من اصلها فذهبت وقد جعلت كثيبا مهيلا بعد ما كانت شامخة طويلة
فكانت هباء غبارا منبثا متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست
اي ارتجت وذهبت قرأ حميد بن عمير وبست الجبال بتا بالتاء كقوله منبثا وكنتم
ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة اصحاب الميمنة
الذين يؤتون صحايفهم بايمانهم واصحاب المشئمة الذين يؤتونها بشمايلهم
او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم
بالشمايل واصحاب اليمن واصحاب الشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين
وذات الشمال وعن ابن عباس اصحاب الميمنة هم الذين كانوا على يمين ادم
حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى لهم هؤلاء اهل الجنة ولا ابالي و
الجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة المظهر مقام المضمر ومعناهما
التعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى فاصحاب الميمنة اي
شيء هم واصحاب المشئمة اي شيء هم والسابقون السابقون السابقون
من المهاجرين والانصار هم السابقون في الاخرة او السابقون الى الخيرات
هم السابقون الى الجنات او الانبياء لانهم سابقوا اممهم ومقدموهم في الدنيا
والاخرة وهم الذين عرفت حالهم وعرفت وصفهم كقوله وعبد الله وقال
ابو النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما عرفت حاله وبلغك وصفه وسمعت
بفصاحته وبلاغته وقال كعب هم اهل القران المتوجون يوم القيمة فانهم
كادوا ان يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم ولا يصح ان يكون السابقون

تأكيدا أولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من
العرش وأعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم وهو حال من ضمير المقربون ثلة
أو ظرف أو خبر ثلة من الأولين وقليل من الآخرين الثلة الأمة الكثيرة من
الناس واشتقاقها من الثل وهو القطع والكسر كما أن الأمة من الأم وهو الشج كأنها
جماعة قطعت من الناس وكسرت منهم أي السابقون كثير من الأولين وهم
الأمم من لدن آدم إلى محمد عم وقليل من الآخرين وهم أمة محمد عم ولا
يخالف ذلك قوله عم إن أمتي يكثرون سائر الأمم لجواز أن يكون سابقو الأمم
أكثر من سابقي هذه الأمة وتابعو هذه أكثر من تابعيهم ولا يرده قوله
في أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لأن كثرة الفريقين لا تنافي أكثرية
أحدهما ولحنا بعدنا أن الأولين والآخرين من هذه الأمة وهم متقدموها
ومتأخروها بدليل قوله النبي عم الثلتان جميعا من أمتي وارتفاع ثلة
على أنها خبر محذوف أي هم ثلة أو السابقون ثلة على سرر موضونة خبر
آخر للمبتدأ المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الأعشى ومن نسج داود
موضونة أو المتواصلة أدني بعضها من بعض من الوضن وهو نسج الدرع وقرأ
زيد بن علي وابن عمير سرر بفتح الراء متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير
في على وهو العامل فيهما أي استقروا على سرر موضونة وهم متكئون عليها لا ينظر
بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب
يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون غلمان مبقون أبدا على شكل الولدان
وطراوتهم لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلد القرط وقيل هم أولاد
الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي
عن علي رضه وعن الحسن وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة بأكواب
وأباريق حال الشرب والأكواب جمع كوب وهو إناء لا عروة له ولا خرطوم
والإبريق إناء له ذلك قيل سميت أباريق لبروق ألوانها من الصفاء وكأس
من معين من خمر جارية لا يصدعون عنها أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم

اولا

أو لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون
كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون أي لا يتصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم
ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم أو لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون ينزفون
بكسر الزاء من أنزف الرجل إذا سكر وذهب عقله والباقون بفتحها من نزف
الرجل إذا سكر وذهب عقله وفاكهة مما يتخيرون أي يختارون يقال تخير
الشيء إذا أخذ خيره وأفضله ولحم طير مما يشتهون يتمنون وقرئ ولحم طير وحور
عين قرأه حمزة والكسائي وأبو جعفر بالجر عطفا على جنات النعيم أي هم في جنات
النعيم وفي حور عين أي وفي مصاحبة حور عين على حذف المضاف أو على أكواب
لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وقال
أبو عمرو بن العلاء وقطرب عطف على أكواب بمعنى أن الولدان يطوفون بهما و
بالحور العين والباقون بالرفع عطفا على ولدان أو لأنه مبتدأ محذوف
الخبر أي وفيها أو ولهم حور عين وقرأ مجاهد وحور عين بالإضافة وعكرمة
وحوراء عيناء وقرئ بالنصب على ويؤتون حورا عينا كأمثال اللؤلؤ المكنون
المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي وقيل المصون عما يضر به في الصفاء و
النقاء ويروى أنه سطع نور في الجنة قالوا ما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء في وجه
زوجها جزاء بما كانوا يعملون مفعول له أي يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم
لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة إلى الإثم أي لا يقال لهم أثمتم إلا
قيلا أي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا
إلا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى إلا أن يقولوا سلاما سلاما يعني أنهم
يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام أو مصدر وقرئ سلام
على الحكاية وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك
له كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع عنه أو مثني أغصانه من كثرة حمله من
خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز أو شجر أم غيلان
وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر
أحلى من العسل وقرأ علي رضه وطلع بالعين فقال وما شأن الطلح إنما هو

الطلع فقيل انه في المصحف بالحاء افلا تحوله فقال ان القرآن لا يهاج في اليوم ولا يحول
وعن ابن عباس نحوه منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه اى متراكم بعضه على بعض
وظل ممدود منبسط لا ينقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
والعرب تقول للشئ الذى لا ينقطع ممدود وعن ابى هريرة قال رسول الله عم
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وماء مسكوب يسكب لهم
اين شاؤا بلا تعب او دائم الجرية لا ينقطع او منصوب سائل على الارض في غير
اخدود وكانه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه
حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين
الحالين وفاكهة كثيرة الاجناس والاصناف لا مقطوعة هى دائمة لا تنقطع في وقت
كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا يمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على
بساتين الدنيا وفي الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله مكانها ضعفين
وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على الابتداء وخبره محذوف اى فيها او ولهم فاكهة
كثيرة وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضودة قد تراكم بعضها على بعض
حتى ارتفعت وعن ابى سعيد الخدرى وابى هريرة قال رسول الله عم
في قوله وفرش مرفوعة ارتفاعها كما بين السماء والارض وان ما بين السماء
والارض لمسيرة خمسمائة عام او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء لان
المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة رفعن على الارائك او رفعن بالجمال والفضل
على نساء الدنيا ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اى ابتدأنا
خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء واعادة وعن ابن عباس
يعنى الآدميات العجز الشمط اى خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر ويدل عليه قوله
صلم هن اللواتى قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد
الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت
عائشة واوجعاه فقال عم ليس هناك وجع وعن الحسن قالت عجوز يا
رسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز
فولت وهى تبكى فقال عم اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية

فجعلنا

فجعلناهن ابكارا عذارى عربا اى متحببات الى ازواجهن حسنات التبعل
جمع عروب وقال ابن عباس برواية عكرمة ملقة وقال عكرمة غنجة وعن اسامة
بن زيد عن ابيه حسنات الكلام وقرأ حمزة وابو بكر وخلف عربا بسكون الراء والباقون
بضمها وهما لغتان كرسل بسكون السين وبضمها في جمع رسول فمن ضم الراء اتى
بالاصل ومن سكنها خفف والتخفيف لغة تميمية اترابا مستويات في السن لان كلهن
بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لقوله عم يدخل اهل الجنة الجنة جردا
مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين على خلق آدم طوله ستون ذراعا
في سبعة اذرع رواه ابو هريرة رض وعن ابى سعيد قال النبى عم ان الرجل ليفتض
في الغداة سبعين عذراء ثم ينشئهن الله ابكارا وعنه عم انه قال ان الرجل من
اهل الجنة ليتزوج خمس مائة حوراء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق
كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا رواه عبد بن ابى اوفى وعن ابى سعيد قال
رسول الله عم ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون
زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء
لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل
هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهى على الوجه الاول
خبر مبتدأ محذوف قال ابو بكر قال النبى عم ثلتان من الاولين وثلة من الآخرين
هما من هذه الامة وكلهم في الجنة واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم
في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء حار انتهى في الحرارة وظل من يحموم من
دخان اسود يفعول من الحمة وقال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل
شئ فيها اسود لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل
من الاسترواح والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفى في مثل هذا شأنا ليس
للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستأهلون الظل البارد
الكريم الذى هو لاضدادهم في الجنة وقرئا بالرفع على لا هو بارد ولا كريم انهم
كانوا قبل ذلك مترفين منعمين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على
الحنث العظيم اى على الذنب العظيم وهو الكفر ومنه قوله بلغ الغلام الحنث

اى الظلم ووقف المواخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا
اثم وتحرج وقال الشعبى الحنث العظيم اليمين الغموس ومعنى هذا انهم كانوا يحلفون
انهم لا يبعثون وكذبوا فى ذلك وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون العامل فى اذا مادل عليه ائنا لمبعوثون وهو نبعث لا مبعوثون
لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها اى انبعث اذا متنا وكان هذا اصل الكلام
فبدلت الجملة الفعلية بالاسمية وقدم الظرف وكررت الهمزة مبالغة فى الانكار
وايذانا بان البعث مستنكر فى حد ذاته وفى هذه الحالة انكر فهو ابلغ من قراءة
نافع والكسائى بطرح الهمزة الثانية على الخبر وقراءة ابو جعفر بطرح الاولى ايضا او اباؤنا
الاولون عطف على محل ان واسمها او على المستكن فى المبعوثون وقد حسن للفصل
بهمزة الاستفهام كما حسن فى قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل المؤكد للنفى وهو
لزيادة الاستبعاد وللاشعار بان ذلك اشد انكارا فى حق ابائهم الاولين لبعد
زمانهم وقراءة نافع وابن عامر وابو جعفر او بالسكون على معنى الترديد قل ان
الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم اى الى ما
وقتت به الدنيا وحدت من يوم معلوم معين عند الله والاضافة بمعنى من كخاتم فضة
والميقات هو الوقت المحدود وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الحج لمواضع
الاحرام ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى الضالون عن الهدى المكذبون
بالبعث والخطاب لاهل مكة واشباههم ممن جمع بين الضلالة والتكذيب
لاكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لابتداء الشجر ومعنى
الزقوم سبق فى والصافات فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه
من الحميم لغلبة العطش وتانيث ضمير الشجر فى منها وتذكيره فى عليه باعتبار المعنى
واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير على تاويل الزقوم لانه تفسيرها وهى
فى معناه فشاربون شرب الهيم الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء
حيث تشرب منه فلا تروى حتى تموت جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الهيم الرمال على
انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب فى جمع

سحاب

سحاب ثم خفف وفعل به مثل جمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم الجوع المفرط حتى
يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون يسلط
عليهم العطش الذى يضطرهم الى شرب الحميم المقطع امعاءهم فيشربونه شرب
الهيم وكونهم شاربين للحميم غير كونهم شاربين شرب الهيم لان كلا منهما اخص
من الاخر من وجه كما لا يخفى وقرأ حمزة ونافع وعاصم وابو جعفر بضم الشين هذا
نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا فى الجحيم وفيه
تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل الرزق الذى يعد للنازل تكرمة
وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون فهلا تصدقون بالخلق متيقنين
للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث لان من قدر على الخلق اولا قدر على الخلق
ثانيا افرايتم ما تمنون ما تقذفونه فى الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء
من منى النطفة امناها اى صبها فى الرحم وقذفها فيها ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه
وقيل تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمنا الموت
عليكم قسمة الرزق على تفاوت ووقتنا موت كل منكم بوقت معين وقرأ ابن
كثير قدرنا بالتخفيف وهو لغة وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من
الموت او يغير وقته اولا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه اى
بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وذلك قوله على ان نبدل
امثالكم اى على ان ناتى بخلق مثلكم بدلا منكم وهو على الاول حال او علة لقدرنا و
على بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض اى انا قادرون على ذلك لا نعجز ولا
نغلب عليه وعلى الثانى صلة وامثالكم جمع مثل وهو الشبه اى على ان نبدل منكم
اشباهكم من الخلق او جمع مثل وهو الصفة اى نحن قادرون على ان نبدل ونغير
صفاتكم التى انتم عليها فى خلقكم واخلاقكم وننشئكم فيما لا تعلمون فى خلق او صفات لا تعلمونها
وما بينها يعنى قادرون على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم ولا نعجز عنهما جميعا فكيف نعجز
عن بعثكم الذى هو جمع الاجزاء الاصلية واعادة الارواح اليها فان البدن الثانى يخلقه
الله من الاجزاء الاصلية للبدن الاول ثم يعيد الروح اليه فيصير بشرا سويا كما كان
وقيل اى ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور بان نجعلكم قردة وخنازير يعنى لسنا عاجزين

عن خلق امثالكم بدلا منكم ومسخكم من صوركم الى غيرها ولقد علمتم النشاة الاولى
اى علمتم الخلقة الاولى التى هى الاحياء الاول فانه والاحياء الثانى شيئان متحدان لا يتغايرة
الا بالمتعلق فان ابداء الانسان واعادته ليس معناها الا جعل الله اياه حيا
اولا وثانيا كما دل لنا عليه بقوله من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها
اول مرة والنشاة الاولى هى الابداء والنشاة الاخرى هى الاعادة وكل واحد منهما
اختراع واخراج من العدم الى الوجود فمن علم القدرة على الابداء لزمه ان يحكم له
بالقدرة على الاعادة لانها اهون ولذا قال فلولا تذكرون بتخفيف الذال والتذكر و
معناه فهلا تذكرون ان من قدر على النشاة الاولى قدر على النشاة الاخرى فانها
اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس حيث
جهلهم فى ترك قياس النشاة الاخرى على الاولى افرايتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام
تبذرون حبه وتعملون فى ارضه انتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف
وينمى الى ان يبلغ الغاية وعن النبى عم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت
قال ابو هريرة ارايتم الى قوله افرايتم الاية ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما لا ينتفع به فى مطعم وغذاء وقال عطاء تبنا لا قمح فيه فظلتم فصرتم
تفكهون تعجبون مما نزل بكم فى زرعكم او تندمون على تعبكم فيه او على ما اصبتم
لاجله من المعاصى وقرى فظلتم بكسر الظاء على الاصل وقرى تفكنون ومنه الحديث
مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع
بها قوم وبقى قوم يتفكنون اى يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة
ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون حرمنا
رزقنا او محدودون ممنوعون لا مجدودون وقرا ابو بكر ائنا على الاستفهام افرايتم
الماء الذى تشربون يعنى الماء العذب الصالح للشرب انتم انزلتموه من المزن
من السحاب مزنة وقيل المزن السحاب الابيض خاصة وماؤه اعذب ام نحن
المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام فرايتم المزن
بضم الميم وانزلنا نحن المنزلون مستدا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعافا شديد
الملوحة لا يقدر على شربه قال الحسن مرا وحذف اللام من الجواب لعلم كل



واحد بمكان او الاكتفاء بتقدم ذكره على انه يدل على التاكيد فادخل فى اية
المطعوم دون اية المشروب اشعارا بان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان
الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم
فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التى تورون تقدحونها
وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر و
يسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة انتم انشاتم
شجرتها ام نحن المنشئون يريد الشجرة منها الزناد وقرا ابو عمرو وعيسى انتم انشاتم
بحذف الاستفهام نحن جعلناها نار الزناد تذكرة تبصرة فى امر البعث كما مر
فى يس او فى الظلام او تذكيرا للنار جهنم او تذكرة وانموذجا من جهنم لما روى
عن رسول الله صلعم ناركم هذه التى توقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر
جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين ينزلون القواء وهى القفر الخالى عن الماء
والكلاء والعمران وهم المسافرون او للذين خلت بطونهم او مزاودهم
من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من سكانها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث
التسبيح بذكر اسم ربك او بذكر ربك لان اطلاق الاسم للشىء ذكره والعظيم صفة للاسم
او الرب ولما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده امر باحداث التسبيح و
هو ان يقول سبحان الله تنزيها له عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته
او تعجبا من امرهم فى غمط نعمه او شكرا له على النعم التى عدها وبثها حلبها فلا
اقسم ذا الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى لئلا يعلم
افلانا اقسم بحذف المبتداء واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة الحسن
فلاقسم وقيل فلا رد لما قال الكفار فى القرآن انه سحر وشعر وكهانة اى ليس
الامر كما يقولون ثم استانف القسم فقال اقسم بمواقع النجوم اى بمساقطها و
مغاربها وتخصيص المغارب لما فى وقت غروبها من اقبال الصبح والروح فى النعيم
ونزول الرحمة والرضوان على المتهجدين واستغفارهم واستجابة لغفرهم
ولغفرهم وتلاوتهم وتضرعهم وغير ذكرهم من ضراعتهم واجابة دعوات
العباد وقسمة ارزاقهم وكشف ظلمة الليل واظهار النهار او بمنازلها ومساريها

الدالة على وجود مبدعها ووحدته وعظم قدرته وباهر حكمته ويجوز ان يراد
بالنجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها واليه ذهب ابن عباس رض
وعن الحسن اراد بمواقع النجوم انكدارها وانتشارها يوم القيمة وانه لقسم لو
تعلمون عظيم لما في المقسم به من عظايم الامور وجلايل الشؤن وهو اعتراض في
اعتراض لانه اعتراض بين القسم والمقسم ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته
انه لقرآن كريم هو المقسم عليه اى ان هذا الكتاب لقرآن كريم اى حسن مرضي في
جنسه من الكتب او نفاع كثير المنافع لارشاده الى جميع المنافع الدينية والدنيوية
او كريم على الله في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا
يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس
القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى وقيل لا يقرؤه الا
الموحدون وعن عكرمة كان ابن عباس ينهى اليهود والنصارى عن قراءة
القرآن وقيل لا يقرؤه الا المطهرون وعن ابن عمر احب الى ان لا يقرأ الا وهو
طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب وعن حماد وابي حنيفة يجوز
للجنب والمحدث حمل المصحف ومسه خلافا لمالك والشافعي ويعضده ما روي عن
محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان
لا يمس القرآن الا طاهر وقرئ المتطهرون وقرئ المطهرون بتشديد الطاء والهاء
والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى يطهرون انفسهم وغيرهم
بالاستغفار والالهام والوحي الذي ينزلونه تنزيل من رب العالمين صفة
ثالثة او رابعة للقرآن اى منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل
نجوما من بين ساير كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه
فقيل نطق به التنزيل او ورد في التنزيل كذا او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب
على اضمار فعل اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اى
متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وقال ابن
عباس مكذبون وقال مقاتل بن حيان كافرون والخطاب لاهل مكة وتجعلون
رزقكم اى شكر رزقكم على حذف المضاف انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى

الانواء

الانواء وقرئ على رض وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى وتجعلون شكركم لنعمة
القرآن انكم تكذبون وعن عاصم تكذبون وقرئ تكذبون اى بقولكم في القرآن انه
سحر وشعر وافتراء وفي المطر من الانواء روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الصبح بالحديبية
في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا
قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من
قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء
كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب فنزلت فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله
انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم
ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتاكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي
الروح اى فهلا ترجعون النفس اذا بلغت الحلقوم عند الموت وانتم حينئذ تنظرون
الواو للحال والخطاب لمن حول المحتضر اى وانتم يا اهل الميت تنظرون اليه
متى يخرج نفسه او تنظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم ردها الى الجسد او
تنظرون حالكم روي حماد عن ابي عمرو وحينئذ بكسر النون مثل يومئذ لعله لغة
لبعضهم وقرا الاعمش حينا وعاصم كذلك في مصحف ابن مسعود ونحن اقرب
اليه منكم ونحن اقرب الى المحتضر منكم بعلمنا وقدرتنا او بالملائكة الذين يقبضون
روحه اى ونحن اعلم به منكم فعبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع
ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه وملائكة الموت فلولا ان كنتم
غير مدينين اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله
واستعبده ترجعونها تردون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف
والمحضض عليه بلولا ان كنتم صادقين والمعنى انكم تجحدون افعال الله وآياته
في كل شيء بقولكم للكتاب المعجز انه سحر وافتراء وللرسول الصادق انه ساحر كذاب
وبقولكم صدق نوء كذا ان رزقكم الله مطرا يحييكم به وفيه من الاهمال والتعطيل
ما لا يخفى فالكم لا ترجعون الروح الى الجسد بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة
قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد فاذا لم يمكنكم ذلك
فاعلموا ان مرجع الامر كله الى الله وايقنوا بذلك وامنوا ثم ذكر طبقات الناس

عند موتهم وبين درجاتهم فقال فاما ان كان من المقربين اى ان كان المتوفى
من السابقين فروح فله استراحة وقال الضحاك مغفرة ورحمة وقال ابن جبير فله فرح
وقراه يعقوب فروح بضم الراء وهو الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل اى تحياة وبقاء
لهم وريحان ورزق طيب وقال قوم هو الريحان الذى يشتم وعن ابى العالية لا يفارق
احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وعن
ابى بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وجنة نعيم ذات
تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك اى فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب
اليمين اى من اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما
وقيل اى فسلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لانهم سلموا من عذاب الله تعالى واما ان
كان من المكذبين الضالين اى من المكذبين بالبعث والايات الضالين عن الطريق
المستقيم وهم اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم تنفيرا عنها وتحذيرا وتنبيها
لما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم فالذى يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم
وادخال نار لا تبلغ كنهه ولا يقادر قدره وقرئت برفع وجر عطفا نزل وحميم ان
الذى ذكر فى هذه السورة لهو حق اليقين اى الحق الثابت من اليقين او اليقين الحق
اليقين فسبح باسم ربك العظيم قدم على التسبيح وقول سبحان الله او فنزهه بذكر اسمه
او بذكر عما لا يليق بعظمة شانه وعن بعضهم اى فصل بذكر ربك وامر وعن
ابن مسعود انه قال سمعت رسول الله عم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم
تصبه فاقة ابدا سورة الحديد تسع وعشرون آية مكية او مدنية
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات والارض ذكر فى
هذه السورة والحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع وفى الاعلى
بلفظ الامر تعليما لعباده كلهم او وجود التسبيح منهم فى جميع الازمنة والاوقات
ومجىء المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح
من كل شىء وفى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له فى
نصحته اشعارا بان احداث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا وما على عمومه وانه
سبح له كل شىء كاين فى السموات والارض من حى وجماد بدليل قوله وان من

شىء

شىء الا يسبح الآية وذلك التسبيح بلسان المقال ولسان الحال حيث يدل كل مخلوق
فيهما بامكانه وخروجه من العدم على الصانع الواجب لذاته وعلى قدرته وحكمته
فكانه ينطق بذلك وينزه الله عما لا يليق به من الشركاء وغيرها مما هو من خواص
الامكان ولوازم الحدوث وهو العزيز الحكيم حال يدل على استحقاقه التسبيح لما فى مقدوراته
من السماء والارض وما فيهما من الحكم الدالة على قدرته الكاملة وحكمته البالغة له
ملك السموات والارض اى يختص به ملك العالم اذ لا صانع سواه ولا متصرف فيه غيره
يحيى ويميت خبر مبتداء محذوف او حال من المجرور فى له والجار عامله او جملة
مستانفة لا محل لها من الاعراب اى يحيى الموتى من النطف والبيض ويميت الاحياء
ومعنى الاحياء والاماتة جعل الشىء حيا وجعله ميتا وقد يستعار ان للهداية
والاضلال ومنه قوله عز وجل قايل او من كان ميتا فاحييناه وهو على كل شىء قدير
من الاحياء والاماتة وغيرها بليغ القدرة هو الاول هو القديم الذى كان قبل
كل شىء او السابق على كل شىء سواه بالذات والصفات والآخر والباقى بعد فناء كل شىء
او الاول بالازلية والآخر بالابدية والظاهر وجوده بالدلايل الدالة عليه
او الذى يظهره كل ممكن من العدم الى الوجود او الظاهر بالاحدية والقدم
واختراع الممكنات او الغالب على كل شىء والباطن والذى خفى ادراك ذاته
على العقول او العالم بباطن كل شىء من بطن كل شىء اذا علم باطنه او الباطن عن
التوهمات والتخيلات والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين الاولية والآخرية
والوسطى للجمع بين المجموعين وهو بكل شىء من الواجب والممتنع والممكن عليم بليغ
العلم لا يخفى عليه شىء من ذلك ولا يتفاوت هو الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض كالكنوز والدفاين
والاموات وكالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وما يخرج منها كالجواهر
من الذهب والفضة والنحاس مثلا والزرع والحيوان والماء وما ينزل
من السماء كالكتب والملايكة والصواعق والامطار وما يعرج فيها كالملايكة
والاعمال والابخرة والادخنة قرا الخليل بكسر الراء وهو معكم اينما كنتم لا ينفك
علمه وقدرته عنكم فى اى مكان تكونون فيه اى على حال تكونون فيها وعنه عم افضل

لبيان المراد يعلم ان الله معه حيث كان والله بما تعملون بصير عالم باعمالكم ودرجاتها
فيجازيكم على حسبها ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات
والارض فهو مالك امورکم ومدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم باعمالكم
من طاعة او معصية وخير وشر وذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى
الله ترجع الامور لا ترجع الامور كلها الا الى الله فاستعدوا للقائه باظهار الرشد
الامور واحسنها عند الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم
بذات الصدور بضمايرها واسرارها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم وما انتم فيها
الا كالوكلاء والنواب او التي استخلفكم عمن قبلكم في ملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق
وترغيب للنفس عليه فانه كما انتقل منهم اليهم كذلك ينتقل منهم الى من بعدهم
فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات بتسمية الجملة واعادة
ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون
بالله لا تؤمنون حال من الضمير في ما لكم لما فيه من معنى الفعل اي اي شيء ثبت لكم والمعنى
وما تصنعون حال كونكم غير مؤمنين بالله كقوله ما لك قائما بمعنى ما تصنع حال كونك
قائما وصفة ما سبب عدم ايمانكم بالله وما سبب قيامك والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه
بالحجج والايات قرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم وقد اخذ ميثاقكم
بالايمان قبل ذلك بتركيب العقول فيكم ونصب الادلة لكم والتمكين من النظر وازاحة
العلل والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو واخذ مبنيا للمفعول ان كنتم مؤمنين
لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات
ليخرجكم الله او العبد في مصحف عبد الله هو الذي انزل من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والشك الى نور الايمان واليقين وان الله بكم لرءوف رحيم بليغ
الرافة والرحمة والانعام بتنبيهكم بالرسول والايات ولم يكتف بما نصب لكم من البرا
هين والحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله لاجل
الله او فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى

لاحد

لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب
كان اولى وقال جار الله يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره
يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم
فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت
بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وقسيم
انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده اي لا يستوي في الفضل من انفق من قبل
الفتح ومن انفق من بعده والفتح فتح مكة في قول الجمهور حيث عز الاسلام
به وقوي اهله ودخل الناس في دين الله افواجا وقلت الحاجة الى القتال و
الانفاق فيه وعن الشعبي هو صلح الحديبية والظاهر ان من انفق فاعل لا يستوي
وقيل من مبتدأ ولا يستوي خبره ومنكم حال من ضمير لا يستوي لا من ضمير انفق
لضعف تقديم ما في الصلة على الموصول او الصفة على الموصوف ولضعف تقديم
الخبر على منكم لان حقه ان يقع بعده قرأ زيد بن علي والاعمش من انفق قبل
الفتح بالقاطين اولئك اعظم درجة تقرير لعدم الاستواء بين الفريقين اي
اولئك المنفقون قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين و
الانصار اعظم درجة عند الله من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من
بعد الفتح وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى وعد الله
المثوبة الحسنى وهي الجنة وقال عطاء درجات الجنة متفاضلة فالذين انفقوا قبل
الفتح في افضلها وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله
ليطابق ما عطف عليه والباقون بالنصب على انه مفعول اول لوعد والحسنى
مفعول الثاني والله بما تعملون خبير عالم بكل اعمالكم ظاهرها وباطنها ودرجتها
ومراتبها فيجازيكم على حسبها وعن الكلبي نزلت في ابي بكر الصديق رض فانه اول
من اسلم واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به
على الهلاك وقال ابن مسعود اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي صلى الله عم وابو بكر
رض وقال ابن عمر كنت عند النبي عم وعنده ابو بكر عليه عباءة قد خللها في صدره
بخلال فنزل عليه جبرئيل عم فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره

بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول اقرأ عليه السلام وقل
أراضٍ انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله
يقرأ عليك السلام ويقول لك أراضٍ انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر أأسخط
على ربي اني عن ربي راضٍ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من مبتدأ خبره ذا والذي
صفته او بدله والاقراض حقيقة اعطاء العين على وجه يطلب بدله واريد به ههنا
الانفاق في سبيل الله ولوجهه وقرضا حسنا مفعول مطلق له بمعنى اقراضا حسنا اي
فالذي ينفق ماله انفاقا مقرونا بالاخلاص وطيب القلب فانه اذا انفق ماله خالصا لوجهه
فكأنه اقرضه اياه وقيل من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن
يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له وفي ههنا
وجه آخر وهو ان القرض في الاصل القطع من قرض الثوب بالمقراض اذ قطعه به ثم
سمي مال يقتطعه الرجل من امواله فيعطيه عينا وعلى هذا يكون مفعولا به لا مفعولا مطلقا
والمعنى من ذا الذي يقرض الله مالا حسنا اي يعطيه مالا حلالا طيبا فانه تعالى لا يقبل
الا الحلال الطيب ولا يأخذ الا اياه كما قال ويأخذ الصدقات فيضاعفه له فيعطيه
اجره على اقراضه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه
الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا
وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قال ايقرض الله
احد فيضاعفه له وقرأ حمزة وابو عمرو ونافع والكسائي بالرفع عطفا على يقرض او لانه
خبر مبتدأ محذوف اي فهو يضاعفه وابن كثير وابو جعفر فيضعفه مرفوعا من
التضعيف وابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا والمضاعفة والتضعيف بمعنى
واحد يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله اجر كريم او لقوله فيضاعفه
او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدا
هدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف
اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهو
رهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بايمانهم
سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا ويجوز ان يريد جميع جوانبهم على ذكر البعض

وارادة

وارادة الكل وعن قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من
يضيء نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين
من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وفي حديث آخر ان بعضهم يعطى نورا مثل
الجبل وبعضهم يعطى نورا اصغر حتى يكون آخر رجل يعطى نورا على ابهام قدميه يضيء
ويطفى اخرى فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على
قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب
ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدميه
يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يدا هذه العبارة غير صحيحة وتعلق اخرى و
تخر رجلا وتعلق اخرى وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث
وعن ابن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة
ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا يؤتى نوره على ابهامه فيطفى
مرة ويتقد مرة فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون بسعيهم نورهم
جنبا لهم ومتقدما بشراكم اليوم جنات على اضمار القول اي يقول لهم الملائكة
الذين يتلقونهم بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات وهو حال
مترادفة من مفعول ترى اي مقولا لهم هذا القول تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم قرئ ذلك الفوز بحذف هو وذلك اشارة الى ما ذكر
من النور والبشرى بالجنات المخلدة وسماه الفوز العظيم لكونه الظفر بكل ما ارادوا
يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا اخلصوا في الايمان بكل
ما يجب الايمان به انظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب
تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم
فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا من النظرة وهي الامهال على
ان اتئادهم وتأنيهم في المضي ليلحقوا بهم انظار لهم وامهال نقتبس من
نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به وقيل ان الله تعالى يعطي المؤمنين
نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة
وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينا هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأ نورهم

اي ناخذ القبس والاضاءة [illegible]

المنافقين ونحو ذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا
نورهم كما سلب المنافقون وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين
ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا في ظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون
وقال قتادة يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم فالتمسوا نورا بتحصيل
الايمان فانه يتولد منه او الى الموقف لانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا
آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا النور وهو طرد لهم وتهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة
فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط بين شق الجنة وشق النار والباء
زائدة وقيل ليست بزائدة له باب يدخل منه اهل الجنة باطنه فيه الرحمة باطن السور او
الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته العذاب وهو الظلمة
والنار واختلف في هذا السور فقيل هو الاعراف وعن ابن عمر رض هو سور بيت المقدس
الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال شريح رح كان كعب
يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب
بينهم بسور له باب الاية وقرأ زيد بن علي فضرب بينهم مبنيا للفاعل ينادونهم
من وراء السور حين حجز بينهم بالسور وبقوا في الظلمة وهو اما حال من ضمير بينهم او
مستانف الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الامور الظاهرة من الصلوة والصوم
وغيرهما قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق والمعاصي واهلكتموها وتربصتم
وانتظرتم بالمؤمنين الدوائر وقال مقاتل وتربصتم بمحمد الموت وقلتم يوشك ان يموت
فنستريح منه وارتبتم وشككتم في هذا اليوم او في نبوته او في الدين وغرتكم الاماني
وخدعتكم الاماني من طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار ونزول الدوائر
بالمؤمنين حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الدنيا او الشيطان بان
الله عفو كريم لا يعذبكم وقال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله
في النار وقرئ الغرور بضم الغين فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء قرأ ابن عامر
وابو جعفر ويعقوب لا تؤخذ بالتاء نظرا الى لفظ الفدية والباقون بالياء لان تانيثها

غير

غير حقيقي ولوجود الفصل بالجار والمجرور ولا من الذين كفروا ظاهرا و باطنا وفيه
دلالة على ان الكفار مأواكم النار هي مرجعكم النار هي مولاكم هي اولى بكم وحقيقته
محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل
انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية
بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم في الدنيا موجباتها وبئس المصير
النار الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يجئ وقته من أنى الامر
يأنى اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأنى وقرأ الحسن الم يأت و
بالتاء والالم يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق
والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين
فعاتبهم على راس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأ
هم وهم يقرؤون من القرآن اقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما
ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رض ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من
اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وعن
مقاتل والكلبي نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان
ذات يوم فقالوا حدثنا عن التورية فان فيها العجائب فنزلت نحن نقص عليك احسن
القصص فاخبرهم ان القرآن احسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم سالوه
عن مثل ذلك فنزل الله نزل احسن الحديث فكفوا عنه ما شاء الله ثم قالوا حدثنا
عن التورية فان فيها العجائب فنزلت هذه الاية فعلى هذا يراد بقوله للذين امنوا الذين
امنوا ظاهرا وباللسان فقط ولم تؤمن قلوبهم ومعنى تخشع قلوبهم ترق و
تلين وتخضع وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على ذكر الله عطف احد الموصوفين
على الآخر ويجوز ان يراد بذكر الله ان يذكر الله وما موصولة او موصوفة اي وكتاب
او القرآن نزل من الحق او مصدرية اي ولنزوله من الحق وهو القرآن وفيه لين لغة
ما لا يخفى وبه يظهر ضعف ما قيل من انها لا تكون مصدرية لئلا يبقى الفعل بلا فاعل
وقرأ ابو عمرو وعاصم وابو جعفر نزل بضم النون وتشديد الزاء بخلاف عنهما

وقرأ نافع وحفص ورويس نزل بتخفيف الزاي بخلاف عن رويس والباقون بتشديد
ها اي وما نزل من الحق وقرئ انزل مبنياً للفاعل والمفعول ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس ولا تكونوا بالتاء على الالتفات و
النهي لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم كان بنوا اسرائيل اذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله ورقت
قلوبهم فلما طال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم
غلبهم الجفا والقسوة واختلفوا واحدثوا التحريف وغيره من الميل الى الدنيا والاعراض
عن مواعظ الله وقرئ الامد بتشديد الدال وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم لفرط الجفاء والقسوة اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر واحياء الارض بالغيث او لاحياء
الاموات ترغيباً في الخشوع وزجراً عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون
كي يكمل عقلهم ان المصدقين والمصدقات قرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد فيهما
اي الذين صدقوا الله ورسوله وهم المؤمنون والباقون بتشديدها اي
المتصدقين والمتصدقات وقرئ بها والمراد التصدق مطلقاً او بالواجب واقرضوا
الله قرضاً حسناً عطف على معنى الفعل في المصدقين لان معناه الذين صدقوا
او اصدقوا والمراد بالقرض الحسن التصدق المقرون بالاخلاص وطيب النفس
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند
الى لهم او الى ضمير المصدر وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو جعفر ويعقوب يضعف
والباقون يضاعف وقرئ بكسر العين اي يضاعف الله والذين آمنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم جمع صديق وشهيد اي اولئك
الذين بالغوا في الصدق ويشهدون على الامم يوم القيمة وفيه دليل بين على
ان كل مؤمن صديق شهيد وقيل اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء
في سبيل الله ويجوز ان يكون مبتداء ولهم اجرهم خبره وقال تعالى هم المستشهدون
في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي لهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل
نورهم او لهم الاجر والنور الموعود ان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك



اولئك اصحاب الجحيم والذين ثبتوا على الكفر والتكذيب بالآيات العظام اولئك بلا ريب
اصحاب الجحيم لا يفارقونها ولا ينفكون عنها اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال المؤمنين والكافرين ومآلهم في
الآخرة ترغيباً في الايمان وتنفيراً عن الكفر بين ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور
وانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جداً اتعاب الصبيان في الملاعب بلا فائدة
ولهو يلهون به انفسهم غاية همتهم وزينة من الملابس والمراكب والمنازل
الحسنة يتزينون بها وتفاخر بالانساب والاحساب يتفاخرون بها وتكاثر بالعدد
والعدد يتباهون بها ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً فانه تمثيل لحال الدنيا وسرعة فنائها وقلة نفعها
بحال نبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الزراع او الكافرون بالله
لانهم اشد اعجاباً بزينة ولان المؤمن اذا رأى معجباً انتقل فكره الى قدرة صانعه
فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجاباً ثم بعث الله
عليه العاهة فهاج اي يبس واصفر وصار حطاماً عقوبة على كفرهم كما فعل
باصحاب الجنة وصاحب الجنتين والحطام ما يتحطم ويتكسر بعد يبسه وقرئ مصفاراً
ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان اي
عذاب شديد لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة ومغفرة ورضوان لمن اعرض
عنها وقصد بها الآخرة وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال سعيد بن جبير متاع
الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة واما من اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ
الى ما هو خير منه سابقوا اي تسارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى
مغفرة من ربكم الى موجباتها بالايمان والعمل الصالح وجنة عرضها كعرض السماء
والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول فلا يعلم
طولها الا الله وتفصيله قول النبي صلعم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن
افسح فيسكنها الله ستين وثلثماية عالم كل عالم منها اكبر من الدنيا منذ خلقت
الى يوم ينقطع وقال السدي كعرض سبع الارضين وقيل المراد بالعرض البسطة
كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله هنيات للمؤمنين

بالله ورسوله وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في
استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي ذلك الموعود من المغفرة والجنة عطاء
الله يعطيه من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد عنه التفضل و
الانعام بذلك على المؤمنين وان جل قدره وفيه ان احدا لا يدخل الجنة الا بفضل الله
ما اصاب من مصيبة في الارض كقحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار مثلا ولا في انفسكم
كمرض وآفة الا في كتاب مبين الا مكتوبة في اللوح من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير
للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير
عليه هين وان كان عسيرا على العباد لعدم احتياجه فيه الى العدة والمدة لكيلا تأسوا
اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم
الله منها لان من علم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله هان عليه جميع الامور فلم
يتفاقم جزعه عند فوت مكانه ولم يتعاظم فرحه عند وصول الخير اليه وقرأ ابو
عمرو بما أتاكم من الاتيان ليناسب ما فاتكم والباقون بمد الالف من الايتاء بمعنى
الاعطاء ومفعوله الثاني محذوف تقديره بما آتاكموه والمراد نفي الاسى المانع
عن الصبر والتسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله
والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالتي الضراء والسراء و
المختال ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قول النبي عم ان
من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله اما الخيلاء التي يحبها الله فالاختيال
عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واما الخيلاء التي يبغضها الله
فالاختيال في البغي والفخور اي لا يحب كل متكبر بما اوتي من الدنيا فخور
مبالغ في الفخر به على الناس الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من
كل مختال فخور فان المختال بالمال اذا كان فخورا به يفرح به بزيادة الفخر كان
يبخل به اذا كان امر الناس بالبخل بل هو اشد من ذلك وافسد وعن النبي عم
انه قال لبني سلمة من سيدكم قالوا الجد ابن قيس وانا نبخله فقال واي داء
ادوى من البخل بل سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح او رفع على الذم
او نصب عليه او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله ومن يتول فان الله

هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن
انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد
واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق او ومن يعرض عن اوامر الله و
نواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني
عنه وقيل ومن يتول عن الايمان وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالبخل بفتح الباء و
الخاء والباقون بضم الباء وسكون الخاء كالعدم والعدم والعرب والعرب
وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر فان الله الغني بحذف هو لقد ارسلنا رسلنا يعني
الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
اي الوحي تفصيلا لما يحتاج الناس اليه ووعظا لمعذرتهم والميزان اي والعدل او و
ما يوزن به روي ان جبريل عم نزل بالميزان فدفعه الى نوح عم وقال مر قومك
يزنوا به وقال الامام الغزالي لا تظن ان الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر و
الشعير والذهب والفضة انتوهم هو الطيار والقبان ما ابعد هذا الحسبان
واعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تتعسف في التأويل واعلم يقينا ان هذا الميزان
هو الميزان معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته لتتعلم كيفية
الوزن به من انبيائه كما تعلموهم من ملائكته فالله تعالى هو المعلم الاول والثاني
جبرئيل والثالث الرسول عم والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم
طريق في المعرفة سواه والكل عبادته بلا تغيير وليت شعري ما دليله على ما ذهب
اليه من العدول عن الظاهر ليقوم الناس بالقسط ليتعاملوا بينهم بالعدل
ويسووا به الحقوق وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عم من الجنة ومعه
خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة و
روي ومعه المر والمسحاة وعن النبي عم ان الله تعالى انزل اربع بركات
من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا
الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذكر ان اوامره تنزل
من السماء وقضاياه واحكامه وقيل اخرجنا لهم الحديد من المعادن وعلمنا
هم صنعته بموجبه فيه بأس شديد وهو القتال به والكلبي الشدة وقيل

فيه بأس شديد يعني السلاح للحرب وقال مجاهد فيه جنة وسلاح من آلة
الدفع وآلة الضرب والجملة حال من الحديد ومنافع للناس ومصالحهم و
معايشهم وصنايعهم اذ ما من صنعة الا والحديد آلة فيها وليعلم الله من
ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة اعداء الدين وهو عطف على
محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي
انزله ليعلم بالغيب حال من الضمير المستتر في ينصره او من البارز فيه اي غائبا عنهم
وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي قادر بليغ القدرة على اهلاك
من يريد هلاكه عزيز بليغ العزة غني بقدرته وعزته عنهم وعن نصرتهم وانما
كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب ولقد ارسلنا نوحا
وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم
الكتب وعن ابن عباس رض اراد بالكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة قراءة
الاعمش ذريتهما بكسر الذال فمنهم فمن الذرية او فمن المرسل اليهم وقد دل
عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن طريق المستقيم
والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على الغلبة للضلال
ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد
رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسل اليهم
او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية و
آتيناه الانجيل وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر
البرطيل لانه اعجمي لا يلزم فيه حفظ ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم و
التعاطف بينهم يتوادون كما قال تع في صفة اصحاب رسول الله صلعم
رحماء بينهم ورهبانية اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها اي احدثوها
من عند انفسهم ونذروها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات
وهي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مبالغين في العبادة
والاخلاص لها وذكر ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد عيسى فقاتلوهم

ثلث

ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم
فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في
الخوف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئت بضم الراء كانها منسوبة
الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الفعل
المذكور بعدها لا بالعطف على رحمة لان ما جعله الله تعالى لا يبتدعونها ويعضده
قراءة الاعمش ورهبانية بالرفع ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل
متصل لان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب
المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود بمعنى اتخذوها واتوا بها
اولا لانهم اخترعوها من عند انفسهم فما رعوها فلم يرعوا الرهبانية
حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نقضه
وذلك انهم ضموا اليها التثليث والرياء والتنصر والكفر بمحمد صلعم او ضيعوها
حيث كفروا بدين عيسى صلعم بتهودهم وتنصرهم ودخولهم في دين
ملوكهم الفاسقين فآتينا الذين آمنوا منهم اهل الايمان الصحيح باتباع في
جميع ما امرهم به ونهاهم عنه او اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها
ومن ذلك الايمان بمحمد صلعم منهم من الذين ابتغوا اجرهم وكثير منهم
فاسقون متمردون في الفسق بسبب ترك اتباعه وعدم المحافظة
على نذرهم وقيل خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بعيسى
او بالرسل المتقدمة اتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم
عنه في دين الاسلام وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من رحمته
اي نصيبين لايمانكم بمحمد صلعم وايمانكم بمن قبله والخطاب لمؤمني اهل الكتاب
من الكتابيين من اليهود والنصارى او لمن امن منهم ومن خيرهم وقيل
للنصارى الذين كانوا في عصره وعن ابي موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلث يؤتون اجورهم مرتين الرجل تكون له الامة فيعلمها فيحسن
تعليمها ويؤدبها فيحسن تاديبها ثم يعتقها ويتزوجها فله اجران ومؤمن

اهل الكتاب الذى كان مومنًا ثم امن بالنبى فله اجران والعبد الذى يؤدى
حق الله تعالى وينصح لسيده ويجعل لكم نورا تمشون به يعنى النور المذكور
فى قوله يسعى نورهم وهو الظاهر المشهور وقيل الهدى الذى يسلكه به
الى جنات الفردوس وعن ابن عباس ان النور هو القرآن ويغفر لكم ما
سلفتم من الكفر والمعاصى والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة لئلا يعلم
لا مزيدة اى ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ويعضده قراءة من قرا ليعلم
ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء وقيل لينبئ ثابتة والمعنى لئلا يعلم
اهل الكتاب عجز المؤمنين ان لا يقدرون على شئ من فضل الله ان مخففة من الثقيلة
اصله انه لا يقدرون يعنى ان الشان لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين و
النور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط به فلم ينفعهم ايمانهم
بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط او لا يقدرون على شئ من فضله فضلا ان
ينالوا افضله وهو النبوة فيخصون بها من ارادوا ويعضده قوله وان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا مزيدة والمعنى
لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله
ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وتؤيده انه قرئ لكى لا
يعلم ولئلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ولئلا يعلم بكسر اللام على ان همزة ان
حذفت وادغمت نونها فى لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء
كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان الاصل فى الحروف الموحدة
الفتح وقرا قريش ليلا بياء حيث وقع وقرئ ان لا يقدروا روى ان
النبى عم بعث جعفرا فى سبعين راكبا الى النجاشى يدعوه فقدم جعفر عليه
فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن امن من اهل مملكته وهم اربعون
رجلا ايذن لنا فنأتى هذا النبى فوافدة على رسول الله صلى الله عم فاذن لهم فقدموا
مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا
رسول الله صلى الله عم فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا بها المسلمين
فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب من قبله الى قوله ومما رزقناهم

ينفقون

ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله اولئك يؤتون اجرهم
مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله
اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا
فنزلت وروى ان مؤمنى اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من
المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين
وادعوا الفضل عليهم فنزلت وبيد الله عبادة
عن تصرفه عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا
بالله ورسوله تم جلد الرابع من
بحر العلوم للسيد الشيخ العلى السمرقندي
رحمه الله رحمة واسعة بعون الله
الوهاب على يد العبد
الضعيف المذنب
المحتاج الى رحمة ربه
اللطيف مصطفى
بن جمال غفر الله
له ولوالديه
واحسن اليهما
واليه فى يوم
الثلثاء
من اول
جماذى الاخر
تاريخ سنة اربع
وستين وتسعمائة
بمقام مناهر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله قرئ بثلث قراءات بالرفع والخفض
والنصب فالرفع معروف في السبع والنصب والخفض في الشاذ فاذا قرات
بالرفع فيكون الامر مضمر فيها كانه يقول قولوا الحمد لله واذا قرات بالنصب
فيكون نصبا على المصدر كانه قيل احمد الحمد لله واذا قرات بالخفض فهو
على الاتباع فكانه بالحمد وقال بعضهم الالف واللام في الحمد للتعريف فيكون
معناه الشكر لله وهو الحمد لله في الازل ويقال للجنس معناه الحمد لله في الازل
والابد ويقال في التعميم ومعناه الحمد لله على الاحوال كلها وعن ابن عباس قال
الحمد لله معناه الشكر لله فهو ان صنع الى خلقه فحمدوه وقال مقاتل بالوحدانية
لله وقال الاخفش الثناء لله ويقال الحمد هو المطلوب من المدح بحذب وجبذ
ثم قال رب العالمين ابن عباس سيد الجن والانس قال الضحاك مرتب
الخلق كلهم قال ابو العالية الجن عالم والانس عالم وسوى ذلك ثمانية عشر
الف عالم سمي العالم لانه يعلم به فكل عالم يدل على الله بانه واحد وقال ابو سعيد
الحنفي رض الحمد معناه ينبغي ان يكون جميع الشكر والمدح والثناء والتحية من
العبد لله تعالى لانه هو المنعم المعطي لجميع خلقه الخير رب العالمين خالق
الخلق اجمعين ويحولهم من حال الى حال يحبون الى حال يكرهون ومن
حال يحبون كقوله تعالى يصلح لكم هو مصلح امور الخلايق دنيا ودنيا ويقال
الرب المصلح يقال اديم مربوب اي مدبوغ مصلح فعلى هذا المعنى ثم قال
الرحمن الرحيم يعني الرحمن اهل السموات حين مكنهم في سمواته واكرمهم
بخدمته وامنهم على وحيه وغذاهم بذكره والرحيم باهل الارض حين
بعث اليهم الرسل وانزل اليهم الكتب وصرف عنهم البلاء والمحن ويقال
هما اسمان لطيفان احدهما الطف من الآخر ويقال الرحمن العاطف على الذي
يسترزق وعلى الذي لا يسترزق منه فيرزق كلاهما والرحيم يغفر لمن استغفر
منه ومن لا يستغفر منه فيغفر كلاهما بعد ان يكون من اهل التوحيد وقرئ مالك يوم
الدين وملك يوم الدين وكلاهما ماثوران عن النبي وحسنتان فمن
قرا ملك يوم الدين فتفسيره هو ان الملك له يوم الدين بلا منازعة احد ينازعه

ومن

ومن قرا مالك يوم الدين فمعناه والله الموفق انه مالك الملك يوم الدين
وقيل بان هذا القول احسن ما قيل فيه واختار بعض الائمة القراءة بمالك لزيادة
حرف فيه ثم قال مالك يوم الدين وما قبل يوم الدين وبعد يوم الدين
فلا تخرج من ملكه وسلطانه شيء وهو يدان فيه الخلايق باعمالهم لا قاضي
فيها غيره وقيل في المثل كما تدين تدان كما تفعل تجازى ويقال مالك يوم الدين
اي قادر سلطان يقيم يوم الدين فليس هذه القدرة لاحد غيره ومن اول
السورة الى ههنا تعليم الشكر ثم علمنا ثلث كلمات كل كلمة ضرب من الدنيا وما
فيها فقال اياك نعبد اي قولوا يا رب العالمين يا رحمن يا رحيم يا مالك يوم الدين
اياك نعبد اي لك نوحد ولك نصلي ونحج وعلى هذا القياس في الطاعات فقال
اياك نستعين اي لك نستهدي ونستوفق على جميع الخيرات والطاعات
ويقال وبك نستعين على الفرج من الغموم والشدائد ثم قال اهدنا الصراط
المستقيم قال ابن عباس ارشدنا الى الدين القيم وقال علي رض ثبتنا على دين
الاسلام وقال جابر الصراط المستقيم كتاب الله معناه علمنا وفهمنا احكامه
وقال يحيى بن معاذ الرازي ثبت المعرفة في قلوبنا ولا تلبس علينا حقيقة هذا
الدين ثم قال صراط الذين انعمت عليهم يعني طريق الذين مننت عليهم
بالايمان والمعرفة وهم الانبياء والاصفياء والصالحون والسعداء غير
المغضوب عليهم يعني غير دين اليهود غضبت عليهم ونزعت المعرفة
من قلوبهم حتى قالوا عزير بن الله ويد الله مغلولة وان الله فقير ولا الضالين
يعني ولا دين النصارى الذين خذلتهم وختمت قلوبهم حتى قالوا المسيح بن
الله وثالث ثلاثة واما آمين فانه ليس من القرآن ولكن انما يكتب عقيب الفاتحة
لان الفاتحة سورة حين قراءها جبرئيل على محمد صلعم قال له قل يا محمد آمين
معناه استجب دعانا نعم صدق تمت هذا الكتاب فقه الاكبر من تاليف الامام
الاعظم ابي حنيفة رض